

دراسات في تاريخ الحركة الصليبية
(١)

تاريخ جماعة الفرسان السيون في الأراضي المقدسة

حوالي ١١٩٠ - ١٢٩١ م / ٥٨٦ - ٦٩٠ هـ

دكتور

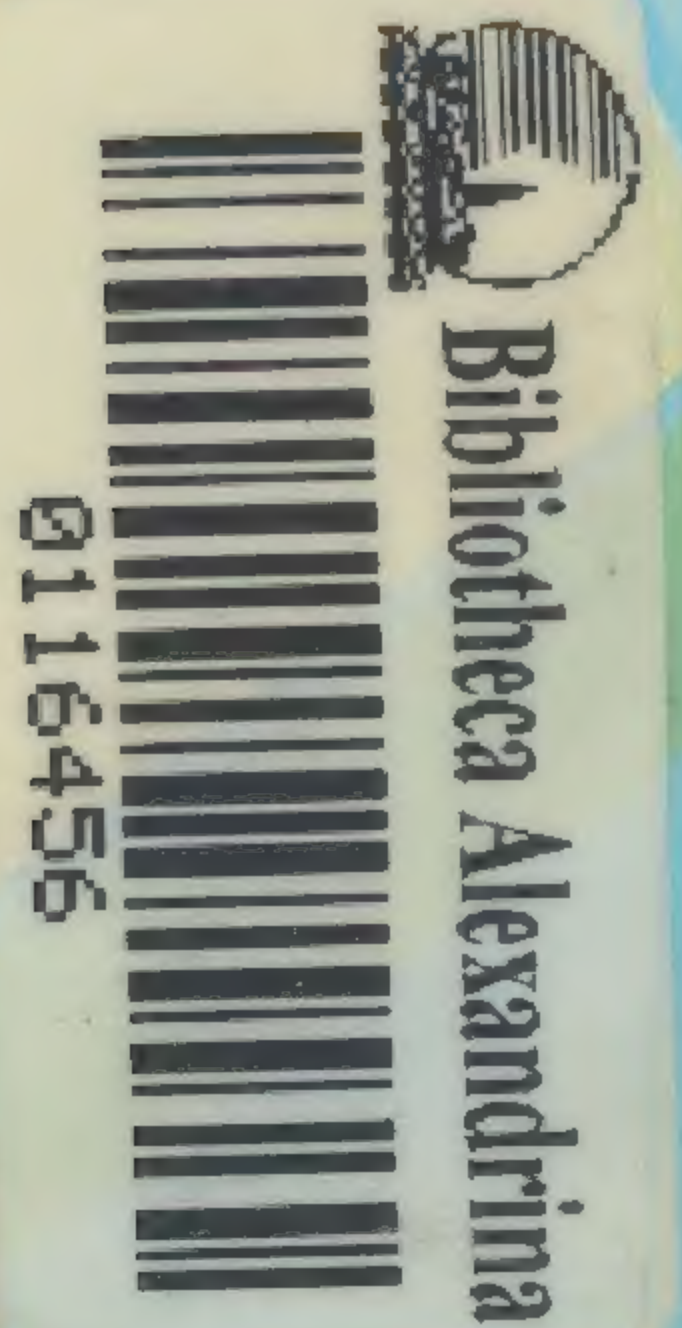
حسن عبد الوهاب حسين
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الدكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش بوتييه - الأزاريطة - ت ٤١٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قتال السويس - السلطى - ت ٥٩٧٣١٤٦



دراسات في تاريخ الحركة الصليبية
(١)

تاريخ جماعة الفرسان السيون في الأراضي المقدسة

حوالي ١١٩٠ - ١٢٩١ م / ٥٨٦ - ٦٩٠ هـ

دكتور

حسن عبد الوهاب حسين
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الدكتور هوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

من: نشر مكتبة دار المعرفة - ١٣٠١
٣٨٧ من قنات السويس - التلوي - ٥٩٧٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وما أوتيتم من العلم الا قليلا

الامراء (٨٥)

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى والدي الذي تعلمت منه الصبر

والذي اتى وتفت بجوارى

اهدي اليهما هذا الكتاب

تقديم

الأستاذ الدكتور/جوزيف نسيم يوسف

يسعدنى أن أقدم لقراء العربية باحثًا من الطراز الأول فى الدراسات التاريخية هو الدكتور/حسن عبد الوهاب حسين سليم . فهو من أبناء كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، حصل على درجة الليسانس فى الآداب من قسم التاريخ فى مايو ١٩٧٧ بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف . وفى سبتمبر من نفس العام عين معيدا بالكلية فى فرع تاريخ العصور الوسطى . وفى ديسمبر ١٩٨٢ حصل ، تحت اشرافى ، على درجة الماجستير فى الآداب بتقدير « ممتاز » فى موضوع « قيسارية تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى » (١١٠١ - ١٢٦٥ / ٤٩٤ - ٦٦٣ هـ) . وفى يناير ١٩٨٣ عين فى وظيفة مدرس مساعد بذات الكلية .

وبعد أن سجل تحت اشرافى للحصول على درجة الدكتوراة فى الآداب فى موضوع « جماعة الفرسان التيوتون وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى مصر والشام فى عصر الحروب الصليبية (١١٩٠ - ١٢٩١ م / ٥٨٦ - ٦٩٠ هـ) سافر الى انجلترا فى بعثة اشراف مشترك بجامعة كارديف حيث أمضى الفترة من سبتمبر ١٩٨٤ الى أغسطس ١٩٨٦ تحت اشراف الدكتور بيتر ادبيورى P.W. Edbury المتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية بالجامعة المذكورة والذي قدم له العون الصادق أثناء وجوده هناك . وفى فبراير ١٩٨٧ حصل على درجة الدكتوراة فى الآداب فى الموضوع أنف الذكر بمرتبة الشرف الاولى . وفى مارس ١٩٨٧ تم تعيينه فى وظيفة مدرس تاريخ العصور الوسطى بالكلية .

والكتاب الذى بين يدى القارئ يعالج - فى الحقيقة - موضوعا صعبا لم يتناوله أحد من قبل من هذه الزاوية . وتعتبر الدراسة الجادة القيمة التى زودنا بها المؤلف أول دراسة علمية قائمة بذاتها فى هذا الموضوع . وقد سلط فيها الاضراء على كل جوانبه وزواياه ، اعتمادا على مختلف مصادره من لاتينية وفرنسية قديمة وأرمينية وعربية . فجاءت دراسة متكاملة معبرة فى حيدة وموضوعية وأمانة عن مختلف وجهات النظر .

وقد قدم للكتاب الذى يشتمل على خمسة فصول بدراسة تحليلية نقدية مقارنة تعتبر اضافة لها وزنها الى الدراسات الوثائقية والبيبلوغرافية المتعلقة بتاريخ جماعة الفرسان التيوتون بوجه خاص وتاريخ الحركة الصليبية بوجه عام .

وعنوان الفصل الاول « تأسيس المستشفى الميدانى الالماني فى عكا وتحوله الى جماعة الفرسان التيوتون (١١٩٠ - ١١٩٨ م / ٥٨٦ - ٥٩٤ هـ) استعرض فيه نشأة المستشفى ، وموقعه ، والمنح والامتيازات التى حصل عليها من رجال الدنيا والدين ، ثم تحوله الى جماعة رهبانية عسكرية واعتراف بابوية روما بها وبين مدى ارتباطه بالصراع الصليبي الاسلامي فوق رقعة الشرق الادنى . وفي الفصل الثانى وعنوانه « تطور جماعة الفرسان التيوتون وعلاقاتها السياسية بالمسلمين حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة (١١٩٨ - ١٢٢١ م / ٥٩٤ - ٦١٨ هـ) . وأوضح فيه أن العصر الذهبى لهذه الجماعة بدأ بتولى هرمان دى سالزا حيث رفعها الى مصاف الجماعتين الكبيرتين : الاسبتارية والداوية . فقد نجح فى توطيد دعائمها فى مواقع استراتيجية أتاحت له فرصة المساهمة بدور فعال فى الصراع الصليبي الاسلامي . وركز على دور الجماعة خلال الحملة الهنغارية عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ والحملة الصليبية الخامسة على مصر ١٢١٨ - ١٢٢١ م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ .

وعنوان الفصل الثالث « جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى الصراع الصليبي الاسلامي منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة وحتى وفاة هرمان دى سالزا (٢٢١ - ١٢٣٩ م / ٦١٨ - ٦٣٦ هـ) . وتناول فيه عدة نقاط هامة من بينها دور الجماعة فى الاعداد للحملة الصليبية السادسة وسعيها لفض النزاع بين البابا جريجورى التاسع والامبراطور اثيريك الثانى . وأنهى الفصل بوفاة مؤسس الجماعة هرمان دى سالزا . أما الفصل الرابع وعنوانه : جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية بعد وفاة هرمان دى سالزا وعقب وفاة مقدمها بوبو دى أوسترنا (١٢٣٩ - ١٢٥٦ م / ٦٣٧ - ٦٥٤ هـ) . فعالج فيه عدة قضايا هامة من بينها دور الجماعة فى حملتى ثيوبولد اوف شامبانيا وريتشارد اوف كورنول . وكذلك موقفها من حملتى لويس التاسع ملك فرنسا على مصر وبلاد الشام فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى / أواسط

القرن السابع الهجرى . وابرز ان قوانينها وتنظيماتها الدينية والعسكرية تبلورت فى هذه الفترة .

والفصل الخامس والاخير وعنوانه « دور الفرسان التيوتون فى العلاقات السيامية بين المماليك والصليبيين حتى سقوط عكا (١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠هـ) فقد ركز فيه المؤلف على محاولات « مقدم الجماعة وقتها انشاء منطقة نفوذ جديدة فى صيدا وبيروت . كما ناقش عددا من الموضوعات الهامة التى توصل فيها الى آراء فى محاولات التحالف بين الارمن والمغول والصليبيين بهدف تكوين جبهة مشتركة ضد المماليك ونتائجها ، وأيضا دورها فى المعاهدات التى عقدت بين الصليبيين والمسلمين ومساهماتها فى الدفاع عن بقايا المعقل الصليبية فى الاراضى المقدسة التى أخذت تسقط تباعا فى قبضة المماليك . واختتم الفصل بالحديث عن نهاية وجود الجماعة فى المنطقة بعد سقوط عكا .

والكتاب مزود بعدد من الملاحق الهامة التى تتصل بالموضوع اتصالا مباشرا وتلقى الكثير من الاضواء على بعض خباياه . هذا الى جانب مجموعة الخرائط والاشكال التوضيحية .

وخلاصة القول ان الكتاب يعتبر اضافة جديدة الى مكتبة تاريخ العصور الوسطى بوجه عام ومكتبة الحروب الصليبية بوجه خاص . وذلك لما تناوله من قضايا هامة قيمة وما توصل اليه من آراء وأفكار ونتائج تتسم بالدقة والعمق والجدة والاصالة ، وتكشف عن حاسة تاريخية أصيلة يتمتع بها المؤلف ، فضلا عن المامه التام بمصادر ومراجع تاريخ العصور الوسطى من عربية وغير عربية ، خطية ومطبوعة . الى جانب معرفته بعدد من اللغات من بينها اللغة اللاتينية الوسيطة واللغتين الانجليزية والالمانية ، وهيا له كل ذلك سبل البحث والتنقيب بين مختلف المنابع والاصول جريا وراء الحقيقة التاريخية البحتة . وقد جالسه التوفيق فى ذلك .

الامكندرية فى ١٥ أغسطس ١٩٨٨ .

دكتور/جوزيف نعيم يوسف

مقدمة المؤلف

على الرغم من مرور فترة طويلة على انتهاء الحروب الصليبية ،
الا انها لاتزال تجتذب اهتمامات الباحثين والدارسين في هذا المجال .
ومن بين هذه الموضوعات - دراسة تاريخ الجماعات الرهبانية العسكرية
التي جمع أفرادها بين الدين والحرب في مبادئهم وقواعدهم ، وارتدوا
ملابس الرهبان وهم يمتطون جيادهم ويقاتلون من فوق ظهورها . وكانت
منطقة الشرق الادنى الاسلامى هى موطن نشأة هذه الجماعات ، حيث
قام الصليبيون بتكوينها ، وسرعان ما أخذت فى التطور والنمو التدريجى ،
وشاركت فيما يجرى فوقها من احداث . وسرعان ما أخذت على عاتقها
حماية الكيان الصليبي فى الاراضى المقدسة عندما بدأ الوهن والضعف يدب
فيه نتيجة لعوامل عديدة متداخلة فى بعضها . وأصبح الواجب الملقى على
عاتقها ثقيلا ، ولكن كان لتنظيماتها وما امتلكته من أموال ومنح
وامتيازات الاثر الكبير فى قدرتها على القيام بهذه المهمة . ولكن فى نفس
الوقت كان لتلك الاموال والثروات الضخمة التى حصلت عليها الجماعتان
الكبيرتان - الاسبتارية والداوية - اثره فى بدء انحرافهما عن الطريق .
وفى أثناء ذلك كانت نشأة ثلاثة هذه الجماعات ، وهى جماعة الشروسان
التيوتون أو الجماعة الالمانية كما يطلق عليها غالبا . ولقد لقيت جماعتا
الاسبتارية والداوية جل اهتمامات المؤرخين القدامى والحديثين . أما
الجماعة الالمانية فان دورها فى الصراع الصليبي الاسلامى لم يلق الا
النزر اليسير من اهتمامات الباحثين والدارسين ، باستثناء تلك النتف
والشذرات المبعثرة هنا وهناك فى هذه المصادر أو المراجع الحديثة .

ولم يكن من السهل التصدى لهذا الجانب بالبحث والدراسة ، فالمادة
المتعلقة به ليست متوافرة بالقدر الكافى ، بالإضافة الى أن غالبية مصادره
لاتزال بلغاتها الاصلية سواء باللاتينية أو الفرنسية القديمة . أما مصادرها
العربية فان ما أورده من اشارات عن الجماعة الالمانية لا يتعدى أصابع
اليد الواحدة . وربما كان ذلك بسبب أنها كانت تذكر الصليبيين عموما
تحت اسم « الفرنج » أو « الافرنج » ، دون أن تخص جماعة بعينها ،
الا فى حالات قليلة . كذلك تزداد هذه الصعوبة فيما يتعلق بمصادر
الجماعة نفسها ، فلايزال الغموض يحيط بها ، لعدم اكتمال العثور على

وثائقها . أما غالبية الوثائق التي عثر عليها فهي عبارة عن منح وامتيازات حصلت عليها من مختلف القوى الدينية والدنيوية . وكان لابد من دراسة متأنية دقيقة لها ومحاولة استخلاص ذلك الدور بين سطورها . كذلك فإن غياب مقدمها الأعلى في الغرب الاوروبى كان له ايضا الاثر في عدم المامنا بدورها في الصراع الصليبي الاسلامى ، وذلك لأن المصادر الصليبية عادة ما تهتم بأصحاب المناصب العليا ، أما بقية القادة فإن نصيبهم من هذا الاهتمام كان ضئيلا في الغالب .

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات التي واجهتنا أثناء اعداد هذا البحث ، الا أننا تمكنا بعون الله وتوفيقه في ابراز ذلك الدور الذى أسهمت به جماعة الفرسان التيوتون في الصراع الصليبي الاسلامى . وكان لوجودى في المملكة المتحدة مدة عامين في الفترة من ١٩٨٤ الى ١٩٨٦ كعضو بعثة اشراف مشترك بجامعة كارديف وتحت اشراف الدكتور ب. و. ادبيورى P.W. Edbury والمتخصص في تاريخ الحروب الصليبية ، أكبر الاثر في ظهور هذا البحث بهذه الصورة . فقد وجدت منه المعاونة الصادقة عند مناقشة كثير من قضايا هذا البحث ، وخاصة مجموعة وثائق الجماعة التي قمنا بدراستها معا وثيقة تلو الأخرى - كما يتضح على مدى الصفحات القادمة . كذلك كانت هذه الفترة فرصة هامة للاطلاع على أمهات المصادر الغربية سواء تلك الموجودة في اكسفورد أو لندن . كما كانت فرصة طيبة لحضور عدة محاضرات في معهد الدراسات التاريخية بلندن والالتقاء بالعديد من المتخصصين في تاريخ الحروب الصليبية ، مثل رالى سميث Piley-Smith وغيرهم . كذلك زيارة مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية SOAS والعامرة بالآلاف الكتب . كذلك مكتبة المتحف البريطانى ، وخاصة قسم المخطوطات العربية .

أما فيما يتعلق بالدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، فلا توجد دراسة متكاملة تناولته من قبل . وكل ما ظهر تناول تاريخ الجماعة الالمانية بصفة عامة ، وخاصة تاريخها في أوروبا والدور الذى أسهمت به في نشر المسيحية هناك . أو بعض النقاط الفرعية فيه ، وسوف نعرض ذلك عند تناولنا لأهم مراجع البحث . أما الجديد فيه فهو تناول دورها في ذلك الصراع الصليبي الاسلامى على مدى مائة عام تقريبا وتجسيد ذلك الدور الذى أسهمت به . وسوف أترك للقارئ الحكم على ما قدمته

بتوثيق من الله سبحانه وتعالى على مدى صفحات هذا البحث .

ينقسم الكتاب الى خمسة فصول يهيئها مقدمة وفي النهاية خاتمة وسبعة ملاحق - وأوردت دراسة تحليلية مقارنة لأهم مصادر البحث ومراجعته . كما مهدت لنشأة المستشفى الالماني في بيت المقدس وعلاقته بالمستشفى الميداني الالماني الذي أقيم قبالة عكا ثم انتقله الى سورها وتحوله بعد ذلك الى جماعة الفريسيان التيوتون ، ومدى العلاقة بينهما ، والتي لاتزال ماثرة جدل كبير الى يومنا هذا ، وقدمننا بالفعل بعض النقاط الهامة حيث أثبتنا وجود علاقة بينهما .

أما الفصل الاول وعنوانه « تأسيس المستشفى الميداني الالماني في عكا وتحوله الى جماعة الفريسيان التيوتون (١١٩٠ - ١١٩٨م/٥٨٦ - ٥٩٤ هـ) » ، فقد تناولت فيه نشأته وموقعه والقاء الضوء على من قام بذلك . ثم أشرت الى تلك المنح والامتيازات الاولى التي حصل عليها ، ومدى ارتباطها بطبيعة الدور الثاني الذي أسس به في هذه الفترة السابقة على تحوله الى جماعة عسكرية . ولا شك أن تلك المنح والامتيازات التي حصل عليها هذا المستشفى الالماني ، أي الجماعة الالمانية فيما بعد ، من مختلف القوى الدينية أو الدنيوية ، لارتباطها مباشرة بالصراع الصليبي الاسلامي . فقد أدى الى ظهورها على مسرح الاحداث واشتراكها في الدفاع عن أملاكها ، وظهر بالتالي دورها سواء في الحروب أو مناقشة عروض الصلح . كما تناولنا تحوله الى جماعة عسكرية ، واعتراف البابوية بها لكن تصبح ثالثة الجماعات الرهبانية العسكرية الكبرى في الاراضي المقدسة .

وفي الفصل الثاني وعنوانه « تطور جماعة الفرسان والتيوتون وعلاقاتها السياسية بالسلطان حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة (١١٩٨ - ١٢٢١م/٥٩٤ - ٦١٨ هـ) » تناولنا الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة الالمانية في الاراضي المقدسة وبخاصة حتى عام ١٢١٠م/٦٠٧ هـ ، حيث أن مصادر الجماعة نفسها غير واضحة في هذه الفترة بسبب الغموض حول أسماء مقدميها الاول . أما عندما تولى هرمان دي سالزا أمورها فكان ذلك بمثابة فترة العصر الذهبي في تاريخها . فقد تمكن من رفعها الى مكانة الاستتارية والداوية حيث حصل على جميع امتيازاتها . وقد ترك ذلك كله أثره عليها من ناحية دورها في الصراع الصليبي الاسلامي .

وأخذ ذلك الدور يظهر واضحا جليا منذ هذه الفترة فصاعدا . فقد أصبحت تدلى بدلوها في آراء الحرب والسلم في الصراع بين الصليبيين والمسلمين . كما استطاع هرمان أن يثبت أقدام جماعته في منطقة ذات مرقع استراتيجي جعلها تسهم بدور هام وخطير في الفترة التالية من تاريخ منطقة الشرق الأدنى ، ونقصد بها مملكة أرمينية الصغرى ، وظهر التعاون واضحا بين الملوك الأرمن ومقدمى الجماعة ، واتفقا الطرفان مما كان له أكبر الأثر عليهما فيما بعد . كما ظهرت الشخصية القتالية للجماعة بصورة واضحة خلال الحملتين الهنغارية ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، والصليبية الخامسة (١٢١٨ - ١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨هـ) . وتقدر المنح والامتيازات التي حصلت عليها الجماعة الألمانية في هذه الفترة بالمئات مما كان له أكبر الأثر عليهما وعلى دورها .

أما الفصل الثالث . وعنوانه « جماعة الفرسان التيوتون ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة وحتى وفاة هرمان دي سالزا (١٢٢١ - ١٢٣٩م / ٦١٨ - ٦٣٦هـ) فقد تناولنا فيه دور هذا المقدم الأعلى لها في الاعداد للحملة الصليبية السادسة . والتي كان قد بدأ في الاعداد لها منذ فشل الحملة الصليبية الخامسة . وظهر دوره واضحا في محاولات التوفيق بين البابوية والامبراطورية ، وخاصة عندما اشتد الصراع بين جريجورى التاسع وفرديريك الثانى ، وعمل الا تفوته هذه الفرصة لكي يستغلها لصالح جماعته وذلك بالحصول على الامتيازات من كليهما وكذلك توثيق المنح والامتيازات السابقة . أما عن دوره في الحملة الصليبية السادسة فلا يختلف عليه اثنان . اذ لعب هرمان وجماعته الدور الرئيسى فيها منذ بدايتها وحتى نهايتها . أما في مملكة أرمينية الصغرى فقد حرص هرمان على أن يوثق تلك الامتيازات السابقة التي حصل عليها فيها ، ونجح أيضا في الحصول على امتيازات أخرى جديدة من الملك هيثوم الاول الارمينى في ١٢٣٦م / ٦٣٣هـ . وبوفاة هذا الرجل تنتهى فترة هامة في تاريخ الجماعة ، وذلك لأن الخلافات الداخلية سوف تظهر فيها في المرحلة التالية .

أما عن الفصل الرابع وعنوانه « جماعة الفرسان التيوتون ودورها في العلاقات الصليبية الاسلامية بعد وفاة هرمان دي سالزا وعقب وفاة مقدمها بوبودى أوسترنا (١٢٣٩ - ١٢٥٦م / ٦٣٧ - ٦٥٤هـ) فقد ظهر

في هذه الفترة دورها في حملتى ثيروبولد صاحب شامبانيا وريتشارد كورنرل . وظهر واضحا رأيها في عقد التحالف مع القاهرة وليس مع دمشق . واتضح صحة وجهة نظرها في ذلك . أما في معركة غزة الثانية في ١٢٤٤م/٦٤٢هـ فقد لقيت الجماعة الالمانية هزيمة ساحقة راح ضحيتها اعداد كثيرة من أفرادها ما بين قتل وأسير . كذلك كان لهزيمة الامبراطورين في الشرق الادنى في عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ أثرها عليها حيث كانت الجماعة من المؤيدين الرئيسيين لهم . ومنذ هذه الفترة بدأت الجماعة تغير من سياستها بصورة تدريجية ، فقد ظهر الانقسام الداخلي فيها لأول مرة ، وكذلك استقالة أحد مقدميها من منصبه . اما عن دورها في حملتى لويس التاسع الصليبيتين على مصر والشام فلم يكن يماثل الدور الذى أسهمت به في الحملات السابقة . ولعل ذلك يرجع الى غياب المقدم الأعلى لها في الغرب الاوروبى والخلافات الداخلية . وتجدر الإشارة الى أن قوانينها وتنظيماتها قد اكتملت في هذه المرحلة مما يعنى وصولها الى مرحلة النضج بعد أن كانت تستمدّها من قوانين جماعتي الاسبتارية والداوية .

أما الفصل الخامس والآخر وعنوانه « دور جماعة الفرسان التيوتون في العلاقات السياسية بين المماليك والصليبيين حتى سقوط عكا (١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠هـ) فقد تناولنا فيه بصفة خاصة محاولات انوسانجر هاوزن مقدمها انشاء منطقة نفوذ جديدة لها عند صيدا وبيروت لكي يعوّض ما فقدته جماعته من قبل . ولكن كان المماليك قد انتصروا في عين جالوت على التتار وبدأ الظاهر بيبرس جهاده ضد الصليبيين مما ترك أثره المباشر على أملاك الجماعة الالمانية وتتبعنا ذلك على مدى صفحات هذا البحث . كما ظهر دور الجماعة الالمانية في محاولات التحالف بين الارمن والتتار والصليبيين وأبرزنا نقاط في غاية الاهمية في هذا المجال لأول مرة ، حيث ارتبط ذلك الدور بالصراع الصليبي الاسلامي . كما أظهرنا دورها في المعاهدات الصليبية المملوكية ومحاولات الدفاع عن بقايا المعقل والمدن الصليبية وخاصة طرابلس وعكا . ثم نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام وانتقالها الى أوروبا لكي تبدأ مرحلة جديدة في تاريخها الطويل .

وانهينا هذه الدراسة بخاتمة ناقشنا فيها أهم القضايا والنتائج التي

أمكن التوصل إليها . بالإضافة الى دبعة دأحق لأهم المنح والامتيازات التي حصلت عليها في ملكتي بيت المقدس وأرمينية ، ثم خطاب حرمان دي سالزا عن أحداث الحملة الصليبية السادسة ، وهي تنشر لأول مرة من لغتها الاصلية - وهي اللاتينية - الى اللغة العربية . بالإضافة الى نصين من عقد الجمنان الغني عن غزوة سين في عام ١٢٦٦م/٦٦٤هـ ، والثاني للنويري من نهاية الارب عن فتح القرين وسقوطها في قبضة الظاهر بيبرس في عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ ونصا ينشران لأول مرة من المخطوطتين . ثم قائمة بأسماء مقدمي الجماعة الالمانية ومسنوات حكمهم بالتقويمين الميلادي والهجري . ثم مجموعة من الخرائط والاشكال التوضيحية . والتي لا غنى عنها لتحديد القرى والقلاع التابعة للجماعة الالمانية .

وفي النهاية فأننى أتوجه بخالص شكرى الى أستاذى الدكتور/جوزيف نسيم يوسف الذى تتلمذت على يديه خلال سنى دراستى وفي مرحلتى الماجستير والدكتوراة فاستفدت من علمه الغزير ومنهجه العلمى الواضح . وكذلك ما بذله من اتدبات للمدر الى الامة المتحدة لقضاء حاجتين كان لهما أيضا أكبر الاثر في خروج هذا البحث على الصورة التى عليها الآن . كما كان لتوجيهات الدكتور اديبوري P.W. Elberry خلال هذه الفترة ، دورها الواضح علمى ومدى صفحات هذا البحث ، هذا بخلاف ما قدمه لى من معاونة صادقة صادقة عند مناقشة وثائق الجماعة ومصادرهما . كذلك أتوجه بخالص شكرى الى أحد أعلام تاريخ العصور الوسطى وهو الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، ليمس في مصر فحسب بل في العالم العربى . أيضا فقد كان لتوجيهات سيادته أثناء مناقشتى الاثر الكبير في دفعى المزيد من البحث العلمى وتعديل بعض نقاط البحث فله خالص الشكر وحفظه الله وأدام عليه الصحة . كذلك أتوجه بشكرى الى الاستاذ الدكتور محم. دمرسى الشيخ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الاداب - جامعة الاسكندرية لنصائحه القيمة لى . وكذلك الاستاذ الدكتور/محمود سعيد عمران . والى الزميلين الكريمين الدكتور/محمود السيد عبد الغنى والدكتور/طلعت زهران لحاوتنهما الطبية عند معالجة بعض النصوص اللاتينية . والى الاخ الفاضل الدكتور/أنور السنوسى . والى أمناء مكاتب جامعة كارديف والبودليان ومعهد الدراسات التاريخية،

ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، والمتحف البريطاني ، ومركز
تحقيق التراث بباريس ، ومكتبة جامعة الاسكندرية ، وكلية الآداب - ودار
الكتب المصرية . والى السيدة الفاضلة زوجتى لمشاركتهما لى فى اعداد
الفهرس العام لهذا الكتاب وما قدمته من عون خلال رحلتى الدراسية .
والى اخوتى الذين وقفوا بجوارى ، ادام الله عليهم جميعا الصحة والخير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دكتور

الاسكندرية فى ١٨/٩/١٩٨٨م

حسن عبد الوهاب حسين

دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم مصادر البحث ومراجعته

أولا : المصادر الاجنبية :

(أ) المصادر الخاصة بجماعة الفرسان التيوتون .

(ب) رسائل البابوات والقوى العلمانية .

(ج) المصادر التاريخية الغربية التي تناولت تاريخ الجماعة .

ثانيا : أهم المصادر العربية المعاصرة والمتأخرة للفترة الزمنية موضوع الدراسة .

ثالثا : أهم الرحالة العرب والاجانب .

رابعا : أهم المراجع الحديثة .

تتناول هذه الدراسة التحليلية النقدية أهم مصادر هذا البحث ومراجعته . ونظرا لأنه عن جماعة الفرسان الثيوتون ودورها في العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، فقد اقتضى الأمر الرجوع إلى العديد من المصادر ما بين أجنبية وعربية . والمصادر الأولى لا يزال أغلبها بلغته القديمة كاللاتينية والفرنسية القديمة ، وقد أمدتنا بغالبية المادة المتعلقة بهذه الدراسة ، ولذا فإنه من الضروري أن نبدأ بها . وقد قمنا بتقسيمها إلى مصادر خاصة بالجماعة نفسها مثل الوثائق أو السجلات التي نشرها شترالكة ، ثم ذلك المصدر الخاص « رواية عن أصول الجماعة » . ثم بعض المصادر التي تناولت الجماعة مثل ما كتبه بطرس دوسبرج وحولية المقدمين العظام المصغرة . وعلى الرغم من أن بعض هذه المصادر كتبت بعد طرد الجماعة من الأراضي المقدسة في عام ١٢٩١م (٦٩٠هـ) ، إلا أنها زودتنا بمادة خاصة بالجماعة فقط ، وقد استفدنا منها على مدى صفحات البحث . أما النوع الثاني ، فهي تلك الرسائل التي بعث بها البابوات أو البابطرة إلى الجماعة الألمانية ، وكذلك رسائل أخرى أرسلها بعض مقدمي الجماعة أو قوى دنيوية أخرى إلى الغرب الأوربي ، وجميعها تناولت وصف أحداث شارك فيها أولئك الذين أرسلوها . ولا شك أن أهمية هذه الرسائل لا تخفى عن أحد ، فهي مصادر من الدرجة الأولى لشهود عيان شاركوا في الأحداث ، والتي عن طريق مقارنتها بالمصادر الأخرى أمكن استخلاص نتائج هامة وجديدة منها فيما يتعلق بالأحداث التي روتها .

أما النوع الثالث من هذه المصادر الأجنبية ، فهي تلك المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الحروب الصليبية بصورة عامة ، والتي استقينا منها الدور الذي أسهمت به الجماعة في الصراع الصليبي الإسلامي . وهذه المصادر إما لأشخاص معاصرين أو شهود عيان سواء كانوا في الشرق اللاتيني أو الغرب الأوربي ، وسجلوا لنا في كتاباتهم الدور الذي لعبه مقدمو وأخوة الجماعة في تلك الأحداث التي وقعت في الشرق اللاتيني أو الغرب الأوربي ، سواء كان دورا عسكريا أو دبلوماسيا .

ثم تأتى ، بعد ذلك ، المصادر العربية ، والتي تحتاج منا الى ونفة قصيرة . فعلى الرغم من أنه لم يرد بها سوى اشارات محدودة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة عن ذكر الجماعة الالمانية ، إلا أننا لا نستطيع أن نغفلها ، فقد أمدتنا بمادة طيبة عن أحداث الصراع الصليبي الاسلامى ، والتي عن طريق عقد الموازنات والمقارنات بينها وبين المصادر الاجنبية أمكننا التوصل الى حقائق هامة ، والعديد من الحقائق التاريخية المجردة عن أى تحيز أو تعصب . كما أنها أمدتنا بمادة طيبة عن نشاط المماليك فى استرداد أملاك الجماعة الالمانية عقب كل غارة و حملة من هذه وأمكننا تحديد ملاك الجماعة الالمانية عقب كل غارة أو حملة من هذه المحلات المملوكية . وكذلك الدور الذى أسهمت الجماعة فى الصراع الصليبي الاسلامى . أما عن عدم ذكر اسم الجماعة الالمانية فى هذه المصادر سوى مرات قليلة ، فيرجع الى فن كتابة التاريخ لدى هؤلاء المؤرخين المسلمين على طريقة السنوات التى كانت تفتت الاحداث وهى ما نعرفها اصطلاحا باسم السرد الحولى للاحداث . كما أنها كانت تذكر الصليبيين عموما تحت اسم « الفرنج » و « الافرنج » الا اذا كان المؤرخ على صلة قريبة بالاحداث أو مشاركا فيها ، فكان يحدد لنا تحديدا دقيقا أسماء الجماعات أو الجاليات المشاركة فى الاحداث . أما التسمية التى أطلقت على الجماعة الالمانية فى هذه المصادر فهى اما « استبار الالمن » أو « استبار الارمن » ولا ندرى سبب التسمية الثانية ، وما اذا كانت قد ارتبطت بوجود المقر الرئيسى للجماعة فى عكا على مقربة من المستشفى الارمينى القديم فى عكا أو لوجودها فى مملكة أرمينية الصغرى .

أما المصادر الخاصة بالجماعة فيأتى على رأسها تلك الوثائق التى قام بنسخها عن الوثائق الاصلية المؤرخ شترالكة (١) . وضمت هذه

(١) ولد ارنست جوتفريد وليم شترالكة ، فى برلين ٢٧ سبتمبر ١٨٣٤ وتوفى فى ٢٣ مارس ١٨٦٩م . ودرس التاريخ فى جامعة برلين ، وعمل فى مكتبة كلية الحرب الملكية البروسية . كما شارك فى اصدار مجلد عن آثار الفن الوسيط الباقية فى جنوبى ايطاليا ، وقضى حوالى أربع سنوات فى اصدار هذا المجلد المكون من أربعة أجزاء . والتحق فى عام ١٨٦٠م للعمل فى الخدمة الاهلية البروسية

المجموعة. وثائق الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة وأرمينية وقبرص والامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية وابوليا وبقية ايطاليا وجنوبى فرنسا ، بالإضافة الى المنح والامتيازات التى حصلت عليها من القوتين الرئيسيتين آنذاك وهما البابوية والامبراطورية . وترك شترالكة - الذى لم يقدّر له أن يرى عمله - هذه الوثائق على شكل سبعة أجزاء منفصلة ، ثم تجميعها ونشرها معا بعد وفاته . واعتمد شترالكة فى جمع وثائقه ونسخها على الارشيف المركزى الالمانى فى مرسبورج Merseburg ومن هنا تبدو أهمية هذه الوثائق بالنسبة لآى دارس لتطور تلك الجماعة الالمانية منذ تاريخها المبكر وانتشارها كجماعة دولية ومساهمتها فى مختلف الاحداث .

وتبدو الاهمية التاريخية فى الجزئين الاول والثالث ، حيث شكلت وثائق الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة وبعض أجزاء البحر المتوسط . ويهمنا من الجزء الاول الوثائق المتعلقة بالاراضى المقدسة ومملكة أرمينية الصغرى . وتمتد المادة التاريخية فى هذا الجزء الاول حتى عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ ، أما الجزء الثالث والى وضع عام ١٢٦٣م/٦٦١هـ ، فتمتد المادة التاريخية فيه حتى عام ١٧٢٥م/٦٧٤هـ . واشتمل على وثائق خاصة بأملاكها فى قلعة امبرت أو الزيب وصينا وبيروت ، الى جانب وثائق متعلقة بحل بعض الخلافات مع الكنيسة اللاتينية فى عكا ومع جماعة الفرسان الداوية .

أما أول وثيقة فى أرشيف الجماعة الالمانية فتؤرخ فى ٢٦ فبراير ١١٥٦م/٣ محرم ٥٥١هـ وهى تتعلق بأملاك جوسلين الثالث سيد الرها الاسمى والتى حصلت عليها الجماعة الالمانية فى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ . وضمنت وثائقها هذه الوثائق ، وذلك لكى تستند عليها فى حالة حدوث نزاع حولها . أما أول وثيقة خاصة بالمستشفى الميدانى ، فهى فى منتصف

فى الارشيفات السرية البروسية الملكية فى برلين . وترك أعمالا أخرى على شكل مقالات ، الى جانب اشتراكه فى مهام أخرى .
عن ذلك انظر : Introudction to Strehlke, 15 ff.

سبتمبر ١٩٠١م/١٣ شعبان ١٣٨٦ هـ ، والتي توجد ترجمة لها في الملحق الاول في هذا البحث . كما ان بعض هذه الوثائق مزورة ، ولا يزال المؤرخون الحديثون مختلفين حول أسباب هذا التزوير ومتى تم ، وقد تناولتها عند دراستنا لها (٢) . أما بقية الوثائق فان صفحات هذه الدراسة تمتلئ بها ، ولكننا نود أن نوضح نقطة هامة ، وهي أنه على الرغم من معالجتها الاملاك والامتيازات التي حصلت عليها الجماعة الالمانية ومن قبل المستشفى الالماني الميداني ، الا أنها لها ارتباط مباشر بالصراع الصليبي الاسلامي . فقد امدتنا بقائمة بأمالك الجماعة الالمانية سواء في مملكة بيت المقدس الاسمية أو امارتى انطاكية وطرابلس ومملكتى أرمينية الصغرى وقبرص . وعن طريقها تتبعنا دور الجماعة الالمانية في الصراع الصليبي الاسلامي سواء أكان دورا دفاعيا أو هجوميا . أما من ناحية تحديد الدور الذي أسهمت به الجماعة الالمانية في أحداث هذه الفترة المبكرة من تاريخها من واقع هذه المجموعة الاولى من المصادر فمن الصعب تحديده تحديدا واضحا وهذا يرجع بطبيعة الحال الى نوعيتها الوثائقية والتي أشارت فقط الى الاملاك والمنح . وعلى أى حال فقد ناقشنا ذلك بالتفصيل في مواضعه في متن البحث وحواشيه (٢) .

أما عن أهم الوثائق في الجزء الثالث ، فهى تلك الوثيقة التى تحمل رقم ١٢٨ وكتبت على مجموعة أوراق خاصة بها . وحتوت قائمة بأمالك الجماعة فى الاراضى المقدسة بصفة أساسية والمناطق الواقعة حول حوض البحر المتوسط وهنغاريا وليفونيا . وشملت وثائق غير موجودة فى الجزء الاول ، ويمكن أن يقال أنها بمثابة فهرس للوثائق والامتيازات الموجودة فى الجزئين الاول والثالث . والتساؤل هنا عن مدى أهميتها والدوافع لكتابتها . ويرجع هـ . أ . ماير H.E. Mayer أنها عملت خصيصا بعد طرد الجماعة من عكا فى عام ١٢٩١م/٦٩٠ هـ ، وذلك حتى تستخدم عند الضرورة فى حالة الاستيلاء على الاراضى المقدسة مرة أخرى ، وتكون دليل اثبات بأملكها السابقة . ويبقى تساؤل هنا وهو عن مكان الارشيف الخاص بالجماعة . والواقع أنه كان يوجده

أرشيقات لها . فأول أرشيف كان في عكا حيث نشأ المستشفى الميداني ثم تحول الى الجماعة الالمانية ، وكان مقره الرئيسى في سور المدينة ، ثم أخذت منازل جديدة تمنح لها ، فأصبح بها أيضا أرشيف خاص بكل منها . وبعد أن أصبح هرمان دى سالزا مقدما أعلى كونه له أرشيفا خاصا وذلك في برلاتا بايطناليا . واستمر هذا الارشيف موجودا حتى عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ فرأت الجماعة أن يتم جمع هذه الوثائق في تلك « السجلات » الخاصة بها والتي تم نقلها من أوروبا الى عكا حيث ظلت بها حتى قبيل سقوطها ، فعادت مرة أخرى الى البندقية ، ثم مرسبرج الارشيف المركزى لها (٣) . وأخيرا ، فإن هذه الوثائق هي الاداة الرئيسية لأولئك الذين يرغبون في التعامل مع تاريخ هذه الجماعة وتطورها وعلاقاتها بأحداث الشرق الأدنى الاسلامى في عصر الجروب الصليبية .

وعلى الرغم من هذا المجهود الضخم الذى قام به شترالكة ، إلا أنه كانت هناك بعض الوثائق لم تنشر ضمن سجلاته . وقام برلباخ M. Perlbach ينشرها في مقالة باسم « بقية وثائق الجماعة الالمانية » « Die Reste des Deutschordensarchives »

وهي تضم وثائق خاصة بالجماعة سواء في طرابلس أو قبرص أو مملكة أرمينية الصغرى و مملكة بيت المقدس . وعلى سبيل المثال ، الوثيقة بتنازل هرمان دى سالزا عن نصف الغنائم التى حصل عليها بعد سقوط دمياط الى الملك جان دى بريين ، وكذلك منحه هيولوزنيان ملك قبرص للجماعة في عام ١٢١٧م/٦١٤هـ وغيرها من الوثائق الهامة (٤) . وهى تلقى جميعا الضوء على دور الجماعة في الصراع الصليبي الاسلامي . كذلك فقد عثرت المؤرخة الالمانية ماري ففروا M. Favreau على ثلاثة

(٣) عن هذا التحليل انظر الدراسة القيمة التى زودنا بها « ماير » في مقدمة لطبعة شترالكة الجديدة :

Introduction to Strehlke, cf. also : Tab. Orb. Teut. p. I. ff.

(٤)

Perlbach, M., Die Reste des Deutschordensarchives, in Venedig. Altprussische Monatschrift, (19, 1882).

وثائق جديدة في أرشيف البندقية (٥) . ويرجع تاريخها الى عامي ١٢٧٣ و ١٢٧٤م/٦٧٢ - ٦٧٣هـ ، وكتبت في محكمة البرجوازية في عكا . وأهميتها تعود الى أنها أعطت لنا مؤشرا هاما على أن الجماعة لم تتأثر كثيرا لسقوط قلعتها الرئيسية في الاراضي المقدسة - مونتفريت أو القرين - في قبضة الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م/٦٧٠هـ ، وأن نشاطها كان لا يزال موجودا في عكا ، بل وكانت تطمح الى مزيد من التوسع وزيادة أملاكها في عكا .

ومن بين المصادر الهامة الخاصة بالجماعة ما يعرف باسم « رواية عن أصل جماعة التيوتون » . أما عن مؤلفها فهو مجهول ، ولم يتم التوصل اليه حتى من خلال الرواية نفسها . كما أن التاريخ الذي كتب فيه لا يزال موضع خلاف بين المؤرخين الحديثين الى يومنا هذا . وتتراوح هذه الآراء ما بين أعوام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ ، و ١٢١٠م/٦٠٧هـ ، و ١٢٣٢م/٦٢٩هـ ، ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وكل فريق من هؤلاء المؤرخين ما يدعم أقواله وآراءه ، وان كنا نرجح أحد الرأيين الآخرين ، وذلك لأن الرواية شملت اشارات الى أحداث وقعت بعد عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ وبالتحديد الصراع مع الاستبارية حول مسألة تبعية الجماعة الالمانية لها . ولكن هناك نقطة هامة يجدر على الباحثين الاهتمام بها عند استخدام « الرواية » كمصدر ، وهي أن بعض المعلومات التي وردت بها لم تكن خطأ غير مقصود وانما خطأ متعمدا لمحاولة اخفاء العلاقة بين المستشفى القديم في بيت المقدس وتلك الجماعة الالمانية ، حتى لا تستند منه الناحية في الصراع الدائر بين الاستبارية وبين الجماعة الالمانية . كما أشارت « الرواية » الى أن تجار بريمن وليبوك الذين نسبت اليهم انشاء المستشفى الميداني الالمانى قبالة عكا وصلوا الى عكا في اول سبتمبر

(٥)

Archivio di Stato Venezia, S. Maria dei Teutonici (SS. Trinita)
Busta 3 nos. 62, 64. 66.

وتوجد النسخ الاصلية الثلاث لهذه الوثائق في مقالة ماري لويس ،
انظر :

Favreau, M., 'The Teutonic Knights in Acre after the Fall of
Montfort (1271) Some Receptions (Outmer) 1982, 272-284.

١٠٩٠م/٢٨ رجب ٥٨٦هـ مع الخمس وخمسين سفينة الألمانية (٦) . ولكن المصادر المعاصرة ذكرت أن وصول هذه السفن كان في اليوم الثالث من بدء حصار عكا - والذي كان في عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ وليس ١١٩٠م/٥٨٦هـ كما أشارت « الرواية » . كما أنها لم تشر إلى « سيبراند » أول مقدم تولى مسئولية هذه المستشفى ، والذي ورد اسمه في وثيقة ضمنية منشورة في شترالكة (٧) .

ما عن الاحتماع الذي تم فيه تحويل المستشفى الألماني في عكا إلى جماعة رهبانية عسكرية في مارس ١١٩٨م/جمادى أولى ٥٩٤هـ ، فقد تناولنا بالتفصيل هذه المسألة ، ولكنها على أي حال تعترض مصدران هما عند تناول الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة الألمانية وذلك لصمت المصادر الأخرى عن الإشارة إلى ذلك إلا في بضع أسطر لا تفتد غلين الباحث ، أما عن الدور الذي أسهمت به في الصراع الصليبي الإسلامي فلم يرد بها إشارات واضحة عن ذلك الدور لأنها تناولت فقط الفترة المبكرة من تاريخها والذي لم تكن الجماعة الألمانية قد ظهرت على مسرح الأحداث بصورة واضحة .

أما « حولية الاراضى البروسية » لبطرس دوسبرج (٨) فتعتبر من المصادر الهامة الخاصة بالجماعة الألمانية . ويعتبر بطرس المؤرخ شبه

(٦) يوجد عدة نسخ « للرواية » باللغات الهولندية والألمانية الشمالية . وتعتبر مخطوطة بروسيا MS. boruss. Oct. 79. من أقدم النسخ التي كتبت بخط اليد وأول من اكتشفها هو الزاهد بيده دوديك Beda Dudik وذلك في عام ١٨٥٧م ، وأفضل طبعة لها قام بها م . توبن M. Toppen . وعن هذه الطبقات انظر :

Sterns, T; The Teutonic Knights in The Crusader States, in Setton. (ed.) Philadelphia, 1985, P. 315, n.I.

(٧)

Strehlke, Tab. 'Ord Teut, No. 25.

(٨)

Petri de Dusburg, *Chronica Terre Prussie*, (übersetzt und erläutert Von K. Scholz und D. Wogteck, Darmstadt, 1984).

للجماعة . وعلى الرغم من أنه قد خصص مؤلفه للمقدم فرانر من أرسلن Werner Von Orseln وذلك في عام ١٣٢٦م/٧٢٦هـ ، إلا أنه تناول مقدمى الجماعة السابقين في أسطر قليلة لكل منهم (٩) . كما أوردت « الرواية » في بدايتها رواية عن أصل الجماعة . ويؤخذ عليه عدم إيراد مادة كافية عن كل مقدم وأعماله ، وإنما كان يكتفى بالإشارة إلى مدة توليه ومدة حكمه ووفاته دون أن يحدد لنا في أكثر الأحيان العُشْرَ . باستثناء هرمان دى سالزا الذى أمدنا بمادة كافية عنه خاصة عن نشاطه في أوربا . أما فيما يتعلق بالمادة عن الأحداث التاريخية ، فهي قابلة باستثناء اشارته عن الحملة الصليبية الخامسة ، وعن سقوط أنطاكية في عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ ، وعكا في ١٢٩١م/٦٩٠هـ . وكنا نتوقع أن يمدنا بمعلومات عن دور الجماعة في الدفاع عن عكا ، وذلك لقرينه من أحداث هذه الفترة ، إلا أنه اكتفى بالنواح على الحالة المؤلمة التى وصلت إليها الاراضى المقدسة . كما لم يشر الى كوانزاد أوف فويختفاجن مقدم الجماعة الذى تم انتخابه أثناء انسحابها من عكا . وربما يرجع ذلك الى أنه لم يتم اختياره بطريقة قانونية .

وهناك مصدر هام يخص الجماعة نفسها وهو ما يعرف باسم « حولية المقدمين العظام المصغرة » ، وهى كما يتضح من اسمها عبارة عن اختصار لمجموعة أكبر . وعلى الرغم من أنها كتبت في أوائل القرن السادس عشر الميلادى ووجود بعض الروايات الاسطورية بها ، إلا أنها أمدتنا أيضا ببعض الاشعارات الهامة . مثال ذلك ، أن اخوة المستشفى الالمانى في بيت المقدس ظلوا بالمدينة بعد استرداد صلاح الدين لها ، وأنه سمح لهم بالبقاء . وبالمواقع اننا بعد مقارنة هذه الرواية بما أوردته المصادر العربية المعاصرة وشهود العيان لم نثر على أى إشارة ان ذلك سوى ما أورده ابن الاثير من أن صلاح الدين سمح فقط للنصارى - ويقصد بهم المسيحيين الشرقيين - بالبقاء في القدس مقابل دفعهم للجزية المفروضة عليهم . ورجحنا خروج أولئك الالمان مع الصليبيين حيث اتجهوا الى صور وأثبتنا بالفعل وجودهم هناك . كما انفردت بالإشارة

الى لقب هندية فالبوت ، وتحديد تاريخ وفاة هنريش بارت فوتونا
في عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ (١٠) .

وعلى الرغم من أوجه القصور الموجودة في مصدر الجماعة -
وخاصة في الفترة المبكرة من تاريخها - إلا أنها أمدتنا بمادة من الطراز
الأول وخاصة تلك الوثائق التي عن طريق عقد دراسة متأنية دقيقة
لمحتوياتها أمكن استخلاص نتائج هامة ومفيدة للبحث .

ويلى مصادر الجماعة من حيث الأهمية تلك الرسائل الخاصة
بالجماعة . وقمنا أيضا بتقسيمها الى نوعين : الأول تلك الرسائل المرسلة
للجماعة من القوى الدينية والدنيوية وبصفة خاصة البابوية
والامبراطورية . والثاني رسائل مرسلة من الأراضي المقدسة ، وتناولت
أهم الأحداث التي شاركت فيها الجماعة . وسوف نتناول أمثلة على هذه
الرسائل من كل النوعين ، نظرا لمعاصرتها للأحداث ، وما حوته من مادة
تاريخية هامة ، كما أن كاتبها كانوا شهود عيان ومشاركين في الأحداث
التي كتبوا عنها .

وأقدم هذه الرسائل ، رسالتا (١١) البابا سلسين الثاني المؤرختين
في ٩ ديسمبر ١١٤٣م/٩ جمادى أولى ٥٣٨هـ ، واحداهما موجهة الى أخوة

(١٠)

« Die Jüngere Hochmeister chronik, SS, rer. Pruss 5, 52. c. 37.
(Herausgegeben Von T. Hirsch, Leipzig 1874, new editiin.
Frankfurt, 1965).

وانظر أيضا ص ٧٣ ، ١٢٧ .

(١١) توجد كلا الرسالتين في وثائق الاسبتارية في قسم الوثائق
بمرسيليا ، واحداهما نسخة أصلية ، أما الثانية فهي منسوخة عن
الأصل وتعود الى القرن الرابع عشر الميلادي . ونشرهما دي لافيل
لى رو لأول مرة في مقالته بعنوان :

Le Roulx, Les anciens Teutoniques et le ordre de st. Jean de
Jerusalem, Comptes-rendus des séances de l'Académie
des inscriptions et belles lettres 4 serie, t. 16 (Paris 1888)
: pp. 336-44.

المستشفى الالمان في بيت المقدس الموجودين في ألمانيا ، والثانية تحمل نفس الموضوع ولكنها موجهة الى ريموند دي بوي المقدم الاعلى للاسبتارية . وأشار البابا الى اهتمامه بوضع حد للخلافات التي يثيرها المستشفى الالمانى بتطلعاته المستمرة للاستقلال ، وأنه يهدف الى اعادة السلام والاستقرار له وذلك بوضعه تحت التبعية المباشرة لريموند دي بوي وخلفائه . ولكن يوفر البابا الخدمة للحجاج والمرضى الذين من أصل ألماني ، فقد أصر على أن يختار رئيسه والخدم من الاخوة المتحدين باللغة الالمانية بعد موافقة المقدم (١٢) . وهاتان الرسالتان هما أول شاهد وثائقي عن المستشفى الالمانى في بيت المقدس . كما يتضح منهما أنه نما بسرعة ، مما جعل الاسبتارية يخشون منه ، فسعوا لدى البابا لكي يخضعه تحت سيطرتها . وكان ذلك بداية لتلك المشكلة التي استمرت فترة طويلة بعد نشأة المستشفى الميداني الالمانى قبالة عكا ، وتحويله الى الجمعية الالمانية وعلاقتها بمستشفى بيت المقدس (١٣) .

ومن بين الرسائل الهامة للمستشفى الالمانى في عكا ، رسالة البابا كلمنت الثالث في ٦ فبراير ١١٩١م / ٩ محرم ٥٨٧هـ ، والتي وافق فيها على حمايته ومنع أية مضايقات تحدث له مستقبلا . ويمكن اعتبارها بداية الاعتراف الرسمي من البابوية بذلك المستشفى في الجديد (١٤) .

أما الرسالة المنسوبة الى البابا كلستين الثالث في ٢١ فبراير ١١٩٢م / ٥ صفر ٥٨٨هـ ، والتي ورد بها موافقته على منح هنريش فالبيت - مقدم الاخوة الالمان - النظام الاوغسطيني ، فقد ثبت زيفها لأول مرة في القرن السادس عشر الميلادي . ولذا فانها لم تكن تستخدم من جانب الجماعة الالمانية في الدفاع عن نفسها أمام محاولات الاسبتارية باخضاعها تحت سيطرتها الا نادرا (١٥) . ولكن توجد عدة رسائل من نفس البابا ، ومنها تلك الرسالة الخاصة بتوثيق أملاكها في عكا وصور وعسقلان وزامري

(١٢) انظر ما يلي ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٣) عن تطور هذه المشكلة انظر الفصل الثالث

(١٤) Strehlke, no. 295.

(١٥) Favreau, Studien, 64. f.

والرملة (١٦) . وكذلك تلك الرسالة خطوة على الطريق نحو الاعتراف بها كجماعة عسكرية ، . حيث أمر البابا كلستين الثالث رجال الدين بامدادها بما تحتاج اليه من أشياء خاصة بالخدمات الدينية . كما وافق لها على دفن أى شخص يرغب فى أن يدفن فى مقابرها . وكان ذلك الامتياز الاخير يعنى المزيد من الدخل المادى لها ، حيث أن هؤلاء الاشخاص كان يقدمون لها هبات مالية أو عينية مقابل ذلك . كذلك هدد بفرض قرار الحرمان على أى شخص يعتدى على أملاكها . أما أهم الامتيازات فى هذه الرسالة فهي الحرية فى اختيار مقدمتها ، وعدم فرض أية ضرائب عليها الا بعد موافقة البابا نفسه (١٧) .

أما البابا انوسنت الثالث فعلى الرغم من تلك الآلاف من الرسائل التى صدرت منه ، إلا أنه لم يهتم اهتماما كبيرا بالجماعة الالمانية عقب تحويلها الى جماعة عسكرية . فقد خشى أن يتم استخدامها أداة فى أيدي الابطاطرة الالمان ضده فى الوقت الذى كان يسعى فيه جاهدا لفرض سيطرته الكاملة على العالم المسيحى آنذاك . ومن بين رسائله - تلك الرسالة المؤرخة فى فبراير ١١٩٩م / ربيع آخر ٥٩٥هـ حيث وافق فيها على تحويلها الى جماعة عسكرية ، ومنحها قواعد الداوية والاستتارية (١٨) . وبعد

Strehlke, no. 296.

(١٦)

Ibid.

(١٧)

Strehlke, no. 297.

(١٨)

يوجد ما يزيد على خمسة آلاف رسالة للبابا انوسنت الثالث ، وقد جمع بوثناس Potthast ما يزيد على ثلاثة آلاف وستمائة رسالة من التى نشرها مين Migne فى مجموعة أعمال الالباء اللاتين أو Patrologia Latina والمنشورة فى الأجزاء ٢١٤ - ٢١٧ (ccxiv — ccxvii) . وتناولت هذه الرسائل موضوعات شتى ما بين دينية وسياسية وأخلاقية وقانونية وهى مرسلة الى شتى البلاد الواقعة على حوض البحر المتوسط وفى أوروبا . انظر عن ذلك :

C.R: Cheney, *Medieval Text and Studies*, (Oxford 1973) The Letters of Pope Innocent III; 16-17, n. 1.

كما توجد نسخة أخرى لرسائل البابا انوسنت الثالث ، وخاصة =

فترة توقف دامت حوالى حوالى عشر سنوات توجد رسالة أخرى لها وثقت فيها أملاك حصلت عليها الجماعة في مملكة بيت المقدس الاسمية وطرابلس وأرمينية . وتبدو أهميتها في أنها تعود الى عام ١٢٠٩م/٦٠٦هـ وورد بها بيان بأملاك الجماعة في مملكة أرمينية الصغرى على الرغم من أن أول وثيقة من الملك الأرميني ليو الثاني تعود الى أبريل ١٢١٣م/ ذى القعدة ٦٠٨هـ حيث منح الجماعة امتيازات وأملاك هناك . وقد أثبتنا صحة هذه الرسالة ووجود الجماعة الألمانية في هذه الفترة المبكرة في أرمينية (١٩) . ومن الواضح أن الجماعة الألمانية كانت تسعى دائماً للحصول على موافقة البابوية أو أية أملاك وامتيازات تحصل عليها وذلك لأنه في حالة حدوث نزاع حولها تلجأ الى الإدارة المركزية البابوية في روما لحل هذا النزاع ، ويكون معها ما يثبت أحقيتها في هذه المنح والأملاك التى توجد منها نسخة في روما .

ومن بين الرسائل الهامة التى أرسلت للجماعة الألمانية تلك التى قام البابا هونوريوس الثالث بارسالها اليها . وللدلالة على أهميتها فاننا نشير الى أنه بلغ مجموع هذه الرسائل فى الفترة ما بين ديسمبر ١٢٢٠م ومارس ١٢٢١م/شوال ٦١٧ - محرم ٦١٨هـ مائة وثلاث عشرة رسالة (٢٠) . وكانت أول رسالة للجماعة الألمانية فى ٨ ديسمبر ١٢١٦م/٢٦ شعبان ٦١٣هـ والتى كانت بداية لتلك الامتيازات الضخمة التى حصلت عليها الجماعة فى عهده . فقد تضمنت الامتيازات والأملاك السابقة الممنوحة من البابوات السابقين ، بالإضافة الى حق البناء فى الاراضى الجديدة التى تحصل عليها الجماعة الألمانية ، ولكن بشرط عدم التداخل مع الجماعة الأخرى (٢١) . كما منحوا حق جمع الصدقات وصرف جزء منها مما كان له له أثره فى

تلك التى ترجع الى عامى ١١٩٨ - ١١٩٩م انظر

Hageneder-Haidacher, Die Register Innozenz III, (Graz-Köln, 1964).

(١٩) - انظر ملهيلي ض ١٥٦ .

Strehlke, nos. 365-415.

(٢٠)

(٢١) - انظر ملهيلي ص .

زيادة مقدرتها المالية والاقتصادية ، والذي انعكس على دورها في الصراع الصليبي الاسلامي . كما حصلت على امتياز آخر في هذه الرسائل خول لها جميع امتيازات جماعتي الداوية والاسبتارية . بالاضافة الى الحق في اقامة كنائسها في املكها وللبابا الحق وحده في منعها من ذلك ، وعدم خضوعها لاية تشريعات اسقفية . وكان ذلك حماية لها من كافة القوى الدينية - فيما عدا البابا وحده ، مما اعطى لها الحرية وزيادة نموها وتطورا بعيدا عن أية قيود . كما انتهت مشكلة الرداء مع الداوية . والتي حلها البابا جريجورى التاسع نهائيا فيما بعد (٢٢) .

اختلفت رسائل البابا جريجورى التاسع الى الجماعة الالمانيية ، وذلك لظروف عديدة ارتبطت بالأوضاع التي كانت سائدة آنذاك ، وبشخصية هذا البابا ودور الجماعة في الصراع بين البابوية والامبراطورية . وقد عكست رسائله الى الجماعة الالمانية العلاقة بينه وبين الامبراطور فردريك الثانى . فاذا كانت العلاقة طيبة انتهت الامتيازات عليها ، والعكس صحيح . ففي مرحلة سوء العلاقة بينهما ارسل جريجورى التاسع رسالة مؤرخة في ١٧ أغسطس ١٢٢٩م / ٢٤ رمضان ٦٢٦هـ الى جريولد بطريرك بيت المقدس يطالبه فيها بحث مسألة اخضاع الجماعة الالمانية للاستبارية . وهى توضح تلك المرحلة التى توقف فيها الجماعة الالمانية الى جنب فردريك الثانى أثناء الحملة الصليبية السادسة والتي جلبت لها المتاعب في هذه الفترة . ولكن بعد وساطة هرمان دى سالزا بين العاهلين الكبيرين ، والتوصل الى اتفاق سان جرمانو في ١٢٣١م / ٦٢٨هـ تم حل الكثير من هذه المشاكل ومن بينها موقف الداوية المعادى للجماعة الالمانية بوضع الصليب الاسود على كتفها الايسر : ولكن بعيد حرمان فردريك للمرة الثانية من جانب جريجورى التاسع ، اضطربت العلاقة بين البابا والجماعة مرة ثانية وارسل لها رسالتين يطالبها فيهما بالدفاع

(٢٢) نشرت مجموعة خطابات هونوريوس الثالث في :

P. Pressutti, (ed.) *Regesta Honorii Papae III* (2 vols Rome 1888-95).

كما توجد نسخ منها في شترالكة وهيلورد - برهله ، انظر ما يلى

عن نفسها أمام مطالب الاستبارية باخضاعها لها . وتاريخ هاتين الرسالتين في ١٢ يناير ١٢٤٠م / ١٥ جمادى آخرة ٦٣٧هـ ، و ٣٠ نوفمبر ١٢٤١م / ٨ رمضان ٦٣٨هـ (٢٣) . ولكن وفاة جريجورى التاسع في ١٢٤١م / ٦٣٨هـ أنهت هذه المشكلة مؤقتا (٢٤) .

أما أهم الرسائل التى أرسلت الى الجماعة الالمانية فقد كانت من الامبراطورية فردريك الثانى - حيث توثقت العلاقة بينه وبين هرمان دى سالزا - وعاد عليها ذلك بكمية هائلة من الامتيازات والمنح سواء فى ايطاليا أو صقلية أو الاراضى المقدسة بعد أن أصبح فردريك ملكا عليها . فقد حصلت الجماعة الالمانية على « حق حماية الامبراطورية » ، وبناء السفن ، والاعفاء من الضرائب وخاصة ما يعرف بضريبة السوق ، مما هيا لها حرية الحركة وتوفير مصادر مالية جديدة لها . بالاضافة الى امتيازات الداوية والاستبارية فى مملكته . كذلك حرصت الجماعة على أن تحصل على توثيق للاملاك والامتيازات التى حصلت عليها فى مملكة بيت المقدس من فردريك سواء بوصفه ملكا أو وصيا على ابنه ملك بيت المقدس . ومن بينها املاكها فى عربية وزاخنين ، والذي أدى الى حدوث نزاع حول هذا التوثيق بسبب تعديل فردريك فيه واعطائه للجماعة الاعفاء من أداء الخدمات المؤداة عن هذا الاقطاع للملك المقدس (٢٥) . ومن

(٢٣).

Delaville Le Roux, Cart. nos. 154-155.

L. Auvray (ed.) *Les Registres de Grégoire IX* (4 Vols., Paris, 1896-1908).

(٢٤) انظر ما يلى ص

(٢٥) هذه الرسائل منشورة خاصة فى هيلورد - برهولد وبوهمر - الجزء الخامس - وهذه الوثائق من سنوات ١٢٢١ الى ١٢٢٦م ، وعن أرقام هذه الوثائق انظر ص . وكذلك :

J.F. Bohmer, *Regesta Imperii*, V, 1198-1272 (Innsbruck, 1881-1882); idem, *Acta imperii selecta* (Urkunden Deutscher Könige und Kaiser 923-1398 mit einem Anhang

الواضح ان هذا النوع من الرسائل لم يحتو على اشارات عن دور الجماعة في الصراع الصليبي الاسلامي ، الا أنها أعطت لنا الامتيازات والمنح التي حصلت عليها وهي دليل هام على مدى تطورها وانعكاس ذلك على دورها في هذه العلاقات السياسية بين الجانبين .

أما النوع الثاني من هذه الرسائل فهي تلك التي تضمنت أحداثا تاريخية ساهمت فيها الجماعة الالمانية في الاراضي المقدسة . ويأتى على رأسها رسالتا هرمان دي سالزا الى كل من الكاردينال ليو والبابا جريجورى التاسع . والرسالة الاولى كتبت تقريبا بعد انتهاء الحملة الصليبية الخامسة ، لانها تضمنت أحداثا مثل مسألة تقسيم الغنائم بعد سقوط دمياط ورايه فيها وصحة ما توقعه من حدوث النزاع بين الصليبيين وسرقة جانب من هذه الغنائم . كما ذكر فيها عروض الصلح التي عرضها الكامل محمد على الصليبيين وشروطها . ومن بين ما انفرد بالاشارة اليه مسألة اعادة الصليب وتحديد أسماء المدن والقلاع التي عرض الكامل اعادتها مقابل اعادة دمياط والجلء عن مصر - وهي تورون (تبين) وصافيتا وبانياس وبوفورت أو شقيف أرنون . وظهر في هذه الرسالة الاسلوب الرائع واللغة اللاتينية السليمة الواضحة (٢٦) .

Von Reichsachen) new deition 1967); Huillard-Bréholles,
Historia diplomatia Friderici, 6 Vols, in 12 Pars, Paris
1852, New Edition 1963, III.

(٢٦) هذه الرسالة موجودة في « حولية ديرمالروز » وهي الحولية الديرية الرئيسية لاسكتلندا ، وظلت هذه المخطوطة المنسوخة عن الاصل في دير السسترشيان في مالروز باسكتلندا وكتبت أحداثها على مدى مائة عام حيث تنتهى في عام ١٢٧٥م/٦٧٤هـ . وهناك تذييل عليها حتى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ . أما مؤلفهنا فلا يزال مجهولا ، ولم ترد أى اشارة عنه فيها . وجاء بها بعض الاحداث التاريخية الهامة المتعلقة بالاراضي المقدسة مثل هذا الخطاب ، ومعركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، وحملة ادوارد الاول الانجليزى . أما النسخة الانجليزية فتوجد بها بعض الاخطاء ، ومن الضروري الرجوع الى الاصل اللاتينى . عن ذلك انظر :

أما رسالته الى البابا جريجورى التاسع ، والتي أفردنا لها ملحقا خاصا نظرا لاهميتها فى رواية أحداث الحملة الصليبية السادسة فترجع أهميتها الى أنها من شاهد عيان كان صانعا لأحداثها ومشاركا فيها بدءا بوصول فردريك الثانى ومصاحبته له حتى وصوله الى بيت المقدس ، ثم بنود معاهدة يافا بين فردريك والكامل محمد . ولا شك أن وجود رسالة هرمان الى جانب رسالة البطريرك جريولد عن المعاهدة ، والتي ركز فقط على نقاط الضعف التى فى المعاهدة ، ومحاولته نقل صورة عنها الى البابا ، مكنت الباحثين من المقارنة بينهما فى محاولة هدفها التوصل الى الحقيقة . وفى نفس الوقت فإننا لا نستطيع أن نتجاهل المصادر العربية وما أوردته عن هذه المعاهدة وبنودها ، وبصفة خاصة الشرط الخاص بحق الصليبيلى فى بناء أى تحصينات ، وهل كان مسموحا لهم بذلك أم لا (٢٧) .

ومن بين الرسائل الهامة ، أيضا ، رسالة ريتشارد أوف كورنول الى الامبراطور فردريك الثانى ، والتي أرسلها اليه بعد وصوله الى الاراضى المقدسة ، حيث شرح له فيها ما كانت عليه من تمزق وخلاف وأشار أيضا الى بنود المعاهدة التى عقدها مع الصالح نجم الدين أيوب فى عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ ، وقد أورد متى الباريسى نسخة هذا الخطاب حيث كان على صلة بريتشارد (٢٨) . كما يوجد خطاب يرجع الى نفس الفترة كتبه روبرت بطريرك القدس الاسمى الى رؤساء الادييرة فى فرنسا وانجلترا والذى روى لنا فيه أحداث معركة غزة فى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وأنفرد بالاشارة فى هذا الخطاب الى اعداد الجماعات الرهبانية العسكرية - وخاصة الجماعة الالمانية . وبالنسبة لهذا فقد ذكر أن أفرادها بلغوا أربعمائة ، دون أن يذكر هل هذا العدد لاختوة الجماعة أم كان هناك مرتزقة معهم أو قوات من التركوبول . والواقع أننا نرجح أنه كان معهم

**The Chronical of Makrose, from the Cottonian Manuscript,
Faustina B. IX, in the British Museum, introduction
by A.O. Anderson and others, also in M.G.H., SS., 27, 439,**

(٢٧) انظر ما يلى ص ٢٠٦ .

(٢٨)

Mathew Paris, **Chronica Majora**, IV, 138-41.

قوات أخرى ، وذلك لعدم امكانية الجماعة الالمانية أن تشارك بمثل هذا العدد الضخم من رجالها في معركة واحدة . كما أشار الى أنه لم يتبق سوى ثلاثة من أفرادها وقتل الباقي في هذه المعركة (٢٩) ، وهو ما ذكرته المصادر الأخرى سواء أكانت أجنبية أم عربية ، لأن خسائر الصليبيين عامة كانت فادحة في هذه المعركة التي وصفت بأنها « حطين الثانية » .

وتأتى بعد ذلك المصادر التاريخية من شهود العيان والمتأخرين والمتأخرين زمنيا عن الفترة موضوع الدراسة . وقد أمدتنا بمادة لا غنى عنها عند دراسة الدور الذى أسهمت به الجماعة في الصراع الصليبي الاسلامي . ويأتى على رأس هذه المصادر كتابات جاك دى فيتري (٣٠) ،

Alberti Milioli Notarii Regini Liber de Temporibus in (٢٩)
MGH, SS., 31, 516.

(٣٠) لا تتوافر لدينا مصادر محددة عن حياة جاك دى فيتري وربما يكون ولد في الفترة ما بين ١١٦٠ - ١١٧٠م/٥٥٥ - ٥٦٥ هـ . أما عن مكان مولده فربما يكون إحدى المدن التي حملت اسم فيتري Vitry ، كما أنه ليس من المؤكد إذا كان فيتري اسما لمكان أو أسرة . وهناك احتمال أن يكون منتسبا الى مكان قريب من ريمز في شمالي فرنسا . وتلقى جاك تعليمه في باريس ، وارتقى مناصب دينية عديدة ، كما شارك في التبشير بالحملة الالبجنسية في عام ١٢١٣م/٦١٠ هـ ، والحملة الصليبية الخامسة . أما تاريخ اختياره أسقفا لعكا فربما يكون في عام ٢١٥م/٦١٢ هـ ، وذلك لأنه توجه في أوائل عام ١٢١٦م/٦١٣ هـ الى روما لكي يتم تدشينه في ٣١ يوليو ١٢١٦م/١٤ ربيع آخر ٦١٣ هـ ، وذلك بعد وقت قليل من تولى هونوريوس الثالث كرسى البابوية . ثم وصل الى فلسطين في خريف عام ١٢١٦م/٦١٣ هـ . وانشغل في الفترة الاولى بمنصبه ، ثم شارك لمدة ثلاث سنوات في الحملة الخامسة على مصر ، وذهب الى أوربا مرتين ، وفي المرة الثانية التي كانت في عام ١٢٢٥م/٦٢٢ هـ لم يعد بعدها الى الشرق مرة أخرى . وأصبح كاردينالا لتوسكلم حتى وفاته في أول مايو ١٢٤٠م/٥ شوال ٦٣٧ هـ . لمزيد أنظر :

Introduction to Historia Occ. t., 4 ff.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جان دي بريين ، د. ، ثانية الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ٣٠ - ٣١ .

وذلك نظرا لأنه أول مؤرخ أشار الى الجماعة الالمانية وتطورها منذ المستشفى الالمانى فى بيت المقدس والجماعة الالمانية بعد ذلك . والواقع أن روايته - التى سنتناولها بعد ذلك - لاتزال موضع خلاف بين المؤرخين الخديثين ، فىرى تملر الاخذ بروايته على اعتبار معاصرته للاحداث وانفراده بالاشارة الى هذه الرواية ، بالاضافة الى كونه أسقفا وأن ذلك ربما يكون قد أتاح له الإطلاع بنفسه على وثائق الجماعة (٣١) . أما مارى لويس فتعارض الاخذ بروايته كاملة نظرا لما يوجه اليها من نقد (٣٢) والواقع أننا نميل الى ذلك الرأى للخلط الواضح فى روايته بين المستشفى الالمانى فى بيت المقدس والجماعة الالمانية ، الى جانب النقاط الأخرى التى تناولناها فيما يتعلق بتلك الرواية (٣٣) .

ويختلف الحال بالنسبة لرسائله السبع التى كتبها أثناء وجوده فى الشرق ، وسجل لنا فيها أهم أحداثها . أورد معلومات قيمة بكم كونه شاهد عيان ومشاركا فى الاحداث التى كتب عنها . وتظهر فى رسائله ،

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 24 ff. (٣١)

Favreau, *Studien*, 14-15. (٣٢)

(٣٣) وردت رواية جاك دى فيترى فى كتابه تاريخ الشرق أو *Historia Orientalis* ، وهو كتاب ذو قيمة تاريخية على الرغم مما

تعرض له من نقد . وتتضح قيمته أيضا فى معلوماته الطبوغرافية عن الاراضى المقدسة وتعليقاته الاجتماعية . واستخدمه متى الباريسى ومارينو سانود وبيترودى بنا . واعتمد جاك على وليم الصورى فى جانب كبير من مؤلفه ، كما أشار الى أنه اعتمد على مصادر يونانية وعربية . ويمكن أن يصنف كأدب للرحلات أكثر من مؤلف فى التاريخ . انظر :

Jacques de Vitry, *Historia Orientalis*, (ed. J. Bongars, Hanau 1611) 1085. :

ويوجد ترجمة انجليزية لجزء منه باسم :

The History of Jerusalem, P.P.T.S., XI, 2, 1-128.

أما الخطابات فهى منشورة فى :

Lettres de Jacques de Vitry, (ed. par R.B. Huygens, Leiden 1960).

أيضا ، مقدرته كراوى للاحداث وصاحب احساس معاصر . أما فيما يتعلق بما أورده في رسائله عن الجماعة الالمانية ، فقد أشار في رسالته الثالثة بتاريخ أغسطس ١٢١٨م/جمادى أولى ٦١٥هـ الموجه الى هونوريوس الثالث الى ابحار هرمان دى سالزا مع بقية رجال الدين الى دمياط . كما أشار في خطابه السابع الذى بعث به الى نفس البابا أن بعض أفراد الجماعة الالمانية الذين كانوا أسرى لدى السلطان الكامل محمد تم ارسالهم الى الصليبيين لعرض الصلح . ولكنه لم يحدد أسماء هؤلاء الاسرى . كما أشار الى دور هرمان دى سالزا فى تسليم دمياط ووجوده الى جانب جان دى برين ودوق بايرن ومقدمى الداوية والاسبتارية أثناء اتفاق وضع الرهائن . أما فى خطابه الثالث فلم يشر جاك لوجود هرمان فى المؤتمر الذى عقد لمناقشة خطط الحملة الخامسة ، وقد جانبه الصواب فى ذلك لأن كلا من تاريخ هرقل وأوليفر أوف باوريورن أشار الى وجوده فى هذا المؤتمر . وأخيرا ، فثمة ملاحظة هامة على كتاب جاك ، سواء فى « تاريخ الشرق » أو « خطابات » ، وهى أنه على الرغم من وجوه فى الشرق اللاتينى الا أنه كان لديه الكثير من المفاهيم الخاطئة - مثل غالبية المؤرخين الغربيين فى العصور الوسطى - عن الاسلام وطبيعته ، كما اتسم بالتعصب أيضا عند تناوله لهذه النواحي .

ومن بين المصادر المعاصرة ما يعرف باسم « تاريخ هرقل » Estorie d'Eracles (Liver or Roman) وتوجد عدة نسخ لهذا المصدر تناولها م . ر . مورجان عند دراسته التحليلية لهذا المصدر مع حواشيه ارنول . وقد اعتمد معظم الباحثين على النسخة المنشورة فى مجموعة المؤرخين الغربيين - الجزء الثانى - على الرغم من أنه توجد بعض الاختلافات فى النسخ الأخرى فيما يتعلق بالمادة التى عرضتها (٣٤) أما عن

(٣٤) تقع الفترة الزمنية لتكملة وليم الصورى ما بين عامى ١١٨٣ و ١٢٧٧م/٥٧٩ و ٦٧٦هـ ، حسب آخر النسخ للمخطوطة .
النسخة AB حتى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ ، أما النسخة B فتستمر حتى عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ وهى النسخة التى أطلق ماس لا ترى عليها اسم Fontainebleau Eracles أما النسخة gG , CJ

تحديد مؤلف هذا المصدر ، فقد دار حوله كثير من الجدل ، وما يمكن أن يقال عنه أنه ربما كان أحد أولئك الصليبيين الفرنسيين الموجودين في الشام وأخذ على عاتقه تكملة وليم الصوري ولكن باللغة الفرنسية القديمة . ومن خلال استخدامه لعبارة « ما وراء البحار » عندما يشير الى أحداث في الغرب الاوروى يدل على أنه كان يكتب أثناء وجوده في الشرق اللاتينى . وفيما يتعلق بأهميته كمصدر بصفة عامة ، فاننا لا نستطيع أن نخفله كمصدر معاصر ، وبما أضافه من معلومات مفصلة في بعض الاحيان ويمكن الاعتماد عليه كمصدر ثقة بسبب تماسك معلوماته وتفسيره للأحداث في بعض الاحيان . أما المخطوطة فقد أعطت لنا قدرا لا بأس به من المعلومات عن الاحوال الداخلية للشرق اللاتينى ، وبصفة خاصة عن مملكة أرمينية الصغرى وكذلك امارة انطاكية (٣٥) .

أما فيما يتعلق بالمادة التى أمدنا بها تاريخ هرقل عن موضوع دراستنا فهي هامة . فقد تناول نشأة المستشفى الميدانى الالمانى قبالة عكا وتعهد فردريك السوابى له بالرعاية ، ثم علاقته بالداوية وخاصة مسألة الرداء مما يوحي أن مؤلفه كان على صلة وثيقة بالأحداث ، خاصة أن

فهي تتشابه الى حد كبير مع النسخة AB ، فى الفترة من ١١٨٣ الى ١١٩٧م (٥٧٩ - ٥٩٣ هـ) . أما فى الفترة من ١١٩٧ الى ١٢١٨م (٥٩٣ - ٦١٥ هـ) فهي نسخة واحدة تقريبا ، وبعد ذلك حتى عام ١٢٣١م (٦٢٨ هـ) تختلفان تماما . ففي بعض النسخ وردت أحداث الحملة الصليبية الرابعة وما حدث فى القسطنطينية ، وورد فى بعضها زيارة جان دى بريين للغرب الاوروى فى عام ١٢٢٣م / ٦٢٠ هـ وزواجه من برجنديا أوف كستيلا ، وحروبه ضد فردريك حتى الثانى حول تاج عرش بيت المقدس . ويختلف النص gG - الذى يعرف بمخطوطه ليون - عن هذه المخطوطات السابقة ويستمر حتى عام ١٢٤٨م / ٦٤٦ هـ . أما النص gG حتى عام ١٢٧٥م / ٦٧٤ هـ وأخيرا توجد نسخة فى فلورنسا تستمر حتى عام ١٢٧٧م / ٦٧٦ هـ .

M. Morgan, The chronical of Ernoul and the Continuation of William of Tyre, (Oxford 1973).

Morgan, op. cit., 1-7.

هذه الناحية لم ترد الا في المراسلات بين البابوية والجماعتين (٣٦) .
وأشار الى قماش ستنفورد الذى اقترح البابا على الجماعة الالمانية
بارتدائه ، وانه كان له ألوان أخرى بخلاف اللون الابيض . كما أشار الى
وجود الجماعة الالمانية مع الملك امريك الثانى ملك بيت المقدس وقبرص
في عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، وكذلك وجودها في الاجتماع الذى عقد لارسال
سفارة لاحضار زوج لماريا مونتفرات ورثية عرش بيت المقدس في عام ١٢٠٨م
/٦٠٥هـ . كما أوضح موقفها من عرض العادل الايوبي بتجديد الهدنة في
عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ ، حيث وافقت على هذا العرض . كذلك أشار الى
وجود هرمان دى سالزا في ذلك الاجتماع الذى عقد لمناقشة الامور المتعلقة
بالحملة . كما انفرد بالاشارة الى أن أحد الفرسان الالمان وأسماء ليتوت - والذى كان
قد انضم حديثا للجماعة الالمانية - هو الذى لعب دورا أساسيا في الاستيلاء
على برج السلسلة ، وأعطى لنا وصفا مسهبا لهذه المحاولة . كما انفرد
بالاشارة الى وجود الجماعة الالمانية على الجانب الغربى للنيل في المعركة
التي حدثت في ٥ فبراير ١٢١٩م/ ١٨ ذى القعدة ٦١٥هـ . ورجحنا صحة
ما ذكره لأن الداوية والاستبارية في الجانب الشرقى ، وكانت الجماعات
العسكرية تشكل عادة المقدمة أثناء الهجوم والمؤخرة أثناء الارتداد . كما
أشار الى وجود هرمان مع بقية القادة الصليبيين أثناء مقابلتهم للبابا
هونوريوس الثالث وذلك للاعداد للحملة الصليبية السادسة . وأشار أيضا
الى بعض أحداث هذه الحملة . كذلك أمدنا بمادة طيبة من حملة ثيوبولد
صاحب شامبانيا ، وذكر أن عموري مونتفرت وقع في الاسر ، بينما

(٣٦) انفرد أيضا بالاشارة الى محاولة الاستبارية في البداية اخضاع
المستشفى الميدانى الالمانى لسيطرتها ، وكذلك مسألة دفن فردريك
السوابى ونجاح اخوة المستشفى في اخفائه عنهم . كما أشار الى
رداء الجماعة الالمانية ، وانحاز الى الداوية حيث أشار أن ذلك
الرداء الابيض كان يخصهم . وعاد فأشار الى حصولهم - أى
الجماعة الالمانية - على الرداء الابيض مع الصليب الاسود فمما يعنى
متابعته بصورة هامة للاحداث عن قرب انظر :

أشارت بعض المصادر الصليبية الأخرى - مثل حولية الاراضى المقدسة - الى مقتله . وصح ما ذكره تاريخ هرقل ، وثبت ذلك عن طريق أحد الاكتشافات الاثرية الحديثة حيث عثر على نقش مسجل عليه اطلاق سراح عمورى فى عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ . كذلك أمدنا بمادة مفصلة عن معركة الحربية أو Forbia - بالقرب من غزة - فى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وأخيرا فان تاريخ هرقل بمخطوطاته المتعددة أمدنا بمادة غزيرة أثرت البحث ، وخاصة فى اظهار دور الجماعة الالمانية فى العلاقات بين المسلمين والصليبيين .

ومن بين المصادر الهامة ما كتبه المؤرخ أوليفر أوف بادربورن المعروف بأوليفر المعلم . وهو من شهود العيان والمعاصرين لاحداث الفترة التى سجلها لنا . فقد ساهم فى أعمال مجلس اللاتيران الكنسى فى عام ١٢١٥م/٦١٢هـ ، والذى تم فيه الدعوة للحملة الصليبية الخامسة ، ثم شارك فى التبشير بها فى ألمانيا . واتجه بعد ذلك الى عكا فى صيف ١٢١٧م/٦١٤هـ ، حيث شارك فى أعمال الحملة الهنغارية على بلاد الشام ، ثم اتجه مع الحملة الخامسة الى دمياط . وفى أثناءها عمل كاتباً للمندوب البابوى بلاجيوس مما يدل على أهمية ما سجله لنا فى كتابه « تاريخ دمياط » Historia Damiatina . وقد اشتمل على مادة قيمة فيما يتعلق

بأحداث الحملة الهنغارية على بلاد الشام (٣٧) . وأشار الى وجود هرمان دى سالزا أثناء وصول أندويه الثانى ملك هنغاريا وقواته الى عكا ، كذلك الى مشاركة الجماعات الرهبانية العسكرية فى الهجوم على حصن الطور فى ٥ ديسمبر ١٢١٧م/٤ رمضان ٦١٤هـ . ولكنه لم يحدد الجماعة الالمانية صراحة ، وان كانت اشارته تعنى مشاركتها ضمنا فى ذلك . وكانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها هرمان لاثبات وجود جماعته عسكريا ، خاصة وان الحملة خرجت أساسا بسبب ما كان يشكله حصن

(٣٧) عاد أوليفر ، بعد ذلك الى أوروبا حيث أصبح أسقفا لمدينة بادربورن فى ١٢٢٤ - ١٢٢٥م/٦٢١هـ ، وسابينا فى ١٢٢٥ - ١٢٢٧م/٦٢٢هـ . ثم أصبح كاردينالا لفترة قصيرة قبل وفاته فى ١٢٢٧م/٦٢٤هـ .
انظر : محمود عمران : الحملة الخامسة ، ٢٥ - ٢٧ .

الطور من أخطار على عكا والمناطق المحيطة بها . ، حيث كانت تتركز أملاك الجماعة . ومن الاشارات الهامة التى أوردها ما ذكره عن بناء عثليت أو قلعة الحجاج التى حصل عليها الداوية ، ومشاركة الجماعة الالمانية فى ذلك . ولا شك أن هذا العمل كان بمثابة خبرة لها استفادت منها عند بناء قلعتها مونتفرت أو القرين بعد ذلك بعدة سنوات . كما أشار الى اتجاه هرمان مع بقية قادة الحملة فى طريقهم الى دمياط ، وذكر منحة ليوبولد دوق النمسا للجماعة لكى تشتري بها الارض التى أقامت عليها قلعتها الرئيسية فى الاراضى المقدسة ، وثبت صحة ما ذكره من خلال رسالة هرمان دى سالزا نفسه ، على الرغم من أن تاريخ هرقل أشار الى أن ليوبولد كان قد استدان قبل عودته . ولكننا رجحنا رواية أوليفر هنا لاتفاقها مع رسالة هرمان دى سالزا ، كما أشار أوليفر الى وجود الجماعة فى معركة ٣١ يوليو ١٢١٩م / ١٦ جمادى الأولى ٦١٦هـ - حيث شن الكامل محمد هجوما على متسكر الداوية - وتدخلها لانقاذ الداوية بعد أن كادت تلحق بهم الهزيمة الساحقة . كما انفرد بالاشارة الى الغارة التى قام بها الداوية على البرلس فى ٢٠ يوليو ١٢٢٠م / ٩ جمادى الأولى ٦١٧هـ ، وخروج الفرسان التيوتون لاستقبالهم ، ثم ما حدث لهم ومقتل الكثير من أفرادها وأسر المارشال وقائد عام الجماعة الالمانية دون أن يحدد لنا اسميهما . كما انفرد بالاشارة الى قدوم الاسطول الصليبي من قبرص فى طريقه الى دمياط ، واعتراض الاسطول الايوبى له والنحاقه الهزيمة به . وأشار الى وجود سفينة محملة بالشعير تابعة للفرسان التيوتون ضمن هذا الاسطول الصليبي والتى غرقت . ولكنه لم يحدد لنا ان كانت تابعة لهم أم أنها مستأجرة . وعلى أى حال ، فهذا دليل على نشاط بحرى للجماعة الالمانية . كما ذكر أوليفر الدور الذى أسهم به هرمان فى اختيار الرهائن والمفاوضات التى جرت لتسليم دمياط الى المسلمين ، ودوره فى اقناع أولئك الصليبيين الذين كانوا بها ، وما حدث من اشتباكات فى المدينة ومقتل أحد الفرسان التيوتون نتيجتها . كما أورد دعوة البابا هونوريوس لقادة الصليبيين لعقد اجتماع للاعداد للحملة الجديدة ، حيث شارك فيه هرمان الذى كان موجودا آنذاك فى الغرب الاوروبى . ويؤخذ عليه عدم اشارته الى وجود الجماعة الالمانية فى معركة قبرايير ١٢١٩م / ذى القعدة ٦١٥هـ التى جرت لمحاولة الاستيلاء على دمياط حيث اكتفى بالاشارة الى الالمان والفريزيين فقط . كما أنه لم يحدد لنا اعداد قتلى الجماعة فى

معركة فارسكور في أغسطس ١٢١٩م/جمادى آخرة ٦١٦هـ حيث أشار الى أنه لحقت بهم بعض الخسائر فقط . ولكنه على أى حال ، يعتسبر من المصادر الرئيسية عند تناول أحداث الفترة التى سجلها لنا ولا غنى لاي باحث عنه فيما نحن بصدده (٣٨) .

ومن المصادر التاريخية الهامة ما يعرف باسم تكملة « روتلان » Rothelin وروتلان هنا ليس اسما لمؤلف هذا المصدر ، وانما اسم أول مالك لهذه المخطوطة وهو الراهب روتلان . وشملت أحداث الفترة من ١٢٢٩ الى ١٢٦١م/٦٢٦هـ - ٦٦٠هـ . أما مؤلفها فلا يوجد شيء عنه ، وفيما يبدو أنه تم كتابتها في الغرب أو بالقرب من مدينة سواسون Soissons الفرنسية . وتبدأ بوصف لبيت المقدس وبعض الفصول عن الاراضى المقدسة وتعليقات مرتبطة بها مستمدة من الاناجيل المختلفة ، وبعض التنبؤات المرتبطة بتاريخ الصليبيين ، مثل خطاب الى أنوسنت الثالث عن صلاح الدين الايوبي ، وفصل عن خليفة بغداد والحشيشية (٣٩) أما فيما يتعلق بأهميته من ناحية موضوع دراستنا فقد ورد به إشارة عن وجود المقدم الأعلى للجماعة في ذلك المجلس الذى عقد في عكا في سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ لمناقشة حملة ثيوبولد . ولكنه لم يحدده بالاسم ، وكان كوانرد أوف ثورنجيا هو المقدم الأعلى للجماعة آنذاك . كما أشار الى الآراء التى نوقشت في هذا الاجتماع ، ومنها الرأى الخاص بتجديد الهدنة مع الايوبيين ، حديث كانت الجماعة الالمانية تميل لهذا الرأى ، وخاصة التحالف مع القاهرة بدلا من دمشق . كما انفرد بالاشارة الى خروج الفرسان التيوتون مسرعين لانقاذ هنرى كونت بار والقوات الصليبية التى معه بعسد أن علموا بالهزيمة التى لحقت بهم نتيجة لتهورهم

Oliver of Paderborn, *Historia Damiatina*, (ed. Hoogeweg, (٣٨)
Tübingen 1894).

وتوجد ترجمة انجليزية له باسم :

The Capture of Damietta, (Philalephia 1948).

M.R. Morgan, *The Rothelin Continuation of William of Tyre*, (٣٩)
Outremer, 1982, 244-51.

وتسرعهم . ولكنه كان مبالغاً عندما أشار الى أن الفرسان التيوتون حاولوا انقاذ الاسرى فلم يكن الوقت يسمح بتتبع الايوبيين ، أو أن عددهم يسمح بذلك . ثم أن العامل النفسى لا شك قد ترك أثره بعد ذلك المنظر الذى شاهدوه لأولئك القتلى والجرحى من الصليبيين . كذلك أورد معلومات هامة عن معركة غزة - أو الحربية على وجه التحديد - فى عام ١٢٤٤م/ ٦٤٢هـ ، وأشار الى ترتيب القوات الصليبية حيث اتفق فى ذلك مع المصادر العربية التى روت ذلك . كما انفرد بالإشارة الى حصول الجماعة على نصيب فى الغنائم بعد سقوط دمياط فى ٦ يونيو ١٢٤٩م/ ٢٢ صفر ٦٤٧هـ فى قبضة لويس التاسع . وأشار ايضا الى اشتراك الفرسان التيوتون فى رد الهجوم الاسلامى فى ٢٠ يناير ١٢٥٠م/ ١٤ شوال ٦٤٧هـ منفردا بذلك عن بقية المصادر الأخرى . كما أشار الى دور الجماعات العسكرية - ومن بينها الجماعة الالمانية - فى تلك الحركة التى وقعت فى ١٦ ابريل ١٢٥٠م/ ٤ محرم ٦٤٨هـ عند فارسكور وأبيدت المؤخرة الصليبية فيها . كذلك أشار الى اطلاق سراح عشرة من أخوة الجماعة الالمانية بعد عودة لويس التاسع الى الشام مع بعض الصليبيين الآخرين الذين كانوا أسرى أيضا منذ معركة غزة عام ١٢٤٤م/ ٦٤٢هـ . وانفرد بالإشارة الى موقف الجماعة الالمانية عند تقدم التتار الى بلاد الشام ، وعهد اليها بحماية قلعة واحدة - وربما يقصد قلعتها الرئيسية مونتفرت أو القرين . وأشار أيضا الى موقف انوسانجر هاوزن من مشروع التحالف مع المماليك ومعارضته لذلك ، حيث كان لعبارته أثرها عليهم . وتم الاتفاق على تقديم تسهيلات للماليك فقط أثناء خروجهم الى الشام لمواجهة التتار . وتم الاتفاق ، أيضا على أن يبيع المماليك للصليبيين خيول المغول التى تقع فى أيديهم بأثمان مخفضة . ولكننا قارنا ذلك بالمصادر الاسلامية ورجحنا أن يكون طلب المماليك هو أن يقف الصليبيون على الحياد ، وبالفعل حدث ذلك لانهم كانوا فى حرب داخلية طاحنة منذ عام ١٢٥٨م/ ٦٥٦هـ راح ضحيتها الآلاف من الصليبيين فيما عرف بحرب القديس سابا (٤٠) . وأخيرا ، فإن هذه المعلومات التى وردت فى « روتلان » تمتاز بأهميتها وقد ألفت مزيدا من الضوء على دور

الجماعة الالمانية فى هذه الفترة الهامة التى سبقت قيام الممالك باسترداد القلاع والمدن الصليبية .

وعلى الرغم من أن متى الباريسى سجل كتابه « التاريخ الكبير » Chronica Májora وهو فى الغرب الاوروبى ، الا أنه يعتبر مصردا هاما لا غنى عنه لدارسى التاريخ الوسيط بصفة عامة والحروب الصليبية بصفة خاصة وتمتد حوليته فى الفترة من عام ١ الى عام ١٢٧٣م وقد اعتمد فى أغلبها حتى عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ على روجراوف وتدفور ، ومن هنا فان أهمية مصدره تبدأ من عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ ، اذ يزخر بذلك الكم الهائل من الرسائل والوثائق التى حصل عليها بحكم صداقته للملك هنرى الثالث الانجليزى وأخيه ريتشارد أوف كورنول (٤١) ولا يعنى هذا أننا يجب أن نأخذ بجميع رواياته ، فهو أحيانا ينقل أخبارا غير صحيحة نتيجة اعتماده على الصليبيين العائدين من الاراضى المقدسة ، مثلما أشار الى سقوط القاهرة فى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ وهو ما لم يحدث مطلقا . هذا بالاضافة الى الاحداث العامة التى ذكرها عن الحملة الصليبية السادسة ، وكذلك الخطابات التى أرسلها ريتشارد أوف كورنول الى فردريك الثانى وعرض فيها أحداث حملته فى بلاد الشام . كما انفرد متى بالإشارة الى قيام الداوية بمهاجمة الفرسان التيوتون فى عكا عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ . كما أشار الى دور الجماعة الالمانية فى معركة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وذكر اشتراك قائد عام الجماعة فيها وليس المقدم الاعلى ، وكان محقا فى ذلك ، لأننا أثبتنا وجوده فى الغرب الاوروبى آنذاك . كما أشار الى الكارثة التى لحقت بها وأنه لم يتبق سوى ثلاثة من أفرادها فى هذه المعركة . ولا شك أن ذلك يكمل ما أوردته لنا المصادر الأخرى سواء أكانت أجنبية أو عربية عن دور الجماعة فى أحداث الصراع الصليبي الاسلامى ، هذا بالاضافة الى اشاراته أيضا عن دورها فى الحملة الصليبية السابعة على الرغم من أنها اشارات موجزة ، الا أنها أكملت ما أورده روتلان فى هذا الصدد ، ولم يشر اليه جوفانفيل مؤرخ الحملة على الرغم من وجوده آنذاك فى مصر (٤٢) .

(٤١) Van-Cleve, The Emperor Frederick II, (Oxford 1972) 553-4.

(٤٢) انظر ما يلى الفصل الرابع .

ومن بين المصادر المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع الدراسة يأتي يوحنا لونغوس المعروف بابيروس وحولية المعروفة باسم « حولية القديس برتين » (٤٣) ، وفي روايته عن نشأة المستشفى الألماني في بيت المقدس نقل لنا نفس رواية جاك دي فيتري مع بعض الإضافات . فذكر أنه حصل على قواعد القديس أوغسطين وارتدى أعضاؤه الرداء الأبيض مع وضع الصليب الأسود فوق الذراع الأيسر ، وأنهم حملوا السلاح . كما أشار الى أنه كان هناك مستشفى خاصا بالسيدات ملحقا بالمستشفى الألماني في بيت المقدس . غير أننا لم نعثر على أية إشارة عن وجود مثل هذا المستشفى في المصادر الأخرى ، ولو وجد لأشير اليه . وتري ماري لويين أن ذلك كان تضييعا فقط للمعلومات التي ذكرها جاك دي فيتري من أن زوجة ذلك المتبرع الألماني شاركت معمل في انشاء هذا المستشفى ، ونفس النقد الذي وجه لرواية جاك دي فيتري يوجه أيضا لرواية يوحنا ابيروس على الرغم من أنه استخدم مصادر أخرى ولكن دون أن يفتن الى استخدام الصحيح مما ورد فيها (٤٤) . وإلى جانب المصادر السابقة ، توجد مصادر أخرى لها نفس الأهمية وقد خدمت البحث في نقاط عديدة ، مثل حولية الاراضي القدسية (٤٥) ، وتاريخ المؤرخ الارميني سمباد ، خاصة عند تناول الاحداث التي وقعت في شمال بلاد الشام وعلى وجه

(٤٣) يقع دير القديس برتين في سانت أومر Saint Omer

الواقع في ممر كاليه Pas. de Calais بالقرب من منجاعة

تحدث باللغة الفلمنكية الفرنسية . ولذا لم تبدو أهميته كمصدر في هذه المنطقة حيث كان مكتوبا بلاتينية . انظر :

Johanne Longo de Ipra, Chronica .. Sancti Bertini, MGH, SS, 796.

.. (٤٤) : انظر ص ٦٢ ..

(٤٥) « Annales de Terre Sainte, » in A.O.L. II. II.

وتجدر الإشارة الى أن هناك نسختين لها وضعها الناشر رورشت على شكل عامودين مع تعليقات جانبية عن المصادر التي استقت منها المعلومات .

خاص في كل من مملكة أرمينية الصغرى وامارة انطاكية (٤٦) .

أما المصادر العربية فعلى الرغم من أننا وضعناها في الترتيب بعد المصادر الاجنبية ، الا أن هذا لا يعنى عدم أهميتها . فقد أمدتنا بوجهة النظر الاسلامية وهى التى غالبا ما يغفلها وقصورا في استخدامها . ولكننا من خلال المقارنات والموازنات بين وجهتي النظر مكننا استخلاص نتائج هامة فيما يتعلق بدور الجماعة الالمانية في الصراع الصليبي الاسلامي في مراحل العسكرية أو الدبلوماسية . وسوف نتناول هنا أهم المصادر العربية حسب ترتيبها الزمني . فعلى سبيل المثال أورد ابن شداد بعض الاشارات غير المباشرة والتي أمكننا عن طريق مقارنتها بالمصادر الأخرى أن نصل الى بعض الحقائق الجديدة . فمثلا أشار الى مقتل « مقدم الالمانية » في ذلك الاشتباك الذى حدث في ١٩ جمادى الاولى ٥٨٥هـ / ٥ يوليو ١١٨٩م قبالة صور ، ولكنه لم يحدد لنا اسمه . ومن الواقع ما ذكره أرنولد أوف ليبوك وامبرازوف فقد أثبتنا وجود الالمان عند صور ، ورجحنا أنهم من بقايا أخوة المستشفى الالمانى في بيت المقدس ، وذلك لأنه حتى ذلك التاريخ لم يكن أى من الالمان المشتركين في الحملة الصليبية الثالثة قد وصلوا عن الطريق البحرى أو البرى . كما ربطنا أيضا بما ذكره لنا عن النشاط الذى شاهده ابن شداد في المعسكر الصليبي من نقل الجرحى ودفن الموتى بعد وصول فردريك السوابى وبين اهتمامه بالمستشفى الالمانى الميدانى قبالة عكا (٤٧) .

(٤٦) كان يشغل منصب كندسطل المملكة الارمينية ، وكان شقيقا للملك هيثوم الاول ، ومن هنا تبدو أهمية تاريخه فقد كان على صلة بما يجرى في البلاط الارمينى ، وترجم أيضا قوانين انطاكية . ونقل في تاريخه عن متى الرهاوى وجريجورى الراهب في الجزء الاول وخاصة من سنة ٩٥١ الى سنة ١١٦٢م ، ويصل تاريخه حتى عام ١٢٧٤م / ٦٧٣هـ ، أى قبل وفاته بسنتين . ولكن ترك الكثير من الفراغات في حويلته . انظر :

Der Nersisian. D.O.P. 165 ff.

(٤٧) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق ونشر جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ .

ومن المصادر العربية الهامة مخطوطة « الشماريخ في التواريخ » لابن أبى الدم (٤٨) ، وخاصة أحداث الحملة الصليبية السادسة . فقد كان لموقفه المؤيد للكامل محمد أثره في اعطائنا وجهة النظر الأخرى ، فقد كان أغلب المسلمين معارضين لهذه المعاهدة الكاملية الفردريكية . فبرر موقف الكامل بأنه « عقد معهم الهدنة الشرعية المدة المرعية في نظر سلطان المسلمين وملكهم ومتولى أمورهم واندفع بذلك عن المسلمين بذلك شر عظيم وخوف » فعقد ما رآه مصلحة وغبطة ترجحت في نظره راعاه .

أما فيما يتعلق بتحسين القدس فقد أكد أنه اشترط عليهم « ألا يحدثوا فيه شيئاً لاسواره ولا دوراً ولا تتجاوزوا خندقه » . وبرر إعادة القدس للصليبيين بأنهم « اناس قليلون من الفرنج لا شوكة لهم ولا عدد ولا عدة » ، وأكد أنه باستطاعة المسلمين استردادها في أى وقت يشاءون بل في « يوم وليلة بل في ساعة واحدة » على حد قوله . كما انفرد بذكر رواية تفصيلية عما حدث في القدس أثناء الاشتباك الذى حدث فيها وأدى الى مقتل

(٤٨) شهاب الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن أبى الدم الحموى (٥٨٣ - ٦٤٢هـ / ١١٨٧ - ١٢٤٤م) درس في حلب وبغداد والقاهرة ، وعاش بعد ذلك في حماه مسقط رأسه حيث عمل قاضياً وألف كتابين تاريخيين للملك المظفر الثانى صاحب حماه (٦٢٧ - ٦٤٢هـ / ١٢٢٩ - ١٢٤٤م) . ونقل عن ابن واصل ، كما استخدم أبو الفدا تاريخه المعروف بالتاريخ الكبير المظفرى . ويبدأ المخطوط بذكر « النبى صلى الله عليه وسلم وذكر نسبه وسيرته وابتداء نشؤه الى بعد وفاته ، ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة على سياق السنين والمستحسن من أخبارهم ومجراياتهم على سبيل الاختصار . » وينتهى عند أحداث « نهار الجمعة رابع عشرين ربيع الاول ٦٦٥ هـ » . عن ذلك انظر : ابن أبى الدم : الشماريخ في التواريخ - مخطوطة بمكتبة البودليان باكسفورد تحت رقم MS. March 60 وكذا

حوالى خمسمائة من الصليبيين . وهذا الرقم لا شك أنه مبالغ فيه ، وذلك لأنه كما أشار قبل ذلك أن عدد الذين سمح لهم بالدخول الى المدينة كان عددا قليلا . ولا شك أن روايته أمدتنا بتفصيلات هامة عن احداث الحملة الصليبية السادسة وشروط معاهدة يافا في ١٢٢١م / ٦٢٦هـ .

ومن بين المصادر المعاصرة أيضا لاحداث هذه الحملة السادسة يأتى كتاب ابن نظيف الحموى المعروف « بالتاريخ المنصورى » أو « تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان (٤٩) . ويتضح من خلال اشارته الدقيقة عن أحوال بلاد الشام ، فهمه لما يجرى فوق أرضها من أحداث . فقد أدرك تلك الخلافات بين أولئك الصليبيين الوافدين وبين المقيمين فى بلاد الشام . وأشار الى أن الذى قام بتحسين صيدا هم الفرنج الغرب ويقصد بهم القادمين من الغرب الأوروبى . كما أشار الى رد الفعل الوحيد لذلك ، هو قيام العزيز عثمان صاحب يانيس بمهاجمة الصليبيين بالقرب من صور ، وذلك فى أواخر ربيع الاول ٦٢٥هـ / أوائل مارس ١٢٢٨م . أما معاهدة يافا فانه لم يتحدث عنها ، واكتفى بأن ذكرها فى تاريخه الكبير . الكشف والبيان فى حوادث الزمان - والذى لم يعثر عليه الى الآن ولا يزال مفقودا .

أما الفترة الخاصة بعهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون فيأتى على رأس مصادرها كتابا ابن عبد القاهر : الروض الزاهر (٥٠) . ويمتلىء الاول بالكثير من الوثائق المتعلقة بأمور الدولة المملوكية سواء أكانت خارجية أو داخلية ، وبعضها كان من انشائه . وقد أتاح له وجوده بالقرب من بيبرس ، حيث عمل كاتباً فى ديوان الانشاء ، ومشاركته فى الاحداث التى كتب عنها ، أن يزودنا بصورة حية عن هذه الفترة بكل

.....

(٤٩) أبو الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن بركات الحموى - المحروف بابن نظيف الحموى - وينتسب الى مدينة حماة ، عمل فى خدمة الملك الحافظ بن العادل صاحب حصن جعير المتوفى فى ٦٣٩هـ / ١٢٤١م . Ibid.

(٥٠) نشر وتحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٦٧ .

أحداثها . أما عن أهمية ما أورده في كتابه « الروض الزاهر » بالنسبة لموضوع بحثنا ، فيظهر بشكل خاص في روايته عن الحملات والغارات التي قام بها الظاهر بيبرس على حصون ومعقل الصليبيين في بلاد الشام وأرمينية ، وما تركته من أثر على أملاك الجماعة الألمانية في هذه المناطق . كما أن روايته عن سقوط حصن مونتفرت أو القرين - الحصن الرئيسي للجماعة - في عام ٦٧٠هـ / ١٢٧١م غاية في الأهمية وهي التي نقلها عنه غالبية المؤرخين المسلمين بعد ذلك . فقد ذكر أن الحصن كان تابعا لاسبتار الامن ، وأشار الى حصانته وما أبداه فرسان المجاعة أثناء ذلك الحصار . ولكن يؤخذ عليه عدم إيراد تفاصيل أكثر من عملية الحصار ، مثلما تحدث عن بعض القلاع الأخرى مثل صفد وغيرها . أما المعاهدات التي عقدت بين الجانبين المملوكي والصليبي فقد أورد لنا بعض بنودها ، والتي عقدنا مقارنة بين ما ورد بها من أسماء خاصة بما تبقى من أملاك كل جانب ، وحاولنا تحديد الأملاك التابعة للجماعة الألمانية في هذه المعاهدات .

غير أننا نأخذ عليه عدم ذكره للجماعة الألمانية الا في اشارات محدودة على الرغم من أنها ساهمت بدور هام في أحداث هذه الفترة . وربما يكون لتشابه الرداء مع جماعة الداوية أثره عليه فخلا طبيئهما ، الى جانب أن المصادر العربية كانت تشير عموما الى الصليبيين بمختلف طوائفهم تحت اسم « الفرنج » أو « الافرنج » حسبما أسلفنا . كما أنه لم يزودنا بتفاصيل عن المحاولة الأولى التي قام بها بيبرس ضد القرين في عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م . كذلك أخطأ عندما ذكر أن قلعة العامودين كانت تابعة للداوية ، والتي لم يرد في أي من المصادر الصليبية أو مصادر الجماعة نفسها حصول الداوية

(٥١) ابن عبد الظاهر : تشریف الايام والتصور في سيرة الملك المنصور ، حقه مراد كامل وراجعه محمد علي النجار ، ط . ١ . أولى ، القاهرة ١٩٦١ .

أما عن ابن عبد الظاهر فهو محيي الدين أبو الفضل عبد الله ابن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري . ولد في القاهرة في عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ، وتوفي في ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م . وعمل في ديوان الانشاء في عهد الظاهر بيبرس وقلان والإشراف خليل . انظر مقدمة الروض ، ص ٩ - ٣٨ .

عليها . وفي نفس الوقت ، أورد إشارة تمتاز بأهميتها البالغة بخصوص وجود التتار في هذه القلعة ، مما أمدنا بدليل جديد على ذلك الدور الذي أسهمت به الجماعة الألمانية في التحالف المغولي الأرميني ضد المماليك .

أما كتاب تشريف الأيام والعصور والذي خصصه لسيرة الملك المنصور قلاوون ، فإن إهم ما ورد به هو نص معاهدة عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م ، والتي تعتبر من أدق المعاهدات التي عقدت بين الجانبين المملوكي والصليبي ، لما حوته من بنود تجارية وقانونية هامة إضافة الى قائمة أملاك كل جانب . وعن طريق مقارنة ما ورد في هذه القائمة من أملاك تخص الجانب الصليبي ، استطعنا استخلاص الأماكن التي كانت تابعة للجماعة الألمانية وهي التي ظلت تابعة لها حتى سقوط عكا عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ . كما أن ، لأول مرة ، يشار في المصادر العربية الى ممثل للجماعة الألمانية كواحد من الشهود الموقعين عليها . وهذا دليل هام على مشاركة الجماعة في أحداث تلك الفترة الحرجة والمضطربة في تاريخ الصليبيين في الأراضي المقدسة .

ومن بين المصادر المتأخرة ذات الاهمية الخاصة يأتى كتاب « تاريخ الدول والملوك » لابن الفرات . فقد احتوى على العديد من المصادر التي رجع اليها بعضها موجود والبعض الآخر فقد ولم يعثر عليه (٥٢) . وقد أمدنا بمادة تاريخية هامة فيما يتعلق بأحداث الصراع الصليبي الاسلامي ودور الجماعة الألمانية فيها . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، انفرد بالإشارة الى أن الكامل محمد أذن لتسليم القدس الى فردريك الثاني بسبب رغبته في تملك دمشق . كما حدد الموقع الذي جرت عنده

(٥٢) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن الحنفى المعروف بان الفرات ، ولد في القاهرة وعاش في الفترة من ٧٣٥ - ٨٠٧هـ / ١٣٣٤ - ١٤٠٥م . أما عن تاريخه المعروف باسم تاريخ الدول والملوك ، فتوجد عدة نسخ له ، منها المخطوطة الموجودة في قينا ، والثانية الموجودة في مكتبة الفاتيكان . وتوجد نسخة عن نسخة عن صور شمسية للمخطوط . وفهرس للموضوعات في دار الكتب المصرية . ونشر عدة أجزاء منه ، منها ذلك المجلد الرابع المعروف باسم تاريخ =

معركة غزة عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، فأشار الى أنها حدثت عند أربيسا أو الحربية ، وهى قريبة من نفس الاسم الذى أوردته المصادر الصليبية باسم Forbia . كما أعطى لنا تفاصيل أخرى عنها مثل اجتماع الدماشقة والصليبيين المتحالفين معا فى دار الداوية بعكا وخروجهم معا، وكذلك ثبات الداوية والاستتارية أمام المعسكر المصرى الى أن قتلوا باستثناء عدد قليل نجا منهم . كما أشار الى الجماعة الألمانية باسمين هما : « استتار الامن » واستتار الارمن » وذلك فى معرض حديثه عن سقوط قلعتها مونتفرت ولا ندري سببا لهذه التسمية والحي الارمينى فى عكا ، أو أنها نتيجة لوجود أملاك لها فى مملكة أرمينية الصغرى . كما أورد نصا لمعاهدة عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م (٥٣) .

والى جانب هذه المصادر السابقة فقد قمنا بالرجوع الى العديد من الاصول العربية الأخرى المعاصرة والمتأخرة ، والتي أثرت البحث أيضا فى العيد من نقاطه ، ولكنه المجال هنا لا يتسع للإشارة اليها . ونكتفى

= ابن الفرات ، ويغضى الفترة من سنة ٥٦٣هـ الى سنة ٦١٥هـ / ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١٢١٥م ، كما نشر قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين المجلدات من السابع الى التاسع . وهى تغطى الفترة من سنة ٦٣٢ - ٦٩٢هـ / ١٢٧١ - ١٢٩٢م . وأخيرا نشر ليون وراى سميث الاجزاء التى تناولت الفترة من سنة ٦٤٢ - ٦٧٦هـ / ١٢٤٤ - ١٢٧٧م . وتبدو أهمية هذا الجزء الاخير نظرا لأنه تناول حملات بيبرس ضد الصليبيين واعتمد ابن الفرات على العديد من المصادر مثل تاليف ابن الاثير وابن دحية ذى الرئاستين وتاريخ ابن الجوزى ويحيى بن أبى طىء الغسانى الحلبي ، وسبط ابن الجوزى والمقرئى وغيرها . انظر مقدمة ليون وراى سميث ، ج ١ ، ص وما بعدها .

بالإشارة الى مؤلفات ابن الاثير وسبط ابن الجوزى ، وابن واصل ، وأبى شامة ، وببيرس المنصورى ، والكتبى ، والعينى ، والمقرىزى . وهى جميعا مصادر هامة لا غنى عنها لاكمال وجهتى النظر ، والخروج بأفضل النتائج ، بغية الوصول للحقيقة التاريخية المجردة عن أى هوى أو تعصب .

وعلى الرغم من أن مؤلفات الرحالة الاجانب والعرب لا تشكل جانبا أساسيا فى مصادرنا ، الا أن بعض ما أورده الرحالة والحجاج عن وصف بعض أملاك الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة لا يمكن التغاضى عنه . ويأتى يوحنا أوف فريتزبورج John of Würzburg الذى زار الاراضى المقدسة حوالى عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ ، من بين هؤلاء الذين أعطوا لنا وصفا عاما لرحلتهم الى الاراضى المقدسة . كما وصف المستشفى الالمانى فى بيت المقدس وذكر أنه كان حديث البناء ، مما يدل على أن ذلك المستشفى كانت لديه امكانيات للبناء ، ولم يتأثر كثيرا بمسألة اخضاعه للاسبتارية . كما روى أنه لم يلق أى دعم من أولئك الصليبيين غير الالمان (٥٤) . كذلك أورد لنا مجهول وصفا لبيت المقدس فى ربيع ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، وذكر وجود المستشفى الالمانى فى شارع باسمهم غير أنه للأسف لم يمدنا بأية تفاصيل أخرى ، والتي كانت ستساعدنا لو كان قد زودنا بها فى الاجابة على كثير من التساؤلات عن هذه الفترة الغامضة من تاريخ المستشفى الالمانى فى بيت المقدس (٥٥) .

(٥٤) اختلف المؤرخين الحديثون فى تاريخ زيارته للاراضى المقدسة ، مستبورات أن ذلك كان ما بين عامى ١١٦٠ - ١١٧٠م/٥٥٥ - ٥٦٥هـ ، وأشهار بزوتز الى عام ١١٦٥/٥٦٠هـ ، بينما ذكر رانسيومان عام ١١٧٥م/٥٧٠هـ وهو متأخر زمنيا . وتوجد عدة طبغات لهذه الرحلة منها ما يلى :

Johannes Wirziburgensis, Descriptio Terrae Sanctae, (ed. T. Tobler, New ed. New York, (1974); *Patrologia Latina* (PL) Vol. 155, cols. 1053-1090; English Trans. by Stewart(in *P.P.T.S.*, V-2, 72. cf. also : Stern, *The Teutonic Knights*; 319, n. 6.

« La C.tez Iherusalem, » in Tobler, op. cit., 200 f. .

(٥٥)

أما عن أهم كتب الرحالة على الإطلاق يأتي وصف فيلبراند أوف أولد
نبرج Wilbrand de Oldenberg - والذي كان قد حضر الى الشرق
حاملا معه تاجا جديدا من الامبراطور أوتو الرابع الى ليو الثاني
الارميني ، وصل فيلبراند الى عكا في أكتوبر أو نوفمبر
من عام ١٢١١م/جمادى أولى وثانية ٦٠٨هـ . وشاركة
هرمان دي سالزا مقدم الجماعة الالمانية في رحلته هذه ، ولكن ليس من
الواضح اذا ما كانا استمرا مرافقين لبعضهما طول الرحلة أم كانا يفترقان
ثم يعودان للقاء مرة أخرى . ووصل ولدنبرج الى انطاكية في ٢٢ نوفمبر/١٣
جمادى آخرة ، ثم بعد يومين غادرها الى بغراس آخر المحطات الموجودة
في شمال بلاد الشام ، لأنه بعد ذلك اتجه الى الاسكندرونة أولى المحطات
في الجانب الارميني . ويعتبر فيلبراند الرحالة الوحيد الذي زار انطاكية
في هذه الفترة وترك لنا وصفا عنها . ومر على كومبفورت التي قال انها
تابعة للجماعة الالمانية وبها منزل واستراحة جميلة للجماعة . ومن خلال
وصفه نستنتج أنها ربما كانت تقع على طريق جانبي من الطريق بين
المصيصة وطر موسى . كما زار العامودين - التي ذكر أيضا أنها تابعة
للجماعة - في ١٨ مارس ١٢١٢م/١٢ شوال ٦٠٨هـ . ومن بين الاماكن
الأخرى التي أشار الى تبعيتها للجماعة أيون أو هيايون وموقعها غير
معروف . وان كنا نرجح أنها كانت جميعا في منطقة قريبة من بعضها ، أما
عن أهمية روايته فهي تاييد لما سبق أن توصلنا اليه من أن الجماعة الالمانية
كانت موجودة في المملكة الارمينية قبل عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ - وهو تاريخ
أول وثيقة صادرة من ليو الثاني الارميني لها (٥٦) .

أما ليودلف من سودهايم أو سواكيم Sudheim, Suchem ، فقد
زار الاراضي المقدسة بعد أقل من نصف قرن من سقوط عكا في قبضة
المماليك . وأورد وصفا لعكا والجزء الذي كان يشغله الفرسان التيوتون
في المدينة عند باب القديس نيقولا . كما أشار لدور الجماعة أثناء حصار
عكا ، وذكر ن الاخوة الالمان حاربوا بلا انقطاع ضد المماليك حتى تم
ذبحهم جميعا تقريبا ، وسقط معهم مقدمهم - هنري دي بولندن - كفرد
واحد . ولكنه لم يشر الى انتخاب كوانراد أوف فوينختفاجن وانسحاب

من تبقى من أولئك الاخوة وذلك قبل تسقط المدينة في قبضة المماليك (٥٧)

أما عن الرحالة العرب فانه لا يوجد لدينا سوى ما أورده
الدمشقي (٥٨) عندما وصف القرنين وذلك في وائل القرن الرابع عشر
الميلادي / الثامن الهجري . وللأسف فانه لم يعط لنا تفاصيل عنها سوى
أنها قلعة متيعة بين جبلين وكانت ثغرا للفرنج فتحه الملك الظاهر . ولكن
أضاف الى ذلك وصفا للوادي التابع لها - المعروف بوادي القرين - حيث
كانت تكثر به بعض أنواع الفواكه الأخرى والذي يدل على أهمية هذه
المنطقة من الناحية الاقتصادية عندما كانت تابعة للجماعة الألمانية .

وأخيرا تأتي المراجع الثانوية الأجنبية وهي تشكل جانبا هاما في هذا
البحث وأهمها تلك المؤلفات التي تناولت الجماعة الألمانية بصفة عامة
ويأتي على رأسها مؤلفات ماري ففروا M.L. Favreau ، وتلمر
Tumler ، وفورستريتر Fröstreuter ، وهوبتش Hubatsch
وكلها مراجع قيمة وبخاصة عند تناول تاريخ الجماعة الألمانية سواء في
الغرب الأوربي أو الأراضي المقدسة ، وبما حوته من مصادر ومراجع في
حواشيها . وتأتي مؤلفات ماري لويس من بين أهم هذه الكتابات ،
وخاصة مؤلفها « دراسة في التاريخ المبكر للجماعة الألمانية » (٥٩) والذي
عرضت فيه نشأة المستشفى الألماني في بيت المقدس وعلاقته بالمستشفى
الميداني الألماني والجماعة الألمانية . وتميل الى أنه لا يوجد علاقة بين
المستشفى الأول في القدس والثاني الذي نشأ في عكا . غير أننا أضفنا بعض
النقاط في هذا الشأن والتي لم تذكرها . ولكنه ، على أية حال ، من
المراجع القيمة عند تناول أي باحث لهذه الفترة المبكرة . أما مقالة شترن

(٥٧) توجد عدة نسخ له باللاتينية والانجليزية ، وعن ذلك راجع :
Sterns, op. cit., p. 316.

(٥٨) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري
الدمشقي المغرورف بشيخ الربوة (٦٥٤ - ٧٧٢هـ / ١٢٥٦ - ١٣٢٦م)
زار الأراضي المقدسة حوالي عام ١٣٠٠م / ٧٠٠هـ . انظر نخبة
الدهر في عجائب البر والبحر . بغداد (بدون تاريخ) .

(٥٩) M. Favreau, Studien Zür Frühgeschichte des Deutschen Or-
dens. (Stuttgart, 1975).

I. Sterns عن « الفرسان التيوتون في الامارات الصليبية (٦٠) » .
فتبدو للوهلة الاولى أنها دراسة عن دور الجماعة في الاراضى المقدسة . وعلى
الرغم من أنها تقع في ثلاث وستين صفحة ، الا أن الكاتب خصص
ثلاث وأربعين منها عن نشأة وتنظيم الجماعة . أما في القسم الثانى منها
فقد خصصه لأعمال الجماعة ومقدميها في عرض سريع . وجانب الكاتب
الصواب في بعض النقاط التى عرضنا لها على صفحات هذا البحث .

.. مقدمة :

- .. الجماعات الرهبانية من نتاج الحركة الصليبية .
- .. تأسيس المستشفى الالماني في بيت المقدس ، وآراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول تاريخ انشائه .
- .. نجاح الاسبتارية في اخضاع ذلك المستشفى لتبعيتهم في عام ١١٤٣م/ ٥٣٨هـ ، واثار ذلك عليه ودوره حتى استرداد صلاح الدين الايوبي للقدس في عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ .

لا يزال عالم الجماعات الرهبانية مجالا خصبا لدراسات الكثير من الباحثين في مجال العصور الوسطى بصفة عامة والحروب الصليبية بصفة خاصة . ففي يوليو ١٠٩٩م/شعبان ٤٩٢هـ سقطت بيت المقدس في أيدي الصليبيين ، وأصبحت فيما بعد حاضرة لتلك المملكة الصليبية . وبدأ العديد منهم يعودون الى بلادهم بعد أن حققوا ذلك الهدف الذي خرجت من أجله الحملة الصليبية الاولى . وكان ذلك بداية المصاعب التي ستواجهها تلك المملكة الصغيرة الناشئة ، فقد كانت في حاجة الى المزيد من الرجال القادرين على الدفاع عنها . وبالإضافة الى ذلك كان المناخ صعبا على أولئك القادمين من الجدد ، فانتشر المرض وارتفع معدل الوفيات بينهم في هذه الفترة الاولى . فكانت هذه كلها عوامل أدت الى عدم تكوين طبقة من الفرسان في هذه المرحلة الاولى من تاريخ تلك المملكة (١) . وأخذت وفود الصليبيين تفد من الغرب على تلك المدينة لزيارتها وزيارة الأماكن المقدسة حولها . وقد أمد أولئك الصليبيون الجدد المملكة بنوع من المساعدة المؤقتة (٢) . ولكن لم يتبقى منهم سوى القليل ، فقد فضل الباقون الإقامة في المدن الساحلية ، مثل يافا وعكا وبيروت وغيرها ، حيث كانت مركزا للحياة التجارية النشطة ، أو عادوا الى أوطانهم (٣) . وعمل ملوكها على حل هذه المشاكل ، خاصة وأن كثيرا من الزائرين كانوا يتعرضون لهجمات من جانب المسلمين وهم في طريقهم الى القدس ، وكذلك تعويض ذلك النقص الخطير في عدد الفرسان الصليبيين الذين كانت المملكة في أمس الحاجة اليهم في تلك الفترة (٤) .

وفي ظل المصاعب السابقة كانت نشأة تلك الجماعات الرهبانية العسكرية - والتي جمعت بين الدين والحرب في مبادئها - وليدة لظروف

J. Prawer, *Crusader Institutions*, (Oxford, 1980), 23. (١)

A.J. Forey, «The Emergence of the Military Orders in the Twelfth Century, *The Journal of Ecclesiastical History*, Cambridge University, 36 (1985), 77. (٢)

J. Prawer, «The Settlement of the Latins in Jerusalem», *Speculum*, (27, 1952), 493. (٣)

Forey, *op. cit.*, 176. (٤)

ذلك المجتمع الصليبي الناشئ ونتيجة لاحتياجه . وكانت أولى الجماعات التي اتخذت هذا النمط هي جماعة الداوية *Milites Templi* (٥) . وعلى الرغم من أن جماعة الاسبتارية كانت أسبق من حيث النشأة ، إلا أن تحولها نحو الطابع العسكري كان بطيئاً (٦) .

وقد وجدت أفكار هذه الجماعات القبول في الغرب الاوروبي ، فتنافس الجميع في منحها الامتيازات والعطايا . فانتشرت من الاراضي المقدسة الى أوروبا حتى صارت قوة هائلة (٧) . وكان لاستقلالها وتبعيتها المباشرة للبابوية أثره على تطورها وانتشارها السريع دون أية عقبات تعوق طريقها . وظهر دورها في الدفاع عن الكيان الصليبي ليس في

(٥) . نشأت بين عامي ١١١٨ - ١١١٩م/٥١٢-٥١٣هـ . وشاركت لأول مرة في الدفاع عن المملكة في عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ . وكان اللقب الرسمي لها هو « فرسان المسيح » . *Milites Christi* .
- وظهر أيضاً لقب فرسان المعبد *Milites templi* في إحدى الوثائق البابوية المبكرة .

Johanne Longo de Ipra, «Chronica Monasterii Sancti Bertini»,
MGH. SS. Vol. 25, 79; cf. also :
M. Tumler, *Der Deutsche Orden in Werden, Wachsen und Wirken bis 1409 mit einem Abriss der Geschichte des Ordens Zeit* (Montreal-Wien. 1955), 18, n. 6.

(٦) لم يظهر النشاط العسكري لجماعة الاسبتارية في الوثائق حتى عام ١١٨٢م/٥٧٨ - ٥٧٩هـ ، وبعد ذلك بصورة موجزة . ولكنها كانت جماعة عسكرية منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي / منتصف السادس الهجري . انظر :

J. Riley-Smith, *The Knights of St. John of Jerusalem and Cyprus c. 1050-1310*, (London, 1967). 54.

وبعد ذلك أخذت هذه الجماعات تنتشر حتى بلغ عددها حوالي اثنتي عشرة جماعة حتى القرن الرابع عشر الميلادي انتشرت في إسبانيا والبرتغال وألمانيا بصفة خاصة عن هذه الجماعات انظر :
Tumler, op. cit., 16-21.

Ibid., 21.

المملكة فحسب ، بل في بقية الامارات سواء في أنطاكية أو طرابلس ، ثم في مملكتي أرمينية الصغرى وقبرص . وسوف يتضح هذا الدور مع مرور الوقت ، خاصة في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، بعد أن ضعف الامراء والبارونات وأصبحت هي القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الهجمات الإسلامية التي اشتدت ضراوتها . كما كان لها أهميتها في الربط بين الصليبيين في الاراضى المقدسة والغرب الاوروبى (٨) .

والى جانب الجماعتين السابقتين ، فقد حظيت جماعة الفرسان
التيوتون - موضوع هذه الدراسة - باهتمامات الباحثين ، وذلك بحكم انتشارها الواسع والصفة الدولية التي اتسمت بها ودورها في نشر المسيحية على شاطئى بحر البلطيق ، هذا الى جانب ما امتلكته من ثروات ، وذلك المعين الذى لا ينضب من الرجال الذين كرسوا أنفسهم لخدمة اهدافها خاصة في المراحل الاولى من نشأتها . وكان لذلك كله اثره في جعلها فوق رأس تلك المملكة الصليبية ، بل وفوق رجال الكنيسة اللاتينية نفسها التي كانوا ينتسبون اليها اسما فقط (٩) .

في ظل هذه الظروف السابقة التي عانت منها القدس (١٠) ، قام أحد

J. Prawer, « Military Orders and Crusader : Politics in the (٨)
Second half of the XIII th Century », *Die Geistlichen*
Europas, (ed3. J. Flechenstein and Hellman, 26, 1980).
217.

كما عالج الكاتب بالتفصيل النقد الذى بدأ يوجه الى كل من
الاسبتارية والداوية لخروجها على مبادئها في تلك الفترة .

J. Richard, *The Latin Kingdom of Jerusalem* (Trans from (٩)
French by J. Shirley, 2 Vols. Amsterdam, 1979), p. 199.

(١٠) لم تكن القدس مدينة جذب سكانية بسبب بعدها عن الطرق
التجارية الرئيسية من ناحية ، ويسبب اخراج سكانها المسلمين
والاقلية اليهودية التي كانت بها عقب الاحتلال الصليبي ،
بالاضافة الى عودة الكثيرين الى اوطانهم في الغرب الاوربي أو
تفضيلهم الاقامة في المدن الساحلية ، وعمل كل من بلدوين الاول

الامان ومعه زوجته (١١) بانشاء مضيقة لاستضافة من يفد الى المدينة من بنى جلدته . وقد اختلفت آراء المؤرخين الحـديثين حول تاريخ نشأتها ، فذكر هوبتش عام ١١١٨م/٥١٢هـ (١٢) ، بينما اشارت مجموعة ثانية الى اواخر عهد بلدوين الاول (ت ١١١٨م) ٥١٢هـ) ، ووضعتة ثالثة

والثاني (١١٠٠ - ١١١٨م/٤٩٤ - ٥١٢هـ) ، ١١١٨ - ١١٢١م/٥١٢ - ٥٢٥هـ) على علاج هذه المشكلة . فقام الاول بعمل هجرة جماعية للمسيحيين الشرقيين الذين كانوا يقطنون فيما وراء نهر الاردن واسكانهم أحد أحياء القدس ، أما الثاني فقد أصدر مرسوما باعفاء أو تخفيض الرسوم المفروضة على واردات الطعام والمؤن الأخرى عند دخولها الى المدينة ، بهدف جذب السكان اليها من ناحية ، وتخفيض نفقات المعيشة بها من ناحية أخرى ، انظر :

Prawer, «The Settlement of the Latins» pp. 493 ff.

(١١) لم يحدد أى من المصادر الاجنبية سواء المعاصرة أو المتأخرة اسم هذا الرجل وزوجته ، وأشار البعض الى أنه ربما شارك في الاستيلاء على القدس ، وأن كان ذلك مستبعدا ، لعدم توصلنا الى اسمه ، فكيف تم التعرف على مشاركته في ذلك . عن ذلك انظر :

W. Hubatsch, «Montfort und die Bildung des Deutschordensstaates im Heiligen Lande», *Nachrichten der Wissenschaften in Göttingen. I. Phil. Hist. Klasse.* 1966, Nr. 5, 162., Marie-Luise Favreau, *Studien Zur Frühgeschichte des Deutschen Ordens*, in *Kieler Historische Studien* (Band 21, Stuttgart, 1975) 13-14.

Montfort, 162.

(١٢)

H. Prutz, *Die Besitzungen des Deutschen Orden in Heiligen Lande* (Leipzig 1877) 10; M. Oehler, *Geschichte des Deutschen Ritter-ordens* (Elbing 1908) I. 6;

J. Prawer, *The latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the Middle Ages* (London 1972), p. 270.

في عام ١١٢٧م/٥٢١ (١٤) . وأخرى رابعة في عام ١١٢٨م/٥٢٢ (١٥) وسبب الخلاف بين هؤلاء المؤرخين يرجع الى صمت المصادر ، سواء المعاصرة أو المتأخرة ، عن تحديد عام بعينه لإنشائها . فأول اشارة مباشرة عنها وردت عام ١١٤٣م/٥٣٨ في مرسوم البابا كلستين الثاني (١١٤٣ - ١١٤٤م) (١٦) أما بالنسبة للمصادر المتأخرة التي أشارت اليها فنجد أن جاك دي فيتري - الذي أورد رواية مفصلة عنها - لم يحدد لنا عاما لإنشائها (١٧) . وأما المؤرخ الآخر فهو يوحنا من يبرا Johannes von Ypren - والذي وضع حوايته في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي/ أواخر السابع الهجري - فقد أشارت الى عام ١١٢٧/٥٢١ هـ ، ولكنه خلط بين نشأة ذلك المستشفى وتحول الجماعة الألمانية الى هيئة عسكرية ، والذي تم في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي/أواخر السادس

E.J. King, *The Knights Hospitallers in the Holy Land*. (١٤)
(London, 1931) 42;

K. Forstreuter, *Der Deutsche Orden am Mittelmeer*, (Quellen und Studien Zur Geschichte des Deutschen Ordens) Vol. 2 (Bonn, 1967) 16.

M.J. Delaville Le Roux, «Les anciens teutoniques et l'ordre (١٥) de Saint-Jean de Jérusalem, comptes rendus des séances de l'academie des sciences de l'academie des inscriptions de belles-lettres (Ser. 4, 16, Paris 1889) 336, C. Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque de croisades et la principauté franque d'Antioche* (Institut français de Damas. Bibliothèque orientales, I. Paris, 1940) 48-9; L. Dailiez, *Les chevaliers teutoniques*, (Paris, 1973) 17.

(١٦) انظر ما يلي ص ٦٤ - ٦٥ .

Jacques de Vitry, *Historia orientalis seu Hierosolymitana*. J. Bongars, *Gesta dei per Francos sive orientaliun expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia* (2 Teile, Vol. I. Hanau 1611) 1085, also in *P.P.T.S*, Vol X1.2, ch. Lxvi, pp. 54-5.

وكذلك انظر الفصل الخاص بتحليل المصادر والمراجع ص ٤٥ .

الهجرى (١٨) . ونتيجة لهذا الخلط في المصادر وعدم تحديدها لعام محدد تنشأته ، كان هذا دافعا لبعض المؤرخين الى عدم الدخول في تلك المشاكل ، وانما ذكروا أن ذلك تم في فترة ما قبل عام ١٤٣م / ٥٣٨هـ ، حيث وردت أول اشارة مباشرة عنه في المرسومين البابويين المشار اليهما (١٩) .

والواقع اننا بحاجة الى قراءة رواية جاك دي فيتري قراءة دقيقة متأنية مرة أخرى ، فقد أشار الى أنه بغد سقوط القدس ، بدأ المسيحيون في سكنى المدينة ، ووفد اليها العديد من الالمان والتيوتون لزيارتها ، وهناك صادفوا صعوبة في التحدث بلغتها - حيث سادت اللاتينية والفرنسية القديمة بها - فقام أحد التيوتون - وكان يعيش في المدينة مع زوجته ببناء مضيقة ، وذلك على نفقته الخاصة لاستضافة هؤلاء المرضى والفقراء من الالمان . ونتيجة لتردد الكثيرين من أولئك الالمان على منزله لكي يستطيعوا التحدث باللغة التي يعرفونها ، وبموافقة البطريرك اللاتيني قام ببناء كنيسة ملحقة بالقرب من هذه المضيقة وأوقفها للقديسة مريم (٢٠) .

يتضح من هذه الرواية أن ذلك المستشفى الالمانى مر بمرحلتين : الأولى انشاء هذه المضيقة ، ثم في مرحلة تالية تم انشاء هذه الكنيسة الصغيرة الملحقة بها نتيجة ازدياد أعداد الزائرين . والواقع أن ذلك لم

(١٨) وضع حوليته في دير القديس برتين St. Berin في بلجيكا ، وذلك حوالي عام ١٢٨٠م / ٦٧٨هـ . وقد نقل عن جاك دي فيتري ومؤرخين آخرين ، ولكنه لم يدقق تماما في الكثير من الروايات التي أخذ بها . للمزيد انظر الفصل الخاص بتحليل المصادر ص ٤٥ .

(١٩)

E.G. Roy, Les Familles d'Outre-mer de Du Cange (Paris, 1869) 895; Favreau, *Studien*, 13; Forstreuter, *op. cit.* 8.

Jacques de Vitry, *Historia*, 1085.

يتم بين يوم وليلة ، ويمكن القول ان المرحلة الاولى تمت في عهد بالدوين الاول الذى سعى جاهدا لجذب الصليبيين الى القدس وتشجيعهم على الإقامة فيها ، ثم تلا ذلك بناء الكنيسة الصغيرة الملحقة ، وعلى الأرجح ان ذلك كان في عام ١١٧٢م/٥٢١هـ - كما أشار يوحنا من يبرا ، على الرغم من خلطه للأحداث في هذا العام (٢١) .

أما عن الدافع لإنشاء هذا المستشفى ، فقد أجمع معظم المؤرخين من قدامى وحديثين أنه يرجع الى عامل اللغة والصعوبة التى كان يقابلها أولئك الزائرون من الألمان عند زيارتهم للقدس التى كان يتحدث أهلها باللاتينية والفرنسية القديمة (٢٢) . كما سبق أن أوضحنا ، وإلى جانب ذلك كان يقوم برعاية المرضى والفقراء من أولئك الزائرين ، خاصة وأن إقامتهم أو قبولهم في مستشفيات الداوية والاسبتارية كانت صعبة (٢٣) .

ويقع هذا المستشفى الألمانى فى الجنوب الشرقى من القدس على مقربة من منطقة الداوية ، حيث كان أحد الشوارع الجانبية المؤدية من باب صهيون الى معبد سليمان (٢٤) ، وقد أطلق عليه اسم «منزل الألمان» « domus Alemannorum »

Johanno Longo de Ipra, op. cit., 796, cf. also : Favreau. (٢١)
Studien, 14-15.

Jacques de Vitry, Historia; 1085; Johannes Wirziburgensis, (٢٢)
Descriptio Terrae Sanctae, (ed. T. Tobler) Descriptions
Terrae Sanctae ex sacculo VIII, IX, XII et XV (new edi-
tion, New York, 1974) 161.

Tumle., op. cit., 24, n. 1.

(٢٤) كشف التنقيب الأثرى الحديث عن العثور على كنيسة مريم التى كانت تقع فى نفس موقع الكنيسة الاولى التى شيدها هذا الرجل الألمانى وزوجته ، انظر :

M. Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land (Jerusalem, 1971), 63-64.

والواقع أن الذى أشار الى أن هذه الكنيسة ووصفها بأنها كانت حديثة البناء فى ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، هو يوحنا فوريتز بورج فى عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ ، وكذلك الرسم التخطيطي للمدينة .

أو « مستشفى القديسة ماريا للتيوتون Hospitale Sanctae Mariae » (٢٥) Theutonicorum».

أما حول فترة النشأة وحتى اصدار البابا مرسومه باخضاعه للاسبتارية في عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، فقد تباينت آراء المؤرخين الحديثين بشأنها ، ويرجع ذلك لعدم وضوحها في المصادر سواء المعاصرة أو المتأخرة ، ويرى هريتش أن المستشفى الألماني خلال هذه الفترة أخذ في النمو سريعا ، وضم العديد من الاستراحات والادارات بالاضافة الى من يتولى الاشراف على ذلك كله (٢٦) . أما فورستريتر فقد ذكر أنه يمكن أن نفهم من فحوى مرسوم البابا كلستين الثاني أنه قد اتسع وازدادت أملاكه خارج القدس وبخاصة في ألمانيا (٢٧) . وتتفق ماري لويس معهما في أنه كان له جمعيته الخاصة به التي قامت على رعايته ، وأنه كان ينمو خلال هذه الفترة ، إلا أن ذلك النمو كان بسيطا ومتواضعا ، ولم يكن بالدرجة التي وصفه بها هوبتش (٢٨) . وبالفعل فقد أشار جاك دي فيتري الى أنه « ظل فترة طويلة في فقر شديد يخدم المرضى والفقراء والمحتاجين ، معتمدا على موارده الخاصة والصدقات التي منحت له » (٢٩) .

وفي ٩ ديسمبر ١١٤٣م/٩ جمادى أولى ٥٣٨هـ أصدر البابا كلستين الثاني مرسوميه بعد تشاوره مع كاردينالاته ، وبمقتضاها أخضع للمستشفى الألماني في القدس للأخ « ريموند وخلفائه » . واشترط البابا أن يكون للاخوة الاسبتارية فقط حق اختيار الراهب أو رئيس هذا المستشفى وخدمه . على أن يكونوا جميعا من الألمان ، وأن يديروه « بلسانهم الخاص in lingua sua » (٣٠) وذلك لأنه يجب توفير الخدمة للزائرين

Oehler, Geschichte, I. 6.

(٢٥)

Hubatsch, Montfort, 162.

(٢٦)

Forstreuter, Der Deutsche Orden, 14.

(٢٧)

Favreau, Studien, 15-16.

(٢٨)

Jacques de Vitry, Historia, 1085.

(٣٠) توجد كلا الوثيقتين في أرشيف الاسبتارية في قسم التراث بمرسيليا . والاولى موجهة الى ريموند المقدم الاعلى للجماعة ، والثانية الى اخوة المستشفى بألمانيا . وقد نشرهما دي لي فيل

والمرضى الالمان (٣١) . وكما يتضح منهما فان الاسبتارية ربما شعروا بالخطر من ناحيته ، مما جعل المقدم ريموند دى بوى Raymond du Puy يطلب من البابا اخضاعه لسيطرة الجماعة (٣٢) . ولم يثبت على وجه الدقة كيف تم ذلك ، وهل كان أثناء زيارة المقدم الاسبتارى لأورويه ، أم عن طريق خطاب أرسله البابا اليه بعد عودته إلى الاراضى المقدسة (٣٣) .

اختلفت آراء المؤرخين حول الدافع الذى حدا بالاسبتارية لاتخاذ هذا الموقف تجاه المستشفى الالمانى فى القدس ، فأشار دى لى فيل لى رو أن البابا أراد أن يضع حدا للخلافات التى كانت تثيرها تطلعات ذلك المستشفى

لى رو فى المقالة السابقة وكذلك فى أرشيف الاسبتارية . انظر أيضا الفصل الخاص بتحليل المصادر والمراجع ، وأيضا :

Delaville Le Roux, «Les anciens teutoniques», 341-3; idem, *Cartulaire général d l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jérusalem (1100-1310)*, (New edition, Munchen 1980) Vol. I, Nos. 154-155., cf. also : Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 12-13.

Daillez, *op. cit.*, 20-21.

(٣١)

(٣٢) . كان ريموند مقدما أعلى للاسبتارية (١١٢٠ - ١١٥٨ / ١١٦٠ م /

٥١٢ - ٥٥٥ / ٥٥٢ هـ) ، وربما ولد فى دفينيه Dauphiné و يوجد الكثير من المعلومات عنه قبل توليه المنصب ، وكان لطول الفترة التى تولاه كـمقدم أعلى للجماعة أهمية خاصة ، فقد تطور بنيان الجماعة وتنظيمها بالشكل الذى تميزت به . انظر :

Riley-Smith, *The Knights of St. John*, 441.

(٣٣) كان موجودا فى الغرب عام ١١٤٠ م / ٥٣٤ - ٥٣٥ هـ ، ولم يثبت

وثائقيا وجوده هناك وقت صدور المرسومين . وترى مارى لويس أنه من الصعب أن يظل لمدة ثلاث سنوات فى الغرب ، وأن يكون قد ذهب إلى الشرق ثم عاد مرة أخرى خلالها . أما دى لى فيل لى رو فقد ذكر أنه حصل على المرسومين أثناء اقامته فى الغرب ، انظر :

Favreau, *Studien*, 20; Delaville Le Roux, «Les anciens teutoniques», 338.

الاماني للاستقلال والتي كانت تزداد يوما بعد يوم ، وقد أراد ان يوفر له الهدوء بوضعه تحت سيطرة الاسبتارية (٣٤) . أما تملير فقد تساعل عما اذا كان ذلك مرجعه الى نمو هذا المستشفى الاماني الذي ظهر تقريبا مع ظهور جماعة الداوية ، فخشي الاسبتارية من منافسته ، او ان الاسبتارية بحكم صفتها الدولية ارادت اخضاع تلك المؤسسة المحلية ، الا انه اشار الى ان هذه التساؤلات لم يبت فيها برأى ، ولم يجب عليها ايضا (٣٥) . ولكن فورستريتر يرجع ذلك الى مسألة التنافس حول جمع الصدقات في المانيا ، وما ثار حولها من صراع ، خاصة وان هذه الجماعات التي تقوم على رعاية المرضى تعتمد اعتمادا اساسيا على هذه الصدقات في ميزانيتها (٣٦) . ولكن ماري لويس ذكر انه من الصعب اثبات ذلك بسبب عدم توضيح المرسومين للواقع ، وصمت المصادر الاخرى عن الاشارة الى ذلك . وترى انه ربما يكمن الدافع في مسألة الاملاك في المانيا ، فقد كان ذلك المستشفى منافسا لها في الحصول على المنح من الالمان ، خاصة وانهم فضلوه عليها في ذلك ، وبذلك يتضح الدافع الذي جعل المقدم يحاول اخضاع المستشفى لسيطرة جماعته ، خاصة وان جماعة دولية مثل الاسبتارية لا يمكن ان تنسى المانيا خارج املائها (٣٧) .

Ibid, 333.

(٣٤)

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 22-23.

(٣٥)

Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 13.

(٣٦)

كما عاد وأكد هذا الدافع في مقالته التي نقد فيها كتاب ماري لويس ، وأشار الى ان مسألة املاك ذلك المنزل الاماني لم تكن بالقليلة كما ذكرت ماري لويس ، ولم يرد هذا في أي مصدر من المصادر . وانها زادت من املاكه لكي توسع من دائرة الاحتكاك مع الاسبتارية بشأن الاملاك في المانيا ، في الوقت الذي كانت فيه مسألة الخلاف حول جمع الصدقات قائمة وموجودة . للمزيد انظر ذلك النقد في

K. Forstreuter, in *Historische Zeitschrift* 223, 1976, 707.

Favreau, *Studies*, 20 ff.

(٣٧)

لم يشر جاك دي فيتري او يوحنا من يبرا مطلقا الى مسألة اخضاع المستشفى الاماني للاسبتارية عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، ولا ندري سببا لذلك ، فهل يرجع ذلك الى علاقة جاك الطيبة

وننتج عن هذين المرسومين « حصر ذلك المستشفى الالماني في القدس في مهامه الاصلية وهي رعاية المرضى وتجميع الالمان في القدس » (٣٨) . وقد كانت هذه التبعية بداية للجدل الذي سيستمر أكثر من قرن وربع القرن حول مدى أحقية جماعة الاسبتارية تجاه المؤسسات الالمانية التي سيتم انشاؤها فيما بعد - ونقصد بها المستشفى الميداني في عكا الذي تحول الى جماعة رهبانية عسكرية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي/أواخر السادس الهجري (٣٩) . وتبدو صعوبة الاجابة عن مدى تأثير هذين المرسومين على المستشفى الالماني في القدس ، فيبدو أنه لم يستسلم لهذا ، وحاول كسر قيود هذه التبعية ، وادعى الاخوة الالمان أنهم تم اعفاؤهم منها ، مما دعا البابا هادريان الرابع (١١٥٤ - ١١٥٩ م / ٥٤٩ - ٥٥٤ هـ) الى تأكيد مرسوم البابا كلستين الثاني السابقين ، كما ورد في مرسوم البابا جريجوري التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١ م) أن اخوة ذلك المستشفى حاولوا الخروج على هذه التبعية بدون سبب (٤٠) ، غير أنه للأسف لم يحدد لنا متى كانت بداية هذه المحاولات وهل كانت قبل استرداد صلاح الدين الايوبي للقدس في عام ١١٧٨ م / ٥٨٣ هـ أم بعد انشاء ذلك المستشفى الميداني أمام عكا في عام ١١٩٠ م / ٥٨٦ هـ . وعلى الرغم من عدم ثبوت صحة مرسوم البابا هادريان الرابع المشار اليه

بالجماعة الالمانية عندما كان يكتب مؤلفه ، ويتضح ذلك من مدحه لها ، أم أن مسألة الخلاف بين الجماعتين لم تكن قد اتسحت بعد - مثلما كانت في عام ١٢٢٩ م / ٦٢٦ هـ ، ١٢٤٠ / ١٢٤١ م / ٦٣٨ - ٦٣٩ هـ ، كما أن يوحنا أوف يبرا نقل عنه ولم يشر الى هذه المسألة .

Hubatsch, «Montfort», 164. (٣٨)

(٣٩) عن العلاقة بين الجماعتين وتطور هذه المشكلة ، انظر الفصل الثالث من هذه الرسالة .

Delaville Le Roux, Cart. nos. 2247-2270. (٤٠)

وقد وردت أول اشارة عن مرسوم البابا هادريان الرابع في مرسوم البابا جريجوري التاسع في عام ١٢٤٠ م / ٦٣٩ هـ ، ولم يعثر الى الآن على النسخة الاصلية ، ولا نعرف ان كان ذلك ادعاء من الاسبتارية أم لا .

بشأن إعادة تأكيد مرسومى البابا كلستين حتى الآن ، الا أنه يتضح أن موضوع التبعية قد تم تجاهله من جانب اخوة المستشفى ، كما دعا هادريان الرابع الى تأكيده مرة أخرى فى مرسومه المزعوم . وعلى الرغم من ذلك ، فإن دى لى فيللى يرى أنه لا يحق لنا أن نستنتج أن هذه التبعية قد انتهت ، ولكنها موجودة وظلت تخبو مع مرور الوقت (٤١) .

وعندما زار يوحنا أوف فورتزبورج القديس حوالى عام ١١٦٥م / ٥٦٠هـ ، ذكر وصفا لهذا المنزل الالماني والكنيسة الملحقة به - والتي كانت حديثة البناء (٤٢) . وأشارت مارى لويس الى أن ذلك يدل على ازدياد ثروة المستشفى مما مكنه من بناء هذه الكنيسة ، ولا يكن ذلك نتيجة أى دعم مالى تلقاه ، وذلك لعدم العثور فى المصادر المعاصرة أو المتأخرة على ما يدل على ذلك (٤٣) . ووردت إشارة أخرى عنه ، عندما رغبت الدوقة صوفيا الهولندية فى أن تدفن « فى ذلك المستشفى » الذى يتبع التيرتون « *ad hospitale, quod est Theutonicorum* »

وبالفعل تم تحقيق رغبتها عندما توفيت فى عام ١١٧٦م / ٥٧١ - ٥٧٢هـ أثناء زيارتها للقدس للمرة الثالثة . ولم يتضح ما اذا كانت قد تقدمت بطلبها هذا الى مقدم الاسبتارية أم لالاخوة الالمان مباشرة ، فلم يرد ما يشير الى ذلك فى الحولية الهولندية ، بعكس ما أشار اليه دى لى فيللى من أنها تقدمت بطلبها هذا للاسبتارية (٤٥) .

يتضح مما سبق أنه على الرغم من هذين المرسومين بشأن اخضاع المستشفى الالماني للاسبتارية ، واللذين ربما تم تأكيدهما مرة أخرى عن طريق البابا هادريان الرابع ، الا أن أمر التبعية لم يتأكد بصورة واضحة ، وقد أخذت تخبو مع مرور الوقت ، غير أن تلك الفترة التى سبقت سقوط ذلك المستشفى الالماني مع سقوط القدس فى قبضة صلاح الدين ، تبدو أكثر

Delaville Le Roulx, «Les anciens teutoniques», 350. (٤١)

Johannes Wirzburgensis, op. cit., 161. (٤٢)

Favreau, Studien, 28. (٤٣)

Annales Egmundani, MGH SS, 16, 468. (٤٤)

Favreau, Studien, 28; Delaville Le Roulx, Les anciens teuto-niques, 340. (٤٥)

غموضاً . فعلى الرغم من وجود بعض الوثائق التى ربما تتعلق به ، الا أن آراء المؤرخين اختلفت فيما يتعلق بصحتها أو زيفها ، وما هو الدافع وراء هذا التزوير ان كان قد حدث (٤٦) .

اما هوبتش فقد أخذ بصحتها ولم يعتبرها مزورة ، حيث أشار الى أنها تخصه دون أن تشير الى تبعيته للاسبتارية ، وذكر أنها اما لم تكن موجودة قبل عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، أو أنهم لم يكن لهم الحق فى المطالبة بها (٤٧) . وناقش فورستريتر هذه الوثائق من حيث الشكل والمحتوى ، ويرى أن الوثيقة الاولى (رقم ٦) تتفق وفترة حكم الملك عمورى الاول (فبراير ١١٦٣ - يوليو ١١٧٤م/ربيع أول ٥٥٨ - ذو الحجة ٥٦٩هـ) ، فليس هناك شك حولها فيما يتعلق بصحة تاريخ توثيقها . أما الثانية (رقم ٨) فقد صححها بوضعها فى عام ١١٦٥م/٥٦٠ - ٥٦١هـ ، لأنه فى التاريخ المؤرخة به كان الملك عمورى قد توفى ، غير أنه لم يورد سببا لوضعها فى ذلك التاريخ . ويرى أن الشك يدور فقط حول الامتيازات الواردة بها (٤٨) . أما الوثيقة الثالثة (رقم ٢٠) ، فىرى أنها أقل شكا من ناحية تزويرها ، وربما وضعت فى فترة متأخرة ، أما من حيث محتواها فليس هناك شىء يقال عنه (٤٩) .

(٤٦)

Tabulae Ordinis Theutonici (ed. E. Strehlke, Berlin 1869, New edition ed. H.E. Mayer, Toronto University Press, 1975) nos. 6, 8, 20, 34.

والاولى مؤرخه فى ٢٦ مارس ١١٧٣م/٩ شعبان ٥٦٨هـ ، الثانية بتاريخ ١٧ اكتوبر ١١٧٧م/٢١ ربيع آخر ٥٧٣هـ ، وهما صادرتان من عمورى الاول ملك بيت المقدس ، ما الثالثة فهى بتاريخ ٧ مارس ١١٨٦م/١٣ ذو الحجة ٥٨١هـ ، من جاي لوزينان ، والرابعة والاخيرة بتاريخ ٨ فبراير ١١٩٧م/١٨ ربيع ول ٥٩٣هـ وهى من عمورى الثانى ملك قبرص وبيت المقدس .

Hubatsch, Montfort, 167 f.

(٤٧)

Forstreuter, Der Deutsche Orden, 16-17.

(٤٨)

(٤٩) أما عن ملخص هذه الوثائق ، فنجد فى وثيقة رقم (٦) أن ذلك المستشفى حصل على ٤٠٠ بيزنط تجبى سنويا من أسواق نابلس ،

غير أن ماري لويس لم تأخذ بأراء المؤرخين السابقين . وتساءلت لماذا بقيت هذه الوثائق الثلاث بالذات من ذلك الارشيف ، والذي لا شك أنه كان ضخما ويضم العديد من الوثائق الأخرى سواء منح من السلطات الدينية أو العلمانية بخلاف وثائق التملك وغيرها . ويزداد الامر صعوبة اذا علمنا أن الخروج من القدس لم يصاحبه أى عنف (٥٠) . فاما أن يكون لآرشفيف قد أخذ هذه الاخوة الالمان معهم كاملا عند خروجهم منها ، أو على الأقل أهم الوثائق الخاصة بالمستشفى . وقد فقد هذا الارشيف كاملا ، ولم يتبق منه أية وثائق ، غير أننا ، للأسف ، لا نعرف كيف ومتى تم ذلك . أما هذه الوثائق فإن التزوير قائم بها من حيث الشكل والمحتوى . فلم يرد في اثنين منها اسم المرسل اليه ، ومن ناحية أخرى فإن الجماعة الالمانية اذا أخذت هذه الوثائق ووضعتها في أرشفيفها فهي تثبت بذلك أنها خليفة لذلك المستشفى الالمانى فى القدس ، وهو ما كانت تتحاشاه خاصة أثناء فترة

وأربع قرى ، اثنان فى حبرون (القديس أبراهام) واثنان فى بيسان ، وكذلك اعفاء من الرسوم المفروضة على وارداته الى المملكة ، وحق تحصيل رسوم التلال المفروضة فى أنحاء المملكة . أما وثيقة رقم (٨) - وكلاهما من الملك عمورى ، فقد تضمنت أنه أعطى للمستشفى ٣٠٠ بيزنط تجبى سنويا من باب داود فى القدس ، وقريتين فى نابلس ، وثلاث حدائق كروم ، وكذلك الرسوم المفروضة على السكر فى نابلس . أما رقم (٢٠) فتتعلق بقلعة على الطريق الى الرملة حيث رهنّت الى سفيرين مسئول المستشفى مقابل مبلغ ١١١ ماركا . وقد ناقشت ماري لويس هذه الوثيقة بالتفصيل من ناحية بعض الأخطاء اللغوية الواردة بها وفندتها ، أما الوثيقة الرابعة والاخيرة - (رقم ٣٤) ، فهي من الملك عمورى الثانى ملك قبرص . وبيت المقدس ، حيث منح مستشفى القديسة ماريا التيوتونية عدة قرى وقلاع فى عكا وقبرص ، وبعض الامتيازات الأخرى مثل حق الحصول على السكر والقمح يوميا . ويوجد تعليق من شترلكة Streñke ناشر وثائق التيوتون أنه لا يوجد توثيق لهذه المنحة فى الوثائق البابوية مما يثير بعض الشك حولها . انظر :

Strehlke, Tab. Ord. Teut., nos. 6, 8, 20, 34.

الصراع مع الاسبتارية حول مسألة تبعيتها بموجب مرسومى البابا كلستين
الثانى السابقين (٥١) .

أما عن الدافع الى تزوير هذه الوثائق فقد كان هو الآخر موضع
خلاف بين المؤرخين الحديثين . فبينما يرى ماير H.E. Mayer ، أنها
وضعت من أجل هدفين : الاول يتعلق بصراع دار حول أملاك حصلت عليها
الجماعة فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى/النصف الثانى
من القرن السابع الهجرى ، فأرادت استخدامها لاثبات أحقيتها فى هذه
الاملاك ، والسبب الثانى هو استخدامها فى الصراع الدائر مع الاسبتارية
حول موضوع التبعية اذا ما أثير مرة أخرى (٥٢) . وقد ذكر ماير لمارى
لويس أنه يؤيد الرأى الثانى فيما يتعلق بدافع التزوير (٥٣) ، وأيدته
مارى لويس فى ذلك ، وذكرت أن الهدف منها هو أنه اذا ادعى الاسبتارية
أن هذه الجماعة الالمانية ما هى الا استمرار لذلك المستشفى الالمانى فى
القدس ومن ثم تخضع لسيطرتهم ، فانه بإمكانها أن تظهر هذه الوثائق
المزورة وتدعى أنه كان يوجد جمعية للمستشفى الالمانى فى القدس وأنه
اعترف بها من جانب ملوك بيت المقدس وحصلت على المنح والامتيازات .
وطبقا لهذه الوثائق فانه لا يوجد بها ما يفصح عن أية تبعية للاسبتارية .
او بمعنى آخر كان هناك مستشفيان أحدهما تابع للاسبتارية والآخر مستقل
عنها ، وكان ذلك بمثابة استعداد للرد على الموضوع اذا ما أثير مرة
ثانية (٥٤) .

Favreau, *Studien*, 124-125. (٥١)

(٥٢) ناقش ماير بالتفصيل هذه الوثائق الاربعة ، وذكر أنها وضعت

ما بين ١٢٥٣ و ١٢٥٤م (٦٥١ - ٦٥٢هـ) ، وهى من عمل

معمل محترف لتزوير الوثائق والمستندات فى عكا . انظر :

H.E. Mayer, *Marseilles Levantehandel und ein alikonensches
Fälscheratelier des 13. Jahrhunderts* (Bibliothek des
Deutschen Historischen instituts in Rome 38. Tübingen
1971) 147-174. *idem*, Preface to Strehlke, p. 25, n. 12.

Favreau, *Studien*, 125 ff. (٥٣)

ibid. 125 ff. (٥٤)

وقد انتقدما فورستريتر فى هذه النقطة حيث أشار الى أنها

وتزداد الفترة المتبقية من تاريخ ذلك المستشفى صعوبة فيما يتعلق بوثائقها أو اشارات المصادر عنها . وقد أطلقت عليها ماري لويس اسم « الفترة المظلمة » (٥٥) وهي التي تمتد من عام ١١٨٧م الى عام ١١٩٠م/٥٨٣ الى ٥٨٦هـ ، أو بتعبارة أخرى منذ سقوط القدس في قبضة صلاح الدين الدين الايوبي ونهاية المستشفى الالماني به وحتى نشأة ذلك المستشفى الميداني الالماني أمام عكا . وسوف نحاول تسليط الاضواء عليها من واقع مقارنة المصادر الاجنبية والاسلامية علنا ننجح في التوصل الى شيء يميظ اللثام عنها .

فقد أورد مجهول وصفا لبית المقدس في ربيع ١١٨٧م/٥٨٣هـ - أي قبيل سقوطها بفترة وجيزة - وصف فيه طريق يؤدي الى منزل اسبتارية

أخذت برأى أستاذها مايير ، وكانت حائرة حول الدافع وراء هذا التزوير ، وإذا كانت هذه الوثائق مزورة فانها ليست بأكملها . فائنان منهما يدور الشك حول محتوياتهما ، والثالثة من حيث الشكل فقط - ولكنه لم يشر الى الوثيقة الرابعة . ويرى أن النواة الاصلية لهذه الوثائق حقيقية ، ولكن أضيف اليها بعد ذلك تلك الاضافات المزيفة ، وذلك لظهور شهود موقعين عليها . وأعطى مثلا لذلك بوثيقة رقم (٢٠) حيث أن المأخذ عليها فقط من حيث ترتيب الشهود الذين وردوا بها . وربما كان المزور ليس مدريا تدريبيا جيدا على القيام بهذا التزوير مما أوقعه في هذا الخطأ الشكلي . أما دافع التزوير فيرى أن هذه المجموعة ظهرت في عام ١٢٤٨م/٦٤٥ - ٦٤٦هـ ، وفي ذلك الوقت كانت أملاك الجماعة تختلف عما كان عليه الوضع في عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ ، وليس من المعقول أن تضع الجماعة نفسها في موقف حرج اذا ما ثبت تزوير هذه الوثائق من أجل هذه الاملاك الصغيرة . أما أمر الصراع مع الاسبتارية فقد ظهر في عامي ١٢٢٩م/٦٢٦هـ ، ١٢٤٠ - ١٢٤١م/٦٣٨ - ٦٣٩هـ ، وقد مر دون أن يترك أثرا . ويرى أن الجماعة الالمانية قد وعت الدرس جيدا ، وتعمدت وضع هذه الوثائق في أرشيفها ، ولكن دون أن تربط بينها وبين ذلك المستشفى الالماني في القدس . انظر :

Forstreuter, HZ, 706-7.

Favreau, Studien, 96.

الامان ويسمى هذا الشارع طريق الامان (٥٦) . وكما هو واضح فانه لم يزودنا بأية تفاصيل عنه أو عن الذين يديرونه ، الى آخر هذه التساؤلات التي كنا في حاجة للإجابة عنها من واقع هذا المصدر .

وحول مصير هذا المستشفى بعد استرداد صلاح الدين للقدس تباينت آراء المؤرخين الحديثين أيضا ، فقد أشار براور الى استحالة تطور هذه المؤسسة الألمانية لأن سقوط القدس وضع نهاية لها (٥٧) . وذكر رى أنه ربما انتفى جميع أعضائه بسقوط القدس (٥٨) . ولكن تملر يرى صعوبة وضع اجابة محددة عن هذه التساؤلات السابقة (٥٩) . أما هوبتش فله رأى مخالف فقد ذكر أنه على الرغم من سقوط القدس ونهاية نشاط هذا المستشفى ، الا أنه ربما ظل يقوم ببعض مهامه في ظل السيادة الاسلامية على المدينة . وكما ورد في احدى الوثائق « أن أى مسيحى كان يمكنه البقاء فيها - أى القدس - في ظل دفع الضريبة (يقصد الجزية) ، وفضل البعض البقاء ، وبقي بعض المرضى لرعاية الفقراء » (٦٠) . غير أن مارى لويس عارضت آراء هوبتش وأشارت الى أنه لم يرد في المصادر الأخرى شيء من هذا القبيل ، فالمصدر الذى اعتمد عليه هوبتش لا يمكن الوثوق به لأن به الكثير من الروايات الاسطورية ، بالإضافة الى أنه كتب متأخرا في حوالى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، ولا يمكن الاعتماد

La Citcz Iherusalem, Descriptiones Terrae Sanctae, 200 f. (٥٦)

Pravcr, The Latin Kingdom, 271. (٥٧)

Rey, Les Familles, 896. (٥٨)

وسوف نتناول هذا الرأى بالتفصيل فى الفصل الاول من هذه الرسالة انظر ص ٨٩ .

Jumler, Der Deutsche Orden, 23. (٥٩)

Hübner, «Montfort», 165. (٦٠)

وقد انتقدته مارى لويس لعدم توضيحه للمصدر ، حيث لم يور النص كاملا الذى نقل عنه ، وأوردت النص كاملا .

«Die Jünger Hochmeisterchronik», in Scriptores rerum Prussicarum (V, ed. T. Hirsch, M. Toppen and E. Strehlke, Leipzig 1874, new edition Frankfurt 1965) 52-37.

به كعنصر اثبات (٦١) .

وقبل أن نفند آراء هؤلاء المؤرخين سوف نرى ما ورد في المصادر الإسلامية عن سقوط القدس وما حدث بعد سقوطها . فقد بدأ صلاح الدين حصاره لها في ١٥ رجب ٥٨٣هـ / ٢٠ سبتمبر ١١٨٧م ، وذلك من الناحية الغربية ، ثم « ظل يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله لأنه في غاية الحصانة والامتناع ، فلم يجد موضع قتال من جهة الشمال (٦٢) . وبالفعل اتجه صلاح الدين بعد خمسة أيام ، أى في ٢٠ رجب / ٢٥ سبتمبر ، لى يحاول اقتحامها من هذه الناحية الشمالية . ونصب مجانيقة وظلت القذائف تنهال عليها ، واحتدم القتال بين الفريقين ، خاصة وأنه تجمعت بالمدينة أعداد ضخمة من الصليبيين الذين كانوا يقطنون حولها ومن بقايا المهزمين في حطين ، وبعد محاولات مستميتة نجح المسلمون في الوصول الى سورها وبدأوا في نفيه ، وعندما أدرك الصليبيون فشل محاولتهم لقاومة المسلمين واصرار صلاح الدين على دخول المدينة ، « اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون ، فاتفق رأيهم على طلب الامان » (٦٣) ، وبعد مفاوضات بين الجانبين تم الاتفاق على السماح

Favreau, *Studen*, 98-99, n. 9.

(٦١)

(٦٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٩ ج ، بيروت ١٩٧٨ ، ج ٩ ،

ص ١٨٢ .

(٦٣) ذكر العيني أن صلاح الدين انتقل الى شمال القدس عند باب

عمود (دمشق) أو برج الزاوية ، ومن هذا المكان أخذ الفرنج

- أى في عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ وهى ملاحظة في موضعها - انظر عن

وصف هذا الحصار :

J. Prawer, «The Jerusalem The Crusaders Captured : Contribution to the Medieval Topography of the City», *Crusader and Settlement*, (ed. P. W. Edbury, Cardiff 1985) P. 13.

العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان - ٢٣ ج في ٦٩

مجلد - دار الكتب المصرية - رقم ١٥٨٤ تاريخ « تصوير شمسى »

ج ١٩ ، لوحة ٥٤٧ - ٥٤٨ .

للمصليبين بالخروج بعد دفع عشرة دينارات للرجل وخمسة للمرأة ودينار للطفل (٦٤) ، وأعطيت لهم مهلة قدرها أربعون يوما للسداد ، « ومن أحضر قطيعته بنفسه نجا والا وقع أسيرا » (٦٥) . وأضاف ابن العديم خروجهم « بأموالهم وعتيالهم » (٦٦) . أما المقریزی فذكر نقلا عن العماد الكاتب - « أنه كان من جملة ما شرط على الفرنج أن يتركوا خيلهم وعدتهم فتوفر بذلك عدد البلد » (٦٧) . ودخل صلاح الدين الأيوبي المدينة ليلة السابع والعشرين من رجب (٢ أكتوبر) واتفق أنها كانت ليلة الأسراء والمصراع ، وتجلت عظمة ذلك القائد الإسلامي عند دخوله إليها ، وشتان بين ما فعله الصليبيون في عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ وبين ما فعله صلاح الدين بعد ذلك التاريخ بثمانية وثمانين عاما .

يتضح من الوصف السابق لحصار القدس أن صلاح الدين بدأ بالناحية الغربية ، ثم انتقل الى شمالها لكي يجد ثغرة ينفذ منها الى المدينة ، وقد تركز بالفعل الهجوم الإسلامي في هذه الناحية ، وكما أوضحنا من قبل أن ذلك المستشفى الألماني كان يقع في الجنوب الشرقي للمدينة ، فقد كان بمنأى عن القذائف والاحجار الإسلامية التي قوضت جزءا من أسوار المدينة

(٦٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين الأيوبي ، تحقيق ونشر د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٨١ - ٨٢ . وذكر ابن الاثير نفس المبلغ ولكن « للطفل دينارين » - خير أن المصادر الأجنبية تتفق مع ما ذكره ابن شداد - وهو الاقرب للصواب . انظر أيضا :

M.R. Morgan, *The Chronicle of Ernoul : and The Continuation of William of Tyre*, (Oxford, 1973), 66.

(٦٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ١٢ ج - القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦ ، ج ٦ ، ص ٧٣ .

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامي الدهان ، ٣ ج - دمشق ١٩٥٤ ، ج ٣ ص ٨٤٥ .

(٦٧) المقریزی : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الاول ق ١ - ٣ ، نشر وتحقيق د . مصطفى زيادة ، ط . ثانية القاهرة ١٩٦٦ ، ج ١ ق ١ ، ص ٢٤٢ .

الشمالية ، وربما كان ذلك عاملا مساعدا على بقاء هذا المستشفى الالماني وكنيسته ، فقد ورد في وثيقة للامبراطور فردريك الثاني مؤرخة بعام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ أنه منحه الجماعة الالمانية « منزلا والذي كان الالمان قد امتلكوه قبل سقوط القدس » (٦٨) ، ولكن الوثيقة لم توضح موقعه وهل كان هو نفسه المنزل الالماني أم لا (٦٩) .

أما فيما يتعلق بما أشار اليه هوبتش بأنه سيجح لأي مسيحي بالبقاء في المدينة بشرط دفع الجزية ، فلم يرد في المصادر الاسلاميه ما يؤيد ذلك ، على الرغم من أنه ليس مستبعدا أن يوافق صلاح الدين على ذلك لما عرف عنه من تسامح في معاملة الفقراء والمرضى ، بل والاعنياء أيضا (٧٠) . وقد أشار ابن الاثير أنه سمح فقط للنصارى الذين كانوا يقطنون المدينة أثناء احتلال الصليبيين لها بالقاء ، فقد طلبوا منه ذلك مقابل دفع الجزية ووافق لعى ذلك (٧١) . وتبدو صعوبة الاجابة عن التساؤل الخاص بمصير الارشيف الالماني في القدس ، خاصة اذا علمنا أن صلاح الدين أعطى للصليبيين مهلة مدتها أربعون يوما لدفع الفدية المطلوبة لاطلاق سراحهم ، كما سمح لهم بالخروج بأمتعتهم وأموالهم ، ووضح أنهم كان لديهم الوقت الكافي لجمع أرشيفهم وأخذه معهم ، أما

Huillard-Bréholles, *Historia diplomatica Friderici Secundi* (٦٨) .

(6 Vols. in 12 pars, Paris 1852-1861, new edition 1963).

Vol. III, pp. 125-126, cf. also : in Strehlke, *Tab. Ord.*

Text. no. 69.

(٦٩) ربما تعمدت الجماعة عدم تحديد من كان يمتلك هذا المنزل الالماني من قبل ، وذلك حتى لا يدعى الاسبتارية أحقيتهم في السيطرة على الجماعة الالمانية باعتبارها خليفة لهذا المستشفى الالماني في القدس . انظر أيضا الفصل الثالث من هذا الكتاب (٧٠) ذكر ابن الاثير أن صلاح الدين رفض أن يأخذ الاموال التي كانت مع بطريرك المدينة - على الرغم من أن البعض أشار عليه يأخذها لكي يقوى بهما المسلمين وقال « لا أعذر به » ، انظر ج ٩ ، ص ١٨٤ .

(٧١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٨٦ .

الذى لم يستطع الصليبيون حمله فقد « شرعوا في بيع ما لا يمكنهم حمله من أمتعتهم وذخائرهم وأموالهم وما يطبقون حمله وياغوا ذلك بأرخص الاثمان فاشتراه التجار من أهل الحسكر واشتراه النصارى الذين ليسوا من الفرنج » (٧٢) ، فهل قاموا بأنفسهم بالتخلص من ذلك الارشيف أو أنه فقد بطريقة ما لا زلنا لا نعلم شيئا عنها الى الآن ؟

مهما يكن من أمر ، فإن الصليبيين بحث خروجهم من القدس انفسهم الى ثلاث مجموعات : مجموعة الداوية وأخرى الاسبتارية وثالثة باليان دي ايلين (٧٣) . وكانوا في حراسة المسلمين حتى أوصلوهم الى صور لكي لا يتعرضوا لهجمات البصوص وقطاع الطرق الذين يكمنون في هذا الطريق . أما المصادر الاجنبية فقد ذكرت أماكن مختلفة توجه اليها الصليبيون بعد خروجهم من القدس ، وهى أنطاكية وطرابلس وارمينية والاسكندرية ، حيث حملتهم السفن عائدة الى أوروبا (٧٤) .

وبنجاح صلاح الدين في استرداد القدس كانت نهاية هذا المستشفى الالماني في المدينة ، ولا تعلم ماذا آل اليه مصير أولئك الاخوان الرهبان ، فزلب ظلموا في الشرق مع بقايا قوات الصليبيين التي تجمعت أمام صور ، أم عادوا الى المانيا حيث كانت أملاكهم هناك (٧٥) ؟ ولكن التناؤل الهام الذى يبقى هو : هل أسهم أولئك الاخوة الالمان بأى دور عسكرى في العلاقات مع المسلمين قبل سقوط القدس ؟ أو بصيغة أخرى ما هى طبيعة الدور الذى أسهموا به في تلك العلاقات الصليبية الاسلامية ؟ وقد أشار

(٧٢) ابن الاثير ، المصدر السابق .

(٧٣) أسهم بدور واضح في تاريخ المملكة الصليبية ، وكان سيدا على

نابلس ، والقيمون . للمزيد عنه أنظر :

S. Runciman, History of The Crusades (3 Vols, Cambridge

1975) III, 63, 65, 73.

سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية - صفحة مشرقة في

تاريخ الجهاد العربى - ٢ ج ، القاهرة ط . أولى ١٩٦٣ ،

ص ٨٢٥ .

Morgan, The Chronicle of Ernoul, p. 66.

(٧٤)

(٧٥) انظر ما يلى ص ، الفصل الاول ٨٩ - ٩٠ .

جاءك. دى فيتري الى ان اخوة ذلك المستشفى مارسوا الكفاح ضد الاعداء وأنهم ارتدوا الرداء الابيض مع وضع صليب أسود عليه لتمييزهم ، كما أنهم اتخذوا قواعد الداوية والنبتارية (٧٦) ، واضح أنه يعتمد هنا الجماعة الالمانية وليس المستشفى الالمانى فى القدس . وذكر رى أن هذا الزعم من جانب جاك لا يستند بالفعل على أى أساس (٧٧) . أما مارى لويس فقد أشارت الى أن هذا المستشفى لم يمارس مطلقا أى دور عسكرى فى الصراع ضد المسلمين ، فهو لم يضم فرسانا بين أعضائه من ناحية ، والا لكان جماعة عسكرية اذا ثبت وجودهم ، أو أننا كنا سنتلم بهم فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ عندما حشدت المملكة الصليبية كل الرجال القادرين على القتال ، كما أشارت الى أنهم لم يكن لهم دور فى الدفاع عن القدس عند حصار صلاح الدين له (٧٨) . غير أن هناك نقطتين نود أن نشير اليهما فى هذا الصدد : أولا فيما يتعلق بقواعد الاسبتارية ونظمها ، فلو اعتبرنا المستشفى الالمانى فى القدس خاضعا لها ، أو على الأقل أخذ بهذه القواعد فيما يتعلق بالنواحى الخيرية ، فإن الاسبتارية اعتبروا حمل السلاح عملا موازيا لجمع الصدقات بل امتدادا له . وظلت الجماعة تتحول ببطء الى الدور العسكرى على الرغم من انها كانت جماعة عسكرية منذ منتصف القرن الثانى عشر الميلادى/منتصف القرن السادس الهجرى . غير أن هذا الدور العسكرى لم يظهر فى وثائقها الا متأخرا (٧٩) ، وربما كان لذلك علاقته بعدم ظهور دور عسكرى لآخوة ذلك المستشفى الالمانى فى القدس . غير أننا لم نعثر الى الآن على أية إشارة فى المصادر الى دور عسكرى لهم قادرا به فى أى من المعارك التى دارت بين طرفى الصراع ، ويرجع ذلك بدون

Jacques de Vitry, *Histoire*, 1085.

(٧٦)

Rey, *Les Familles*, 898.

(٧٧)

Favreau, *Studien*, 16-17, 55-57.

(٧٨)

J. Riley-Smith, «A note on Confraternities in the Latin king- (٧٩)

dom of Jerusalem; in *Bulletin of the Institute of Histori-*

cal Research, 44, 1971, 305, n. 5.; *Itinerarium of gesta-*

regis Ricardi, (ed. W. Stubbs), *Chronicles and Memorials*

of the Reign of Richard I. Vol. I. (Rolls Series 38, I,

London 1854) Vol. I. 20-21

شك الى فقدان ارشيفهم وغياب الكثير من الحقائق عنهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أجمعت المصادر الاسلامية والاجنبية على أنه أثناء حصار القدس حشدت أسوار المدينة بكل الرجال القادرين على القتال ، وأشار صاحب الرحلة صراحة الى مشاركة رجال الدين في الدفاع عنها - على الرغم من أن ذلك يتعارض مع وظائفهم ، الا أنهم قاموا بدور الجنود طبقا للحالة الطارئة - وقاتلوا بشجاعة على حد قوله . ويتضح مشاركة الجميع في داخل القدس في محاولة الدفاع عنها ، ومن الطبيعي أن يشارك اخوة ذلك المستشفى الالماني في ذلك بدور ما بحكم وجودهم أثناء الحصار ، ولكن ، للأسف ، لا يوجد تحت أيدينا ما يفيد صراحة قيام الاخوة الالمان بدور محدد في القتال .

لا شك أن تاريخ ذلك المستشفى الالماني في القدس كان سيصبح أكثر وضوحا لو عثرنا على ذلك الارشيف الذي يخصه ، أو على الأقل الجزء الاساسي منه ، وعلى الرغم من ذلك فقد اتضحت بعض معالمه منذ نشأته وحتى سقوطه في عام ١١٧٨م / ٥٨٣هـ بسقوط القدس ، من واقع تلك المادة المتناثرة هنا وهناك في المصادر المختلفة ، ومناقشة المؤرخين الحديثين لها . وعلى مدى الصفحات التالية سوف نتناول نشأة مؤسسة المانية أخرى - هي المستشفى الميداني الالماني في عكا ثم تحوله الى الجماعة الالمانية أو جماعة التيرتون ومدى علاقتها بهذا المستشفى الالماني في القدس .

الفصل الأول

تأسيس المستشفى الميداني الألماني في عكا ، وتحوله الى جماعة

الفرسان التيوتون

(١١٩٠ - ١١٩٨م/٥٨٦ - ٥٩٤ هـ)

- تأسيس المستشفى الميداني الألماني أمام عكا في عام ١١٩٠م/٥٨٦ هـ ، ثم انتقاله الى المدينة بعد استيلاء الصليبيين عليها في ١١٩١م/٥٨٧ هـ ، والآراء التي ثارت حول من قام بتأسيسه .

- المنح والامتيازات التي حصل عليها المستشفى حتى وصول الحملة الصليبية الألمانية الى بلاد الشام في عام ١١٩٨م/٥٩٣ هـ ، وأثر ذلك على تطوره .

- الدور الذي أسهم به في العلاقات الصليبية الإسلامية قبيل تحوله الى جماعة عسكرية ، وآراء المؤرخين حول طبيعة هذا الدور .

- التحول الى جماعة عسكرية في مارس ١١٩٨م/جمادى الأولى ٥٨٤ هـ ، والاعتراف الرسمي به قبل البابا أنوسنت الثالث في ١٩ فبراير ١١٩٩م/ ١٨ ربيع آخر ٥٩٥ هـ .

في الرابع من يوليو ١١٨٧م/٢٦ ربيع ثانی ٥٨٣هـ ، استطاع صلاح الدين أن ينزل بالصلبيين هزيمة ساحقة في حطين ، أعقبها نجاحه في استرداد معظم المدن والمعقل الإسلامية في بلاد الشام ، ونتيجة لذلك بدأت في الغسرب الأوروبي الدعوة من أجل المملكة الصليبية والاستيلاء على القدس مرة أخرى ، وكان من بين أولئك الذين استجابوا لهذه الدعوة الامبراطور الألماني فردريك بربروسا (١١٥٢ - ١١٩٠م/٥٤٧ - ٥٨٦هـ) الذي قرر أن يخرج بنفسه على رأس الحملة الصليبية (١) المزمع القيام بها ، ونظرا لضخامة عدد المشتركين فيها تقرر أن تسلك الطريق البري عبر اراضى الدولة البيزنطية ثم آسيا الصغرى ومنها الى بلاد الشام (٢) ، وأبحر قسم آخر من هذه الحملة ، خاصة من أولئك الألمان الشماليين متخذًا الطريق البحري للوصول الى عكا (٣) .

(١) أرسل البابا جريجورى الثامن (٢٨) أكتوبر - ١٧ ديسمبر ١١٨٧م) ثلاثة خطابات للتبشير بهذه الحملة ، منها خطاب الى المانيا يوجد نصه في :

Historia de expeditione Friderici imperatoris (ed. Chroust, in *MGH, Scriptores rerum Germanicarum, nova series*, Berlin 1928) 5, 6-10.

وتوجد له ترجمة في

Louise and Jonathan Riley-Smith, *The Crusades, Idea and Reality* (London 1981), 13-14.

(٢) حرص فردريك على تنظيم الحملة تنظيما جيدا ، فلم يسمح سوى للذين لديهم أملاك محددة بالاشتراك فيها ، وذلك حتى يضمن عدم مشاركة المغادرين والعاطلين الذين سوف يكونون عبئا على الجيش ، كما عين قاضيا لكل فرقة ، وأصدر أوامر مشددة لمنع الفساد أثناء تقدم الجيش ، كما صدر أوامره بإعدام البعض وقطع أيدي آخرين معن عصوا تلك الأوامر . وكان لذلك كله أثره على الحملة التى وصلت سمعتها الى أعدائه قبل أصدقائه ، انظر:

F. MUEZ, *Frederick Barbarossa, A Study in Medieval History* (London 1969), 386-7.

وقبل أن يرحل فردريك حرص على تأمين طريقه ، خاصة في أراضي الدولة البيزنطية وآسيا الصغرى ، فاتصل بحكام وملوك هذه الدول لكي يضمن المرور آمناً ، مع توفير المؤن وما يحتاجه يضمن عدم الدخول في مصادمات قد تعوقه عن هدفه الاصلى وهو الوصول الى بيت المقدس (٤) .
وفي ١١ مايو ١١٨٩م/ ٢٣ ربيع أول ٥٨٥هـ تحرك الجيش الالماني من راجسبرج Ratisbon ، ومر بهنغاريا دون أن يصادف مشاكل في

(٣) بالغت المصادر الاجنبية والاسلامية على حد سواء فيما يتعلق باعداد الحملة الالمانية ، فقد قدرها ارنولد ليبوك بخمسين ألف فارس ومائة ألف رجل أما ابن شداد فذكر ما بين مائتين ومائتين وستين ألفاً ، أما ابن العديم فذكر انها ثلاثمائة ألف مقاتل وثلاثمائة ألف من السوقة ، ومن الواضح المبالغة الشديدة في اعدادها ، ولكن هذا يدل على أى حال على ضخامة هذه الحملة التى كانت بالفعل أضخم حملة خرجت من أوروبا من ناحية العدد في الحركة الصليبية ، انظر :

Arnold of Lübeck, Chronica Slavarum (ed. J.M. Lappenber, MGH. Scr. Rer. Germ. 14. Hannover 1860) 130-1.

ابن شداد : النوادر ، ص ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٨٦٠ وعن القسم الذى اتخذ الطريق البحرى انظر ما يلى ص ٩٣ .

(٤) تفاوض مع جراند زويات حاكم صربيا والامبراطور البيزنطى اسحاق الثانى ، وقلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم - وتم التوصل لعدد من الاتفاقيات بينهم . للمزيد انظر :
Munz. op. cit., 389.

والجدير بالذكر أنه جرت اتصالات بين الامبراطور البيزنطى وصلاح الدين الايوبى بشأن هذه الحملة ، وذلك بغرض الوقوف ضدها ، وحرص اسحاق على ارسال أخبارها أولا بأول الى صلاح الدين . ولمزيد عن هذه المفاوضات بين الجانبين انظر :

Charles M. The Byzantines and Saladin, in 1185-1192 : Opponents of The Third Crusade», Speculum, Vol. XXXVI, April 1962), 171-2.

طريقه ، ثم بدأت تظهر المصاعب عند دخوله الاراضى البيزنطية ، ودون الدخول فى تفاصيل العلاقة بين الامبراطور البيزنطى اسحاق الثانى انجليوس (١١٨٥ - ١١٩٥ م/٥٨١ - ٥٩١) والامبراطور الالمانى فردريك بربروسا ، فقد انتهت المشاكل بينهما بعقد معاهدة ادرنة Adrianople فى فبراير ١١٩٠ م/محرم ٥٨٦ هـ التى سمح فيها لفردريك بالعبور الى آسيا الصغرى (٥) .

وفى اواخر مارس ١١٩٠ م/اواخر صفر ٥٨٦ هـ عبر الالمان الى آسيا الصغرى ليواجهوا مشاكل أخرى من جانب سلاجقة الروم ، فقد تمكن قطب الدين ملكشاه ابن السلطان السلجوقى قلىج أرسلان أن يستولى على العاصمة قونية وبدأ فى مهاجمة الالمان وذلك بمساعدة قوات من التركمان ، ووقعت المعركة الفاصلة بين الجانبين أمام أسوار العاصمة السلجوقية فى ١٧ - ١٨ مايو/ ١٠ - ١١ ربيع آخر ، حيث انهزم قطب الدين ، وتفاوض الاب المسن مع الامبراطور الالمانى ، حيث تم التوصل الى اتفاق بينهما ، قدم فيه قلىج عددا من الرهائن كى يضمن الامبراطور عدم مباغتته

(٥) تم التوصل لاتفاق بين الجانبين قبل خروج الحملة - ولكن عندما علم اسحاق بمفاوضا ت فردريك مع أعدائه خاصة حاكما الصرب وسلاجقة الروم أخذ يتشكك فى الحملة وهدفها ، ورأى أنها تستهدف عاصمته القسطنطينية أكثر من الوصول الى الاراضى المقدسة - فكان ذلك بداية للمشاكل بين الجانبين ، وسلسلة من الاشتباكات التى كادت أن تؤدى الى أن تستولى على القسطنطينية لولا معارضة فردريك لذلك المشروع ، كما دت الى زيادة الاتصالات بين اسحاق وصالح الدين الايوبى . انظر :

Charles M. Brand, op. cit., pp. 172-5.

أما عن معاهدة ادرنة فانظر :

F. Dolger, (ed.) *Regesten der Kaiserurkunden des ostromischen Reichs von 565-1453, Corpus der griechischen Urkunden des Mittelalters und der neueren Zeit, Reihe A* Abt 1. (München und Berlin, 1924-1960). no. 1601.

من الخلف (٦) . وبعد عدة أيام أخذ فيها الجيش قسطا من الراحة استأنف مسيره عبر آسيا الصغرى ووصل الى حدود أرمينية ، وعندما وصلت هذه الاخبار الى صلاح الدين ، والذي كان آنذاك مشغولا ، بحصاره للصليبيين المحاصرين لعكا ، أرسل جزءا من قواته لمراقبة تحركات هذه الحملة (٧) ، وكان صلاح الدين يأمل في أن يقوم التركمان أو السلاجقة بايقاف تقدمها ، ولكنه عندما علم بهزيمتهم أرسل قواته الى الشمال ، « فأسقط في أيدي

(٦) كان قلج أرسلان قد تعهد للامبراطور الالماني بانسمح له بالمرور سالما عبر أراضيه ، وتبودلت السفارات بين الجانبين ، ولكن قلج أرسلان كان يخطب ود صلاح الدين في نفس الوقت ، فأرسل له تهنئة مع أحد قادته بعد نجاح صلاح الدين استرداد القدس ، وخطب إحدى بناته لأحد أبنائه - وكان قلج ، عندما كبر به السن ، قد قام بتقسيم مملكته بين أبنائه العشر وأخيه وابن أخيه ، ولكن فيما يبدو توفي أحد هؤلاء الابناء لأنه لم يرد في المصادر سوى أحد عشر مشاركا ، ولكن ابنه قطب الدين ملكشاه طمع في العاصمة وجمع قوات من التركمان ونجح في السيطرة عليها ، وهؤلاء التركمان هم قبائل رعوية قدمت بقيادة قائد لهم يسمى رسبتم ووصلوا في شتاء ١١٨٦ - ١١٨٧ م / ٥٨٢ - ٥٨٣ هـ الى كبادكيا وشمال سورية . ولكنهم لقوا هزيمة مريرة على يد الارمن وبوهمند الثالث أمير انطاكية . وعلى الرغم من ذلك فان قوتهم لم تضعف ، والتحقوا بخدمة قطب الدين ملكشاه للمزيد انظر : C. Cahen, *Pre-Ottoman Turkey, a general survey of The material and spiritual culture and history c. 1071-1330* (trans. J. Jones-Williams, London, 1966) pp. 111-113, *idem*, « Seljukides, Turcomans et Allemands au temps de la troisième croisade », in *Variorum Reprints, Turechyzan tina et Oriens Christianus*, London 1974) 23-25.

(٧) سار ناصر الدين بن تقي الدين الى منبج ، وعز الدين بن المقدم الى كفر طاب وبعرين ، ومجد الدين صاحب بعلبك ، والظاهر صاحب حلب لحفظ الطريق وكشف الاخبار ، والملك المظفر تقي الدين لحفظ اللاذقية وجبلة . انظر : ابن شداد النوادر ، ص ١٢٤ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ؛ ص ٢٠٧ ، العيني : عقد النجمان ، ج ٢٠ ، لوحة ١٥ ، ١٦ .

المسلمين ، واستولى الياس عليهم ، وتعلقت آمالهم أنه ربما مانعه في
في طريقة من « الأرج » ومن قلج أرسلان ، فلم يتفق شيء من ذلك بل سار
وقطع البلاد (٨) .

غير أن القدر تدخل لى يضع نهاية الحملة ، فبينما كان فردريك
يعبر نهر سالف Calycadmus في ١٠ يونيه / جمادى أولى لى حثفه في
ذلك النهر (٩) وقد تشتت الحملة بعده ، فلم يكن ابنه فردريك أوف سوابيا

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٨٦٠ . وقد أحدثت
الحملة رد فعل عنيف في العالم الاسلامى اتضح من خلال معظم
كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين والمتأخرين ، فذكر العيني -
« ولما وصل هذا الخبر كاد الناس يضطربون على أنهم يصدقون
أو يكذبون واشتد ذلك على السلطان وعظم عليه وراى استنفاز
الناس للجهاد » . أما فيما يتعلق بتخريب المدن الواقعة في طريق
الحملة فقد اختلفت آراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول
ذلك ، والواقع أنه من الطبيعى أن يتم تخريب المدن الواقعة في
الشمال ، أما المدن الأخرى في الجنوب فقد خربت بعد سقوط
عكا وأثناء تقدم ريتشارد جنوبا . انظر :

العيني : عقد الجمان ، ج ١٩ ، لوحة ٦٠٩ - ٦١٠ وعن
تخريب المدن انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية تحت حكم اللاتين
وعلاقاتها السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى (١١٠١ - ١٢٦٥
٤٩٤ / ٦٦٣ هـ) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية
١٩٨٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٩) عن الروايات المختلفة لوفاة فردريك ببروسا انظر :

Ansbert, *Historia*, 91; Das *Itinerarium peregrinorum*, eine
zeitgenössische englische Chronik zum dritten Kreuzzug in
ursprünglicher Gestalt (Herausgegeben und Kritisch
untersucht von H.E. Mayer, Stuttgart 1962) 300-1.

وقد لخص أبو شامة روايات وفاته انظر :
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية - جزءان في مجلد
: القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ - ج ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ ، أما النهر
الذى غرق فيه فردريك فقد انفرد ابن العديم بتسميته بنهر
« الفاتر » ، انظر : زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٨٦٠ .

بالشخصية التي تستطيع أن تجمع الحملة تحت قيادتها (١٠) ، فقرر البعض العودة حيث أبحروا من موانئ قليقة وسورية جاثنين الى بلادهم . كما اتجه قسم آخر الى طرابلس التي كانت لاتزال في قبضة الصليبيين ، بينما ظل قسم من الحملة مع فردريك الذي اتجه الى طرسوس وأبحر منها الى ميناء القديس سمعان بأنطاكية ، بينما اتخذت بقية قواته الطريق البري الى أنطاكية ، حيث مرت في طريقها بقلعة بغراس أو Gaston . ووقع الكثيرون من أفرادها أسرى في أيدي حاميتها . وبعد أن أمضى فردريك السوابي وقواته فترة في أنطاكية ، استضافه خلالها أميرها بوهمند الثالث (١١٦٣ - ١٢٠١م / ٥٥٨ - ٥٩٧هـ) حيث أدنى له يمين الولاء ، قدم كونراد أوف مونتفرات من صور لزيارته وطلب منه القدوم الى عكا للمشاركة في حصارها حتى لا يفوته شرف

Runciman, History, III, 16.

(١٠)

(١١) تقع بغراس على الطريق ما بين انطاكية والاسكندرونة في شمال بلاد الشام حيث كانت تحرس ذلك الممر في جبال الامانوس ، ولذا فان موقعها ذو أهمية استراتيجية بالنسبة لانطاكية في الشمال ، ووصفها أبو شامة بأنها ودريساك كانتا جناحين لانطاكية انظر: الروضتين، ج٢ ص ١٣٢ . وقد أشارت المصادر الاسلامية الى انقسام الحملة الى ثلاثة أقسام بعد وفاة فردريك ، ولكنها لم تشر الا الى ذلك القسم الذي مر ببغراس واستطاعت حمايتها على الرغم من قتلها أسر حوالى مائتين من رجاله ، وكان الالمان يعتقدون أنها لاتزال بيد الداوية عندما قدموا اليها . كما أشار سيكراد أوف كريمونا الى معاناة الالمان عند مرورهم ببغراس ، وخروج بوهمند الثالث وبطريك أنطاكية رادلف الثاني لاستقبالهم . وذكر انسبرت - مؤرخ الحملة - أن فردريك وصل الى ميناء القديس سمعان في ١٧ يونيو / ١١ جمادى أولى ، ووصل الى انطاكية في ١٩ يونيو / ١٣ جمادى أولى . عن ذلك انظر : ابن شداد : النوادر ، ص ١٧٢ ؛ ابن الدعيم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٨٦٠ ، وكذلك :

Ansbert, Historia, 92; Sicard of Cremona, «Cronica» (ed. Holder-Egger) MGH, SS. 31. 171.

الاستيلاء عليها (١٢) .

وقبل أن نتناول نشأة المستشفى الميداني الألماني أمام عكا ، لابد من التوقف قليلا للإجابة عن التساؤل الذي سبق أن طرحناه عن مصير أولئك الألمان بقايا المستشفى الألماني في القدس ، فهل ظلوا في الأراضي المقدسة أم عادوا إلى ألمانيا ؟ وقد أشار ري Rey (١٣) إلى أنه ربما اختفى جميع أعضائه بعد سقوط القدس ، غير أننا لا نتفق معه في هذا الرأي ، فليس من المعقول أن يختفى أولئك الأخوة الألمان فجأة ، خاصة وأن صلاح الدين كان قد سمح للصليبيين بالخروج من القدس مقابل دفع مبلغ عشرة دینارات عن كل فرد ، وهو مبلغ ليس من الصعب على أولئك الأخوة دفعه نظير الحصول على حريتهم ، وذكرنا أن صلاح الدين أوصلهم إلى صور بعد إطلاق سراحهم (١٤) . أما الملك جاي لوزينان (١١٨٦ - ١١٩٤م / ٥٨٢ - ٥٨٩هـ) - الذي كان قد أسر في حطين - فقد أطلق صلاح الدين سراحه عند أنطرسوس والتي كان يحاصرها آنذاك ، مشروطا عليه « ألا يشهر في وجهه سيفاً أبداً » (١٥) . ولكن جاي نكت بوعده إذ ذهب إلى طرابلس ومنها

(١٢) كان للصلة بين كوانراد أوف مونتشرات وفردريك السوابي أثرها على اتهام صاحب الرحلة لكوانراد بتقاضى مبلغ ٦٠ ألف دينار كرشوة من صلاح الدين لكي يجعل فردريك وقواته يتركون أنطاكية ويتجهون إلى عكا ، وذلك لأن صلاح الدين رأى في وجود فردريك وقواته خطرا عليه وتوزيحا لجهد قواته ، أما المصادر الإسلامية فقد أشارت إلى الصلة بينهما ، غير أنها لم تشر إلى مسألة الرشوة . وذكر ابن شداد أن كوانراد هو الذي بصر فردريك بالطرق وقوى قلبه ، وسلك به الساحل خوفا من مهاجمة عسكر حلب وحماة له - وكان فردريك قد غادر أنطاكية في أواخر أغسطس / أوائل شعبان متجها إلى صور ومنها إلى طرابلس في طريقه إلى عكا . انظر :

Itinerarium, ch. 94-95.

Rey, Les Familles, 896.

(١٣)

(١٤) انظر ما سبق - مقدمة الرسالة ص

(١٥) كان صلاح الدين يحاصر أنطرسوس في الفترة من ٣ - ١٤ جمادى

أولى ٥٨٤هـ / ٣ - ١٤ يوليو ١١٨٨م ، انظر : ابن العديم : زبدة

الحلب ، ج ٣ ، ٨٥٦ ؛ ابن واصل : مفسر ج الكروب ، ج ٢ ،

ص ١٨٤ وأيضا :

الى انطاكية حيث استضافه بوهمند الثالث لحين تجمع قواته ، ثم عاد مرة أخرى الى طرابلس ، وعندما رفض كونراد أن يسلم اليه صور قرر التوجه بقواته التي تكونت من بقايا الصليبيين الذين خرجوا من مختلف المدن والشلاع التي استردها صلاح الدين وسمح لهم بالتوجه اليها للاستيلاء على عكا مرة ثانية (١٦) .

وخلال تلك الفترة التي كان يتجمع فيها الصليبيون أمام صور ، حدثت بعض الاشتباكات بين الصليبيين والمسلمين ، فقد أشار ابن شداد الى معركة حدثت في ١٩ جمادى أولى ٥٨٥هـ / ٥ يوليو ١١٨٩م ، اذ كان صلاح الدين يعسكر بالقرب من هذه المنطقة لمتابعة تحركات الصليبيين ، وظن البعض أنه خرج للقتال فتبعه خلق عظيم وحاول أن يردهم لأن المكان لم يكن يسمح بالقتال ، ولكنهم لم يمتثلوا لأوامره ، وحدث القتال بين الجانبين الذي انتهى باستشهاد مائة وثمانين من المسلمين ، كما قتل من الافرنج عدة عظيمة « ، وكان ممن قتل مقدم الالمانية ، وكان عندهم عظيما محترما « (١٧) .

Runciman, History, II, 462, n. 4; Stevenson, The Crusaders in The East, (Beirut 1958) 257, n. 3.

(١٦) وصل الى عكا عقب هزيمة الصليبيين في حطين بأيام قلائل ونجا من الوقوع في الامر بأعجوبة ، حيث اتجه الى صور في ١٤ يوليو ١١٨٧م / ٦ جمادى أولى ٥٨٢هـ وتمكن من انقاذها من الوقوع في قبضة صلاح الدين بعد أن أوشكت على الاستسلام ، ونجح في الاحتفاظ بها وتقوية شخصيتها ، وعندما طلب منه جاي اعادتها رفض وذكر أنه سوف يسلمها للملوك الذين سيفدون من الغرب لأنه نائب عنهم ، وقد انتقد ابن الاثير صلاح الدين في السماح للصليبيين بالذهاب الى صور - « فصار اليها فيسان الفرنج بالساحل بأموالهم وأموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة » . انظر: سبط. ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ١ ، ص ٤٠٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ١٨٧ ،

Arnold, of Lübeck, Chronica, 140.

(١٧) ابن شداد : النوادر ، ص ٩٩ - ١٠٠ . أما ابن الاثير ، فقد أشار الى هذه المعركة دون أن يورد تفاصيل عنها - وذكر أنها وقعت في ٩ جمادى أولى / ٢٥ يونية . وربما نسي الناسخ وضع

والتساؤل هنا عن شخصية هذا المقدم ومن هو وهل هو من بقايا أخوة ذلك المستشفى الالماني الذين كانوا في القدس أو من أولئك الالمان الذين كانوا قد خرجوا للاشتراك في الحملة الثالثة . أما فيما يتعلق بشخصيته فهي غامضة ، وللأسف لم نعثر في المصادر الاسلامية أو الاجنبية ، سواء المعاصرة أو المتأخرة ، على اسمه أو أية إشارة عنه (١٨) . أما فيما يتعلق بالالمان المشتركين في الحملة الصليبية فقد وصل الذين اتخذوا الطريق البحري الى عكا في أول سبتمبر ١١٨٩م / ١٨ رجب ٥٨٥هـ ، أما بقايا الحملة التي اتخذت الطريق البري فلم يصل أي من رجالها الى صور قبل ١٠ يونيه ١١٩٠م / ٥ جمادى الاولى ٥٨٦هـ ، وهو تاريخ وفاة فردريك بربروسا وتفرق الحملة بعد وفاته ، ويدل ذلك على أن أولئك الالمان الذين كانوا أمام صور لم يكونوا من الالمان المشتركين في الحملة الثالثة . وعلى الرغم من أن ابن شداد مؤرخ ثقة ، ويمكن الاعتماد عليه في روايته لأنه شارك بنفسه في المعركة - « وهذه الواقعة لم يتفق للافرنج مثلها في هذه الوقائع التي حضرتها وشاهدها ، ولم ينسألوا من المسلمين في هذه المدة (١٩) - إلا أننا حرصنا على فحص المصادر الاجنبية للتأكد من وجود الالمان أمام صور . وبالفعل أشار امبرواز - في معرض اشارته عن تجمع توات الصنيبين أمام صور - « الى هؤلاء الالمان النبلاء الذين كانوا يخدمون باخاض وولاء » (٢٠) . أما ارنولد أوف ليبوك فقد كان أكثر

كلمة عشر ، لأن ابن شداد أقرب الى الصواب لاشتراكه في المعركة ، أما ابن العديم ، فقد أشار باختصار شديد الى هذه المعركة . « بحيث تحاجز الفريقان في آخر تلك الايام ، في جمادى الآخرة من هذه السنة » . أما العيني فقد أشار الى مقتل مقدم الالمانية . انظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ ؛ زبدة الحلب ، ج ٣ ٨٥٦ ؛ عقد الجمان ، ج ٢١ ، لوحة ١٣ .

(١٨) لم يرد سوى اسم سفيرين Severin مسئول المستشفى الالماني في القدس في وثيقة ترجع الى عام ١١٨٦م / ٥٨٢هـ . ولا ندري اذا كان هو نفس هذا الشخص أم آخر غيره .

(١٩) ابن شداد : النوادر ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
(٢٠) Ambroise, The crusade of Richard Lion-Heart, (Trans. from old French by M.J. Hubert and with note and documentation by J. La Monte, New York 1976), p. 133.

تحديدا عندما أوضح أن « الملك جاي عندما بدأ حصاره لعكا ، كان أولئك الالمان الذين قدموا معه من صور (٢١) . ويتضح مما سبق أنه كان هناك المان شاركوا في معارك جرت أمام صور ، بل وبدأوا في حصار عكا مع الملك جاي نفسه قبل وصول أى من الالمان المشتركين في الحملة الثالثة سواء بالطريق البحري أو البري ، ولما لم يكن هناك سوى أولئك الالمان الذين من بقايا ذلك المشفى الالمانى فى القدس ، فانه من المرجح أن يكون الالمان منهم ولكننا نستطيع أن نجزم بذلك لأنه ليس بين أيدينا من المصادر ما يؤكد هذا الامر .

وعندما وجد جاي اصرار كونراد على عدم تسليم صور اليه ، قرر التوجه الى عكا لحصارها والاستيلاء عليها ، وكان صلاح الدين يعتقد أن ذلك خدعة من الصليبيين لحمله على فك حصاره للشقيف (٢٢) ، ولكن جواسيسه أخبروه بأن عكا هى المقصودة بالفعل . فأسرع لوقف تقدمهم وذلك عند المنطقة الواقعة ما بين صور عكا والتي تسمى Ladder of Tyre

أو رأس الناقورة غير أن الامراء أشاروا عليه بحصرهم ما بين حامية عكا والجيش الرئيسى (٢٣) .

وألقى الصليبيون حصارهم على عكا فى ٢٨ أغسطس ١١٨٩م / ١٣ رجب ٥٨٥هـ وأخذت القوات التى أبحرت من الغرب الاوربى تتوافد

(٢١) Arnold of Lübeck, *Chronica*, 141.

(٢٢) الشقيف أرنون كما فى المصادر الاسلامية و Beaufort تقع على مقربة من نهر الليطاني ، وكانت تابعة لرينالد سيد صيدا (١١٧١ - ١٢٠٠م / ٥٦٦ - ٥٩٦ هـ) . وكان صلاح الدين قد بدأ حصاره لها فى ربيع أول ٥٨٥هـ / ابريل ١١٨٩م ، واستمر يحاصرها حتى استسلمت بعد فترة مفاوضات طويلة بين صاحبها وبين صلاح الدين وذلك فى ابريل ١١٩٠م / ربيع أول ٥٨٦ هـ . انظر فى ذلك : J. La Monte, «The Lords of Sidon in the twelfth and thirteenth Centuries, Byzantion, XVII, (1944-5), pp. 197-8 n. 60.

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٠١ وأيضا :

Runciman, *History*, III, 22.

عليها (٢٤) ، ففي اليم الثالث لبدء الحصار - أى فى أول سبتمبر/١٧ رجب ، وصلت القوات الألمانية التى اتخذت الطريق البحرى الى المدينة (٢٥) ، وكان لوصولها وقع كبير على الملك وقواته ، خاصة وأنه كان بحاجة الى السفن لتدعيم الحصار من ناحية البحر ولنخ وصول المؤن والامدادات اليها ، وربما وصل معها تجار بريمن Bremen ونيبوك Lübeck ، والذين سوف يسهمون فى تأسيس ذلك المستشفى الميدانى الألمانى أمام عكا .

وبادىء ذى بدء ، فان الغموض لايزال يحيط بنشأة ذلك المستشفى الميدانى الألمانى أمام عكا ، والتساؤلات عديدة عن تاريخ نشأته ، ومن الذى قام بذلك ، وموقعه الى آخر القضايا التى سنحاول الاجابة عنها من خلال المادة التى تحت أيدينا . وتبدو الصعوبة فى أن أمدا من المؤرخين المشتركين فى تلك الحملة الصليبية الثالثة لم يشير اليه بكلمة واحدة ، فامبرواز وروجراوف هوفدن - وقد شاركا فى تلك الحملة وكانا شاهدى عيان لها - لم يشيرا اليه ، وكذلك صاحب الرحلة - الذى ربما كان مشاركا فى تلك الحملة - لم يذكره أيضا (٢٦) . ومن الصعب التكهن

(٢٤) عن بدء الحصار وآراء المؤرخين حوله ، انظر :

Stevenson, *The Crusaders*, 261, n. 5.

Arnold of Lübeck, *Chronica*, 142.

(٢٥)

تدر أرنولد عند السفن التى وصلت بخمس وخمسين سفينة بالانصاف الى خمس سفن كبار محملة بالجنود والمؤن ، كما ورد فى سيتون اسماء القادة الألمان الذين وصلوا على ظهرها ، انظر :

K.M. Setton, (ed. in-chief) *A History of the Crusades* (5 Vols., Philadelphia, 1969-1985). Vol. II, pp. 50-1; Mayer, *The Crusades*, 139.

(٢٦) أورد روجراوف هوفدن اشارة غير مباشرة عن سفن الألمان والدانيين التى استخدم الصليبيون أخشابها كوقود بعد أن نفذ ما لديهم من أخشاب ، وترى مارى لويس أنه من الطبيعى أن تؤخذ أشربة هذه السفن لاستخدامها كخيام لانشاء ذلك

باجابة محددة ، فربما كان لايزال متواضعا ولم يجذب اهتمامات أولئك الكتاب ، أو أنه كان هناك اتجاه مضاد له باعتباره مؤسسة ألمانية ، ولكن الاجابة تزداد صعوبة عندما لا نجد أحدا من المؤرخين الالمان قد أشار اليه أيضا (٢٧) .

يقع تاريخ نشأة ذلك المستشفى الالماني الميداني في الفترة ما بين بدء حصار عكا ومنتصف سبتمبر ١١٩٠م/ ١٨ شعبان ٥٨٦هـ ، وهو تاريخ أول وثيقة يحصل عليها المستشفى الالماني من جاي لوزنيان (٢٨) ، فقد تم انشاؤه من أشعة تلك السفن الهانسية ، وذلك لعلاج الجرحى والمصابين أمام عكا ، وكان موقعه في تلك الفترة - قبل الاستيلاء على عكا - في المنطقة ما بين تورون - أو تل الفخار - الواقع شرق عكا ونهر النعمان Belus . وذلك في المنطقة التي كان يعسكر فيها الالمان أمام عكا على بعد ما بين مائتين وألف وأربعمائة متر من المدينة (٢٩) .

ويرجع انشاء هذا المستشفى الى حاجة الجيش الى مكان لعلاج الجرحى والمصابين أثناء تلك المعارك التي استمرت أكثر من عام ونصف

المستشفى ، أما تاريخ هرقل فان روايته عن المستشفى كتبت في فترة متأخرة ، ويتضح ذلك من روايته عن مشكلة الرداء ، وموقف الاستباقية منها ومحارلتها اخضاعها ، انظر :

Roger of Hoveden, Chronica, (ed. Stubbs. 4 Vols., Rolls Series 51, London, 1868-1833) ii, 127-8.; Estoire de Eracles Empercur, in, R.H.C.-H.Occ. Vol. 2 (Paris, 1859), 140-1.

(٢٧) لم يشر أرنولد أوف ليبوك الى نشأة هذا المستشفى الالماني ،

انظر :

Favreau, Studien, 41-3.

Strehlke, no. 25.

(٢٨)

Narratio, p. 159 Z 5.

(٢٩)

وقد أشارت المصادر العربية الى مواقع الجيوش الصليبية عند بدء الحصار ، اذ ذكر ابن شداد أن الملك جاي وضع خيمته على تل المصليبين قريبا من باب البلد - انظر : النوادر ، ص ١٠٤

أمام عكا ، وأضاف بعض المؤرخين وجود دافع قومي أو وطني لإنشائه ، خاصة وأن مستشفيات الداوية والاسبتارية لم تكن سوى للايطاليين والفرنسيين (٣٠) ، ولكن ماري لويس عارضت هذا الدافع ، وأشارت الى أن مسألة الشعور المعادي للالمان لم تكن قد اتضحت بصورة تستحق الذكر عند نشأته ، ولا يوجد أدلة كافية على وجوده في تلك الفترة المبكرة (٣١)

أما التساؤل الخاص حول من قام بإنشاء هذا المستشفى (٣٢) ، فعلى الرغم من أن معظم المؤرخين اتفقوا على أن تجار بريمن وإيبوك

(٣٠) يرى جان ريتشارد نفس الرأي بالنسبة لنشأة المستشفى الالماني ثم تحوله الى جماعة التيوتون بأنه كان بمثابة « جزيرة ألمانية » وسط بلاد تتحدث بالفرنسية ، وبداية الانقسام الذي حدث في الاراضي المقدسة ، أما براور فقد عارض ذلك الرأي ولم ير في نشأته دافعا قوميا أو وطنيا - وعن مختلف الآراء انظر :

Richard, *The Latin Kingdom*, 264-5; J. Prawer, *Historie du royaume Latin de Jerusalem* (Traduit de l'hébreu par. G. Nahon, Second edition, Paris 1975) ii, 62.

Favreau, *Studien*, p. 40.

(٣١)

لا نستطيع أن نأخذ برأي ماري لويس كاملا ، فالشعور المعادي للالمان كان موجودا ، وأشار صاحب الرحلة الى أنه عندما وصل فردريك السوابي الى عكا - كان وصوله عاملا للفرقة وذلك بسبب العداء بين الالمان والفرنسيين ذلك العداء الذي كان قائما منذ فترة بعيدة « على حد قوله ، غير أنه ربما لم يكن هو الدافع الرئيسي لإنشاء المستشفى . انظر :

Favreau, *Studien*, p. 40.

(٣٢) لن ندخل في تفاصيل الخلاف بين المؤرخين الحديثين ، والذي لا يزال موجودا بين أصحات نظرية الاستمرارية - والذين يأتي على رأسهم هويتش وفورستريتر - حيث يرون في ذلك المستشفى الالماني في عكا استمرار للمستشفى القديم في القدس ، بينما تعارض ماري لويس هذه الآراء وترى فيه مؤسسة جديدة . للمزيد انظر :

Favreau, *Studien*, 95 ff.

هم الذين قاموا بذلك (٣٣) ، الا أننا في حاجة لاضافة ما توصلنا اليه من قبل الربط بينه وبين نشأة ذلك المستشفى ، فقد أثبتنا وجود بعض الالمان مع الملك جاي أثناء تجمع الصليبيين عند صور ومشاركتهم في معارك وقتت هناك ، ثم اتجاههم الى عكا لبدء حصارها معه ، ورجحنا أن أولئك الالمان ربما يكونون من بقايا اخوة ذلك المستشفى الالمانى فى القدس لعدم وصول أى من الالمان المشتركين فى الحملة قبل ذلك التاريخ الذى أوضحناه من قبل ، ونضيف هنا أن أولئك الالمان لابد ون يكونوا قد أسهموا بدور ما فى انشاء ذلك المستشفى الجديد على الاقل بتشجيع أولئك التجار ، ان لم يكن الامر قد امتد الى الاسهام المباشر فى ذلك ، والدليل على ذلك أنهم قاموا منذ البداية بمساعدة جاي فى حصاره لعكا . وربما كان لذلك أثره فى منح المستشفى الميدانى تلك المنحة قبل سقوط عكا (٣٤) وإذا فحصنا الوثيقة بدقة نجد أن اختيارهم لموقع فى صور عكا يبعد عن منطقى الداوية والاسبتارية يد ل على حرص المؤسسة الجديدة على أن تكون بمنأى عن هاتين الجماعتين منذ البداية (٣٥) . كما أن اختيارهم

(٣٣) كان هناك رأيان فيما يتعلق بوصول أولئك التجار الى عكا ، فقد أشار البعض الى أنهم قدموا مع الدوق أدولف الثالث من هولستين ، والثانى أن المستشفى قام بتشجيع من الدوق نفسه ، ولكن يجب أن نلاحظ أن هذا الدوق كان قد اتجه مع الجيش البرى الى الاراضى المقدسة . وبعد وفاة فردريك بربروسا اتجه الى صور التى وصلها بعد ١٠ يونيو ١١٩٠ م/ ٥ جمادى الاولى ٥٥٨٩ هـ على الاقل ، وهناك علم ببعض المشاكل فى اقطاعيته فعاد تاركاً الجيش فى صور . وكان أولئك التجار من بريمن وليبوك قد وصلوا قبل فترة طويلة من مدده الى صور ، حيث أبحروا على ثلاث سفن من بريمن و ٤ سفن من ليبوك . انظر :

R. Ehmek, «Die Fahrt der Bremer und Lübecker nach Acon und die Stiftung des Deutschen Ritterorden», *Bremisches Jahrbuch* (2-1, 1865). p. 162; Tumler, *Der Deutschen Orden*, 25, n. 2; Favreau, *Studios*, 36, n. 10-11.

Strölke, no. 25.

١

(٣٤)

Daillicz, *Les Chevaliers teutoniques*, 24.

(٣٥)

للمضيعة الارمينية السابقة في عكا يدل على معرفة سابقة بالمدينة وبأحوال الاراضي المقدسة ، وهذا لن يتأتى لأولئك التجار من بريمن ولييبوك القادمين من الغرب الاوروبى ومعلوماتهم لاشك سوف تكون محدودة . وكما اشارت مارى لويس أنهم كانوا يأملون فى أن يحلوا محل هذه المضيعة الارمينية (٣٦) . ومما لا شك فيه أن كل ذلك دليل على مشاركة أولئك الالمان الذين كانوا أمام صور بدور ما فى عملية التأسيس ، ألا أنه لا توجد لدينا تفاصيل محددة عن هذا الدور . وقد يتساءل البعض لماذا لم يقيم أولئك الاخوة الالمان بإنشائه ؟ فمما لا شك فيه أنهم كان لديهم معرفة سابقة بمرسومى البابا كلستين الثانى واحتمال قيام الاسبترارية بالمطالبة باخضاعه لسيطرتهم اذا ما قاموا هم بعملية التأسيس ، فأرادوا أن يتحاشوا ذلك ، وساعدوا تجار بريمن ولييبوك بإنشاء ذلك المستشفى الميدانى أمام عكا .

على أية حال ، فانه على حد قول فورستريتير - « سوف يظل غامضا دائما ، ما حدث حقيقة فى تلك الخيمة أمام عكا ، وتحت أشعة تلك السفن اللاهتسية ، ومن أهم أولئك الاشخاص » (٣٧) . وقد ظل ذلك المستشفى تحت رعاية أولئك الالمان الموجودين أمام عكا - أو تجار بريمن ولييبوك على ما ذكرته « الرواية Narratio . حتى وصول فردريك السوابى الى عكا فى ٧ أكتوبر ١١٩٠م / ٦ رمضان ٥٨٦هـ (٣٨) . ومنذ

Favreau, *Studen*, 44-46.

(٣٦)

Forstreuter, *IIZ*, p. 708.

(٣٧)

(٣٨) ذكر سيكرادافوف كريمونا أن الالمان وصلوا الى عكا فى سبتمبر ١١٩٠م / شعبان ٥٨٦هـ ، بينما حدد ابن شداد وصولهم فى ٦ رمضان / ٧ أكتوبر . وذكر ابن شداد أن فردريك ومعه نفر يسير قد وصلوا فى ذلك اليوم ، وكان رجاله الذين وصلوا الى صور قد اتخذوا الطريق البرى الى عكا فى أواخر شعبان / أواخر سبتمبر . وبذلك تتفق الروايتان . انظر : ابن شداد : النوادر ، ص ١٣٩ ، Sicardi, *Cronica*, 612. كما تعددت آراء المؤرخين فى عدد القوات

التي وصلت معه - وكان أكثرهم مبالغة أرنولد أوف ليبوك الذى قدرها بعشرة آلاف فارس - وأقلهم سبعمائة فارس ، انظر: R. Röhrich, *Geschichte des Königreiches Jerusalem*, (1100-1291), (Innsbruck 1898), 533, n. 8.

وصوله عمل فردريك على الاهتمام بهذا المستشفى وتعهده برعايته ومحاولة الحصول على اعتراف به من البابوية . وعندما أراد أولئك التجار العودة الى بلدهم ، قرر فردريك أن يعهد بالمستشفى الى القس المعاون كونراد ، وبركارد أمين الخزانة (٣٩) ، وتحول هذا المستشفى الى جمعية تقوم على رعاية المرضى والفقراء ، وقد تعددت الاسماء التي أطلقت عليه في هذه الفترة المبكرة منها : « مستشفى القديسة مريم للتيوتون في القدس »

Hospital Sancte Marie Theutonicorum in Jerusalem

و « مستشفى القديسة مريم لمنزل التيوتون في القدس » Hospitale sancte Marie domus Theutonice in Jerusalem. Das spitall Sandt Marien des tewschen hawss von Jherusalem ونفس التسمية بالالمانية القديمة وكما هو واضح أن اسم القدس موجود في لقب المستشفى . وأوضحت الرواية Narratio أن الاخوة الالمان كانوا ياملون عند استعادة القدس أن يصبح المركز الرئيسي له بها (٤١) .

(٣٩) لا توجد معلومات عنهما سوى ما ورد فقط في الرواية — وتري ماري لويس أنهما ليسا أول أعضاء ذلك المستشفى . وسوف نتناول فيما بعد قادة هذا المستشفى وآراء المؤرخين حول ذلك .

Favreau, Studien, 47.

U. Arnold, «Entstschung und Frühzeit des Deutschen ordens (٤٠) (Die Geitrichen Ritterorden Europas, XXVI, 1980). p. 88.

(٤١) كان وجود اسم القدس في لقب المستشفى دافعا لبعض المؤرخين للربط بينه وبين المستشفى الالمانى بها ، وقد ثارت مناقشات عنيفة حول ذلك — ليس هناك مجال ذكرها — ولكننا نستطيع أن نضيف شيئا ، وهو أن ذلك اللقب اختفى لفترة طويلة ثم عاد للظهور مرة أخرى في فترة الحملة الصليبية الخامسة ، ونرجح أن اختفاءه في الفترة الاولى كان بسبب حرص المستشفى والجماعة الالمانية على عدم الربط بينه وبين ذلك المستشفى الاول في القدس حتى لا تعطى للاسبتارية مجالا للمطالبة باخضاعه لها . ثم عاد للظهور مرة أخرى بعد أن أصبح هرمان دي

وخلال الفترة منذ تولى فردريك المستشفى - وحتى وفاته في ٢٠ يناير ١١٩١م/ ٢٢ ذى الحجة ٥٨٦هـ (٤٢) سعى للحصول على اعتراف به من البابوية . فأرسل الى أخيه هنرى السادس (١١٩٠ - ١١٩٧م/ ٥٨٦ - ٥٩٣هـ) للتوسط لدى البابا كلمنت الثالث (١١٨٧ - ١١٩١م) لئلى يحصل على موافقته انشاء هذه المؤسسة الجديدة ، وفي ٦ فبراير ١١٩١م/ ٩ محرم ٥٨٧هـ وافق البابا على منح مرسوم لاختوة ذلك المستشفى الالماني حيث تعهد فيه بحمايتهم ومنع أية مضايقات تحدث لهم مستقبلا (٤٣) . ويمكن أن نرى فى هذا المرسوم بداية للاعتراف الرسمى بتلك المؤسسة الالمانية فى عكا . أما ذلك المرسوم الآخر الذى نسب الى البابا كلستين الثالث (مارس ١١٩١ - يناير ١١٩٨م) والمؤرخ فى ٢١ فبراير ١١٩٢م/ ٥ صفر ٥٨٨هـ والذى ورد فيه موافقة البابا على منح هنريش فالبوت مقدم الاخوة الالمان النظام الاوغسطينى ، فقد ثبت زيفه لأول مرة فى القرن السادس عشر الميلادى (٤٤) . ولم يكن يستخدم الا نادرا للرد على محاولات الاسبتارية اخضاع ذلك المستشفى لتبعيتهم (٤٥)

وفيما يتعلق بنشاط ذلك المستشفى فى هذه الفترة الاولى فليس واضحا بصورة كاملة ، وذلك لعدم اشارة المصادر اليه . وقد أورد ابن شداد صفا لاحدى المناوشات التى جرت بين الجانبين فى ١١ شوال ٥٨٦هـ/ ١١ نوفمبر ١١٩٠م - بعد وصول فردريك الى المعسكر الصليبي ، ولاحظ أن هناك نشاطا فى هذا الصدام فى الجانب الصليبي حيث كان الفرنج

سالزا مقدما أعلى على الجماعة ، وكان شخصية قوية فحرص على اظهار اللقب مرة أخرى لوجود بعض مشاريع الصلح وعرض فيها اعادة القدس للصليبيين . انظر الفصل الثانى

M. Perlbach, Die Statuten des Deutschen Orden, Halle, 1890).
pp. 159-160.

Faevreau, Studien, 41.

(٤٢)

Strehle, no. 295.

(٤٣)

Strehle, no. 296.

(٤٤)

Favreau, Studien, p. 38.

(٤٥)

يحملون جرحاهم ويدفنون قتلاهم أثناءه » جرح منهم في ذلك اليوم خلق عظيم ، وقتل منهم جملة ، وكانوا اذا جرح واحد حملوه ، واذا قتل واحد منهم دفنوه ، وهم سائرون ، حتى لا يتبين قتيل ولا جريح . وفي الاحتكاك الذى حدث بعد ذلك بيومين لاحظ أيضا نفس النشاط - « فصرع منهم خلق عظيم ، وهم يدفنون قتلاهم ، ويحملون جرحاهم » (٤٦) . وربما كان ذلك بداية لدور ما لهذا المستشفى بعد رعاية وتشجيع فردريك له . وعلى الرغم من أن ابن شداد ذكر أن فردريك لم يشترك بنفسه في هذا الصدام ، إلا أن ذلك لا يعنى بالضرورة عدم قيام المستشفى بأعماله .

وقد أشارت الرواية Narratio الى أن هذا المستشفى كان هو الوحيد أمام عكا . ولكن مارى لويس تعارض ذلك ، حيث ذكر أنه كانت هناك مستشفيات أخرى مثل مستشفى القديس توماس الانجليزى . كما أنه ليس باستطاعة ذلك المستشفى الالماني أن يفى باحتياجات هذه الاعداد الضخمة من الصليبيين من الرعاية والتمريض (٤٧) . ولكن أرنولد يقول أنه ربما كانت تعنى هذه العبارة في الرواية Narratio أنه كان المستشفى الوحيد لللمان ولم يكن هناك غيره (٤٨) . وقد كان لا يزال في البداية متواضعا وصغيرا ويعتمد على الصدقات والتبرعات ، ولذلك فإنه له يجذب اهتمامات أولئك المؤرخين في هذه الفترة المبكرة .

وعقب الاستيلاء على عكا في ١٢ يوليو ١١٩١م/١٧ جمادى أولى ٥٨٧هـ ، حرص اخوة المستشفى على الحصول على موقع ثابت في المدينة . واختاروا مضيقة تابعة للارمن من قبل ، غير أن جاى لم يستطع أن يفى بتعهد لهم ، ومنحهم موقعا آخر بجوارها ، بالإضافة الى أربعة

(٤٦) ابن شداد : النوادر ، ص ١٤٨ .

(٤٧) Favreau, Studien, 41-2; A.J. Forey, «The Military order of

St. Thomas of Acre, English Historical Review (no. xcii,

Júly 1977) 481-503.

Arnold, Entstehung, 83; Tumler Der Deutsche Orden, 580, n.1. (٤٨)

Strehlke, no. 25; cf. also : Favreau, Studien, 44.

Carruca من الاراضى فى عكا (٤٩) . وبهذه الوثيقة فقد حصل المستشفى على أول مقر ثابت له فى المدينة . ثم تلا ذلك حصولهم على المنح والامتيازات . ففى ٢ فبراير ١١٩٢م/ ١٦ محرم ٥٨٨هـ ، تنازل لهم جارنييه دى نابلى مقدم الاستبارية (١١٩٠ - ١١٩٢م/ ٥٨٦ - ٥٨٨هـ) عن قطعة أرض كانت محل نزاع بين جماعته والمستشفى الالمانى . وتبدو أهمية هذه الوثيقة فى أنها اعتراف من جانب الاستبارية بالمستشفى الجديد ، والذي حاولت أن تخضعه لسيطرتها قبل ذلك (٥٠) ثم تلا ذلك منح جاي لوزينان لهم امتد أبراج عكا مشاركة مع أخوة القديس توماس الانجليزى وذلك فى ١٠ فبراير ١١٩٢م/ ٢٤ محرم ٥٨٨هـ (٥١) . ولم تذكر لنا الرواية Narratio شيئاً عن هذه الاملاك السابقة ، وانما ذكرت فقط أنه بعد الاستيلاء على عكا اشترى اخوة المنزل المذكور حديقة أمام باب القديس نيقولا داخل سور المدينة ، وكانوا قد حصلوا على جزء منها كصدقة . وقاموا ببناء مستشفى وكنيسة لهم وبعض المباني الأخرى (٥٢) .

٥٩ : يستطيع جاي . أن يسيطر على عكا ، وذلك لأن الاخوة نَحَسُوهُ لارمن ربما قد حاولوا البحث عن مستعفيهم السابق وحصلوا عليه مرة أخرى بعد أن طالبوا به ، أو أن عملية تقسيم لعسائهم فى عكا تمت عن طريق الملوك الغربيين وليس عن طريق جاي . انظر ر

أما الـ carrucates فهي مساحة من الارض تعادل ما بين ٢٥ و ٢٦ يساوى فدان تقريبا . والـ acres الواحد يساوى أربعة آلاف متر مربع ، أى أنها تساوى ما بين مائة ألف ومائة وأربعة آلاف متر مربع . أما مارى لويس فقد قدرتها بمائة وأربعين ألف متر مربع - عن ذلك انظر :

J. Riley-Smith, *The Feudal Nobility and The Kingdom of Jerusalem (1174-1277)* (London 1973), pp. 41-2; Favreau, *Studien*, 44.

Strehlke, no. 26.

Strehlke, no. 27.

«Narratio», 159. Z. 38 ff.

(٥٠)

(٥١)

(٥٢)

وهكذا استقرت تلك المؤسسة الألمانية ، والتي ستتحول بعد ذلك الى جماعة الفرسان التيوتون ، في هذه المنطقة في سور المدينة ، وظلت بها حوالى قرن من الزمان . ولا شك أن وجودها في حاضرة تلك المملكة الصليبية الاسمية قد ساعد على نموها وتطورها ، فقد كانت عكا مدينة تجارية ضخمة من ناحية ، كما أن وجودهم بها من ناحية أخرى ساعدهم على المشاركة في تصريف امورها (٥٣) .

وفيما يتعلق بمن تولى قيادة المستشفى الالماني في هذه الفترة المبكرة ، فلا تزال آراء المؤرخين الحديثين تتفاوت بشأنهم ، ولعل ذلك يرجع ، كما أشار فورستريتر الى تضارب البيانات الشخصية فيما يتعلق بأولئك الاشخاص في هذه السنوات العشر الاولى من تاريخه (١١٩٠ - ١٢٠٠م / ٥٨٦ - ٥٩٦هـ) (٥٤) . وأول اشارة عمن تولى هذا المستشفى في الوثائق هو سيبراند Sibrand ، وذلك في وثيقة ترجع الى منتصف سبتمبر ١١٩٠م . ولا توجد أية معلومات عنه سوى ما ورد في الوثيقة ، وكل ما اثير حوله من آراء كانت مجرد آراء نظرية بحثة (٥٥) . أما الرواية Narratio فلم تذكر لنا شيئا عنه ، ولا نجد تفسيراً لذلك . وترى ماري لويس أن المناقشة حول شخصية سيبراند لن تضيف شيئا جديا ، فمن الثابت وجوده في وثيقة حقيقية وموقع عليها من الملك جاي لوزينان ، وعلى هذا فان الاسقف كوانراد ورئيس الخزانة بركارد ليسا هما أول أعضاء ذلك المستشفى كما اشارت الرواية Naratio ، وانما سيبراند ، لأنه من الطبيعي أن يكون المؤسس هو أول الاعضاء (٥٦) .

(٥٣) عن عكا في هذه الفترة انظر :

E. Jacoby, «Crusader Acre in The Thirteenth Century: Urban Layout and Topography», 44.

Forstreuter, HZ, 705. (٥٤)

Strchlke, no. 25; cf. also : Favreau, Studien, 47. (٥٥)

(٥٦) ذكر تملر أنه كان أول قائد للمستشفى الالماني في عكا ، أما هوبتش وفورستريتر فقد طبقا بينه وبين سفيرين Severin والى ورد ذكره في وثيقة عام ١١٨٦م / ٥٨٢هـ ، وقد أخذ كلاهما بالوثيقة على الرغم من ثبوت تزويرها وعدم صحتها ، وأشار

ثم يلي ذلك الإشارة الى كونراد وبركارد ، اللذين عهد اليهما فردريك السوابي بتولى مسئولية المستشفى بعد رحيل تجار بريمن وليبيوك عائدين الى بلادهم ولم تشر اليهما سوى الـ *Narratio* ، ولذا فانه من الصعب التكهن بأية معلومات عنهما ، خاصة وانه لم يعثر على أية اشارة عنهما في المصادر الأخرى حتى الآن . وظهر اسم جراديوس أو جيرارد - في وثيقة بتاريخ ٢ فبراير ١١٩٢م/٢٦ محرم ٥٨٨هـ ، « الاخ كورادو ، مقدم اسبتار الالمان ، في عكا *Fratri Gerardo* (٥٧) *magistro hospitalis Alamannorum, quod est in Accon*.

وبعدها بثمانية أيام في وثيقة أخرى يظهر اسم الاخ كورادو *Fratri Curaudo* (٥٨) وترى ماري لويس أنه من خلال التقارب في الاسمين فهما لشخص واحد تولى مسئولية المستشفى خلال هذه الفترة (٥٩) .

أما هنري مسئول المستشفى فقد ظهر في وثيقتين احدهما مؤرخة في فبراير ١١٩٣م/صفر ٥٨٩هـ ، والأخرى في أكتوبر ١١٩٤م/شوال - ذو القعدة ٥٩٠هـ (٦٠) . وربما كان مسئولا عن المستشفى في الفترة ما بين عامي ١١٩٣ و ١١٩٤م (٥٨٩ - ٥٩٠ هـ) كما اشارت الوثيقتان . وفي

شترالكة نفسه الى عدم صحتها ، وبالتالي فانه من الصعب التكهن بانه نفس الشخصية . وأشار تملر الى أن ادولف الثالث كونت هولستين قام بنقل قيادة الالمان الشماليين الى سيبراند هذا ، قبل عودته الى المانيا . ولكن ماري لويس ذكرت أنه لم يثبت وجود اسم سيبراند هذا ضمن وثائق بريمن وليبيوك . انظر عن ذلك :

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 25. n. 2, 30; Hubatsch, «Montfort»; 160-166, Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 22; Favreau, *Studien*, 47-8, 140.

Strehlke, no. 26. (٥٧)

Strehlke, no 27. (٥٨)

Favreau, *Studien*, 48; Arnold, «Entstehung», 86. (٥٩)

«Henrico, hospitalis Alemannorum in Accon prior» Strehlke, (٦٠)

أحدى الوثائق المؤرخة بعام ١١٩٥م/٥٩١هـ ، ظهر اسم الريخ Ulrich ضمن قائمة الموقعين على إحدى الوثائق في الغرب الأوربي ، وقد اختلفت الآراء حول شخصيته ، وما إذا كان مقسدا لبقايا أخوة ذلك المستشفى الألماني في القدس والذين كانت لاتزال لهم أملاك في ألمانيا كما أشارت ماري لويس (٦١) ، أم أنه ضمن الأخوة الألمان الجدد الذين تولوا مسؤولية ذلك المستشفى الألماني في عكا كما أشار أرنولد بذلك . وأخيرا يظهر هنريش في وثيقة مؤرخة في مارس ١١٩٦م/ربيع آخر ٥٩٢هـ (٦٢) .

أما فيما يتعلق بالامتيازات التي حصل عليها المستشفى الألماني في عكا خلال هذه الفترة وقبل تحوله الى جماعة عسكرية فقد كانت تزداد يوما بعد يوم ، فعقب الاستيلاء على عكا ، حصل على المقر الثابت له في سور المدينة ، ثم تلا ذلك حصوله على الأرض التي أقام عليها مبانيه ، وضمن عدم الدخول في منازعات مع مالكيها عندما حل الملك جاي لوزينان هذه المشكلة معهم وعرضهم عن ذلك (٦٤) . ثم حصل الأخوة على أحد أبراج المدينة مشاركة مع أخوة القديس توماس ، ولكنه لم يسمح لهم ببناء أية مبان في هذه المنطقة وذلك حتى لا تعرقل عملية الدفاع عن هذه

Favreau, Studien, 142.

(٦١)

Strehlke, no. 32.

(٦٢)

(٦٣)

Tumler, Der Deutsche Orden, 30; Forstreuter, Der Deutsche Orden, 27, Hubatsch, «Montfort», 173.

(٦٤) حدث نزاع بين مالكي الأرض الأصليين وهم فيمانوس Femianus وزوجته دولكس Dulcis وابنهما يوحنا Iohanne

، ، وبين المستشفى . وقام الملك جاي بحل المشكلة وتعويض أصحاب الأرض الأصليين باعطائهم قطعة أرض أخرى بدلا منها . وقد ذكر جان ريتشارد ولوران ديليه أن جاي باع لأخوة المستشفى الألماني حيا من أحياء عكا عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ . وله يرد ضمن وثائق شترالكة ما يشير الى ذلك . والذي أعطاهم هذه الامتيازات هنري صاحب شامبانيا وليس جاي . انظر :

Richard, The Latin Kingdom, Vol. A., 265;

Dahiez, Les Chevaliers teutoniques, 34.

المنطقة ، أو قد يستغلها الاعداء عند مهاجمتهم للمدينة (٦٥) .

وفي وثيقة عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ حصل الاخوة على البريكان (٦٦) وأجزاء السور والخندق والبرج ، واشترط عليهم هنرى صاحب شامبانيا (مايو ١١٩٢ - سبتمبر ١١٩٧م/جمادى أولى ٥٨٨ - شوال ٥٩٣هـ) الاتفاق على أعمال التحصينات في هذه المنطقة اذا ما دعت الضرورة لذلك (٦٧) . ويتضح من هذه الوثيقة أن المقدرة المالية للمستشفى بدأت تظهر بصورة واضحة ، لأنه بدونها لن تستطيع الصرف على هذه الاعمال ، ولكن هذا لا يعنى أن مقدرة المالية وصلت الى نفس مقدرة الداوية والاسبتارية ، فقد كان لا يزال يخطو خطواته الاولى . وفي نفس العام ، منبج لهم هنرى صاحب شامبانيا ضياعا في كفيوسف Cafresi (٦٨) . وكان ذلك بداية الحصول على مورد مالى ثابت المصرف على ما يقوم به من أعمال ، وربما كان ثمة ارتباط بين الوثيقتين ، فقد يكون الاخوة طالبوا بالحصول على ذلك المورد الذى يتيح لهم القيام بهذه الاعمال التى وكلوا بها . وفي نفس الوثيقة حصلوا على Vautam في سور عكا بالقرب من باب القديس نيقولا - وتعنى اما فتحات في سور المدينة أو مبنى مكونا من طابقين في داخل السور (٦٩) . وكما هو واضح

Strehlke, no. 27.

(٦٥)

(٦٦) ليس معروفا على وجه الدقة ما اذا كانت هذه الكلمة عربية أو فارسية الاصل ، ولها عدة معان فهى تعنى بيت الحارس أو نوعا من التحصينات للدفاع عن برج أو باب أو كوبرى . انظر :

Prawer, The Jerusalem The Crusaders, p. 3.

(٦٧) أشارت مارى لويس الى وجود وثيقة أخرى مماثلة لدى

الاسبتارية . وناقشت العلاقة بينهما بالتفصيل ، انظر :

Strehlke, no. 28, cf. also : Favreau, Studien, 58-4.

(٦٨) وردت بصيغ مختلفة في الوثائق منها Caplarsin و

Cafriasif وتقع على بعد عشرة كيلو مترات شمال شرقى عكا ، انظر :

G. Beyer, «Die Krouzfahrergebiete Akko and Galilaea»

ZDPV, Lxvii (1944-5), p. 204; Tumler, Der Deutsche

Orden, 32.

Strehlke, no. 29.

(٦٩) .

حرص اخوة المستشفى على تكوين منطقة لهم في سور المدينة وخاصة عند باب القديس نيقولا مثلما كان للداوية والاسبتارية أحياءهم الخاصة بهم في المدينة .

وفي أكتوبر ١١٩٤م/شوال - ذو القعدة ٥٩٠هـ كانت أولى الخطوات نحو التمتع بامتيازات الجماعتين الكبيريتين ، فقد حصل المستشفى على اعفاء من الرسوم المفروضة على جميع المؤن والملابس والاستخدامات الشخصية الخاصة بهم (٧٠) . وترى ماري لويس أن ذلك كان البداية نحو الاعتراف به كجماعة رهبانية وذلك قبل سنوات قليلة من تحوله الى جماعة عسكرية (٧١) ، وربما كان ذلك سياسة من جانب اخوة المستشفى لمعرفة رد الفعل لدى الجماعتين الكبيرتين اذا ما فكروا في التحول الى جماعة عسكرية .

وبعد أن ثبتت أقدام المستشفى في عكا بدأ الاخوة في التفكير للحصول على أملاك خارج عكا ، وبالفعل حصلوا في ابريل ١١٩٥م/ربيع آخر ٥٩١هـ على منزل وحديقة محيطة به في صور ، بالإضافة الى اثنين من الـ carractues من الاراضي في شدينه Sedinum (٧٢) . وتلا ذلك أيضا في مارس ١١٩٦م/ربيع آخر ٥٩٢هـ حصولهم على أرض فضاء ومنزل بجوار قلعة المدينة (٧٣) . وجدير بالذكر أنه فيما يتعلق بهذه الامتيازات والمنح سواء في عكا أو صور أو يافا ، فليس هناك اعتراضات فيما يتعلق بها . ولكن ورد في وثيقة للبابا كلستين الثالث أنه وثق منحها وأملاكا خاصة بالمستشفى الالماني في الاماكن السابقة بالإضافة الى أملاك أخرى في عسقلان و Zamzi ، ومنزل واقع عند الرملة (٧٤) . أما فيما

Strehlke, no. 30.

(٧٠)

Favreau, Studien, 59.

(٧١)

Strehlke, no. 31.

(٧٢)

أما شدينه Shadineh Sedinm فتقع شمال صور انظر :

Prutz, Die Besitzungen, 16. وكذلك خريطة أملاك الجماعة رقم

Strehlke no. 32.

(٧٣)

Strehlke, no. 296.

(٧٤)

يتعلق بعسقلان فلم تكن تابعة آنذاك للصليبيين أو المسلمين وتركت مخربة بموجب صلح الرملة حتى عام ١٢٣٩م/٦٤١هـ . عندما استولى عليها الصليبيون مرة أخرى (٧٥) . أما Zamzi فلم يتم التوصل الى موقعها - وان كان فورستريتر يقترح أنها ربما في قيسارية (٧٦) . أما فيما يتعلق بالرملة فيموجب الصلح كانت مناصفة بين الجانبين الاسلامي والصليبي . ولا شك ان هذا المنزل التابع للمستشفى الالماني كان يوجد في الجانب الغربى منها وهو التابع للصليبيين (٧٧) .

ولا خلاف ان هذه المنح والامتيازات التى حصل عليها المستشفى الالماني فى الفترة السابقة على تحوله الى جماعة عسكرية ، قد أسهمت الى حد كبير فى تدعيمه وحصوله على الموارد التى كفلت له البقاء فى هذه الفترة الصعبة لكى يجد له موطئا بين الجماعتين الكبيرتين .

ولكن التساؤل الهام الذى يفرض نفسه هنا هو ما هى طبيعة الدور الذى أسهم به فى الفترة السابقة ؟ هل اقتصر دوره على النواحي الخيرية ، أم أسهم بدور عسكرى فى تلك العلاقات الصليبية الاسلامية ؟ وقد اختلف المؤرخون الحديثون ، أيضا ، حول طبيعة هذا الدور خاصة فى هذه الفترة المبكرة لنشأته .

Benvenisti, *The Crusaders*, 120; Mayer, *The Crusades*, 249. (٧٥)

(٧٦)

بعد مراجعة قائمة أملاك قيسارية التى قام الظاهر بيبرس بعد استردادها للمدينة فى ١٢٦٥م/٦٦٣هـ بتوزيعها على أمرائه وقادته لم نعثر على هذا الاسم فيما بينها ، ومن الجائز أنها ربما تقع فى المنطقة ما بين عسقلان والرملة ، وسبب ذلك أنه طبقا للترتيب الوارد فى الوثيقة لفائمة الاملاك يتضح أنها مرتبة بحسب وقوعها من الجنوب الى الشمال على النحو التالى - عسقلان ، Zamzi الرملة ، يافا ، عكا ، كفريوسف ، ثم صور .

Strehlke, no. 296.

(٧٧)

G. Beyer, «Die Kreuzfahrergebiete Südwest plastinas», in :
Beitrage Zur biblisch Landes-und Altertumskunde,
Lxviii (1946-51), p. 164.

وللاجابة عن هذا التساؤل السابق لابد أن نعود الى الوراء مرة أخرى ، وبالتحديد عندما بدأ الصليبيون حصارهم لعكا ، فما لا شك فيه أن أولئك الالمان الذين قدموا مع جاي من صور أو الذين وصلوا عبر الطريقين البحري والبري ، قد أسمهوا جمعيا في ذلك القتال الذي دار طيلة ما يقرب من عام ونصف حتى سقطت المدينة في قبضتهم ، كما أن وصول فردريك السوابي الى عكا كان له أثره على أولئك الالمان الذين تعهدهم برعايته وعنايته ، وأشار ابن شداد الى أن وصوله كان له « وقع عظيم عند الطائفتين » (٧٨) . فعقب وصوله ببضعة أيام أراد أن يختب قوة المسلمين ، ووبخ الصليبيين لطول مقامهم أمام عكا ، فخرج ومعه الجيش الصليبي لمهاجمة المسلمين ، ولكنه منى بهزيمة شديدة وعاد بعدها الى المعسكر وهو لا يصدق أنه نجا بنفسه . وهنا رأى فردريك أن يغير من خطته مفضلا البقاء أمام عكا لكي يهاجمها . « فاتخذ من الآلات العجيبة والصنائع الغربية ، ما أهال الناظر اليه من شدة الخوف على البلد ، واستشعر آخذ البلد من تلك الآلات ، وخيف منها عليها » (٧٩) ومما لا شك فيه أن فردريك عندما وصل الى عكا كان ومن معه من رجاله في حالة لا تسمح لهم بالقتال لشدة ما عانوه خلال تلك الرحلة الطويلة والمرض الذي ألم بهم أثناءها ، وعلى حد قول ابن العديم « رجاله ضعفاء ، لا ينفعون » (٨٠) . ويتفق معه انسبرت - مؤرخ الحملة - و أن أولئك الرجال كانوا ضعفاء ومات الكثيرون منهم عندما وصلوا الى عكا (٨١) . ولا شك أن أولئك الرجال الالمان الذين تعهدهم فردريك برعايته وعنايته ، بذل أسمهوا بدور ما في هذه العمليات الى جانب فردريك ، خاصة في نواحي التمريض وخلافه ، وربما تعدى ذلك الى اسهامهم المباشر في تلك المعارك . وربما نتيجة لهذا الدور أعطى لهم جاي تلك المنحة في منتصف سبتمبر ١١٩٠م / ١٨ شعبان ٥٨٦هـ .

(٧٨) ابن شداد : النوادر ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٧٩) نفسه ، وكذلك عن وصف هذه الآلات العجيبة انظر ص ١٤١ -

١٤٢ من نفس المصدر .

(٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ٨٦١ .

(٨١) Ansbert, Historia, 93, cf. also : Setton, History, ii, 119.

وفي تلك المنحة المؤرخة في ١٠ فبراير ١١٩٢م/١٦ محرم ٥٨٨هـ ، حصل المستشفى الالماني على أحد أبراج عكا والذي كان يشاركهم فينه اخوة القديس توماس الانجليز ، وقد نبه على الاخوان الرهبان بعدم انشاء أية مبان في هذه المنطقة لعدم استغلالها من جانب الاعداء في تسلق سور المدينة ، كما انهم لم يحصلوا على سلاسل هذا البرج ، وبالتالي فلم يكن بإمكانهم الدفاع عنه ، كما ورد في نفس الوثيقة أن الاخوة أعطوا الملك جوادا كانوا يمتلكونه . وترى ماري لويس ن الاخوة لو كان لديهم أي اهتمام بمثل هذه النواحي القتالية لاحتفظوا به ، وتضيف أن المستشفى الالماني ومستشفى توماس كانا جمعيتين دينيتين بدون واجبات عسكرية ، ولذلك فان كليهما لم يستفد منه ولم يستغل عسكريا ، وانما كان كلاهما مشتركين في نفقات الاحتفاظ به (٨٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، فان منح البرج لـ اخوة المستشفى له دلالة ، فقد أصبحوا مسئولين عن جزء من سور المدينة وأحد الابراج - ولو من الناحية المالية ، ولم تشر الوثيقة اذا ما كان هذا هو الجواد الوحيد الذي يمتلكه الاخوة الرهبان او انهم كان لديهم غيره . أما فيما يتعلق بكونهم جمعية دينية بدون واجبات عسكرية ، فقد كانت هناك جماعات دينية أسهمت بدور عسكري في نفس الفترة . مثال ذلك جمعية البيازنة التي التي أسهمت في الدفاع عن صور في عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ ضد هجمات صلاح الدين (٨٣) . « in defensione Christianitatis et tyris »

أما وثيقة هنري صاحب شامبانيا في عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ ، فقد كانت أكثر تحديدا فيما يتعلق بواجبات عسكرية نتيجة حصوله على « البريكان وأجزاء في الابراج والاسوار والخنادق » (٨٤) *barbacaram, turres, muros, fossatum* ولكن ماري لويس عارضت ذلك ، وذكرت أن الامر كان يتعلق فقط بالانفاق على هذه التحصينات عند الحاجة ، وليس الدفاع عنها ، كما ان الاخوة كانوا يأمون عند مشاركتهم

Strehlke, no. 27, cf. also : Favreau, *Studien*, 76-78.

(٨٢)

Pilley-Smith, « *Confraternities* », p. 307.

(٨٣)

Strehlke, no. 28.

(٨٤)

في النواحي المالية أن يعهد اليهم بدور عسكري ، وتضيف قائلة ان هذه النواحي كانت ذات طبيعة دفاعية فقط ، أما الجانب الهجومي فقد كان يقوم به الداوية والاسبطارية (٨٥) ، وهي ليست واضحة هنا ، وما اذا ما كانت ترى في ذلك واجبا عسكريا عهد به الى اخوة المستشفى أم لا ، فهي تذكر أن عملية الدفاع عن المدينة كانت أمرا طبيعيا بالنسبة للجميع في حالة تعرضها للخطر ، ونتفق معها في هذا ، أما مسألة مشاركة الاخوة فقط في الجانب الدفاعي فتعتقد أن الدور العسكري لا يشترط أن يكون هجوميا ، وايا كانت طبيعة هذا الدور سواء اكان هجوميا أم دفاعيا - فانه يعتبر اسهاما ومشاركة في النواحي العسكرية ، خاصة وأنه خلال الفترة التي أعقبت صلح الرملة لم تكن هناك اشتباكات خطيرة بين الصليبيين والمسلمين حتى وصول الحملة الالمانية في عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ ، وكانت فترة سلام تقريبا بين الجانبين (٨٦) .

ويثور تساؤل هام فيما يتعلق بأملاك المستشفى في جنوب عكا وبصفة خاصة في الرملة و Zamzi ويافا ، وعن وضعها ومن يقوم بحمايتها ، وما اذا كانت مجرد منازل واستراحات للزائرين الالمان الذين يفدون الى الاراضي المقدسة ، لكننا ، للأسف ، لم نعثر سوى على اشارة أوردها أرنولد أوف ليبوك ، فقد ذكر أنه أثناء حصار العادل سيف الدين أبي بكر ليافا في شوال ٥٩٣هـ/أغسطس - سبتمبر ١١٩٧م قتل المسلمين « نزل الالمان الذين بداخلها » (٨٧) . ويجب ان نتوقف عند هذه الاشارة

Favreau, Studien, 163.

(٨٥)

أما فورستريتر فيرى أنه بموجب هذه الوثيقة عهد للاخوة بدور عسكري . انظر :

Forstreuter, Der Deutsche Orden, 35.

(٨٦) أشارت المصادر الاسلامية الى أنه بعد عقد الصلح تردد المسلمون الى بلاد الفرنج وتردد الفرنج الى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر الى البلدان ، وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس وفسح للعساكر . انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

Arnold of Lübeck, Chronica, 199.

(٧٨)

لكى نناقشها ومحاولة التوصل لمعرفة من هم أولئك الالمان ، وهل هم من أخوة ذلك المستشفى الالمانى فى عكا ، أم أنهم من أولئك الالمان المشاركين فى تلك الحملة الالمانية على بلاد الشام ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يجب أن نحدد مهاجمة العادل ليافا وموعد أولئك الالمان الى عكا .

لم تذكر المصادر الاسلامية يوما محددًا لسقوط يافا فى قبضة العادل . فقد أشارت أغلبها الى أن ذلك كان فى شوال ٥٩٣هـ / أغسطس سبتمبر ١١٩٦م ، ولكن ابن الاثير أشار الى أن سقوطها كان فى يوم جمعة دون أن يحدده (٨٨) ، وبعد مطابقة التاريخين الهجرى والميلادى وجدنا أن أيام الجمع فى شهر شوال على النحو التالى : ٦ شوال / ٢٢ أغسطس ، ٢٠ شوال / ٥ سبتمبر ، ٢٧ شوال / ١٢ سبتمبر . أما الجمعة الاولى فقد استبعدناها لأن ابن الاثير أشار الى أن العادل أمضى شهر رمضان وجزءا من شوال قبل أن يتجه الى يافا ، وربما يكون قد أمضى عيد الفطر وذلك انتظارا لتجمع قواته ثم خرج ، وقد حدثت بعض الاشتباكات بينه وبين الصليبيين عند رأس الماء بالقرب من عكا . ولكنه فضل ألا يضيع وقته وجهده فاتجه الى يافا لحصارها . أما يوم الجمعة الموافق ٢٧ شوال / ١٢ سبتمبر فقد استبعدناه أيضا كتاريخ لسقوط يافا ، وذلك لأنه ، وفقا لرواية ابن الاثير ، فإن الصليبيين الذين خرجوا الى يافا لانقاذها علموا بسقوطها عند قيسارية فعادوا أدراجهم الى عكا . وكان سبب تاخرهم هو وفاة ملكهم الكندهرى - أو هنرى ضاحب شامبانيا - كما تسميه المصادر الاسلامية ، ولما كانت وفاته فى ١٠ سبتمبر / ٢٥ شوال ، فمعنى ذلك أن سقوط يافا كان قبل هذا التاريخ . وعلى ذلك فإن سقوطها ينحصر اما فى الجمعة ١٣ شوال / ٢٩ أغسطس أو ٢٠ شوال / ٥ سبتمبر . وعلى الرغم من

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٣٧؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٥٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ٧٥ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، نشر السيد عزت العطار ، ط . ثانياً ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١ ، وأضاف أن العادل بعد دخوله يافا أمر بهدمها فرميت حجارتها فى البحر فى مينائها .

أن رورشت (٨٩) حدده في ٥ سبتمبر/ ٢٠ شوال ، إلا أننا نتشكك في هذا التاريخ ، وسبب ذلك أن هنرى صاهب شامبانيا عرض يافا على عمورى الثانى صاحب قبرص لأخذها ، منقبلا عنم سقوطها في أيدي الالمان أو المسلمين ، وذلك مقابل الدفاع عنها ، وأرسل عمورى رينالد بارليه أحد باروناته للدفاع عنها والتجهيز للحصار المقبل ، ولكن هذا الرجل كان يميل الى اللهو والفجور فلم يقيم بما عهد اليه ، وعندما وصلت هذه الامور الى هنرى تجهز هو للدفاع عنها ، ولكنه مات قبل خروجه (٩٠) . وعلى الأرجح أن هذه الاحداث كلها تمت قبل يوم الجمعة ٥ سبتمبر/ ٢٠ شوال ، لأنه ليس من المتقول أن تتم بين هذا التاريخ وبين ١٠ سبتمبر/ ٢٥ شوال تاريخ وفاة هنرى ، ولذلك فإننا نرجح أنها حدثت قبيل الجمعة ١٣ شوال/ ٢٩ أغسطس وهو التاريخ الذى نرجحه لسقوط يافا . وفي أثناء ذلك كانت طلائع الحملة الالمانية قد وصلت الى الشام ، ولم نعثر فى المصادر الاجنبية أو الاسلامية على موعد محدد لوصولها ، ومن المعروف أن قوات هذه الحملة كانت قد تجمعت فى مسينا بجنوب ايطاليا ، وكانت الاوامر هى انتظار وصول الاسطول الالمانى الذى كان قد أبحر متجها الى الى هناك ، وبعد فترة انتظار وصل ذلك الاسطول الالمانى الذى كان قد أبحر متجها الى هناك ، وبعد فترة انتظار وصل ذلك الاسطول وأبحر معظم الجيش على ظهره فى أول سبتمبر/ ١٥ شوال متجها الى عكا ، وقد اتجه جزء منه بعبادة كورنراد رئيس أساقفة ماين لتتويج ملكها عمورى الثانى لوزينان ملكا على قبرص . ثم وصلت القوات الاساسية فى ٢٠ أو ٢٢ سبتمبر ١١٩٧م/ ٦ - أو ٨ ذى القعدة ٥٩٣هـ (٩١) . وأشار رانسمان

Röhricht, *Geschichte*, 670, n. 8.

(٨٩)

Runciman, *History*, iii, 92-3.

(٩٠)

(٩١) من الثابت وصول الجيش الرئيسى الى عكا ، أما الطلائع الاولى فلم يشر اليها من المؤرخين سوى رانسينان ، وذكر ستيفنسون أن العادل أخذ يافا قبل وصول أغلب الجيش الصليبي الى عكا ، وأشار بقية المؤرخين الى وصول التسم الرئيسى فقط .
للمزيد انظر :

Runciman, *History*, iii, 91; Stevenson, *The Crusaders*, 294;

Mayer, *The Crusades*, 148.

الى أنه وصلت بعض الطلائع الاولى فى أغسطس/شوال من نفس العام (٩٢) . وقد حاولت هذه الطلائع أن تدخل فى اشتباكات مع المسلمين دون أن تستشير حكومة عكا ، فتعرضت بالفعل للهزيمة على يد العادل وارتدت عائدة الى عكا (٩٣) ، وبذلك يتضح أنه حتى اذا كانت هناك طلائع من تلك الحملة الالمانية قد وصلت الى عكا قبل نجساح العادل فى استرداد يافا ، فانها لم تذهب الى يافا ، فقد منيت بالهزيمة . كما أن هنرى صاحب شامبانيا عرض يافا على عمورى دى لوزنيان كما أشرنا من قبل مفضلا عدم سقوطها فى أيدي الالمان أو المسلمين . وهنا نصل الى تساؤلنا السابق عن أولئك الالمان ومن هم . وقد كان اخوة ذلك المستشفى قد حصلوا على أراض لهم خارج يافا ومنزل فى داخل المدينة بالقرب من قلعتها ، مما يعنى تواجدهم فى يافا خلال تلك الفترة التى هاجمها فيها العادل . ولا شك أنهم قاتلوا مع حامية المدينة دفاعا عنها بسبب طبيعة الظروف التى كانت تحيط بهم . وقد أجمعت المصادر الاسلامية على أن دخول العادل الى المدينة كان عنوة مما يشير الى

Runciman, History, iii, 91.

(٩٢)

(٩٣) ذكر أحد المؤرخين الحديثين أنه وقعت معركة بين الصليبيين والمسلمين عند تل التجول - بالقرب من غزة - فقتل المسلمون منهم جماعة « وأسروا ورجعوا بغنائم كثيرة » . والواقع أن من المصادر الاسلامية لم يشر الى معركة حدثت فى هذه المنطقة . وما أشار اليه ابن واصل هو أن هذا المكان كان لتجمع القوات الاسلامية التى تحركت بعد ذلك شمالا عندما علم العادل باتجاه الصليبيين الالمان نحو بيروت للاستيلاء عليها ، كما أن ابن الاثير أشار الى عودة أولئك الصليبيين الذين كانوا قد قدموا لانقاذ يافا من عند قيسارية عندما علموا بنبا سقوطها . أما الاشارة الخاصة بالأسرى والغنائم ، فقد كانت تتعلق باشتباكات حدثت عند أطراف القدس . ورواية ابن واصل فى هذا الشأن : « وكان قبل ذلك - أى قبل تجمع القوات الاسلامية - قد وقع من الفرنج باجناد فى أطراف بلد القدس ، فقتلوا منهم جماعة وأسروا جماعة ، ورجعوا بغنائم كثيرة » . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ٧٤ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٣٧ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩١٩ ، ٩٢٠ .

قتال وقع هناك بدون شك (٩٤) . ولكن للأسف لم يزودنا أرنولد بمزيد من التفاصيل عن ذلك الدور الذي أسهم به أولئك الالمان أثناء حصار العادل ليافا . وممها يكن من أمر ، فان ذلك له دلالة على مشاركة أولئك الاخوة بدور عسكري خلال تلك الفترة من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان سقوط يافا في قبضة المسلمين معناه فقدان المستشفى لأول أملاكه التي حصل عليها في يافا ، والتي لم يمض على حصوله عليها سوى عام ونصف فقط .

مما لا شك فيه أن تلك الامتيازات السابقة والمنح التي حصل عليها أخوة المستشفى الالمانى فى عكا كان لها أثرها عليه ، وبالإضافة الى هذه المهام التي عهدت اليهم ، وكذلك الدور العسكرى الذى ربما أسهموا به فى بعض الاحداث ، كان كل ذلك بمثابة خطوات على الطريق نحو التحول الى جماعة عسكرية . وكان أكثر تلك الخطوات ، هو مرسوم البابا كلستين الثالث فى ٢١ ديسمبر ١١٩٦م/ ٢٨ محرم ٥٩٣هـ ، فقد أمر رجال الدين بامداد الاخوة الالمان بما يحتاجون اليه من أدوات خاصة لأداء الخدمات الدينية بدون مقابل ، كما سمح لهم بدفن أى شخص يرغب فى مقابرهم (٩٥) ، وعدم التعرض لأموالهم بالذهب أو

(٩٤) أشار المقرئزى الى أنه كان بيافا « سبعة آلاف نفس ما بين ذكر وأنثى » ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه فلم يكن بها سوى حامية صغيرة العدد عندما حاصرها العادل . أما العينى فقد ذكر أن أخذ العادل ليافا كان بسبب ما جرى منهم من الغدر . وقال ابن واصل ان دخول يافا كان هجما بالسيف وقتل مقاتلتها . أما ابن الاثير فأشار الى لجوء الحامية الى القلعة ومحاصرة المسلمين لها وأخذها عنوة وقهرا بالسيف . انظر : المقرئزى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٤٠ ؛ العينى ، عقد الجمان ، ج ٢٠ ، ورقة ٢٥١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٧٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٣٧ .

(٩٥) عندما توفى الدوق فردريك السوابى أمام عكا فى ٢٠ ينساير ١١٩١م/ ٢٢ ذى الحجة ٥٨٦هـ حدث صراع بين الاسبتارية والمستشفى الالمانى حول دفنه - فقد طالب الاسبتارية بحق دفنه مدعين أن لديهم مرسوما بابويا يخول لهم الاشراف على جميع

السرقعة أو الاعتداء عليها بأية وسيلة ، مع توقيع عقوبة الحرمان على من يقترب ذلك . أما أهم الحقوق التي منحها لهم فهي الحرية الكاملة في اختيار مقدمهم « *ut eligendi magistrum* » ، وكذلك عدم فرض أية ضرائب عليهم الا من خلال الكرسي البابوي نفسه (٩٦) . ولا شك أن ذلك المرسوم - على الرغم من أن تلك الحقوق لم تكن قاصرة على اخوة ذلك المستشفى - الا أنه يعتبر في حد ذاته دلالة لها أهميتها في التمتع بامتيازات الجماعتين الكبيرتين : الداوية والاسبتارية .

وخلال تلك الفترة المبكرة من تاريخ ذلك المستشفى الالماني حرص البابا على تشجيعه واعطائه المنح والامتيازات خارج الاراضي المقدسة . ففي ٢٠ مايو ١١٩٧م / ١ رجب ٥٩٣ هـ منحه الامبراطور هنري السادس املاكا في ميناء برلاتا الايطالي Barletta . ثم تلا ذلك في ١٨ يوليو / ١ رمضان من نفس العام منحة أخرى في بالرمو بصقلية ،

المستشفيات الموجودة . ولكن الاخوة الالماني أخذوه دون أن يشعر أحد ودفنوه . وعندما وصل الاسبتارية لأخذه لم يعثروا عليه فقد دفنه الاخوة في مقابر الفقراء في تابوت بسيط . وأورد تاريخ هرقل هذه الرواية ، ولكنها مضطربة بعض الشيء - لأنه ذكر أن وفاة الدوق كانت بعد سقوط عكا ، ولكن من الثابت أنها كانت قبل سقوطها ، أما ابن شداد فقد ذكر رواية ربما توضح الاحداث التي جرت عند وفاة فردريك ، اذ أشار الى أن وفاته كانت في ٢٢ ذي الحجة ، وهو يتفق مع المصادر الاجنبية في يوم وفاته . ولكنه أضاف أن الفرنج حزنوا عليه حزنا شديدا ، وأشعلوا نيرانا عظيمة في معسكرهم بحيث لم يبق خيمة الا وأشعل فيها النيران والثلاثة . والواقع أنه ربما نقل الى مستشفى الالماني عندما مرض بمرض الجوف كما أشار ابن شداد ، وبقي فيه فترة الى أن توفي وتم دفنه ثم أعلن نبأ وفاته . وبهذا تستقيم المصادر الاجنبية وكذلك رواية ابن شداد . انظر عن ذلك : ابن شداد : النوادر ، ١٥٤ ، وأيضا

Estoire dé Eracles, 141.; Favreau, *Studien*, 48-49.

Strehlke, no. 296.

وعدة امتيازات ومنح أخرى في إيطاليا (٩٧) . وهذه الاملاك تبدو في غاية الأهمية بالنسبة لمشاريع هنري السادس ، فقد كان يخطط لمشاريع ضخمة ، من بينها تلك الحملة الصليبية التي بدأ في تنفيذها منذ اعلانه حمل الصليب في عام ١١٩٥م/٥٩١هـ (٩٨) . وكان يرغب في أن تستخدم هذه المراكز التي منحها لآخوة المنزل الألماني في عكا لأمداد وتموين الجيوش الصليبية ، في حالة ذهابها وعودتها من الأراضي المقدسة ، بما تحتاجه خاصة في ذلك الميناء الصليبي برلاتا . وعلى الأرجح أن ذلك كله ارتبط بسياسته التي خطط لها في شرق البحر المتوسط ، وكان لهذا المستشفى دور مرسوم له في تنفيذها . ويضيف المؤرخون الحديثون أنه ربما أراد أن يكون هذا المستشفى الألماني نقطة تجمع وانطلاق لللمان في الأراضي المقدسة ، بل وجرمنة هذه الأراضي ، وتقوية النفوذ الألماني بها ، وهذا فقد عمل على تشجيع ذلك المنزل الألماني بها ومنحه هذه الامتيازات ، بل ربما كان له دور في تحويله إلى جماعة عسكرية ، ولكن وفاته المفاجئة في ٢٨ سبتمبر ١١٩٧م/١٤ ذي القعدة ٥٩٣هـ قوضت كل

(٩٧)

J.F. Bohmer, *Acta imperii Selecta (Urkunden Deutscher Könige und Kaiser 928-1398 mit einem Anhang von Reichssachen)*. (Neudruck der Ausgabe Innsbrück 1870-Scientia verlag, Alen 1967, I, nos. 593, 601, 709, 727.

(٩٨) أشار غالبية المؤرخين الحديثين إلى تلك الخطط التي كان يهدف هنري السادس إلى تحقيقها ، فقد حاول أن يجعل من نفسه سيدا على العالم المسيحي بأسره ، سواء في أوروبا أو الدولة البيزنطية ، وقد عمل على تلافي أخطاء والده السابقة فيما يتعلق بعلاقته بالدولة البيزنطية . كما كان يواجه من كونستانس ابنة ملك صقلية وليم الثاني عاملا مساعدا على اتساع طموحاته . فقد ورث العرش الصقلي ، وورث هنري سياسة النورمان السابقة التي تهدف إلى السيطرة على شرق البحر المتوسط ، كما خطط للحملة الصليبية وعرض على البابا أن يكون قائدا لها مقابل جعل العرش الامبراطوري وراثيا ، للمزيد انظر :

Mayer, *The Crusades*, 147; Setton, *History*, ii, 117-120, Richard, *The Latin Kingdom*, 203-4.

خططه ، وذلك عندما كان يستعد لتنفيذ حملته الصليبية (٩٩) ، ولكن
ما تم منها هو تحول ذلك المنتشئ الالماني الى جماعة عسكرية .
والتساؤل هنا : متى وكيف تم ذلك التحول ؟ .

أشرنا من قبل الى محاولات هنرى السادس الامبراطور الالماني من
أجل تحقيق مشاريعه السياسية ، وكانت تلك الحملة الصليبية التى خطط
لها احدى وسائله لتحقيق تلك المشاريع ، وقد وصل الجيش الرئيسى الى
عكا فى ٢٢ سبتمبر ١١٩٧م/ ٨ ذى القعدة ٥٩٣هـ . ولن تدخل فى تفاصيل
تلك الحملة - فليس مجال سردها هنا - ولكنها حققت بعض النجاح
الجزئى فى الاستيلاء على بيروت وصيدا ، وبذلك ربطت ما بين مملكة
بيت المقدس وكونتية طرابلس . ونتيجة لأسباب عدة ، فقد أسرع أولئك
الالمان بالعودة الى صور ومنها الى عكا (١٠٠) . وقبل عودتهم اجتمع

Favreau, *Studien*, 62-3. 113. 142 f. 148 f; Hubatsch. «Mont-(٩٩)
fort: 169.

(١٠٠) اوردت مصادر عربية، لتسار اليها فى ص ١١٤ أحداث هذه
الحملة ، كما يوجد خطاب أرسله تشرى دوق برابات ، والذي
كان قد اختير فائدا للجيش ، الى رئيس أساقفة اللورين يخبره
بأحداث الحملة وما حققه الصليبيون حتى تاريخ إرساله لخطابه ،
وقد أشار الى تقدم الجيش الصليبي الى بيروت واستيلائه عليها
بعد فرار حاميتها . وكذلك الى الغنائم التى حصل الفرنج عليها
منها . ثم اقامتهم حوالى أسبوعين بالمدينة ، ربما قاموا فيهما
بأعمال التحصينات بها ، والتى كان العادل قد خربها قبل
مهاجمة الصليبيين لها فى ٧ ذى الحجة ٥٩٣هـ/ ٢٦ أكتوبر
١١٩٧م . ثم أشار الى أن جميع القلاع بالساحل حتى انطاكية
كانت فى أيدى الصليبيين - ولكنه جانبه الصواب فى ذلك ، فقد
كانت جبلة واللاذقية فى قبضة المسلمين . وقد توقف الخطاب
حتى عودة الجيش الصليبي الى صيدا ، ولم يشر الى حصار
تورون (تبنين) . وكان هدفه حث الصليبيين على القدوم الى
القدس والمشاركة فى الحملة وبخاصة فى اسقفية اللورين ، عن
ذلك انظر :

عدد من البارونات والامراء من الالمان والصليبيين ، بالاضافة الى جانب من رجال الدين الالمان ومن الاراضى المقدسة (١٠١) . وقرر هؤلاء في مارس ١١٩٨م/ربيع آخر ٥٩٤هـ (١٠٢) تحويل المستشفى الالمانى الى

Chronica Regia Coloniensis, Scriptores rerum Germanicarum, usum scholarum, (18) ed. Watz, 1830, pp. 160-1.; Arnold for Lübeck, pp. 205-10.

(١٠١) حضر هذا الاجتماع طبقا للرواية Narratio : هنرى ملك بيت المقدس ، ورؤساء اساقفة الناصرة وصور وقيسارية ، واساقفة بيت لحم وعكا ، ومقدما الداوية والاسبطارية وبعض أخوة الجماعتين ، ورادولف سيد طبرية ، واخوة هيو ، ورينالد سيد صيدا وايمار سيد قيسارية ، ويوحنا أوف ابلين وعدد آخر من مملكة بيت المقدس ، ومن ألمانيا رئيس الاساقفة كونراد من ماين ، والاسقف كونراد من هيلدزهايم ، والذي كان مستشار الامبراطور الالمانى الاسقف فولفجر من باسو ، وبطيريك أكوليا ، والاسقف جاردلف من هلمبرشت ، واسقف ناومبرج ، وهنرى من الراين ، ودوق برانشفيج ، والدوق ثردريك من النمسا ، والدوق هنرى من بربانت - الذى كان قائد الجيش وكونت لندسبرج ، والكونت ديتريش من ميشن والدوق ألبرت من براندبرج ، ومارشال الامبراطورية هنرى من كالدن ، كذلك العديد من الكونتات الآخرين ورجال الامبراطورية . وللمزيد عن هذه الاسماء انظر :

Narratio, 160 Z, 14-25.

(١٠٢) ورد فى « الرواية » أن تاريخ ذلك الاجتماع كان فى McL xxxx quinto mense martio ويمكن أن نقرأه بطريقتين واما « ١١٩٠ الخامس من مارس » أو « ١١٩٥ شهر مارس » . ولكن من الثابت أن الاجتماع كان قبل رحيل الالمان عائدين الى بلادهم وذلك بعد تلك الحملة الصليبية التى كانت فى ١١٩٧ - ١١٩٨م/٥٩٣ - ٥٩٤هـ ، وذكر أحد المؤرخين أنه ربما وردت فى الاصل هكذا MCL xxxviii وقرئت خطأ من الناسخ حيث

نسى وضع iii ، لأن الصواب هو ١١٩٨م/٥٩٤هـ انظر : Tumler, Der Deutsche Orden, 28 n. 6.

جماعة عسكرية متخذة قواعد الداوية فيما يتعلق بالنواحي العسكرية ،
الى جانب قواعد أو نظم الاسبتارية فيما يتعلق بالنواحي الخيرية (١٠٣) .

ومعلوماتنا عن هذا الاجتماع لم ترد سوى في مصدرين ، هما
« الراوية » Narratio ، ومرسوم البابا أنوسنت الثالث (يناير
١١٩٨ - يوليو ١٢١٦ م) في فبراير ١١٩٩ م / ١٨ ربيع آخر ٥٩٥ هـ ،
والذى ورد فيه التصديق على الطلب المقدم من أولئك المجتمعين لتحويل
ذلك المستشفى الالماني في عكا الى جماعة عسكرية (١٠٤) . وقد تناولت
مارى لويس ما ذكرته « الراوية » عن هذا الاجتماع بالتحليل الدقيق
خاصة من ناحية المعلومات الواردة بها وما يتعلق بها من أخطاء (١٠٥) .
فمن الثابت عقد هذا الاجتماع قبل عودة أولئك الامراء ورجال الدين
الالمان الى المانيا وذلك في عكا كما أشار أرنولد أوف ليبوك (١٦) . أما
فيما يتعلق بقواعد الداوية والاسبتارية التى اتخذتها الجماعة الالمانية
للعمل بها ، فقد ثبت أيضا ذلك من خلال المرسوم البابوى السابق .
كما ثبت وجود الاسقف فولفجر من باسو Wolger of Passau في روما
وقت صدور المرسوم لأنه كان مندوبا عن المجتمعين في عكا لى يطلب من
البابا التصديق على قرار الاجتماع (١٠٧) .

أما فيما يتعلق بقائمة الحاضرين في ذلك الاجتماع فتوجد بعض
الاططاء في أسماء الذين أوردتهم « الراوية » . ففيما يتعلق باسم هنرى
ملك بيت المقدس الذى أوردته ، فتقترح مارى لويس أن المقصود هو

Favreau, Studien, 64, ff. (١٠٣)

(١٠٤) وقد أشار البابا الى اتخاذ الجماعة لقواعد الداوية والاسبتارية
في مرسومه ، وحمايته للجماعة الجديدة الناشئة .

Favreau, Studien, 64, ff. (١٠٥)

Arnold of Lübeck, Chronica, 212. (١٠٦)

(١٠٧) يوجد مرسومان صدرا لهذا الاسقف بتاريخ ١٨ و ١٩ فبراير
١١٩٩ م / ١٧ و ١٨ ربيع آخر ٥٩٥ هـ ، أى في نفس تاريخ صدور
مرسوم البابا للجماعة الالمانية : انظر :

Hageneder-Haidacher, Die Register Innozenz, III, (Graz-

Koln, 1964), 1. 824, no. 565. (571) und no. 565 (572).

عمورى لوزينان وليس هنرى الذى كان قد توفى فى ١٠ سبتمبر ١١٩٧م/ ٢٥ شوال ٥٩٣هـ ، وأشارت الى أن ما يؤيد ذلك هو أن هنرى لم يحمل لقب ملك مطلقا . أما كونراد رئيس أساقفة ماين فلم يكن حاضرا الاجتماع ، وذلك لأنه كان آنذاك فى أرمينية لى يتوج أميرها ليو الثانى الارمينى ملكا عليها . ولكن من الضرورى أن يكون قد تم أخذ موافقته كتابة قبل رحيله ، وذلك لما لحضوره من أهمية قصوى بالنسبة للاجتماع . أما بقية الاسماء التى ورد فيها شك فيما يتعلق بالأشخاص أو مناصبهم فقد تناولتها أيضا مارى لويس بالشرح والتعليق . وكان لابد من وجود هذا الطلب لأن البابا لن يوافق على شيء نظرى . وقد كان هناك وقت مناسب مابين عقد الاجتماع فى مارس ١١٩٨م والموافقة عليه من البابا فى فبراير من العام التالى . وترى مارى لويس أن هذه الفترة ، والتى لم يكن يعيرها أى من المؤرخين السابقين أى اهتمام ، هى فترة هامة بالفعل . فخلالها يمكن للامراء الالمان أن يعودوا الى بلادهم ، وأن يكون الاسقف فولفجر المكلف بالذهاب الى روما لعرض الطلب على البابا للموافقة عليه قد تمكن بالفعل من تنفيذ ذلك كله (١٠٨) .

ولكن هناك بعض المعلومات التى وردت فى « الرواية » التى يختلط فيها الخطأ بالعواب . فقد اشارت الى أن مقدم الداوية - دون أن تحدد - قد أعطى لأول أخ فى الجماعة الرداء الابيض - وهو الرداء الخاص بالداوية (١٠٩) . ومن الثابت ارتداء الجماعة للرداء الابيض ، ولكن لم تحصل عليه من الداوية فقد ثارت مشكلة بين الجماعتين بشأنه وذلك فى عام ١٢١٠م/٦٠٦هـ ، واستمر حتى عام ١٢٢١م/٦١٨هـ ، حيث حسمت لصالح الجماعة الالمانية (١١٠) . كما ورد فى « الرواية » أن هنريش فالبوت أول مقدم للجماعة الالمانية كان أصله فارسا ، وقد ثبت بعد ذلك أنه ينتمى الى طبقة برجوازية وليست طبقة الفرسان (١١١) .

Favreau, Studien, 64-71.

(١٠٨)

(١٠٩) طبقا للرواية فان شخصا يسمى هيرمان كيرشهايم Hermann Kirchheim كان أول أخ طلب الانضمام للجماعة ، وتمت الموافقة على ذلك حيث خلع عليه مقدم الداوية الرداء الابيض .

(١١٠) انظر ما يلى الفصل الثانى

Favreau, Studien, 66 n. 22.

(١١١)

على أية حال ، تعددت آراء المؤرخين حول تحول ذلك المستشفى الالماني الى جماعة عسكرية . فقد أشار البعض الى أن هذه الجماعة كانت جزءا من الداوية ثم انفصلت عنها ، أو أن الداوية أسهموا بنصيب في ذلك التحول والواقع أن ذلك يجانبه الصواب ، فلو كانت جزءا من الداوية فلن تسمح الداوية بذلك الانفصال من ناحية ، ومن ناحية أخرى أخذت الجماعة الالمانية بقواعد الاستتارية ولم يكن هناك ارتباط بينهما (١١٢) . ولا شك أن أخذ الجماعة الالمانية في البداية بقواعد الداوية والاستتارية كان خطوة لها ما يبررها . فقد أصبحت جماعة ثابتة ولها قوانينها وقواعدها المحكمة (١١٣) . ولكن ذلك لم يتم فجأة أو بين يوم وليلة . فقد سبقته خطوات منها التمتع بامتيازات الجماعات الكبيرتين من ناحية ، والمساهمة في الدفاع عن تلك المملكة سواء في النفقات أو ربما الاسهام المباشر في الدور العسكري كما أوضحنا من قبل . أما فيما يتعلق بقواعد وتنظيمات تلك الجماعة ، فقد كانت لا تزال في البداية ولم تكتمل صورتها النهائية بعد . وسوف نشير لها في الفصول التالية بعد أن تكتمل وتتضح معالمها .

هكذا كانت نشأة ذلك المستشفى الالماني الميداني أمام عكا ، ثم نحوله الى جماعة الفرسان التيوتون . وقد كانت تلك النشأة في فترة من الفترات الهامة في تاريخ تلك المملكة الصليبية . فقد كانت على شفا جرف هار ، لولا أن تداركتها أيدي الغرب الاوربي . ثم تلا ذلك فترات سلام بين الجانبين الصليبي والاسلامي ساعدت على نموها وتطورها في هدوء .

(١١٢) أما رانسيمان فقد قال ان الجماعة تلقت اعترافا من البابا في عام ١١٩٨م/٥٩٤هـ وقد جانبه الصواب في ذلك . فان مرسوم البابا كان في فبراير ١١٩٩م/ربيع آخر ٥٩٥هـ . كما أشرنا من قبل . أما المؤرخ رى Rey فقد أشار أن موثاخوس بطريرك القدس قام في اجتماع عام لاعضاء الجماعة في ١٩ نوفمبر ١١٩٩م/٢٨ محرم ٥٩٦هـ بمنح لقب أول الاشراف للمقدم الاعلى هنري فالبوت ومعه أربعين فارسا من اخوة الجماعة . ولكنه لم يشر الى مصدره في ذلك ، انظر :

Runciman, History, iii, p. 98; Rey, Les Familles, 898.

Hubatsch, «Montfort», 174.

فحصل أعضاؤها على الامتيازات والمنح الواحدة تلو الأخرى ، والتي أيضا كان لها أثرها بدون شك على نمو الجماعة . فاستطاعت أن توجد لها مكانا بين الجماعتين الكبيرتين ، وأخذ هذا المكان يتسع ويزداد يوما بعد يوم . أما فيما يتعلق بدورها في 'العلاقات الصليبية الاسلامية' ، فقد كان صغيرا في تلك المرحلة المبكرة من نشأتها ، والتي كان السلام أيضا طابعها الغالب الا أنه بتحولها الى جماعة عسكرية ، سوف تسهم بدور نشط. في تلك العلاقات كما سيتضح على امتداد الفصول التالية .

الفصل الثاني

تطور جماعة الفرسان التيوتون ، وعلاقتها السياسية بالمسلمين
حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة
(١١٩٨ - ١٢٢١م/٥٩٤ - ٦١٨ هـ)

- الجماعة في عهد مقدميها الثلاثة الاول (١١٩٨ - ١٢١٠م/٥٩٤ - ٦٠٧ هـ) ، ودورهم في العلاقات الصليبية الاسلامية في بلاد الشام .

- هرمان دي سالزا المؤسس الحقيقي للجماعة (١٢١٠ - ١٢٣٩م/٦٠٧ - ٦٣٧ هـ) ودوره في تدعيمها ، وانعكاس ذلك على سياستها حول المسلمين في بلاد الشام ومصر .

- أملاك الجماعة في مملكة أرمينية الصغرى ، وأثر ذلك على دورها في الصراع الدائر في شمال بلاد الشام بين الملك ليو الثاني وسلاجقة الروم .

- سياسة هرمان في الحصول على مكانة لجماعته تماثل مكانة جماعتي الداوية والاسبتارية ، ونجاحه في ذلك بفضل الامبراطور فردريك الثاني في عام ١٢١٧م/٦١٤ هـ .

- الشخصية العسكرية القتالية للجماعة الالمانية وظهورها على مسرح الاحداث في الشرق اللاتيني :

(أ) دور الجماعة في أحداث الحملة الهنغارية على بلاد الشام (١٢١٧م/٦١٤ هـ) .

(ب) دور الجماعة أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ - ١٢٢١/٦١٥ - ٦١٨ هـ) ، وأثر ذلك على وضعها في المملكة الصليبية .

- المنح والامتيازات التي حصلت عليها الجماعة في الفترة السابقة ، وانعكاس ذلك على مواقفها حيال مسلمي مصر والشام .

تساولت في الفصل السابق نشأة المستشفى الالماني أمام عكا ،
وتطوره حتى تحول الى جماعة الفرسان التيوتون في مارس ١١٩٨م/
ربيع آخر ٥٩٤هـ . وخلال الفترة التي برزت فيها تلك الجماعة الالمانية
على مسرح الاحداث ، كانت الظروف مواء في الغرب الاوربي أو الشرق
اللاتيني ملائمة الى حد كبير لنشأتها . وعلى الرغم من أن الحماس
للمشاركة في الحملات الصليبية قد بدأ يخبو الى حد ما في الغرب ، الا أنه
كانت هناك مجالات جديدة بدأ
الصليبيون يوجهون أنظارهم اليها . فقد تحولت الحملة
الصليبية الرابعة في عام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ الى القسطنطينية وأقامت بها
امبراطورية لاتينية جذبت أولئك المغامرين الجدد . وبدأ العديد من
الامراء اللاتين في الذهاب الى هذه المناطق الجديدة تاركين أملاكهم في الشرق ،
مما أعطى الفرصة لتلك الجماعة الجديدة الناشئة في الحصول على هذه
الاملاك أما عن طريق الشراء أو كهبات ومنح . وقد حرص المقدمون
الاول للجماعة على تكوين مناطق خاصة بجماعتهم متخذين من عكا -
عاصمة المملكة الاسمية للكيان اللاتيني في الاراضي المقدسة - مركزهم
الرئيسي لكي يكونوا على مقربة من الاحداث .

وكان أول من نولى منصب مقدم للجماعة هو هنريش غالبوت (١)

(١) ورد اسمه في المصادر الخاصة بالجماعة بصيغتين هما « هرمان
«Hermann وهنريش Henirich » من المرجح أن تسمية
هنريش الاصحح . وعلى الرغم من أن ماري لويس ذكرت أن
بطرس دوسبرج قد أشار اليه باسم هرمان ، الا أنها قد جانبها
الصواب في ذلك ، لأن النسخة التي تحت أيدينا لبطرس
وردت فيها اشارة صريحة الى أن اسمه هو هنريش وليس
هرمان « Frater Henrico Walpote . وقد سبق أن أشرنا
الى أن أصله لم يكن فارسا ، وانما من إحدى العائلات
التجارية في ماينز . وكلمة Walpote فالبوت أو Wolpoto
- كانت لقبا لحوالي ثلاثين عائلة ، كما تعنى اسما لمنصب تولى
صاحبه مهام فروسية وحراسة في المدينة . ويرى تملر أنها
استخدمت في هذه الفترة كلقب عائلي . أما تاريخ وفاته فلم
يرد الا في حولية المقدمين العظام المصغرة . وربما كان في

Henirich Walpot

(١١٩٨ - ١٢٠٠م / ٥٩٤ - ٥٩٧ هـ) ، حيث

أختير في ذلك الاجتماع الذي تحول فيه المستشفى الالماني الى جماعة عسكرية . وقد عرف اسمه في الادارة البابوية ، بحكم وروده في الالتماس المقدم الى البابا انوسنت الثالث للموافقة على تحويل الجماعة والاعتراف بها . ويجب أن نشير هنا بداءة الى أن هذه الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة وحتى تولى هرمان دي سالزا في عام ١٢١٠م / ٦٠٧ هـ ، لا يزال يكتنفها الغموض من حيث أسماء المقدمين وفترات حكمهم بسبب عدم وضوح المصادر حول هذه المعلومات الشخصية عن أولئك المقدمين . فلم يرد بها سوى اسم كل واحد منهم وتاريخ وفاته ، دون تحديد العام في كثير من الاحيان (٢) .

وعلى الرغم من أن هنريش فالبروت كان أول مقدم للجماعة ، الا أنه لم يظهر له نشاط واضح في تلك الفترة . فلم يرد اسمه في أى من الوثائق الخاصة بها ، وكانت كلها موجهة « لآخوة الجماعة » بصفة عامة (٣) . كما يزداد الامر صعوبة عندما لا نجد أى إشارة عنه في المصادر الأخرى المعاصرة أو المتأخرة نسبيا عن الفترة الزمنية موضوع الدراسة . ولعل تفسير ذلك أن الجماعة كانت لاتزال في بداية عهدها ، وبالتالي لم تجتذب اهتمامات المؤرخين وقتها . أما خليفته أوتومن

الخامس أو التاسع من نوفمبر عام ١٢٠٠م عن ذلك انظر :

Petri de Dusburg, *Chronica Terre Prussie* (übersetzt und erläutert von K. Scholz und D. Wogterki, Darmstadt, 1984) 48-50; «Die Jüngere Hochmeister chronik», Herausgegeben von T. Hirsch, *Scriptores Rerum Prussicarum*, (5, Leipzig 1874, new edition Frankfurt 1965) 55; 62; cf. also : Favreau, *Studien*, 65, n. 8, 72, Tumler, *Der Deutsche Orden*, 29.

(٢) عن هذه المصادر وما أوردته انظر الجزء الخاص بتحليل المصادر والمراجع .

Strehlke, nos. 34-39.

(٣)

كرين (٤) Otto von Kerpen (١٢٠٠ - ١٢٠٩ م / ٦٠٥ هـ) فعلى الرغم من توليه أمور الجماعة طوال تسع سنوات ، إلا أنه لم يرد عنه سوى إشارة في وثيقة خاصة بالجماعة مؤرخة في سبتمبر ١٢٠٨ م / ربيع أول ٦٠٥ هـ (٥) . ويعتقد رى أنه كان مسنا ، مما قد يكون له أثره على عدم ظهوره على مسرح الأحداث بصورة واضحة في تلك الفترة .

وخلال هذه الفترة المبكرة انتشرت الجماعة في مملكة بيت المقدس وكذلك في امارتى انطاكية وطرابلس ، بل ووصلت الى مملكة أرمينية الصغرى . ويتضح ذلك من خلال وثائق المنح والامتيازات التى حصلت عليها وعلى الرغم من ذلك فإن ثالث مقدمى المجاعة وهو هنريش تونا أو المعروف بهنريش بارت أو لم يرد فى أى منها (٦) . ود بلغ عدد الوثائق الخاصة بها فى تلك الفترة المبكرة احدى

(٤) ينتمى أوتو الى احدى العائلات من مدينة بريمن ، ومن المرجح أنه ينتمى الى عائلة كرين . وقد ظهر هذا اللقب لأول مرة فى حولية المقدمين العظام المصغرة . ولكن روايتهم ان نسبه حاائلة . أما بطرس دوسبرج فلم يورد أية تفاصيل عنه سوى انه ثانى المقدمين وأنه حكم الجماعة لمدة بسيطة . اما رى فقد أشار الى أنه توفي فى ١٧ فبراير ١٢٠٦ م ، وهو تاريخ خطأ ، لأنه ورد باعتباره أحد الشهود على وثيقة مؤرخة فى سبتمبر ١٢٠٨ م ، كما أشار الى أنه كان يبلغ الثمانين من عمره دون أن يحدد لنا مصدره فى ذلك .

«Die Jüngere Hochmeisterchronik» 63; Petri Dusburg, Chronica, 50; cf. also, Rey, Les Familles, 901-2; Studien, 72-3. Strehlke, nos. 42, 43.

(٥)

وقد ظهر فى هذه الوثيقة أسماء العديد من اخوة الجماعة الآخرين فى مناصبهم الوظيفية مثل المارشال والقائد العام والمسئول عن المرضى وهذا يدل أن تنظيم الجماعة أخذ فى التطور والوضوح . أما تاريخ وفاة أوتو فربما كان فى ٧ نوفمبر ١٢٠٩ م / ٣٠ رجب ٦٠٥ هـ وهو ما أجمع عليه معظم المؤرخين الحديثين .

(٦) كان الاعتقاد السائد أنه ينتسب الى هولستين أو بايرن ، غير أن أحدث البحوث أرجعت أصله الى ثورنجيا حيث كان من احدى العائلات التى عملت فى خدمة هرمان دوق ثورنجيا .

عشرة وثيقة اشتملت على منح وامتيازات في أماكن مختلفة . وقبل أن تسترسل في ذكر هذه الامتيازات والمنح التي حصلت عليها الجماعة - والتي تنوعت ما بين أراض وقلاع ومنازل ومنح نقدية - فلا بد أن نوضح أن هذه المنح ارتبطت ارتباطا مباشرا بذلك الصراع الصليبي الاسلامي ولا نستطيع أن نفصله عنها . فقد أدت الى اطراد نموها واتساع سلطاتها ونفوذها لتقف على قدم المساواة مع الجماعتين الآخرين . وفي نفس الوقت فانها كانت تسعى وراء تحقيق مصالحها الشخصية وغاياتها الخاصة .

كانت أولى المنح التي حصلت عليها هي تلك المنحة الخاصة بذلك البرج الواقع فوق باب القديس نيقولا في السور الشرقي لعكا ، وذلك في أغسطس ١١٩٨م/رمضان ٥٩٤هـ ، أي بعد تحويلها الى جماعة عسكرية بأشهر قليلة (٧) . أما المنحة التالية فقد كانت في الشمال ، وبالتحديد امارة انطاكية حيث منح لها بوهمند الثالث في يونيه ١٢٠٠م/شعبان ٥٩٦هـ حرية التجارة وشراء احتياجاتها الضرورية دون دفع أية ضرائب او التزامات أخرى (٨) . ولا شك أن هذه المنحة تمثل أهمية خاصة للجماعة بحكم أنها أتاحت لها حرية التجارة في نطاق هذه الامارة الصليبية في شمال بلاد الشام ، مما سيكون له أثره على تدعيم الجماعة من الناحية الاقتصادية . وترى ماري لويس أن هذه المنحة ستكون بغير

وأسماء بطرس دوسبرج باسم هرمان وهو ما سار عليه بعض المؤرخين . ولكن الاسم الصحيح له هو هنريش . أما رى فقد خلط بينه وبين أوتو حيث ذكر أنه حصل على جزء من ميراث جوسلين الثالث ، بينما لم يكن أوتو قد تولى أمور الجماعة بعد . أما تاريخ وفاته فكان في ٢ يونيه دون تحديد للعام . ومن المرجح أنه ١٢١٠م/٦٠٦هـ كما أشارت حولية المقدمين العظام المصغرة . انظر عن ذلك :

Favreau, *Studien*, 73; Tumler, *Der Deutsche Orden*, 31;

Rey, *Les Familles*, 901-2 .

Strchlke, no. 35.

(٧)

وعن هذه المنحة وشروطها انظر ما يلي ص ١٣٧ .

Röchricht, *Regesta*, no. 772; Perlbach, «Die Reste des Deuts-

(٨)

chordens archives in Venedig» *Altprüssische Monatsschrift*, (19, 1882) 647 no. 1.

فائدة لو لم يكن للجماعة أحد المنازل في الامارة قبل تاريخ هذه المنحة (٩) . كما أن هذه المنحة من ناحية أخرى ، سيكون لها ارتباط بدخول الجماعة في دائرة الصراعات التي شهدتها تلك المنطقة واستمرت فترة طويلة كما سنرى فيما بعد . ثم أن الجماعة حصلت على منحة ثالثة مؤرخة في أغسطس ١٢٠٠م/شوال ٥٩٦هـ ، حيث حصلت على منزل في صور دار حوله نزاع بينها وبين ورثة صاحب هذا المنزل . وتم الاتفاق على أن تدفع الجماعة مبلغ مائتي بيزنط اسلامي لورثته ، وحصلت على هذا المنزل والحديقة الخاصة به وكذلك بعض الاراضي ، ولم يعت بعد ذلك من حق الورثة المطالبة بأي شيء (١٠) .

وكما أوضحنا من قبل ، فإن المقدمين الاول للجماعة حرصوا على تكوين مناطق خاصة بها ، وذلك اما عن طريق الشراء أو الهبات حيث كان التركيز في هذه الفترة المبكرة على عكا ، والمناطق المحيطة بها والقابعة لها . وبالفعل استطاعت الجماعة أن تشتري قريتين هما الباصة

Favreau, Studien, 73.

(٩)

(١٠) حصلت الجماعة الالمانية على هذا المنزل في عام ١١٦٥م/٥٩١هـ - ٥٩٢هـ قبل تحويلها الى جماعة عسكرية من ثيودريك أوف سربطا . ثم حدث نزاع بين ورثته وبين الجماعة وتم رفع الامر الى أمليرك لوزينان والمحكمة العليا للفصل في هذا النزاع . وقد حكمت لصالح الجماعة لأن ثيودريك سبق أن وافق على هذه المنحة . أما البيزنط الاسلامي أو العربي فقد كان من الذهب حيث أن الوزن الشرعي له كان يساوي ٤٢٥ جرام . ولم يكن هذا الوزن ثابتا واختلاف باختلاف الظروف السياسية والاقتصادية . وقد استخدم الصليبيون العملة الاسلامية التي كان عليها نقوش اسلامية حتى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ . ثم ظهرت عملة أخرى أمر لويس التاسع بضررها في عكا وهي تقليد للنقود الايوبية مع وضع عبارات مسيحية عليها . وكانت هناك دور ضرب في بعض المدن الصليبية الكبرى . للمزيد عن ذلك انظر : Strehlke, no. 36.

وكذلك : عيد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٨ - ٩ ، ٧٨ وما بعدها .

Lebassa (١١) - الواقعة في الشمال الشرقي من عكا ، بالإضافة الى الاراضى الخارجية في موصاب Missop التى تقع على مقربة من القرية السابقة (١٢) . وقد دفعت مقابلهما الفين وثلاثمائة بيزنط اسلامى للحصول عليهما من أصحابها الاصليين (١٣) . وكما هو واضح فان المقدرة الاقتصادية للجماعة قد ازدادت في فترة زمنية قصيرة منذ نشأتها . كما أن هذه الاراضى الخارجية في موصاب كانت في الغالب اراضى مراعى وليست اراضى صحراوية أو مقفرة . مما يعنى ايضا نشاطا اقتصاديا ملحوظا لها لدعم مقدرتها المالية . ومن ثم شراء الاراضى والقرى التى ستزيد في نفس الوقت من دورها على مسرح الاحداث في الشرق اللاتينى . وفي نفس الشهر السابق حصلت ايضا على أرض بالقرب من Album - الواقعة بالقرب من كفريوسف التابعة للجماعة (١٤) ، فما يدل على استمرار الجماعة في سياستها الرامية الى تكوين مناطق خاصة بها حول عكا .

(١١) تقع على بعد حوالى ١٩ كيلو متر سمر سرف عكا . وقد وردت بصيغ مختلفة منها I.e Basse و Lu Bacc. و Fiesse و Bezet. انظر :

Beyer. Akkon. 190. n ١

(١٢) وردت بصيغ مختلفة منها Mossuba Missop و Messerepte,, انظر :

Beyer, loc. cit.

(١٣) كانت هذه الاراضى تابعة للماريشال يوحنا وقد أراد بيعها للجماعة . وفيما يبدو فانه لم يكن لديه الحق في التصرف فيها ، فقام باعادتها للملك أمريك لورينان ، الذى قام بدوره ببيعها للجماعة الالمانية مقابل المبلغ السابق . انظر :

Strehlke, no. 38. cf. also : Favreau, Studien, 73-4.

(١٤) لم تحدد الوثيقة موقع Album ، وانما ذكرت فقط أنها بالقرب من قرية كفريوسف التى حصلت عليها الجماعة من قبل . كما أن باير أشار الى أنه لم يتم التوصل لموقعها على وجه التحديد ، وربما تقع جنوب غرب قرية عمقا أو Ancre انظر :

Strehlke, no. 39, cf. also : Beyer, op. cit, 187, 190

وعقب فترة توقف دامت حوالى ست سنوات لم يرد فيها أى منحة خاصة بالجماعة ، نجد منحة مؤرخة فى فبراير ١٢٠٦م/جمادى الآخرة ٦٠٢هـ من جوليانا سيدة قيسارية (١١٨٩ - ١٢١٣/١٢١٦م/٥٨٥ - ٦٠٩/٦١٢هـ) (٥) ، اشتملت على عدد من المنازل وبعض الاراضى الخارجية حولها ، بالاضافة الى برجين يقعان فى سور المدينة الشرقى والشارع الممتد فى مواجهة ذلك البرج الرئيسى بالاضافة الى حقل يخص أحد السادة الاقطاعيين تنازل عنه للجماعة ، الى جانب حقلين آخرين وحديقة وقطعة من الارض . وفى الوثيقة وصف يحدد مواقع هذه المنازل والاراضى والحقول السابقة وحدودها (١٦) . أما عن أهمية هذه المنحة فتبدو فى أنها المرة الاولى التى تحصل فيها الجماعة على أملاك جنوب عكا وخاصة فى اقطاعية قيسارية مما سيجعلها على صلة مباشرة بالدفاع عن

(١٥) كانت جوليانا سيدة اسمية لاقطاعية قيسارية فى الفترة فيما بين يوليو ١١٨٩ - ١١٩١م/جمادى أولى ٥٨٥ - ٥٨٧هـ ، عندما استردها صلاح الدين الايوبى ولكنها تولت الاقطاعية عقب عودتها للصليبيين بعد عقد صلح الرملة وذلك لوفاة أخيها جوتيه الثانى دون أن يترك خلفا له . وتزوجت من جاي أوف بيرون ، ثم من ايماردى لا يزون ، الذى كان مارشالا للمملكة فى عام ١٢٠٦م/٦٠٢هـ . وظهر فى الوثائق كسيد لقيسارية منذ يناير ١١٩٣م/محرم ٥٨٩هـ ، وحتى أكتوبر ١٢١٣م/جمادى أولى ٦١٠هـ ، حيث ظهر كمارشال للمملكة فقط دون أن يحمل لقب سيد قيسارية . للمزيد انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ١٦٨ - ١٧١ .

(١٦) كانت هذه المنازل تخص جورج الارمينى وبرنارد فالكيلى وبطرس دى بيوجرانت . أما البرج الرئيسى الذى منح للجماعة فقد أوردته الوثيقة باسم Mallart ولكننا لم نتوصل الى ما يقابله بالعربية . ويقع كما حددته الوثيقة فى السور الشرقى ، وكان يقابله برج صغير آخر ، حيث كان السور مزدوجا . أما الحقلان وقطعة الارض فقد كانا من يوحنا شارلز . وكان من الضرورى على هؤلاء الافصال الحصول على موافقة سيدة الاقطاعية عند التصرف فى أملاكهم ، وذلك بحكم ما أشارت اليه الوثيقة بذلك . انظر : Strehlke, no. 40.

هذه المناطق في حالة تعرضها للهجوم من جانب المسلمين (١٧) . هذا من من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه المنسح من المنازل والاراضى والحقول التى وردت في الوثيقة ليست وليدة يوم وليلة ، وربما تكون منحا على فترات متفاوتة ، ولكن تم تجميعها في وثيقة واحدة لتوثيقها مرة واحدة . ولكن لم يحدد في الوثيقة - للأسف - مكان اصدارها وان كنا نرجح أنها صدرت في قيسارية أو بلاط سيدة قيسارية في عكا لأن أغلب الشهود الموقعين عليها من أقصاها الاقطاعيين (١٨) . وفي مايو ١٢٠٦م /شوال ٦٠٢هـ حصلت الجماعة على منزل آخر في عكا يخص يوحنا تورتنو Johanne Torto (١٩) ، وذلك مقابل ألفين وسبعمائة بيزنط اسلامى . كما دفعت الجماعة ثلاثمائة بيزنط اسلامى مقابل منزل آخر كانت لها مطالب فيه . وبعد حوالى عام وعلى وجه التحديد في ٢٧ يوليو ١٢٠٧م /٣٠ ذى الحجة ٦٠٣هـ ، ثار خلاف آخر بين الجماعة وبين شخص يدعى الياس بن باجونوس حول أحد المنازل أيضا في عكا . وتدخل البرت بطريرك بيت المقدس (١٢٠٥ - ١٢١٤م /٦٠١ - ٦١١هـ) محاولا حل هذا الخلاف بينهما دون الالتجاء الى المحكمة العليا . وبالفعل نجح في تسوية هذا الخلاف ، وقد ظهر في هذه الوثيقة جيرارد القائد العام للجماعة أو Praeceptor (١٠) كمنسوب عن الجماعة ، حيث

(١٧) سوف نناقش الشرط العسكرى الوارد في هذه الوثيقة فيما بعد ، انظر ما يلى ص ١٤٠ .

(١٨) ورد اسم بطرس رئيس أساقفة قيسارية على رأس قائمة الشهود ، ثم فيليب الشماس ، وسيمون ، ويوحنا جرفاسيس الفيكونت ، ويوحنا شارل وأخيه ، وبطرس دى بيو جرانت ، وميخائيل ، وفالكوجيرارد . انظر : Strdhalke, no. 40.

(١٩) أحد الافصال التابعين لجوسلين الثالث سيد الرها السابق ، وكان عليه أن يقوم بسداد ديون استدانها ، فقرر بيع هذا المنزل الذى يخصه . وقد وافق يوحنا ابلين الوصى على مملكة بيت المقدس آنذاك على هذا البيع . انظر : Strehlke, no. 41.

(٢٠) يلى القائد العام المقدم الاعظم للجماعة ، وكانت له مهام فى وقت السلم واثناء الحرب . وامتدت سلطاته على جميع اخوة الجماعة سواء الدينيين أو العلمانيين ، وكذلك الخدم والعبيد . ولم تكن له سلطة على مارشال الجماعة فقط . كما

وافق على دفع مبلغ خمسة وعشرين بيزنطا اسلاميا مقابل الحصول على المنزل ، وعدم أحقيته في المطالبة به بعد ذلك نهائيا (٢١) .

وفي سبتمبر ١٢٠٨م/ربيع أول ٦٠٥هـ ، حصلت الجاعة على جزء آخر من ميراث جوسلين الثالث عن طريق ابنته بياتريس Beatrice وزوجها أوتوكونت هتنبرج Otto von Henneberg (٢٢) . وكانت هذه المنحة عبارة عن مساحة من الأرض حول قرية صفد Saphet (٢٣) ،

كان له الاشراف على ثروات الجماعة ، فكان معه احد المفاتيح الثلاثة للخزانة . كما كان مسئولا عن التموين والامدادات وخيمة المقدم الاعلى أثناء السفر ، أما في وقت الحرب فقد كان يخضع للمارشال الذي يفوقه في السلطة ، وكان ينوب عنه أحيانا . انظر : Arnold, Entstehung, 103.

(٢١) Strehlke, no 42.

(٢٢) عن هذا الميراث وحصول الجماعة على نصيب الاسد فيه انظر الفصل الثالث

(٢٣) لم تحدد الوثيقة رقم ٤٣ في شترالكة موقع هذه القرية ، وانما أشارت فقط الى أنها كانت جزءا من ميراث جوسلين الثالث . وقد وردت ثلاثة أماكن تحمل نفس الاسم . فقد أشار كوندر Conder في خريطته الى أنها ربما تكون قرية صفت عدى - وتقع جنوب شرقى عكا . وكان أحد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا عكا في عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ ، أشار اليها بأنها « صفد التابعة للامان » . أما بروترز Prutz فقد ذكر أنها تقع في منطقة عكا ، وربط بينها وبين نفس القرية التي ورد ذكرها في وثيقتي شترالكة ٧٥ ، ٧٦ حيث حصلت عليها الجماعة بأكملها في عام ١٢٣١م/٦٣٨هـ . كما ورد اسم صفد في وثيقة رقم ٨٤ في شترالكة وهي صفد البطيخ كما أشار اليها دوسو Dussaud أو قرية قاطمون Saphet le Cathemon وهي ليست المقصودة هنا ويزداد الامر صعوبة عندما تحدد وثيقة رقم ٥٣ صفد بأنها ضمن اقطاعية القديس جورج الواقعة شرقى عكا . أما صفد التي حددها هوبتش على خريطته فقد وضعها على بعد ٣٥ كيلو مترا جنوب شرقى عكا ، وهو ربما يتفق مع كوندر في ذلك . والواقع أننا نستبعد أن تكون هذه هي صفد الواردة في الوثيقة رقم ٤٣ ،

وكذلك منزل في نفس القرية (٢٤) . وفي ٤ سبتمبر ١٢٠٩م/٢ ربيع أول ٦٠٦هـ منح بوهمند الرابع امتيازاً آخر للجماعة الألمانية . ولكن المنحة كانت في اقطاعية طرابلس ، حيث أعطى لها قطعة من الارض تقع أسفل برج المدينة الواقع في السور الرئيسي لطرابلس . واشترط على الاخوة عدم قيامهم ببناء أية مبان في هذه الارض الممنوحة لهم ، حتى لا تعرقل عملية الدفاع في حالة تعرضها للهجوم من جانب الاعداء . كما منح لهم ثلاثة أبراج في نفس السور ، حددها بأنها تقع في المنطقة الممتدة ما بين سلاسل هذا البرج الرئيسي المذكور حتى أرض الداوية (٢٥) . وتبدو أهمية هذه المنحة في الوقت الذي ازدادت حدة الصراعات في شمال بلاد الشام بين مختلف القوى الصليبية حيث استعانت بالايوبيين في حلب وسلاجقة الروم في قونية ضد بعضها البعض (٢٦) .

وتبقى وثيقة هامة خلال هذه الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة

ليعدها وتطرفها عن عكا وهي المنطقة التي لم تكن تجتذب اهتمامات الجماعة الألمانية ، كما أنها من ناحية أخرى كانت جزءاً من ميراث جوسلين الثالث ، والذي وردت فيه صفد ضمن اقطاعية القديس جورج . ولكن لم يتم التوصل الى تحديد موقعها تحديداً دقيقاً في هذه الاقطاعية ، كما أشار الى ذلك أيضاً كل من باير وماير . عن ذلك انظر :

Strehlke, nos. 43, 53, 75, 76, cf. also : Beyer, op. cit., 199 =

n. 10, 211; Prutz, *Die Besitzungen*, 27; J. La Monte, «The Rise and decline of a Frankish Seigneur in Syria in The Time of The Crusades» *Revue Historique du Sud-est Européen*, (nos. 10-12, 1938) 318-19; H.E. Mayer, *Die Kreuzfahrerherrschaft «Arrabe»*, *ZDPV*, (93, 1977) 208; Hubatsch, «Montfort», 182-3 and The map; Conder, *The Latin Kingdom of Jerusalem*, (London 1897), The map of Latin Kingdom of R. Dussaud, *Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale*, (Paris 1927) map. II.

Strehlke, no. 43.

(٢٤)

Strehlke, no. 44.

(٢٥)

(٢٦) انظر ما يلي ص ١٤٣ وما بعدها .

الالمانية فى الشرق اللاتينى . وعلى الرغم من أن العديد من المناطق التى وردت فى وثائق أصلية ، إلا أن بعضها يرد لأول مرة . وهى عبارة عن توثيق من البابا أنوسنت الثالث لاملاك الجماعة فى كل من المملكة الصليبية وقبرص ومملكة أرمينية الصغرى . وتاريخ هذه الوثيقة هو ٢٧ يونيه ١٢٠٩م/ ٢١ ذى الحجة ٦٠٥هـ (٢٧) وتبدو الصعوبة فى أن أول وثيقة خاصة باملاك للجماعة فى أرمينية الصغرى مؤرخة فى إبريل ١٢١٢م/ ٢١ ذى القعدة ٦٠٨هـ (٢٨) . فهل يعنى ذلك أن هذه الوثيقة البابوية غير صحيحة ؟ فيما يبدو أن هذه الوثيقة من الملك ليو الثانى الارمينى (١١٩٨ - ١٢١٩م/ ٥٩٤ - ٦١٦هـ) كانت عبارة عن توثيق وتتضمن كذلك منحه أملاك جديدة للجماعة . والدليل على ذلك أن الرحالة فيلبراند أوف أولد نبرج عندما زار أرمينية فى أواخر عام ١٢١١م/ وأوائل عام ١٢١٢م/ ٦٠٨هـ أشار الى بعض هذه القرى التى وردت فى وثيقة الملك ليو الارمينى على أنها كانت تابعة للجماعة الالمانية مما يعنى بالفعل أنها كانت تابعة لها فى عام ١٢٠٩م/ ٦٠٥هـ على الأقل ، ان لم يكن قبل ذلك أيضا .

Strehlke, no. 298.

(٢٧)

Strehlke, no. 46.

(٢٨)

(٢٩) وردت الإشارة فى وثيقة البابا أنوسنت الثالث الى كل من

كومبدفورت Combedefort الواقعة جنوب أدنة ولسنا نعرف

على وجه التحديد موقعها . وعندما مر بها فيلبراند أشار الى

أنه كان بها منزلا واستراحة جميلة لمستشفى الالمان

«Ubi domus et mansio bona hospitalis Alemannorum»

أما القرية الأخرى التى ذكرت فى نفس الوثيقة وهى Heion

هايون ، فلا نعرف أيضا موقعها على وجه التحديد . وفى نفس

الوثيقة وردت إشارة عن Bezel وقد ذكرت مارى لويس أنه

ليس من المعروف موقعها هى الأخرى على وجه التحديد ، وربما

تكون هى نفسها Bezet أو الباصا التى أشرنا إليها قبل

ذلك . انظر :

Wilbrandi de Oldenberg, Peregrinatio-Itinerarium Terrae

Sanctae (Peregrinatores medii aevi quatuor, (hg. von.

I.C.M. Laurent, Leipzig 1864), 176.

وخلال هذه الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة وقبيل تولى هرمان دى سالزا قيادة الجماعة الالمانية سار أولئك المقدمون الاول على سياسة الحصول على الاملاك فى المناطق الاستراتيجية والاقتصادية فى نفس الوقت . فقد كانت المنطقة خلف عكا سهلة خصبة بسبب وجود العديد من النهرات مما سمح بوجود مناطق زراعية ومراع خصبة ، وهى المنطقة التى ركزت الجماعة فى الحصول على اراض وقرى بها . كما امتدت منازل وأملاك الجماعة بطول الساحل من يافا جنوبا وحتى أرمينية شمالا . أما وجودها فى المناطق الداخلية من بلاد الشام فلم يبدأ مع بداية الحملة الصليبية السادسة . وأما الادعاء الخاص بامتلاك مناطق داخلية وسط مناطق تابعة للايوبيين مثل تورون (تينين) منذ عام ١١٩٨م / ٥٩٤هـ ، فهو لا يمت للحقيقة بصلة ، وربما كانت سيادة اسمية فقط . كما هو الحال فى كثير من الامثلة فى تلك الفترة .

والتساؤل الهام الذى يجب ان نطرحه هنا يتعلق بدور الجماعة خلال هذه الفترة المبكرة فى العلاقات السياسية مع المسلمين . والواقع أن الجماعة عهد اليها بواجبات عسكرية عقب تحولها مباشرة . ففى الوثيقة الممنوحة لها من الملك 'ملريك' لوزينان فى أغسطس ١١٩٨م / رمضان ٥٩٤هـ عندما وهبها برجاً فوق باب القديس نيقولا انشترط عليها عدم امتلاك هذا الباب الواقع أسفل البرج ، وكذلك عدم بناء أية مبان فى محيطه أو أو بيعه أو رهنه . كما اشترط رده اليه فى حالة انضمامها الى أية جماعة أخرى ، وحقه فى استرداده فى حالة الحسب أو اذا دعت الضرورة لذلك (٣٠) . ومن الواضح أن الملك الصليبي كان يعلم أن الجماعة قد استمدت قواعدها من جماعتى الداوية والاسبتارية ، كما أنها لم يعترف بها بعد من البابوية حتى تاريخ هذه المنحة . وخشى أنه فى حالة عدم موافقة البابا على انشائها أن تنضم الى أى من الجماعتين الكبيرتين ، وهو فى هذه الحالة لايود الدخول فى مواجهة مباشرة مع أى منهما لأنه يعلم مدى قوتهما (٣١) . وكما ترى مارى لويس فانه ربما كانت

.Strehlke, no. 35.

Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 35-6

(٣٠)

(٣١)

كانت هذه منحة اختبار للجماعة تحت اشراف الملك ، لأنه في حالة فشلها يمكنه أن يسترد البرج منها . فضلا عن أنه رغب في عدم زيادة قوة أى من الداوية والاسبتارية في المدينة ، بحيث يكون هنا نوع من التوازن بين الجماعات الثلاث (٣٢) .

وخلال هذه الفترة المبكرة شاركت الجماعة في احداث المملكة الصليبية . وفيما يبدو أنها مارست نفس سياسة جماعة الاسبتارية والمتمثلة في اتباع الحذر والحرص في الجنوب ، بخلاف تلك السياسة التي سوف تسير عليها في شمال بلاد الشام . وقد حرص امليك لوزنيان على المحافظة على العلاقات السلمية مع العادل الايوبي الذي بدأ يظهر بصورة الرجل المسيطر على الدولة الايوبية . وكان ما يخشاه الصليبيون هو توحيد مصر والشام تحت سيطرة قائد قوى ، بخلاف ما كان دائرا من صراعات في شمال بلاد الشام في نفس الفترة بين القوى الصليبية المختلفة . ولا يعنى ذلك أن المملكة لم تشهد صداما مع الايوبيين ، فقد كانت هناك بعض الاشتباكات المحدودة بين الجانبين . وقد نتج عنها التوصل الى معاهدة في عام ١٢٠٤م/٦٠١هـ . وما يهمننا في هذه المعاهدة هو عودة يافا الى الصليبيين مرة أخرى (٣٣) . وكانت الجماعة تمتلك بعض

Favreau, Studien, 78.

(٣٢)

(٣٣) كانت بعض القوات الصليبية قد وصلت على ظهر أسطول فلمنكى الى بلاد الشام في عام ١٢٠٣م/٥٩٩هـ وقد أرادت مهاجمة المسلمين ، ولكن امليك لوزنيان لم يسمح لهم بذلك لعدم وجودالقائدالكفء معها أوالعددالكافى . فاتجه قسم منها الى شمال بلاد الشام حيث شارك في الصراعات الدائرة هنا . وبقي البعض مع الملك الصليبي حيث شاركوا فيما بعد في مهاجمة كفر كنا ومنطقة الجليل في أواخر ذى الحجة ٦٠٠هـ/أغسطس ١٢٠٤م . كما قام أسطول صليبي بمهاجمة فوه الواقعة على فرع رشيد ، وظل خمسة أيام ينهب ويسرق ، وذلك في أول شوال ٦٠٠هـ/يونيه ١٢٠٤م . وفيما يبدو فقد جرت مفاوضات بين العادل وامليك في الشام أسفرت عن عقد صلح عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م . وقد أشار ابن واصل الى يافا ومناصبات لدو الرملة ،

الامتيازات الخاصة بها منذ عام ١١٩٦م/٥٩٢هـ . والتساؤل هنا هل استعادت الجماعة أملاكها بها أم لا ؟ والواقع أنه من الصعب الاجابة على ذلك التساؤل لعدم وجود أية اشارة واضحة عن ذلك في المصادر المتاحة بين أيدينا ، وان كان في الحالات الماثلة عندما يستعيد الصليبيون أية أملاك كانت في قبضة المسلمين فان سادتها السابقين يستعيدون أملاكهم التي كانت في حوزتهم من قبل . لذا فاننا نرجح استعادة الجماعة لأملاكها السابقة في يافا . ويؤيد هذا الرأي أنه وردت اشارة عن وجود منزل لها في يافا بعد ذلك بفترة (٣٤) .

أما عن دور الجماعة الالمانية خلال الاحداث السابقة ، فليست هناك اشارة محددة عنه في المصادر المتاحة بين أيدينا . ولكن ورد في تاريخ هرقل أنه في عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ كان فرسان الجماعة مصاحبين للملك أمليريك أثناء قيامه باحدى رحلاته في منطقة قريبة من حيفا (٣٥) . وعلى

أما ابن الاثير فلم يذكر يافا وأشار الى الناصرة ومناصفت الرملة . ولكن المقریزی والعمرى أشارا أيضا الى يافا . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٩٦ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ العمرى : مسالك الابصار ، ج ٢٧ ، ق ٢ ، ورقة ١٤٩ - ١٥٠ . ويعلق المؤرخ همفرى على هذه المعاهدة بأن العادل لم يعط الصليبيين أماكن ذات أهمية . فالناصرة كان غالبية سكانها من المسيحيين ، أما يافا فلم تكن مهمة بسبب عدم وجود أسطول بحرى قوى للعادل يمكن أن يستغلها كقاعدة ضد الصليبيين ، ثم ان هدف الحملات الصليبية أصبح مصر وليس القدس في هذه المرحلة ، حيث استغلت يافا كقاعدة زمن الحملة الصليبية الثالثة ليتسنى التقدم منها نحو القدس . انظر :

R.S. Humphreys, *From Saladin to The Mongols*, (New York, 1977), 134.

(٣٤) أشار بروتز الى هذا المنزل ، ولكن للأسف لم يحدد عاما محددا لذلك . انظر :

Prutz, *Die Besitzungen*, 29-30.

Estoire de Eracles, ii, 305.

(٣٥)

الرغم من أنه لم يذكر سبب هذه الرحلة ، إلا أنه يتضح أن فرسان الجماعة كانوا على صلة طيبة بالملك الصليبي مما يعنى مشاركتهم في أحداث المملكة نفسها . بالإضافة الى وجودهم في عكا ومسئوليتهم عن حماية المناطق الأخرى التي حصلوا عليها سواء في عكا أو المناطق الأخرى التي أسلفنا الإشارة اليها .

وتضمنت منحة جوليانا سيدة قيسارية للجماعة في فبراير ١٢٠٦م/جمادى الآخرة ٦٠٢هـ بعض الشروط العسكرية ، عندما أعطت الجماعة البرجين الواقعين في سور المدينة ، حيث اشترطت اعادتها لها في حالة تعرضها لأي هجوم على أن تعيدهما للجماعة في حالة عقد الصلح . وليس هناك توضيح في الوثيقة عن سبب هذا الشرط ، كما أنه لم يتضح من الأحداث فيما بعد - إذا كان قد تم تنفيذه أم لا (٣٦) .

على أية حال بدأ الطابع العسكرى للجماعة يظهر في شكل تنظيمي وذلك من خلال وثائقها فقد ورد في وثيقة ١٢٠٧م/٦٠٣هـ مصطلح « القائد العام » ، والذي كانت نه اختصاصت عسكرية في الجماعة (٣٧) . ثم تلا ذلك في العاد التالي ظهور مارشال الجماعة (٣٨) الى جانب

(٣٦) لم نرد أي نشر عن وجود الفرسان التيوتون أثناء الهجوم الذي تعرضت له لندينة من قبل المعظم عيسى صاحب دمشق في عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ أثناء الحملة الخامسة . وربما كان ذلك لانشغال الفرسان آنذاك في مصر مع الحملة كذلك لم يظهروا في الدفاع عنها عند هجوم بيبرس عليها عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ واسترداده لها نهائيا من الصليبيين . وعلى الرغم من ذلك فربما كان الشرط هو إعادة البرجين مما يعنى عدم مسئوليتهم عنهما . ولكن هذا لا يعنى تفصلهم من عملية الدفاع في حالة الهجوم عليهما من جانب المسلمين ، لأنه من الطبيعي أن يقوموا بالدفاع حتى عن أنفسهم في حالة تعرضهم للهجوم .

(٣٧) انظر ما سبق ص ١٢٨ .

(٣٨) كان أول من حمل هذا المنصب شخص يدعى هنرى . وكان يعمل مع القائد العام تحت امرة المقدم الاعلى في ميدان

وظيفتى المقدم الأعلى واللائق العام للجماعة ، وبذلك اكتملت الثلاثة مناصب الرئيسية فى الجماعة مما يدل على وضوح كامل لاستكمال الجماعة لتنظيمها فيما يتعلق بالنواحى العسكرية (٣٩) .

وظلت العلاقات بين الصليبيين فى الجنوب والعاذل الايوبى سلمية فى أغلب فترتها باستثناء بعض المرات التى نقضت فيها المعاهدة السابقة (٤٠) . وعندما قاربت مدة المعاهدة على الانتهاء وكان ذلك فى صيف عام ١٢١٠م/٦٠٦ - ٦٠٧هـ ، ذكر تاريخ هرقل أن العاذل أرسل للصليبيين عارضا عليهم اعطاءهم عشر قرى فى المنطقة المحيطة بعكا فى مقابل تجديد لها . وفى اجتماع عام عقده الصليبيون برئاسة يوحنا أوف ابلين الوصى على المملكة لمناقشة هذا العرض ، أقر مقدا جماعتى التيوتون والاسبترارية والبارونات (يوحنا دى ابلين) والوصى على المملكة قبول هذا العرض ، بينما رفضه الداوية وألبرت بطريرك القدس اللاتينى ورجال الدين متذرعين بسند قانونى هام وهو أنه يجب ألا يلزم الملك القادم جان دى بريين . والذين كانوا فى انتظار وصوله ، باتباع سياسة معينة وانما يترك المجال مفتوحا أمامه (٤١) . أما رواية المصادر

القتال . وكان جميع الاخوة يخضعون له بعد المقدم الأعلى . وكذلك فقد كان يختص بكل شىء فى أثناء الحرب من خيول وسلاح وغيرها . أما فى وقت السلم فكانت له سلطات القائد العام ولكنه لم يكن يخضع له ، انظر ،

I. Sterns, «The Teutonic Knights», 328, Arnold,

«Enststehung, 328.

(٣٩)

قام اللاتين فى قبرص بالاستيلاء على سفينة أيوبية فى عام ١٢٠٧م/٦٠٤هـ - حيث قبل العاذل عند سماعه بهذه الأنباء وكذلك أنباء الاعتداءات الصليبية على أيوبى شمال الشام ، ما قدمه يوحنا من توضيح لهذه الحادثة وأطلق سراح أولئك الأسرى . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٩٦ .

(٤١) ورد فى تاريخ هرقل أن مقدم جماعة التيوتون هو الاخ (هرمان) ، ولم يحدد الاسم الآخر له . وتبدو الصغوبة هنا فى أنه لم يذكر أيضا متى وقعت هذه الاحداث على وجه التحديد .

العربية عن هذه الاحداث فقد كانت مختلفة بعض الشيء . فقد أشار سبط ابن الجوزي - الذى كان شاهد عيان لاحداث هذه الغارة - أن مجموعة من القوات الاسلامية خرجت من دمشق الى نابلس ومنها اتجهت الى المناطق المحيطة بعكا . وظلت فى المنطقة فترة حيث قامت بأسر وقتل بعض الصليبيين . ولم يتجاسر الصليبيون على الخروج للرد على هذه الغارة الاسلامية . ومن المحتمل أن يوحنا ابلين لم يكن يرغب فى الدخول فى صدام مع الايوبيين منتظرا وصول الملك الصليبي الجديد ، وهى نفس السياسة التى أيدته فيها جماعتا التيوتون والاسبترارية . وربما ظل الحال على هذا الوضع حتى وصول جان دى برين الذى توج فى أكتوبر ١٢١٠م / ربيع آخر ٦٠٧هـ . وبعدها لم يستطع أن ينشر قواته فى الجليل بسبب وجود قوات المعظم عيسى عند جبل الطور لحراسة الدين كانوا يقومون ببناء قلعة فوقه ، حيث هددت الصليبيين تهديدا خطيرا بسبب وقوعها عند المنطقة الاستراتيجية بين شمال المملكة وجنوبها . ومن المرجح أن هذه المعاهدة كانت فى عام ٦٠٨هـ / ١٢١٢م (٤٢) .

فاذا كانت قد وقعت فى الفترة ما بين ٧ فبراير ١٢٠٩م و ١٠ مارس ١٢١٠م - وهى الفترة المرجحة لتولى هنريش بارت قيادة الجماعة الالمانية ، فإن المقصود هنا هو هنريش بارت مقدم الجماعة . أما اذا جرت هذه الاحداث فى صيف عام ١٢١٠م فإن المقصود هنا هو هرمان دى سالزا مقدم الجماعة الالمانية . ومن الصعب أن نقبل ما ذكره وانسيमान أنه هو هرمان بارت اذا كانت هذه الاحداث قد وقعت فى صيف عام ١٢١٠م . كما أن هناك اشارة أخرى عن مؤتمر عقد فى عام ١٢٠٨م / ٦٠٥هـ وذلك لارسال سفارة الى الملك فيليب أغسطس ملك فرنسا لاختيار زوج لماريا ورثية تاج المملكة . وقد شارك مقدم الجماعة فى هذا المؤتمر وكان المقدم آنذاك هو أوتوأوفكرين وهذا دليل آخر على مشاركة الجماعة فى أحداث المملكة الداخلية وعلى دورها فى اتخاذ القرارات . عن ذلك انظر :

Estoire de Eracles, ii, 306, 309, cf. also : Riley Smith; *The Knights of St. John.*, 118, 128.

(٤٢) مرآة الزمان . ج ٨ ، ق ٢ ، ٥٤٤ - ٥٤٥ ، ولم يشر صراحة الى وجود المعظم معهم فى هذا الهجوم . « فاقمنا أيام ثم عدنا

أما في شمال بلاد الشام فقد اختلفت الاوضاع عما كانت عليه في الجنوب اذ شهدت أنطاكية صراعا على وراثة الامارة . وذلك منذ وفاة بوهمند الثالث في عام ١٢٠١م/٥٩٨هـ . وكان المتصارعان هما ريموند روبان الوريث الشرعي وبوهمند الرابع صاحب طرابلس (٤٣) . وتدخلت قوى مختلفة في هذا الصراع ايدت طرفا على حساب الطرف الآخر . وقد أيد الداوية بوهمند الرابع بحكم العداء بينهم وبين ليسو الارميني المؤيد الرئيسي لريموند روبان حول قلعة بغراس (٤٤) . كما أيدته قومون

سالمين الى الطور المطل على الناصرة والمعظم معا » . ولم يوضح ان كان معهم منذ بداية الهجوم ، أو أنهم ذهبوا بعد عودتهم الى الطور حيث صحبهم الى هناك . أما الذهبي : دول الاسلام ج ٢ ، ص ١١٣ ، فقد أشار الى قيام المعظم عيسى بهـذا الهجوم . ولكن ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ، أشار الى أن العادل خرج الى الشام حيث ترددت الرسل بينهما وتقررت الهدنة مدة مغلومة مشيراً الى ذلك ضمن أحداث سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠ - ١٢١١م . ومن الصعب قبول ذلك لأنه جرى هجوم من جانب الصليبيين على فرع النيل عند دمياط في عام ١٢١١م/أواخر ٦٠٧هـ . أما ابن الجوزي فقد أورد أن هذه المعاهدة كانت في عام ٦٠٨هـ/١٢١٢م واستمرت حتى وصول الحملة الهنغارية على بلاد الشام . انظر أيضا :

Stevenson, *The Crusaders*, 298, Runciman, *History*, iii, 133,

Humphreys, *From Saladin*, 136; Richard, *The Latin*

Kingdom, 214-15.

(٤٣) خلف بوهمند الثالث ابنين هما بوهمند الكبير والذي تزوج من الاميرة الارمينية اليس ابنة روبان الثاني في حياة أبيه . ولكنه توفي تاركا ابنا له هو ريموند روبان - أما الابن فكان بوهمند الرابع - أو ذا العين الواحدة - صاحب طرابلس ، انظر : Donovan, *Pelagius*, 98.

(٤٤) ليس واضحا على وجه التحديد متى امتلك الداوية قلعة بغراس . وقد تمكن صلاح الدين الايوبي من استردادها منهم في ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، وكانت المقر الرئيسي للجماعة في شمال بلاد الشام . وقد أخلاها صلاح الدين عقب وصول أنباء الحملة الالمانية بقيادة فردريك بربروسا تاركا فيها حامية صغيرة . ثم

المدينة (٤٥) حيث كان يعارض أية سيطرة للارمن على أنطاكية . كما انضم اليهم الظاهر غازي صاحب حلب (٥٩٢ - ٦١٣هـ / ١١٩٦ - ١٢١٦م) والذي كان لا يرغب في رؤية أية قوة صليبية تقف أمامه في شمال بلاد الشام . بالإضافة الى غياث الدين كيوخرو (٦٠٠ - ٦٠٨هـ / ١٢٠٤ - ١٢١١م) سلطان سلاجقة الروم في آسيا الصغرى لعدائه للملك الارميني . أما ريموند رويان فكان ليو الارميني على رأس مؤيديه بحكم وصياته عليه ، بالإضافة الى أطماعه في أنطاكية كما انضم أيضا الاسبتارية الى هذا الجانب ربما منذ عام ١٢٠٥م / ٦٠١ - ٦٠٢هـ ، أما موقف الجماعة الألمانية فلم يتضح الا مؤخرا ، حيث حاول كل جانب اجتذابها الى جانبه . كما أصبح العادل الايوبي أيضا طرفا في بغض الاحيان مؤيدا للملك الارميني ، وكان لتدخله تأثير مباشر . وقد استمر الصراع بين هذه القوى المختلفة ، وشهدت المنطقة سيلان من المندوبين في محاولات مستمرة لحل هذه الخلافات التي رأى فيها البابا أنوسنت الثالث تهديدا

أمر بتخريبها أثناء انشغاله بمحاربة الصليبيين أمام عكا في ٥٨٥هـ / ١١٨٩م وعندئذ أسرع ليو الارميني بالاستيلاء عليها وقام بتحصينها متخذا منها مركزا أماميا للهجوم على أنطاكية والاراضي التابعة لصاحب حلب وخاصة قلعة دريساك . ومنذ ذلك الحين بدأت المشاكل بينه وبين الداوية التي استمرت فترة طويلة . انظر :

«The Castle of Baghras; in Boase, p. 43-44.

(٤٥) عندما دعا ليو الارميني بوهمند الثالث أمير أنطاكية لمناقشة بعض المسائل بينهما في عام ١١٩٤م / ٥٩٠هـ قام بالقبض عليه طالبا فدية مقابل إطلاق سراحه . وتدخل هنري أوف شامبانيا في هذا النزاع حيث اتفق على زواج ابنة أخ ليو الاميرة اليس من بوهمند الكبير ابن بوهمند . وفي أثناء أسر بوهمند الثالث قام الاهالي بتكوين قومون للدفاع عن المدينة ضد تدخل ليو أو أن تحكم بواسطة الارمن . وقد تركت نشأة هذا القومون أثرها الواضح على مجرى الاحداث في أنطاكية بسبب موقفه من ريموند رويان وتأيبده لبوهمند الرابع انظر :

T.S.R. Boase (ed.) The Cilician Kingdom of Armenia (London 1970) 18-19.

خطيرا للصليبيين في الشمال (٤٦) . ولن نتعرض هنا لتفاصيل هذه الاحداث ، وانما سنكتفى بالإشارة الى الدور الذي أسهمت به الجماعة في هذه المنطقة وطبيعة هذا الدور وما يترتب عليه من آثار .

حرص ليو الارميني منذ توليه الامارة الارمينية على أن يحصل على التاج سواء من البابوية أو الامبراطورية . وكاد هذا الامر يتحقق عندما اقترب الامبراطور فردريك بربروسا من الاراضى الارمينية في يونيه ١١٩٠م/جمادى أولى ٥٨٦هـ ولكن وفاته كانت صدمة للامير الارميني وشعبه وتبددت آماله في الحصول على التاج . ولكنه لم يياس وأرسل الى الامبراطور هنرى السادس فى ١١٩٤م/٥٩٠هـ طالبا منه أن يمنحه التاج على أن يكون تابعا اقطاعيا له . ولاقت هذه الفكرة القبول لدى الامبراطور الذى كان يحلم آنذاك بتنفيذ مشاريع ضخمة . وأرسل له تاجا مع سفارة على رأسها مستشاره كونراد أوف هيلدسهايم Conrad of Hildesheim والمندوب البابوى كنراد أوف مينز Conrad of Mainz وفى ٨ يناير ١١٩٨م/٢٦ صفر ٥٩٤هـ تم تتويج ليو فى حفل حضره جميع قادة وأمراء المملكة الجديدة (٤٧) .

وكان لذلك الارتباط بين الملك الارميني وبين البابطرة الالمان أثره الواضح على علاقته بالجماعة الالمانية فى الشرق . وقد أشرنا من قبل الى

B. Hamilton, The Latin Church in The Crusader States : The Secular Church. (London, 1980) 213-14.

(٤٧) كانت الظروف التى تولى فيها ليو الامارة الارمينية ملائمة له من جميع الظروف . فقد تقلصت امارة انطاكية بعد الهجمات التى تعرضت لها من جانب صلاح الدين الايوبي . كذلك أعقب وفاة الامبراطور مانويل كومنين فى بيزنطة عام ١١٨٠م/٥٧٥هـ - ٥٧٦هـ فترة من الصراع على العرش وتولى المقتصب اسحاق انجليوس للعرش هناك . أما فى قونيه فقد ترتب على طول الفترة التى تولى فيها قلج أرسلان الحكم وما قام به من تقسيم دولته بين أبنائه وأخيه ، تفجر الصراع حول الحكم أثناء حياته وبعد وفاته . وقد حرص ليو على استغلال هذه الظروف لصالحه ، فمنح الجنوبية والبنادقة العديد من الامتيازات التجارية لكى

وجود الجماعة في أنطاكية حيث منحها بوهمند الثالث (٤٨) حرية التجارة في امارته ، مما يعنى وجودها في الشمال عقب تحولها الى جماعة عسكرية بفترة قليلة . غير أن أول اشارة عن العلاقة بينها وبين ليو وردت في وثيقة ترجع الى ٤ يونيه ١٢٠٩م/٢٨ ذى القعدة ٦٠٥هـ (٤٩) . فقد أرسل الملك الارمينى أحد أخوة الجماعة كمندوب عنه الى البابا انوسنت الثالث لشرح موقفه من المشكلة الانطاكية . وأشار رورشت أنه ربما يكون المقصود بهذا المندوب عن الملك الارمينى هو جارنييه لييمان (٥٠) . غير أنه جانبه الصواب في ذلك ، فقد ورد في النص

يحولوا تجارتهم الى اياس أو لاجازو Lajazzo الميناء الارمينى . كما عمل على كبح جماح أمرائه بإدخال الاقطاع الغربى ومنحهم ألقاباً شكلية أكثر منها اقطاعيات فعلية . وعمل على استرضاء البابوية بالتحول الشكلى الى الكاثوليكية . وقد أطلقت عليه المصادر العربية العديد من المسميات مثل ليفون ولافون وابن لاون وقلب الروم . انظر عن ذلك : سعيد عاشور: سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، أبحاث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٣٩ ، Boase, op. cit., 14-18

(٤٨) جانب رورشت وكثير من المؤرخين الحديثين الآخرين الصواب عندما أشاروا الى أن بوهمند الرابع هو الذى منح الجماعة الالمانية هذه المنحة . وبعد مراجعة الوثيقة الاصلية التى نشرها برلباخ نجد بها أن بوهمند - دون أن تحدد الثالث أو الرابع - هو الذى أعطى الجماعة الالمانية هذه المنحة . ولكن ورد بها بعد ذلك أنه « بوهمند أمير أنطاكية وابن ريموند صاحب الذكرى العطرة »

« Ego Boamundus dei gratia princeps Antiochie Ramimundi bone memoire pricipis filius ».

أى بوهمند الثالث وليس الرابع . انظر :

M. Perbach, «Die Reste des Deutsch ordensarchives in Venedig; Altprussische Monatschrift, 19, 1882, no. I, 648-49.

Röhrich, Regesta; no. 838, n. 2. (٤٩)

(٥٠) ظهر جارنييه أليمان أو الالمانى بصفة خاصة أثناء الحملة الصليبية السادسة . فقد كان هو وباليان صاحب صيدا نائبى

الاصلى للوثيقة - وهو خطاب للبابا انوسنت الثالث - اشارة صريحة الى ان المندوب كان أحد اخوة مستشفى التيوتون «*fratrem hospitalis teutonicorum*» غير أنه للأسف لم يذكر اسمه . ويؤكد هذا الرأي ، أيضا ، أنه في نفس الشهر - أي في ٢٧ يونيه/٢٢ ذى الحجة - صدرت للجماعة وثيقة من نفس البابا عبارة عن توثيق للامتيازات السابقة الممنوحة لها . بالإضافة الى بعض الاملاك الجديدة الممنوحة لها في الشرق اللاتيني . وقد اشارت الوثيقة المذكورة الى موقعين في أرمينية الصغرى (٥٢) . وهذا يدل بما لا يدع مجالا للشك أنه أحد اخوة الجماعة .

وفيما يبدو ، فان تقرب ليو من الجماعة الالمانية يعود الى أسباب مختلفة . ومن بينها أن الاوضاع في ألمانيا كانت قد استقرت لصالح الامبراطور هنري السادس (٥٣) . وأدرك ليو أن أن تقر به من الجماعة سوف يؤدي الى رد فعل لدى الامبراطور الالمانى تجاهه . وفي ذلك كان البابا انوسنت الثالث قد أخذ يتحول عن تأييده المطلق لليو ، خاصة بعد أن هدد الداوية بالانسحاب من شمال بلاد الشام في حالة عدم حل مشكلة بغراس (٥٤) . لذلك أخذ ليو يبحث عن حلفاء جدد لتدعيم مركزه في هذا الصراع بعد أن تعرضت أراضيه للهجوم من جانب قوات السلطان غياث الدين كيخسرو مرعش حيث اتجهت لمهاجمة حصن برتوس

المملكة ولعبا دور خاصا في هذه الفترة .
انظر :

Runciman, History, iii, 191-2, 195.

«Innocent III, Pope, [Epistolae, Patrologia Latina, (ed. J.P. (٥١)
Migne) 216, 54-6.

Strehlke, no. 298.

(٥٢) انظر ما سبق ص ١٣٧ .

(٥٣) عن الاحوال في ألمانيا انظر ص ١١٥ .

(٥٤) كان البابا انوسنت الثالث قد أيد الجانب الارمني في قضية الوراثة في انطاكية ، وكان تعليماته في ذلك صريحة لمندوبيه الذين أرسلهم الى هناك . وقد أدى ذلك الى وجود عدااء بينهم وبين بوهمند الرابع وقومون انطاكية والداوية . ومن بين هؤلاء

Pertous (٥٥) وتمكنت من الاستيلاء عليه وتخريب عدة حصون أخرى مجاورة . ووجد ليو نفسه محاصرا فأرسل الى السلطان العادل

أيضا كان بطرس اتجويلم Peter I of Angoulême (١١٩٦ - ١٢٠٨ م) الذي دخل في عداء مع حزب بوهمند الرابع بسبب تعليمات البابا اليه . وغقب اشتراكه في مؤامرة في أنطاكية انتهت بالفشل ألقى بوهمند القبض عليه وتركه في السجن الى أن لقي حتفه . ثم تولى بطرس أوفافريا Peter II of Ivrea

(١٢٠٩ - ١٢١٧ م) بطريركا على المدينة وبدأ التحول في موقف البابا من ليو ومساندة الارمن ، مما أدى الى اشتداد غضب الاخير فعمل على اجتذاب قوى أخرى الى جانبه ومن بينها جماعة التيوتون . وتطور الصدام بشكل هدد الصليبيين في شمال بلاد الشام . واتخذ البابا انوسنت الثالث أول سابقة في تاريخ الحروب الصليبية عندما طالب من الظاهر صاحب حلب التدخل لمساعدة انطاكية . وفي عام ١٢١٦م/٦١٢هـ نجح ريموند روبان في دخول أنطاكية وتولى الحكم بها وتم الاعتراف به أميرا عليها ، واستمر الوضع هكذا الى أن أفلح بوهمند الرابع في العودة اليها مرة أخرى في عام ١٢١٩م/٦١٦هـ . وذهب ريموند الى دمياط لمقابلة المندوب البابوي بلاجيوس لعرض هذه المشكلة عليه طالبا منه التدخل لحلها . انظر :

Cahen, La Syrie, 618-624; Hamilton. The Tatin Church, 216-18.

(٥٥) ورد في ابن العديم أنها برنوس ، وهي أقرب الى الصحة من غرقوس التي ذكرها ابن واصل . وربما تكون خطأ من الناسخ الذي نسي وضع النقطة الثانية على الكلمة . وقد أشار سبمباد الى أنها Pertous . وذكر بوسيه Boase أنها تقع على بعد خمسة عشر ميلا غرب مرعش . وجدير بالذكر ان سامي الدهان محقق ابن العديم كان قد أشار الى عدم توصله الى معرفة صحة هذ الاسم أو تحديد موقعه . أما الدكتور سعيد عاشور فيميل الى أنها غرقوس بدلا من برتوس اعتمادا على ما ورد في ابن واصل . أما القوات التي أرسلها الظاهر لمساعدة كيخسرو فقد كانت بقيادة مقدمه سيف الدين بن علم الدين

الايوبى - الذى كان آنذاك فى دمشق - طالبا منه التدخل . فأرسل الأمير اليهما طالبا منهما مصالحة ليو . وبالفعل تم التوصل الى اتفاق أقر فيه ليو باعادة بغراس الى الداوية ، وعدم التعرض لانطاكية ورد اموال كيخسرو التى كانت عنده . ولكن ابن العديم الذى أشار الى هذه الواقعة أوردها ضمن حوادث عام ١٢٠٨/هـ - ١٢٠٩م دون أن يحدد لنا فى شهر جرت . أما المؤرخ الارمينى سمباد فقد ذكر أن أحداث هذه المعركة جرت فى عام ١٢٠٨م/٦٠٥ هـ ، ولم يذكر - هو الآخر - تاريخا محددا لها . وتبدو أهمية تحديد الفترة التى وقعت فيها هذه المعركة بسبب ما أشار اليه بعض المؤرخين القدامى من أن هرمان - أو هنريش - بارت مقدم الجماعة وعددا كبيرا من اخوة الجماعة قد لقوا حتفهم فى احدى المعارك الغامضة مع السلطان السلجوقى كيخسرو . ومن الصعب قبول هذا الرأى ، لأنه اذا كانت أحداث هذه المعركة التى جرت بين ليو وكيخسرو - وهى الوحيدة فى ذلك العام - هى المشار اليها ، فان هنريش بارت مقدم الجماعة لم يشارك فيها اذا أخذنا برأى سمباد أنها جرت فى

بن جندر ، وعز الدين أيبك فطيس . وقد انفرد ابن العديم بالإشارة الى شروط هذه المعاهدة والتى سرعان ما نقضها ليو . كما أشار الى تدخل العادل الايوبى الذى كان فيما يبدو يراقب الاحداث التى تجرى فى شمال بلاد الشام ، لأنه كان بصدد التوجه الى هناك لرد غارات الجورجيين على أملاك الايوبيين فى هذه المنطقة . عن ذلك انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، راجع أيضا سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ٢٤١ ،

Sempad, RHC-Doc. Arm, I, 642-3; idem, in D.O.P. 13 (1959)

157, Boase, op. cit., 22.

وجدير بالذكر أن نارسيان ناشر المقالة السابقة قد جانبه الصواب عندما وضع بين قوسين اسم كيكافوس الاول ، وذلك اثناء سرد هذه المعركة التى جرت فى عام ١٢٠٨ على أنه السلطان السلجوقى ، بينما كان كيخسرو لا يزال سلطانا فى ذلك العام حيث توفي ١٢١١م/٦٠٨ هـ . انظر :

D.O.P. 157.

عام ١٢٠٨ م / ٦٠٥ هـ ، وكان مقدم الجماعة في هذه الفترة هو أوتو أوف كرين . أما اذا أخذنا برأى ابن العديم في أنها وقعت عام ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م - ١٢٠٩ م ، فان هنريش كان لا يزال على قيد الحياة ، لأنه من المرجح وفاته في ٢٠ مارس ١٢١٠ م / ٢٢ رمضان ٦٠٦ هـ حسبما ذكر هؤلاء المؤرخين القدامى أنفسهم أيضا ، وحولية المقدمين العظام المصغرة (٥٦) ، مما يعنى أيضا أنه لم يقتل في هذه المعركة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان موقعها كان بعيدا عن الاملاك التى حصلت عليها الجماعة . بل ان المنحة التى حصلت عليها فيما بعد من الملك الارمينى لم تشترط أية واجبات مقابلها (٥٧) .

وفي نفس الفترة حاول بوهمند الرابع ضم الجماعة الى جانبه . ويتضح ذلك في منحته لها في ٤ سبتمبر ١٢٠٩ م / ٢ ربيع أول ٦٠٦ هـ ، والتى كانت ذات طابع عسكري هام - وعلى الرغم من اشتراطه عليها عدم بناء أية مبان الا اذا كانت مبانى خاصة بها في هذه المنطقة حتى لا تعرقل عملية الدفاع عن المدينة ، فان حصولها على الابراج الثلاثة في السور دون شرط في حالة التعرض للخطر - كما في منحة سيدة قيسارية - يدل على مسئولية الجماعة في الدفاع عن هذه المنطقة وتطور مقدرتها العسكرية بشكل أوسع (٥٨) . والى جانب المنافسة بين ليو

(٥٦) أشار بعض المؤرخين الى وفاته في عام ١٢٠٩ م / ٦٠٥ - ٦٠٦ هـ ومن الصعب قبول هذا الرأى . أما تاريخ وفاته في عام ١٢١٠ م / ٦٠٧ هـ فقد أوردته حولية المقدمين المصغرة ، وعلى الرغم من العديد من الروايات التى وردت فيها والتى هى أقرب الى الاساطير ، الا أنها أشارت الى أنه توفى وهو في حالة طيبة . ونميل الى الاخذ بهذه الرواية ، لأنه اذا كان مقدم الجماعة قد توفى في مثل هذه المعركة ، كان من الطبيعى أن يشار الى ذلك في وثائق الجماعة . للمزيد انظر :

« Die Jüngere Hochmeisterchronik, 63.

(٥٧-) انظر ما يلى ص ١٥٦ .

Strehlke, no. 44. cf. also : Forstreuter, **Der Deutsche Order**, (٥٨)

الارمني وبوهمند الرابع في محاولة كل منهما اجتذابها الى جانبته ،
ربما وجد ايضا ارتباط بين هذه المنحة وبين الهجوم الذي تعرضت له
المدينة من قبل الملك العادل في ذي الحجة ٦٠٣هـ / يولييه ١٢٠٧م وتخريبه
للمنطقة المحيطة بها وذلك أسوارها . فاراد بوهمند اشراكها في الدفاع
عنها في حالة تعرضها لهجوم آخر (٥٩)

وخلال الفترة الممتدة منذ نشأة الجماعة وحتى قبيل تولي هرمان
دي سالزا أمورها ، وجدت عدة عوامل تركت تأثيرها على عدم ظهور
الجماعة بشكل مؤثر على مسرح الاحداث . ومن بينها الاوضاع في ألمانيا
حيث دار الصراع على العرش منذ وفاة هنري السادس وظل حتى عام
١٢٠٨م عندما تولي أوتو الرابع أمور الامبراطورية (٦٠) . وقد جذبت

(٥٩) أشار جرانو Grunau الى مقتل هنريش بارت مقدم
الجماعة في احدى المعارك أمام طرابلس . وسبق أن قنننا
مسألة تاريخ حكمه ووفاته . وفيما يتعلق بطرابلس ، فمن
الواضح أن هجوم التادل عليها كان في فترة سابقة على توليه
الجماعة . وربما يعود ذلك الى الغموض حول تاريخ وفاة
وحكم هؤلاء المقدمين الثلاثة الاول .
S. Grunau, -Preussische Chronik, V. (Geschichte Preussen
p. 31. in Tumler.

وكان العادل الايوبي قد جمع جيشا بلغ تعداده حوالي عشرة
آلاف فارس بعد أن بلغته أنباء اغارات الاستتارية في الشمال
والصليبيين على المدن والقلاع الإسلامية . وفي نهاية رمضان
٦٠٣هـ / ابريل ١٢٠٧م حاصر حصن الكراد التابع للاستتارية وأخذ أحد
قلاعه الخارجية وهو حصن اعزاز مع حاميته البالغة خمسمائة
رجل . واتجه الى طرابلس نفسها لحصارها . وتم عقد صلح
بين بوهمند الرابع والعادل أعطاه بوهمند بموجبه مبلغا من
المال وثلاثمائة أسير مسلم تم اطلاق سراحهم . ابن العديم :
زبدة الخطب ، ج ٣ ، ص ٩٠٤ - ٩٠٥ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ، ج ٣ ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٦٠) كان فيليب السوابي على رأس حزب الهوهنشتاوفن المؤيد
لحقوق ابن أخيه الطفل فردريك ، بينما كان أوتو الرابع

تلك الصراعات باهتمامات البابا انوسنت الثالث أيضا ، مما لذلك من تأثير على البابوية في إيطاليا وعلى مملكة صقلية ، لذلك فإن الجماعة الألمانية لم تلق الاهتمام الكافي من الإباطرة الألمان باستثناء بعض الامتيازات البسيطة في ألمانيا وإيطاليا، وبعد فترة دامت حوالي عشرة سنوات كانت أول وثيقة صادرة من البابا انوسنت الثالث للجماعة ، والذي ربما لم يكن مهتما بها في تلك الفترة بسبب انشغاله بالأحداث الأخرى في ألمانيا وأنطاكية ، أو أنه كان ينظر إليها على أنها أداة للإباطرة الغربيين فخشي من استخدامها لتنفيذ سياستهم . وهو ما سوف يتضح فيما بعد وبخاصة في عهد فردريك الثاني . ويؤيد هذا الرأي أنه أعاد حرقيا امتياز البابا كلستين الثالث السابق دون أن يضيف إليه شيئا جديدا (٦١) . ومن العوامل الأخرى التي أثرت على دور الجماعة تحول الحملة الصليبية الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية والتي كان مقدر لها أن تتجه إلى مصر (٦٢) . زبوننا المعروف أن الحملات كانت محبدا لانسياب الاموال

برينونوفيلك على رأس الحزب المعارض من الجولفيين . وقد عمل كل منهما على اجتذاب البابا انوسنت الثالث إلى جانبه . وكان الأخير يهدف إلى فصل إيطاليا عن الإمبراطورية . وقام البابا بتأييد أوتو الرابع الذي لم يبد أية مطالب في إيطاليا . وظلت الحرب الأهلية دائرة في ألمانيا حيث انتهت بهزيمة أوتو ونفيه إلى إنجلترا . غير أن اغتيال فيليب أدى إلى حل المشكلة بعد ذلك حينما تزوج أوتو الرابع من بياتريكس ابنة فيليب ، عن ذلك أنظر :

J. Leuschner, *Germany in The Late Middle Ages, Europe in The Middle Ages Selected studies* (Général. R. Vaughan, Amsterdam 1980) 25-37; M. Scott, *Medieval Europe*, (London 1964) 258-60.

(٦١) . انظر ما سبق ص . وكذلك : Strehlke, no. 298.

(٦٢) ظهرت الجماعة الألمانية في الحملة الصليبية الرابعة حيث تلقت منحة في عام ١٢٠٩م / ٦٠٥هـ - ٦٠٦هـ في كالاماتا Calamata على الساحل الجنوبي لليونان وكانت بداية وجود الجماعة في هذه المنطقة التي ظلت فيها لفترة طويلة .

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 33, n. 11.

والهبات على الجماعات العسكرية . وسوف نرى أثر الحملة الصليبية الخامسة على دور الجماعة ، وظهورها على مسرح الاحداث بصورة واضحة عقب هذه الحملة . كذلك تركت شخصيات مقدمى الجماعة ونسبهم الاجتماعى أثرها على هذا الدور . وقد يكون لعدم انتماء هنريش فالبوت أول المقدمين الى طبقة الفرسان أثره في عدم وضوح الدور عسكرى لها . أما في عهد أوتو أوف كرين وهنريش فقد تطور دورها تطورا تدريجيا . وسوف يبلغ هذا الدور ذروته في عهد هرمان دى سالزا المؤسس الحقيقى للجماعة (١٢١٠ - ١٢٣٩م / ٦٠٧ - ٦٣٧هـ) (٦٣) أما عن أساليبه وشخصيته في الوصول الى أهدافه فقد تناولتها أبحاث عديدة (٦٤) . ويكفى أن نشير الى أن معظم ما حققته الجماعة في عهده يرجع الى شخصيته . فكان وجوده في أى مكان يتبعه في الغالب متجة او امتياز للجماعة في هذا المكان (٦٥) .

وضع هرمان أهدافا عديدة نصب عينيه سعى الى تحقيقها أثناء

(٦٣) أشار بطرس دوسبرج أنه رابع مقدمى الجماعة وحكم الجماعة لمدة طويلة حيث مات في ٢٤ يوليو ١٢٣٩م ودفن في برلاتا بايطناليا . ولا توجد معلومات محددة عن تاريخ أو مكان مولده ، وكذلك حياته الاولى . وربما ينتسب الى جيل من الوزراء الذين عملوا في خدمة دوق ثورنجا . وربما يكون قد قدم الى الشرق في عام ١١٩٦م / ٥٩٢هـ حيث التحق بالجماعة ثم انتخب مقاما لها في عام ١٢١٠م / ٦٠٧هـ . وظهر في حفل تتويج جان دى بريين أكتوبر ١٢١٠م / ربيع آخر ٦٠٧هـ . أما أول اشارة عنه في وثائق الجماعة فقد وردت في ١٤ فبراير ١٢١١م / ٢٨ شعبان ٦٠٧هـ . للمزيد عن ذلك انظر :

Petri de Dusburg, Chronica, 50; Strehlke, no. 47 : cf. also :

Tumler, Der Deutsche Orden, 33-34.

Favreau, Studien, 79-80.

(٦٤)

(٦٥) ذكر بطرس دوسبرج أن هرمان قال أنه مستعد لأن يضحى بأحدى عينيه لمن يستطيع أن يعد ويسلح عشرة فرسان للجماعة، انظر :

Petri de Dusburg, Chronica, 51.

توليه رئاسة الجماعة . فقد كانت لاتزال في مركز متواضع اذا ما قورنت بجماعتي الداوية والاسبتارية من حيث المكانة والتمتع بالامتيازات . فعمل على أن تكون في مكانة مساوية لهما ، ان لم تكن تتفوق عليهما . كما حرص على زيادة قوتها وتوسيع أملاكها ، لارتباطه المباشر بالاحداث التي شارك فيها . وكانت أولى المشاكل التي واجهها مع جماعة الداوية هي مشكلة رداء الجماعة . فقد أثار الداوية هذه المشكلة في عام ١٢١٠م/ ٦٠٧هـ حينما تظلموا أن رداء الجماعة الالمانية يتشابه مع رداؤهم من حيث اللون وهو الابيض . ووافق البابا انوسنت الثالث على مطلب الداوية وقرر أنه على الجماعة الالمانية ان ترتدى رداء من قمماش ستنفورد Stanforte (٦٦) . وعلى الرغم من أن الجماعة الالمانية كانت ترتدى هذا الرداء منذ فترة طويلة الا أن ظهور المشكلة في عام ١٢١٠م/ ٦٠٧هـ له ارتباط مباشر بالاحداث وقتها . ففي الفترة السابقة على بدء المشكلة لم يكن الدور العسكري للجماعة الالمانية قد ظهر بصورة واضحة ، ولكن عندما بدأت تسهم بدور واضح في الاحداث خشي الداوية من أن يحدث خلط بين اخوة الجماعتين الذين يرتدون نفس الرداء ، خاصة اذا اشتركتا في حملة واحدة . والذي كان يخشاه الداوية أنهم سوف يطالبون بنصيبهم في الغنائم ، وهو مبعث قلق الداوية الاساسي

(٦٦) أدركت الجماعة الالمانية الشرك المنسوب لها في اختيار هذا النوع من القمماش رداء لها . وعلى الرغم من أنه كان أبيض اللون الا أنه كانت هناك ألوان أخرى لنفس النوع فان المرحلة التالية سوف تكون تغيير اللون الابيض بلون آخر . ولذا حاربت بكل قوتها هذا الحل . أما ستنفورد فهي بلدة في انجلترا مشهورة بهذا النوع من القمماش . ويرى أوهرل Ohelr أن في انحياز الجماعة الالمانية الى جانب الاسبتارية انما يرجع الى موقف الداوية منها بسبب مشكلة الرداء . وسنرى أنه أثناء المشكلة القائمة بينهما سوف يشارك التيوتون الداوية في بناء قلعة عثليت ، كما سيشاركون في الدفاع عن الداوية أثناء القتال في الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، مما يعنى أن السياسة التي اتبعتها الجماعة انما كانت نابعة منها دون أن تملئها عليها مواقف معينة . انظر ما يلي ص ١٦٤ ، ١٧١ وكذلك :

في هذه المشكلة . وسوف ترتبط هذه المشكلة - كما سنرى فيما بعد ..
بمواقف الجماعة من الصراع بين البابا والامبراطور ، وانعكاس ذلك
عليها (٦٧) .

وكانت أولى رحلات هرمان الاستطلاعية هي تلك التي قام بها
بصحبة الرحالة والمندوب الامبراطوري فليبراند أوف أولد نبرج الى
أرمينية ، وذلك في أواخر عام ١٢١١م وأوائل ١٢١٢م (٦٨) . والتي

(٦٧) أرسل البابا أنوسنت الثالث الى البرت بطريرك بيت المقدس
لكي يتوسط في حل هذا الخلاف الناشب بين الجماعتين . وقد
أقر البابا ذلك الحل الوسط الذي أرسله له البطريرك والذي
يقضى بارتداء الجماعة قماش ستنفورد . وقد رفضت الجماعة
الالمانية هذا الحل وظلت متشبثة بموقفها حتى تولى
هونوريوس الثالث عرش البابوية . وسوف تأخذ المشكلة وضعاً
آخر أثناء فترة بابويته . انظر ما يلي الفصل الثالث
وكذلك : Strehlke, no. 301.

(٦٨) كان ليو قد أرسل الى الامبراطور أوتو الرابع طالباً منه
إرسال تاج جديد اليه ، فأرسل اليه هذا التاج مع مندوبه فليبراند
وقد وصل الى عكا حيث بدأ رحلته الى أرمينية عبر الطريق
البرى وترك لنا وصفاً لرحلته التي زار فيها العديد من المدن
والقلاع الصليبية . وصل الى أنطاكية في ٢٢ نوفمبر ١٢١١م /
١٣ جمادى آخرة ٦٠٨هـ ثم سار بعد ذلك بيومين الى بغراس -
آخر المحطات قبل الحدود الارمنية . ثم وصل الاسكندرونة أولى
المحطات في أرمينية الصغرى . وتمر على كومبدثورت - التي
التي ربما كانت تقع على أحد الطرق الجانبية على الطريق
الجانبية على الطريق الرئيسى ما بين المصيصة وطرطوس .
وحضر في سيس أحد الاعياد في ٦ يناير ١٢١٢م / ٢٩ رجب
٦٠٨هـ . ثم زار العامودين - قلعة التيوتون - الواقعة على بعد
ميلين من عين زرية Anazarba . وصف بعض المناطق الأخرى
التي زارها ثم أبحر بعد ذلك الى قبرص من أحد الموانئ الواقعة
على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى . ولا يوجد ما يفيد بأن

تتميز بأهميتها البالغة بالنسبة للجماعة . فقد أعقبتها حصول الجماعة على منحة أعطتها أماكن جديدة وامتيازات واسعة في المملكة الارمينية . وقد أشار فليبراند الى وجود أملاك للجماعة الالمانية قبل صدور منحة الملك ليو في ابريل ١٢١٢م/ذى القعدة ٦٠٨هـ عندما مر بكوميفورت في في و آخر عام ١٢١١م/رجب ٦٠٨هـ ، وكذلك العامودين (٦٩) التي حل بها ١٨ مارس ١٢١٢م/١٢ شوال ٦٠٨هـ ، ويرجح فورسترتر أن الجماعة ربما حصلت على منحة شفوية أثناء الرحلة ، ثم تلا ذلك صدور الوثيقة الخاصة بها بعد ذلك بوقت قليل (٧٠) . ولكن - كما أشرنا من قبل - كانت الجماعة موجودة بالفعل في المملكة الارمينية منذ عام ١٢٠٩م/٦٠٥ - ٦٠٦هـ على الأقل (٧١) .

أما منحة ليو الارميني للجماعة فقد استهلها باظهار تقربه الشديد لها وللإمبراطور الروماني ، حيث قال انه أصبح ملكا « بفضل من الله ومن الامبراطورية الرومانية » . وأشار الى الاخوة التيونون « الذين أدين لهم بالاخوة الصادقة وأتمنى أن أعزو شريكا لافضالهم وصلواتهم والحصول على اخلاصهم واحسانهم المتبادل » . وبعد ذلك أورد قائمة

هرمان قد صحبه في زيارته لجميع هذه المناطق أو انهما كانا يفرقا ليلتقيا بعد ذلك ، انظر :

Wilbrandi de Oldenberg, Peregrinatio, 176-9.

(٦٩) وردت بمسميات مختلفة منها :

Amouda, Amoudain, Amuda, Heimte, Adomodana.

وتقع بالقرب من أحد فروع نهر جيحان أو Pyramus ووردت في المصادر العربية باسم العمودين . وتوجد بها بقايا أربعة أبراج ربما تعود الى فترة حصول الجماعة الالمانية عليها ، وكانت مخصصة للسكنى وهذا النوع كان غريبا في كلبكية ويتفق مع منشآت مماثلة للجماعة في أوروبا مما يدل على ارتباطه بالجماعة . عن ذلك انظر :

Boase, op. cit., 150-1; Forstreuter, Der Deutsche Order, 60-1.

النويري : نهاية العرب ، ج ٢٨ ، ورقة ٨٩ .

Forstreuter, op. cit., p. 60.

(٧٠)

(٧١) انظر ما سبق ص ١٣٦ .

تفصيلية بأماكنها في أرمينية وهي قلاع وقرى العمامودين وكومندقورت
 وأيون أو هايون Ayuh وسسبين Sespín و بوكوكويا Buquequia
 بالإضافة إلى جميع الأراضي المحيطة بهذه القلاع والقرى السابقة المتابعة
 لها . وربما كانت تقع في محيط العمامودين ودلتنا نهر جهان أو
 جيخان (٧٣) . وعلى الرغم أن الوثيقة أشارت إلى حدود تفصيلية لهذه
 القرى والقلاع ، إلا أنها كانت منحدودة بأسماء أشخاص وليس بأسماء
 مدن أو مواقع معروفة . ويؤيد وقوعها في أماكن قريبة من العمامودين
 ما ورد في الوثيقة أنها « يمكن أن تشكل منطقة طينة في المستقبل .
 وشكلت العمامودين أهمية خاصة بسبب وقوعها على الطريق إلى سيس
 عاصمة المملكة الأرمينية وكذلك إلى النصيحة وطرسبوس اللجنتين
 الهامتين . وربما تحكمت مع مجموعة من القلاع والقرى السابقة في دلتنا
 نهر جهان (٧٤) .

وبالإضافة إلى الملحق السابقة من القرى والقلاع ، فقد أضاف ليو
 إليهما امتيازات أخرى هامة ، فبالإضافة إلى حق التصرف الكامل بحريتهما
 في المملكة الأرمينية ملوا في الأراضي من الجبال وتلال وإسهول وأيضا
 البحار التابعة لها . وكذلك بحرية البيع والشراء فيما يتعلق بخاجيات
 أفرادها . الضرورية مع تظلمات الملاحة بحريتهم ولأنهم دون أية معارضة
 ودون إقامة أي غوائق أمامهم . كذلك لم يسمح لأي أمير أو سيد اقطاعي
 أن يفرض عليها أية ضريبة أيا كانت . وإلى جانب الأراضي السابقة
 الممنوحة للجماعة ، فقد منحها جميع ما يخصها من مياه وطواحين .
 وشدد أيضا على ضرورة احترام الجميع لأفراد الجماعة (٧٥) . فقد

(٧٢) ليس من المعروف مواقع كل من أيون وسسبين وبوكوكويا .
 (٧٣) ذكر ابن عبد الظاهر أن هذا النهر يسمى « نهر جهان فهو نهر
 جيخان » والارمن تجعل الحاء هاء . انظر : الروض الزاهر في
 سيرة الملك الظاهر . تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض

١٩٧٦/١٣٩٦ م ، ص ٤٣٩ .

Riley-Smith, « The Templars and Teutonic Knights in Cilician (٧٤)
 Armenia », in Boase, 112-113; Forstreuter, op. cit., 61.

Strehlike, no. 46.

(٧٥)

والترجمة الخاصة بهذه الوثيقة في ملحق ٢ بآخر الكتاب .

حصلت على قلاع وقرى في منطقة كان ينظر اليها الكثيرون على أنها تمثل المستقبل بالنسبة للصليبيين . وكذلك الامتيازات الاقتصادية التي منحت لها والمتمثلة في الاعفاء من دفع الضرائب ، فضلا عن المصائد والطواخين التابعة لها . وكان كل ذلك يمثل بدون شك أهمية اقتصادية واضحة . ومن الملاحظ أيضا أن الملك الارميني لم يفرض على الجماعة أية التزامات مقابل هذه المنحة السخية . ثم انضم اليها كأخ شرفي لكى يؤكد للامبراطور الألماني صداقته لها .

وقد حرصت الجماعة على توثيق هذه المنحة من البابا أنوسنت الثالث ، الذى أرسل بدوره فى ٢٤ فبراير ١٢١٣م /شوال ٦٠٩هـ مؤكدا فيها حرصه على اظهار ليو كتابع للكنيسة الغربية (٧٦) . فقد أشار اليه على أنه « ابننا المحبوب » ، خاصة فى هذه المرحلة التى توترت فيها العلاقة بينهما بسبب تحول التأييد البابوى عن الجانب الارميني فى قضية الوراثة فى انطاكية . وكان لنجاح ليو فى ضم الجماعة الألمانية الى جانبه أثره عليه . فقد شعر أنه أصبح فى موقف قوى يعيد تأييد الاسبتارية والتيوتون له مما جعله يشن هجوما على أنطاكية وأملاك الداوية . كما أنه ساعد المطريرك اليونانى سمعان على الهروب من أنطاكية واللجوء اليه . وأدى ذلك الى اصدار البابا أنوسنت قرارا بحسرمائه فى فبراير ١٢١٣م /رمضان ٦٠٩هـ . وتراجع ليو حيث أعاد الممتلكات التى صادرها من الداوية ، ووعد بإعادة بغراس لهم . وكتب الى البابا طالبا منه مثول كل من بوهمنيد وريموند رويان أمام محكمة جديدة للفصل فى النزاع الدائر بينهما . وتم رفع قرار الحرمان عنه فى مارس ١٢١٣م /ذى القعدة ٦٠٩هـ (٧٧) .

وأما عن الفترة ما بين صدور منحة ليو الارميني للجماعة وحتى ديسمبر ١٢١٦م /رمضان ٦١٣هـ - وهو التاريخ الذى ظهر فيه هرمان فى أول لقاء بينه وبين الامبراطور فردريك الثانى (١٢١٥ - ١٢٥٠م / ٦١٣ - ٦٤٨هـ) - لا تلمس نشاطا واضحاً للجماعة ومقدمها . وربما كان

هرمان موجودا أثناء حصول الجماعة على منزل في عكا في ابريل ١٢١٥م/ذى الحجة ٦١١هـ ، حيث وعد صاحبة المنزل المباع بأن يسدد لها مبلغ أربعين ماركا من الفضة الخالصة في العام التالي - أى ١٢١٦ - في ستراسبورج . وربما في تخطيطه الذهاب الى الغرب الاوروبى أثناء اتمام هذه المنحة (٧٨) . وأشار البعض الى أنه ربما كان حاضرا في مؤتمر اللاتيران الرابع حيث نوقش الاعداد للحملة الصليبية الخامسة وتنظيم الدعوة اليها (٧٩) .

على أى حال ، كان اللقاء بين الرجلين - فردريك وهرمان - أكبر فرصة للمقدم الأعلى لتنفيذ ما كان يهدف اليه من رفع مكانة جماعته . وبالفعل تحقق له ما أراد ، حيث حصل في العام التالي ، أى ١٢١٧م/ ١٦٤هـ ، على امتياز من الامبراطور يعطى للجماعة الالمانية جميع

(٧٨) باعت ماتيلدا زوجة كونراد منزلا بكامل ملحقاته ، ووعد هرمان بتسديد هذا المبلغ لكى تستطيع السيدة المذكورة شراء مزرعة تعيش على دخلها . وتؤول الى الجماعة بعد وفاتها . وفي حالة عدم وفاء الجماعة بهذا الشرط تدفع لها اربعمئة ماركا من الفضة تسدد بواقع أربعين ماركا كل عام ، انظر : Strehlke, no. 48.

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 35.

(٧٩)

حرص البابا انوسنت الثالث على اعداد حملة أخرى تكون وجهتها مصر عقب تحول الحملة الرابعة الى القسطنطينية - وقد ركز في خطابه على ما سببه بناء حصن الطور من خطر على المملكة الصليبية ، والاستغاثات المرسلة اليه من الصليبيين . وطلب عدم اهمال أمر هذه النداءات . وفي مؤتمر اللاتيران الذى انعقد في ٣٠ نوفمبر ١٢١٥م ، والذى حضره جان دى برين والعديد من الصليبيين الآخرين تقرر تحريم المتاجرة مع المسلمين في السلاح و الحديد والقطران و بيع سفن لهم ، وذلك استعدادا لفرض حصار اقتصادى البحرى على مصر . عن هذه الخطابات ، انظر :

Louise and Jonathan Riley-Smith, *The Crusades : Idea Reality*, 118-132.

الامتيازات التى يتمتع بها الداوية والاستبارية فى مملكة صقلية (٨٠) .
وفى نفس الوقت كان البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦ - ١٢٢٧م/٦١٣ -
٦٢٤هـ) قد اعتلى الكرسى البابوى . وبدأت مرحلة جديدة فى العلاقة بين
هرمان وهو نوريوس . وكانت وثيقة ٨ ديسمبر ١٢١٦م/٢٦ شعبان ٦١٣هـ ،
بداية للامتيازات الضخمة التى سوف تحصل عليها الجماعة من البابا .
وقد أورد الامتيازات السابقة الممنوحة لها ، وأضاف إليها حق البنساء
فى الاراضى الجديدة التى تحصل عليها ، وحق استغلالها لصالحها ،
ولكنه اشترط عدم حدوث تداخل بينها وبين الجماعات الأخرى اذا كانت
لها أملاك قريبة من هذه المناطق المفتوحة (٨١) . وحتى هذه المرحلة
فان هرمان لم يكن قد بدأ يلعب دور الوسيط بينهما ، لأن العلاقة بين
الرجلين لم تكن قد بدأت فى التعقد ، ولم يظهر فردريك بعد نواياه الرامية
الى تحقيق أهداف أسلافه القدامى (٨٢) .

لم يقدر لانوسنت الثالث أن يرى الحملة التى دعا اليها تخرج الى
الشرق وقام خليفته هونوريوس باستكمال الاعداد لها . وعندما تعذر
مشاركة معظم ملوك أوروبا فيها ، خرجت بقيادة أندرو الثانى ملك
المجر (١٢٠٥ - ١٢٣٥م/٦٠١ - ٦٣٢هـ) حيث نزل فى عكا حوالى
منتصف سبتمبر ١٢١٧/جمادى آخرة ٦١٤هـ (٨٣) . وفى أكتوبر من

(٨٠) Winkelmann, *Acta Imperii*, i, 121 no. 145.

(٨١) Strehlke, no. 303.

(٨٢) سوف يقوم هرمان بدور هام فى التوسط بين فردريك
وهو نوريوس عندما تتعقد العلاقة بينهما . وقد استطاع اقناعهما
بفضل شخصيته وأسلوبه فى التعامل الذى انعكس فى ذلك العدد
الضخم من الوثائق والمنح التى تضمنت الامتيازات لجماعته .
وللمزيد انظر الفصل الثالث وما بعده .

(٨٣) أتى الموعد المتفق عليه بين البنادقة والملك الهنغارى لنقله الى
عكا على ظهر سفنهم ولكنهم لم يفوا بوعدهم فاضطر أندرو
للرحيل على ظهر سفينتين استطاع اعدادهما . وكانت الخطة
الموضوعة من قبل هى أن يلتقى مع ليوبولد فى قبرص ، ولكن
الآخر استغل الرياح المواتية واتجه الى عكا مباشرة حيث وصلها
فى أوائل سبتمبر/أواخر جمادى الاولى . وكذلك فان أندرو

نفس العام عقد مجلسا حضره هرمان دى سالزا . وفيه تم اقرار الخطة الموضوعة من قبل والتي تقضى بمهاجمة مصر مع ابقاء القوات الصغيرة في سورية لحماية المدن والقلاع الصليبية من احتمال هجوم المسلمين عليها أثناء وجودهم في مصر . ولكن تم تعديل الخطة بعد ذلك ومهاجمة أملاك العادل والمعظم عيسى في بلاد الشام (٨٤) .

أبحر الى عكا عندما تأخر عن الموعد المتفق عليه . وقد جانب بعض المؤرخين الحديثين الصواب في أنه تم عقد مجلس حرب في قبرص ، أو أن مقدمى الجماعات الرهبانية اتجهوا لمقابلة أندرو الملك الهنغارى هناك .

J. Donovan, *Pelagius and the Fifth Crusade*, (London, 1950) 32, n. 29.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جا: دى بريين على مصر الاسكندرية ١٩٧٨ ، ١٧٩ - ١٨٠ .
أما السفارة التى أرسلت الى قبرص فقد كانت مكونة من أحد الاثرياء الالمان وبصحبة جارنييه اليمان ، كما أشار تاريخ هرقل . وبالفعل حضر هيولوزينان ومعه قوات كبيرة . أما الخلط الذى حدث لدى المؤرخين الحديثين فربما مرجعه ذلك الخطاب الذى أرسله هونوريوس الثالث بأن يتم عقد مجلس للحرب في قبرص . ومر هرمان على الجزيرة أثناء عودته وظل بها فترة ربما انتظارا لوصول أندرو . ولكنه غادرها الى عكا حيث عقد بها مجلس الحرب والذى حضره هرمان كما ورد في تاريخ هرقل . وأثناء وجوده في قبرص حصل على منحة لجماعته أكدت المنح السابقة لها فيها بالاضافة الى قرية لافكار .
عن ذلك انظر :

Eracles, ii, 321-22; Pressutti, *Honorius III*, nos. 672-73; Perl-bach, « Die Reste » no. 2, 648-49.

(٨٤) أرسل وليم دى شارتر مقدم الداوية للبابا هونوريوس الثالث يعلمه بوضع خطة من جانب البطريرك والملك والجماعات العسكرية والتي تقضى بمهاجمة نابلس والمعظم عيسى صاحب دمشق . ولكن بعد وصول الحملة الهنغارية تمت الموافقة على هذه الخطة المزدوجة انظر :

Lettres de Jaques de Vitry (1160-1170-1240) évêque de Sainte Jean d'Acre, (edition critique par R.B.C. Huygens, Leiden 1960). Ep. iii, 98-99.

وعندما علم العادل بوصول قوات الحملة أسرع للخروج من مصر متجها الى الشام لكي يكون على مقربة منها ويتخذ ما يراه مناسبا . وكانت قوات الحملة قد بدأت في التحرك بهدف مهاجمة الجليل . ورأى العادل أنه غير قادر على الدخول في مواجهة مباشرة معها ، فقرر الانسحاب من بيسان على الرغم من معارضة ابنه المعظم عيسى لهذا الامر . ووصل الصليبيون الى بيسان حيث خربوها ، واستمرت أعمال التخريب في المنطقة الواقعة بينها وبين بانياس . وحدث ذلك في أوائل نوفمبر ١٢١٧م / أوائل شعبان ٦١٤هـ (٨٥) . وربما كانت هذه الاعمال التي قام بها الصليبيون بقصد السلب والنهب والحصول على المؤن أكثر منها لتحقيق أية مكاسب توسعية . ويؤيد ذلك أن المحاصيل في هذا العام كانت قليلة مما يعنى عدم استطاعتهم البعد عن مراكز امداداتهم ، كما كانت هناك ندرة في الخيول لدرجة أنه لم يوجد ما يعرض منها للبيع . وقد كان لذلك أثره على هذه الغارات التي لم يعد يتوفر لها عنصر السرعة و المباغتة ، وهو مر هام بالنسبة لأي جيش مهاجم .

وبعد أن عاد الصليبيون الى عكا أمضوا بها فترة من الوقت ثم اتجهوا لحصار حصن الطور بسبب ما كان يسببه من أخطار على المنطقة ما بين شمال وجنوب المملكة خاصة عند قيسارية . وقاد الملك جان دي برين هذه الغارة بنفسه . ووصل الصليبيون عند الحصن في ٣٠ نوفمبر ١٢١٧م / ٢٨ شعبان ٦١٤هـ . وفي ٣ ديسمبر / ٢ رمضان قام الصليبيون بالمحاولة الاولى للاستيلاء عليه ، واشتد القتال حيث استطاع المدافعون

ويلاحظ أنه لم ترد اشارة في هذا الخطاب الى وجود مقدم التيوتون في هذا المؤتمر على الرغم من أن كلا من أوليفر أوف بادربون وتاريخ هرقل أشارا الى وجوده . انظر :

Oliver Scholastisus, *Histeria Damietta* (ed. H. Hoogeweg in Bibliothek des Litterarischen Vereins in Stuttgart, Vol. 202, Tübingen 1894), also, (engilsh Trans. by J. Gavigan, *The Capture of Damietta*, (Philadelphia 1948), Ch. .2. 163-4, Eracss, ii, 323-4.

(٨٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٥٨٣ - ٥٨٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .
Donovan, Pelagius, 34, n. 35.

عنه رد المهاجمين . ثم تلا ذلك محاولة ثانية شاركت فيها الجماعات العسكرية - في ٥ ديسمبر/ ٤ رمضان ، واستمات المدافعون عن الحصن في الزود عنه « قتالا لم يجر في الاسلام مثله » . ووصل الصليبيون الى باب الحصن ، ولكن المدافعين استطاعوا ردهم واغلاقه . واتفقوا « على أنهم يقاتلون قتال الموت لا يسلمون أنفسهم لئلا يجرى عليهم ما جرى على أهل عكا » . وكان فيه أبطال المسلمين وخيار عسكر الشام كما ذكر سبط ابن الجوزي (٨٦) . وأشار بعض المؤرخين الى عدم وضوح السبب الذي دفع جان الى الارتداد على الرغم من أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الاستيلاء عليه (٨٧) . وأوضح سبط ابن الجوزي ذلك السبب في أنه « جبن جماعة منهم على القتال » . كذلك تمكن المسلمون من قتل أحد القادة « فلما رأوه مقتولا صاحوا وبكوا وكسروا رماحهم » (٨٨) . ومن المرجح ان الجماعة شاركت في هذا الهجوم نظرا لصلاتها بالملك الصليبي ، وحرص هرمان على اظهار جماعته في هذه الاحداث . وقد انتهى هذا الهجوم على الحصن بالفشل وأقنع بوهمند الرابع الصليبيين بالانسحاب وفك الحصار (٨٩) .

(٨٦) مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .
 (٨٧) ذكر دونفان أن المقریزی روى أن سبب ترك الحصن هو مقتل أحد ملوكهم . وفسر اشارة المقریزی بأنه يقصد هيلووزينان صاحب قبرص ، ولكنه ذكر أنه أثناء حصار الحصن كان على قيد الحياة . غير أن سبط ابن الجوزي وهو أحد المعاصرين ، أشار الى أن الذي قتل هو « كند كبير » أثناء حصار الحصن . ولم يشر الى هيلووزنيان ، بل قال انه أحد القادة . ولكننا للأسف لم نعثر على اسمه . واعترف أوليفر بمقتل العديد من الصليبيين في هذه المحاولة . للمزيد انظر :
 Oliver, *Historia*, ch. 3, 167; cf. also : Donovan, op. cit., 35, n. 41;

وقد أشار أوليفر صراحة الى مشاركة الجماعات العسكرية في الهجوم على الحصن على الرغم من عدم أخذ بعض المؤرخين الحديثين بذلك . انظر محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ١٨٥ .

(٨٨) مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٨٤ .
 (٨٩) Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 219.

أما عن بقية أحداث تلك الحملة الهنغارية فقد تمثلت في اغارة فاشلة قامت بها مجموعة من الصليبيين شمالا حول صيدا ومنطقة نهر الليطاني . ولم يشترك الملك أو أى قائد معروف في هذه الحملة ، والتي ربما كانت للسلب والنهب أكثر منها لتحقيق أية أهداف أخرى . وعندما اعتقد الملك الهنغارى أنه بر بقسمه ، قرر العودة على الرغم من تحذيرات زادولف بطريرك بيت المقدس (١٢١٥ - ١٢٢٤م/٦١١ - ٦٢١ هـ) بتوقيع قرار الحرمان عليه ، حيث غادر عكا الى الشمال فى أوائل ١٢١٨م/شوال ٦١٤ هـ . وكان رحيله أحد الاسباب التى أدت الى فشل الحملة الصليبية الخامسة ، لأنه لم ينتظر وصول بقية قوات الحملة وتنفيذ الجزء الثانى من الخطة الموضوعة والذي كان يقضى بمهاجمة مصر .

وعلى الرغم من أن الحملة الهنغارية لم تحقق أية مكاسب أو انتصارات ، إلا أنها عادت ببعض الفائدة على جماعة التيوتون . فقد ازداد اعجاب الملك الهنغارى بها وأعطاهامنا واسعة فى بلاده بعد عودته وذلك فى عام ١٢٢٢م/٦١٩ هـ (٩٠) . وفى الوقت الذى كان فيه الصليبيون ينتظرون وصول قوات الحملة الخامسة ، شاركت الجماعة مع فرسان الداوية فى بناء قلعة الحجاج أو عثليت فى شمال اقطاعية قيسارية بالقرب من قلعة قديمة تعرف باسم دترويت Detroit (٩١) .

(٩٠) كان الملك أندرو قد أعطى الجماعة منحة غير مشروطة فى عام ١٢١١م . وبعد أن حصل هرمان على تأكيد لهذه الحقوق فى بروسيا ، حاول أن ينسلخ بها عن التاج المجرى . وتقدم بطلب الى البابا بعد أن توثقت العلاقة بينهما فى ٣٠ ابريل ١٢٢٤م/٩ ربيع آخر ٦٢١ هـ ونتيجة لذلك ساءت العلاقة بينه وبين الملك المجرى ، وتم طرد الجماعة من المجر على مراحل حتى عام ١٢٥٥م/٦٢٢ هـ للمزيد انظر :

Favreau, *Studien*, 85-6.

(٩١) عن هذه الاعمال فى اقطاعية قيسارية ، وبناء قلعة قيسارية أيضا انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ١٨٠ - ١٨٦ . وقد خلد الصليبيون مشاركة الحجاج الغربيين فى هذا العمل بأن أطلقوا عليها اسم قلعة الحجاج . انظر :

C. Smail, *Crusaders in Syria and Holy land*, 114

وربما كانت مشاركة الجماعة في هذا العمل له دافعه . فبناء هذه القلعة سوف يوفر الحماية لهذه المنطقة الضعيفة فيما بين شمال وجنوبى المملكة الصليبية ، وبالتالي لعكا - عاصمة المملكة - والمناطق المحيطة بها . وكما اشرنا من قبل ، فان الجماعة ركزت جهودها في الحصول على مناطق وقرى لها في هذه المنطقة حول عكا . كما ان مشاركتها في أعمال البناء سوف يزودها بالخبرة في أعمال التحصينات ، حيث ستقوم بعد بضع سنوات من ذلك التاريخ ببدء بناء مركزها الرئيسى في مونتفرت أو القرين (٩٢) . وربما يؤيد ذلك أنها كانت قد حصلت من البسابة هونوريوس على حق البناء في المناطق المفتوحة في امتياز ٨ ديسمبر ١٢١٦م/٢٦ شعبان ٦١٣هـ الممنوح لها (٩٣) .

ومنذ بداية الحملة الخامسة على دمياط حرص هرمان على أن تشارك جماعته مشاركة فعلية فيها . فكان على رأس قواته التى اتجهت الى هناك حيث وصل بعد عدة أيام من وصول طلائع تلك الحملة الى دمياط (٩٤) . ولن نتعرض هنا لتفاصيل هذه الحملة ، وانما سنركز على دور الجماعة في أحداثها وما أسهمت به في تلك المعارك التى دارت رحاها على ضفاف النيل . كما أنه من الطبيعى أن وجود الجماعة في حد ذاته مع القوات الصليبية سوف يجعلها تشارك في جميع المعارك سواء بدور دفاعى أو هجومى . وبالفعل جرت محاولات من جانب الصليبيين للاستيلاء على برج السلسلة الذى كان عقبة أمام ادخال الصليبيين لسفنهم في فرع دمياط لكى يتقدموا لحصار دمياط نفسها . وظهر هرمان ضمن

(٩٢) انظر الفصل الثالث .

Strehlke, np. 303.

(٩٣)

(٩٤) أبحرت أولى طلائع الحملة من عكا في ٢٤ مايو ١٢١٨م/٢٦

صفر ٦١٥هـ متجهة جنوبا الى عثليت حيث تم وضع اللمسات النهائية للهجوم قبل الابحار الى دمياط . ولما لم يكن هناك سوى عدد قليل من السفن ، فقد أبحر البعض وانتظر الملك ومعه مقدمو الجماعات العسكرية الثلاث ورجال الدين . ثم تلا ذلك ابحارهم حيث وصلوا في ٢٩ مايو/٢ ربيع أول . انظر : Oleiver, *Historia*, ch. 10, 175-77; Jacques de Vitry, *Ep. III*. p. 98-9.

الموقعين على خطاب مرسل من دمياط الى الغرب الاوروبى بتاريخ ١٥ يونية ١٢١٨م/١٩ ربيع أول ٦١٥هـ ، مما يدل على مشاركة فى الاحداث منذ البداية(٩٥) . وبعد عدة محاولات مستميتة من جانب الصليبيين ضد البرج استطاعوا الاستيلاء عليه فى ٢٤ أغسطس ١٢١٨م/ ٢٩ جمادى أولى ٦١٥هـ . وربما يكون أحد فرسان الجماعة والذي أسماه تاريخ هرقل - ليتوت Litot - قد قام بدور فى الاستيلاء عليه بعد أن كادت تلك المحاولة الصليبية أن تتعرض للفشل بسبب استماتة المدافعين المسلمين فى الدفاع عنه(٩٦) .

نتج عن سقوط البرج انفتاح الطريق أمام الصليبيين للتقدم نحو حصار دمياط . وكانت أبرز أحداث هذه الفترة هى مؤامرة ابن المشطوب وما أحدثته فى المعسكر الاسلامى من اضطرابات والتي جعلت الكامل محمدا ينسحب الى الجنوب تاركا معسكره فى العادلية ، وباحتلال الصليبيين لهذا المعسكر أتاح لهم الفرصة فى احتلال الشاطئ الشرقى للنيل ، وحصار دمياط بعد ذلك(٩٧) . وفى محاولة للاستيلاء عليها

(٩٥) Bohmer, *Acta Imperii Selecta*, no. 934.

(٩٦) انفرد تاريخ هرقل بهذه الاشارة ، حيث ذكر أنه كان أحد الفرسان الذين انضموا للجماعة حديثا . ووصف ما قام به فى مهاجمة البرج حيث حمل فى يده عصا فى نهايتها سلسلة مثبت بها كرة ذات بروز من الحديد . أما أوليفر فقد روى فقط أن اثنين صعدا السلم دون أن يحدد ههما . أما روشف فقد حددهما بأنهما هنريش من ليجي Liège ، أما الشخص الفريزى فهو هايو من فيفلجو أو قولفجا Hayo of Fivelgo أو Wolwega انظر :

Eracles, ii, 323, cf. also : Donovan, *op. cit.*, 42.

وعن هذه المحاولات انظر : محمود عمران : الحملة الخامسة ، ص ٢١٨ - ٢٢٦ .

(٩٧) روى المقرئى أن نزول الصليبيين على شاطئ دمياط كان يوم الثلاثاء ٢ ربيع أول ٦١٥هـ/ ٢٩ مايو ١٢١٨م ، ونزولهم على البر الشرقى يوم الثلاثاء أيضا ٦ ذى القعدة ٦١٥هـ/ ٢٥ يناير ١٢١٩م . أما ابن الاثير فقد ذكر أنهم عبروا النيل الى الشاطئ

تقدم الصليبيون من الجانب الشرقى وتركوا الجانب الغربى فى حراسة الفرسان التيوتون ، واتخذ الجيش الصليبي مواقعه أمام المدينة . ولم يقدر لهذه المحاولة التى جرت فى ٥ فبراير ١٢١٩م/ ١٨ ذى القعدة ٦١٥هـ النجاح . وتعرض الفرسان التيوتون لهجوم مضاد من جانب قوات الكامل حيث أدرك قلة أعداد الصليبيين فى هذا الجانب . وكان الكامل قد أقام معسكره عند فارسكور التى كانت على بعد حوالى ستة أميال من المعسكر الصليبي . وعلى الرغم من أنها لم تكن موقع حصين إلا أنها كانت كافية للقيام بهجمات سريعة على الصليبيين وتخفيف الضغط عن دمياط (٩٨) .

وظلت الحرب سجالا بين الجانبين فى هذه الفترة ، وبدأ عدد من الصليبيين فى مغادرة دمياط عائدين الى أوطانهم . وكان من بين هؤلاء ليوبولد دوق النمسا الذى كانت موارده قد أوشكت على النفاذ بعد أن أمضى قرابة عامين مع الجيش الصليبي ، وربما يكون قد أعطى منحة للجماعة الألمانية قدرها ستة آلاف مارك من الفضة لشراء قطعة من الأرض حسبما أشار أوليفر (٩٩) .

الشرقى فى ٢٠ ذى القعدة ٦١٥هـ/ ٢ فبراير ١٢١٩م . السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٩٦ . (٩٨) أشار تاريخ هرقل الى وجود الفرسان التيوتون على الجانب الغربى ، أما أوليفر فقد أشار الى الألمان والفريزيين . ونرجح رواية تاريخ هرقل هنا ، لأن جماعتى الداوية والاسبتارية كانتا فى الجانب الشرقى . وقد جانب دونفان الصواب عندما استخدم رواية أوليفر مشيرا الى أنهم الفرسان التيوتون . انظر : Eracles, ii, 338, Oliver, *Historia*, ch. 23; 202; cf. also Donovan, *Pelgius*, 54 n. 86.

(٩٩) ربما غادر دمياط فى الأسبوع الأخير من شهر أبريل أو الأحد الأول من مايو الموافق ٥ مايو ١٢١٩م/ ١٨ صفر ٦١٦هـ . وأعطى للجماعة الألمانية قبل عودته ستة آلاف مارك وهى التى ستستخدمها فى شراء الأرض التى ستقيم عليها قلعتها الرئيسية فى مونتفرت . ووردت هذه المنحة فى وثائق الجماعة بالاضافة الى ما ذكره أوليفر - شاهد عيان المعاصر للأحداث :

ركز الصليبيون جهودهم في الاستيلاء على دمياط . وكان من
الاجدى لهم توجيه هذه الجهود ضد المعسكر الكاملى . وفى ٣١ يوليو
١٢١٩م/ ١٦ جمادى ولى ٦١٦هـ بينما كان الصليبيون يدكون المدينة
بالحجارة ، قام الكامل بهجوم مضاد على قوات الداوية وتوغل المسلمون
داخل المعسكر الصليبي وكادوا يقضون عليهم لولا تدخل الفرسان
التيوتون مع الفرسان الآخرين الذين أسرعوا لنجدة الداوية . وكان حلول
الظلام عاملا مساعدا على انقاذهم أيضا من هزيمة محققة (١٠٠) . وعقب
ذلك ازدادت الخلافات بين المندوب البابوى والملك جان دى برين مما
ترك أثره على المعسكر الصليبي . وقد ظهر بوضوح انضمام الفرسان
التيوتون الى جانب الملك الصليبي . وفى ٢٩ أغسطس ١٢١٩م/ ١٦
جمادى آخرة ٦١٦هـ امتثل القادة لطلب العامة فى الجيش الصليبي بالتقدم
جنوبا ومهاجمة المعسكر الكاملى ، على الرغم من معارضة قادة الجماعات
العسكرية لذلك . وقد وقع الصليبيون فى الشرك الذى نصب لهم عندما
ترك المسلمون معسكرهم الا من بعض القوات الصغيرة التى تظاهرت
بالفرار عند تقدم الصليبيين . وتشاور الصليبيون فيما يجب عمله ، حيث
تم الاتفاق على المبيت فى المعسكر والارتداد فى اليوم التالى . وكان الملك
يوحنا قد عاد لانتقاد النسوة الصليبيات اللاتى كن يحضرن الماء للجيش
من هجوم البدو عليهم ، فاعتقد البعض أن ذلك ارتداد فأسرعوا بالفرار .
وعندما رأى المسلمون ذلك انقضوا عليهم . وعلى الرغم من توصلات الملك
والقادة بالثبات الا أن ذلك ذهب سدى . وتساقط الصليبيون من الاعياء
والتعب الذى حل بهم من حرارة الجو ، بالاضافة الى أنهم شربوا
الخمور التى كانت معهم عندما لم يجدوا الماء فازدادت حالتهم سوءا .
وتحمل الملك ومعه فرسان الجماعات العسكرية عبء الوقوف أمام الهجوم
الاسلامى ، وفقد التيوتون فى هذه المعركة وحدها ثلاثين فارسا بخلاف
الجرحي . وعلى الرغم من أنهم أقل الجماعات عددا فى القتلى ، الا اذا

Eracles, ii, 331; Oliver, *Historia*, ch. 26, 207; *Gesta crucigerorum Rhenanorum*, (ed. Röhrich, *Quinti Belli Sacri Scriptores minores*, Genevae, 1879) 48-49.

Oliver, *Historia*, Ch. 27, 209-10; *Gesta Obisidiais Damiaté* (١٠٠) 90-91.

قارنا ذلك العدد بأعدادهم الاصلية فهو لا شك خسارة كبيرة بالنسبة لهم .
هذا بخلاف الاسرى أيضا من أفراد الجماعة (١٠١) .

وعقب هذه الهزيمة التى منى بها الصليبيون أرسل الكامل يعرض عليهم عرضا آخر من عروض الصلح . وقد اختلفت الشروط التى قدمها فى هذا العرض الجديد عن العروض السابقة (١٠٢) . وأشار هرمان فى خطابه الى بعض شروطه . فذكر أنه مقابل فك الحصار عن دمياط والجلاء عن مصر ، عرض السلطان اعادة الصليب ، وجميع الاراضى التى كان الصليبيون يحتلونها قبل استرداد صلاح الدين لها ، بما فيها القدس والضريح المقدس ، واطلاق سراح جميع الاسرى المسلمين . مع احتفاظه بالكرك والشوبك وقد عرض دفع مبلغ سنوى مقابلهما (١٠٢) . وقد انضم الفرسان التيوتون الى جانب الملك والفرنسيين وبعض كبار رجال الدين فى قبول هذا العرض ، بينما رفضه بلاجيوس والداوية والاسبتارية .

(١٠١) لم يحدد أوليفر عدد قتلى التيوتون فى هذه المعركة . ولكنه أشار الى أنهم لحقت بهم بعض الخسائر فقط . وبلغ عدد قتلى الداوية خمسين فارسا والاسبتارية اثنين وثلاثين . انظر :
« Gesta obsidionis », 102-3, « Alberti Milioi Notarii Regni,
Liber de Temporibus, MGH, SS, 31, 490.

(١٠٢) عن عروض الصلح المختلفة انظر محمود عمران : الحملة الخامسة ، ص ٣٠٣ وما بعدها .

(١٠٣) يعود الى هذه الفترة أول خطاب لمقدم الجماعة هرمان . وقد ظهر فيه الاسلوب الرائع واللغة اللاتينية الواضحة . وأورد بعض أحداث الحملة مبديا رأيه فيها . واتضح صواب رأيه فى كثير من المواقف . وانفرد بالإشارة الى اعادة الصليب ، وكذلك تحديد أسماء القلاع والمدن وهى تورون وصافيتا وبانياس وبوفورت . ولم تشر المصادر العربية الى عروض الصلح فى هذه الفترة المبكرة . انظر :

Letter of Hermann of Salza, « Annales Melrosenes », MGH, SS, 27, 439; Oliver, *Historia*, ch. 31, 222, Eracles, ii, 340-1; cf. also : Tumler, *Der Deutsche Orden*, 35; Sterns, « The teutonic Knights » 359.

ونلاحظ أن سياسة التيوتون هنا اتسمت بقبول هذه العروض السلمية من السلطان الايوبي . وهى هنا تعيد نفس السياسة التى سارت عليها أثناء عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ لأن ذلك يتفق فى الغالب مع مصالحتها . فمما لا شك فيه أن هذه الاراضى التى ستعاد الى الصليبيين سوف يكون لها نصيب فيها ، وسيتيح لها ذلك بدون شك التوسع فى مناطق جديدة وهى ما كانت تهدف اليه . بينما عارضت الداوية والاسبتارية هذه العروض لأنه فى الغالب سوف يقع على عاتقها مهمة الدفاع عنها بعد عودة الصليبيين الى اوطانهم ، وهذا يعنى أعباء مالية جديدة تضاف عليها فى الوقت الذى كانت تعاني فيه من تدهور فى مواردها (١٠٤) .

كان أبرز أحداث الفترة التالية هى سقوط دمياط فى ٥ نوفمبر ١٢١٩م/٢٥ شعبان ٦١٦هـ . وعندما دخل الصليبيون المدينة عاثوا فيها فسادا وانتشرت السرقات وكعادتهم هاجموا النساء والاهالى فى المدينة على الرغم من استسلامها لهم ، بل وحولوا مسجدها الى كنيسة لاتينية (١٠٧) . وكان هرمان مقدم الجماعة موجودا أثناء سقوط المدينة حيث نصح القادة الصليبيين بجمع الغنائم كلها وتوزيعها حتى لا تحدث أعمال سلب وسرقة لها . وقد حدث ما توقعه ، ولم تجد تهديدات بلاجيوس بتوقيع حرر الحرمان . وعقب ذلك تطور الخلاف بين المندوب البابوى والملك الصليبي حول املاك دمياط ، أمام تهديد جان دى برين بالرحيل أقر بلاجيوس حكمه لها حين وصول فردريك الثانى (١٠٦) .

وفى أواخر مارس ١٢٢٠م/محرم ٦١٧هـ غادر الملك الصليبي دمياط

Riley-Smith, *The Knights of St. John*, 141-2 (١٠٤)

(١٠٥) قال هرمان أنه تم سرقة جزء كبير من الاموال مباشرة عقب احتلال المدينة ، وتم استعادتها وتقسيمها بين الجميع . انظر : « Letter of Hermann of Salza », 439.

(١٠٦) تصرف جان أثناء وجوده كملك لدمياط - وتوجد عملة من دمياط تحمل اسمه على الوجه الاول ، أما الوجه الثانى فعليه اسم دمياط . انظر :

D.H. Metacalf, *Coinage of The Crusades and The Latin East in The Ashmolean Museum, Oxford*. (London 1983) 22.

عائدا الى الشام بسبب مشاكل الوراثة في أرمينية عقب وفاة ليو الثانى فى ١٢١٩م/٦١٦هـ - كما غادرها هرمان مقدم الجماعة ، وليس من الثابت اذا كان قد اتجه الى عكا أو أبحر الى أوروية مباشرة (١٠٧) . فبينما يتعلق بالموقف العسكرى فلم تشهد الفترة بعد سقوط دمياط اشتباكات خطيرة بسبب انتظار الصليبيين لوصول فردريك الثانى الى دمياط . ولكن فى يولييه ١٢٢٠م/جمادى اولى ٦٧١هـ قام الداوية بالهجوم على مدينة البرلس والمناطق المحيطة بها . وبعد يومين عادوا ومعهم كمية كبيرة من الغنائم التى استولوا عليها . وعندما علم الفرسان التيوتون بعودتهم خرجوا لاستقبالهم ومعهم مجموعة أخرى من الفرسان . ولكن الفرسان المسلمين كانوا فى أثرهم واستطاعوا مباغتة أولئك الفرسان ووقع كثير منهم أسرى وقتل (١٠٨) . وقد أشار أوليفر بوضوح الى أمر كل من مارشال جماعة الفرسان التيوتون وقائدها العام فى هذه المعركة ، بخلاف

(١٠٧) من الثابت وجود هرمان فى حفل تتويج الامبراطور فردريك الثانى فى روما فى ٢٢ نوفمبر ١٢٢٠م . أما الملك الصليبي فقد كان متزوجا من ستيفانى ابنة ليو الثانى وانتهى أصبحت لها حقوق وراثة فى أرمينية بعد وفاة والدها ليو الثانى هناك . أما الاحداث فى انطاكية فقد تطورت أيضا الى الاسوأ حيث دبرت ضد ريموند روبان أيعسند على أثرها من المدينة ، وعاد بوهمند الرابع اليها وذلك فى عام ١٢١٩م/٦١٦هـ . ووصل الى المعسكر الصليبي فى دمياط لمقابلة المندوب البابوى وعرض المشكلة عليه . وكان ريموند قد وهب الفرسان التيوتون منحة فى مارس ١٢١٩م/٦١٥ - ٦١٦هـ سمح بمقتضاها بممارسة الحرية الكاملة فى التجارة داخل امارة انطاكية والدخول والخروج اليها دون فرض أية ضرائب عليهم . وكانت هذه المنحة قبل المؤامرة التى دبرت ضده . ولكنه ليس من الواضح اذا كانت الجماعة قد تمتعت بنفس الامتيازات خلال عهد بوهمند الرابع ، أم أنه مثلما انتقم من أصدقاء ريموند من الاسبتارية تعرضت هى أيضا لشيء من هذا الانتقام . انظر : Strehlke, no. 51, cf. also : Cahen, La Syrie, 631; Donovan, Pelagius, 99-101; Tümler, Der Deutsche Orden, 35.

Oliver, Historia, ch. 48, 252.

ما أشار اليه بعض المؤرخين الحديثين من أن الذى أسر هو مارشال
الاسبتارية (١٠٩) .

وتلا هذا الاشتباك البرى ، اشتباك آخر بحرى - فقد استطاع الكامل
أن يعيد اصلاح أسطوله البحرى وأرسله عبر أحد أفرع النيل الأخرى الى
البحر المتوسط ، حيث اتجه فى أغسطس ١٢٢٠م/جمادى آخرة ٦١٧هـ
الى قبرص لى يقطع الامدادات عن الصليبيين . وبالفعل استطاع أن
يباغت أسطولا صليبيا رأسيا فى ليماسول - أو النمسون كما تسميه المصادر
العربية - وقتل العديد وأسرا أعدادا أخرى بعد أن استطاع تدمير الاسطول
الصليبي . أما أوليفر فقد أورد رواية أخرى حيث أشار الى أن أسطولا
صليبيا مكونا من أربع عشرة سفينة كان متجها الى الساحل المصرى حينما
اعترضه أسطول أيوبى وتمكن من هزيمته : وكان من بين هذه السفن
سفينة تابعة لمنزل التيوتون محملة بالشعير احترقت بفعل النيران
الاغريقية وغرقت (١١٠) . وليس واضحا لدينا على وجه الدقة ان كانت
هذه السفينة ضمن أسطول للجماعة أم أنها كانت تستأجرها . ولكن ذلك

(١٠٩) لم تشر المصادر المعاصرة الى هذه المعركة ، ولكن ورد فى الخيل
على الروضتين ص ١٢٢ ، أنها وقعت فى رجب ٦٧١هـ/سبتمبر
١٢٢٠م ، وأن عدد قتلى الصليبيين بلغ فى هذه المعركة عشرة
آلاف فارس بخلاف الغنائم ، وهو لا شك رقم مبالغ فيه . أما
مارشال الجماعة فربما يكون لودففيج من هورفلجوى
Ludovicus von Horfilegowe والقائد العام هو درابودوى أوتينج
Drabodo de Ittinge الذين ظهروا فى وثيقة من عام ١٢١٥م . انظر :
Strehlke, no. 48, cf. also : Runciman, *History*, iii, 165; Do-
novan, *Pelagius*, 79. n. 57.

(١١٠) ذكر أرنول أن الكشافين أخبروا بلاجيوس بهذا الاسطول
ولكنه نهرهم وقام بطردهم لأنهم أزعجوه أثناء تناول طعامه
ولم يصدقهم ، وعندما علم بنبا تحطيمه شعر بالذنب لذلك . أما
الرواية الأخرى لأوليفر فلم يشر فيها الى بلاجيوس . انظر :
Ernoult, *Chronique*, (ed. L. de Mas Latrie, Paris, 1871) p. 429-
30; Eracles, ii, 345; Oliver, *Historia*, ch. 49 253. cf. also :
Donovan, *Pelagius*, 81.

يظهر ، على أى حال ، مشاركة واضحة من جانب الجماعة في امداد الصليبيين بما يحتاجون اليه من امدادات ، وهو نوع آخر من المشاركة في أحداث هذه الفترة الهامة .

ونتيجة لعدم وفاء فردريك الثانى بوعوده الكثيرة في الذهاب الى الشرق ، أرسل البابا هونوريوس الى مندوبه البابوى يطلب منه أن يضع في اعتباره أية عروض للصلح قد يتقدم بها السلطان وألا يرفضها في الحال . وفي حوالى يونيه ١٢٢٠م/ربيع آخر ٦٧١هـ أو في ربيع ١٢٢١م/أوائل ٦١٨هـ قدم السلطان عرضا آخر للصلح . وقد أضاف في هذا الصلح شروطا أخرى جديدة منها إعادة بناء أسوار بيت المقدس وبعض القلاع الأخرى التى هدمها المعظم عيسى في بلاد الشام عندما علم بتفاوض الكامل حول تسليم هذه القلاع مقابل الجلاء عن دمياط . وكان من بين الذين أرسلوا يحملون هذه الشروط الجديدة بعض أفراد من جماعة التيوتون الذين كانوا أسرى لدى السلطان الايوبى . ولكن جاك دى فيتري الذى أشار الى ذلك لم يزودنا بأسماء هؤلاء الأسرى من الجماعة . وقد رفض المذدوب البابوى هذا العرض معتمدا على أنباء بقرب وصول فردريك و قوات أرسلها قبله بقيادة لويس دوق بافاريا حيث وصلت الى المعسكر الصليبي في دمياط (١١١) .

(١١١) يؤرخ خطاب جاك دى فيتري الذى وردت فيه هذه المعلومات في ١٨ ابريل ١٢٢١م ، وبالتالي فانه ليس من المعقول أن يكون العرض قد قدم في يونيه ١٢٢١م وانما من المرجح أن يكون يونيه ١٢٢٠م ، أو على أقصى تقدير في أوائل عام ١٢٢١م/٦١٨هـ . أما المصادر الاسلامية فلم تشر الى عروض الصلح الا عندما بدأ القتال بين الجسانين في يوليه ١٢٢١م/رجب ٦١٨هـ ، حيث عرض عليهم الكامل إعادة القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبله واللاذقية ، ماعدا الكرك والشوبك ، ولكنهم رفضوا ذلك طالبين ثلاثمائة دينار عوضا عن تخريب القدس ، ومطالبين بالكرك أيضا . ولكنه لم يتم الاتفاق بينهما . انظر :

Jac. Vitry, Ep. VII: 150-1, cf. also : Donovan, Pelagius, 82, n. 74.

ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٣١٧ - ٣١٨ ؛ ابن وأصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ٩٤ - ٩٥ .

ومع بداية عام ١٢٢١م/٦١٨هـ بدأ الصليبيون يعودون الى دمياط - وكان من بينهم هرمان دى سالزا الذى عاد ومعه حوالى خمسمائة فارس لتدعيم قرائته المشتركة فى الحملة وتعويض الخسائر التى لحقت بها ما بين قتيل وجريح وأسير ، ولكى يؤكد دور جماعته من ناحية أخرى فى الحملة حيث كان يجرى الاعداد للتقدم نحو القاهرة . وقرر بلاجيوس بحماقته المعهودة التقدم بقواته ، فى الوقت الذى كانت الامدادات قد وصلت الى الكامل محمّد من أخويه الاشرف موسى والمعظم عيسى . كما عاد جان دى بريين حتى يفوت الفرصة على بلاجيوس فى أن ينسب لنفسه احراز النصر (١١٢) . وبعد سلسلة من الاشتباكات انتهت بحصر الصليبيين من جميع الجهات ، قرر الصليبيون الارتداد نحو دمياط (١١٣) . وفى ليلة الخميس ٢٦ أغسطس ١٢٢١م/٦ رجب ٦١٨هـ ، بدأوا فى تنفيذ ذلك القرار . وقام بعض التيوتون باحراق أمتعتهم الزائدة حتى لا تقع غنيمة فى أيدي المسلمين (١١٤) . ولكنهم أعطوا بذلك اشارة للمسلمين بأنهم قد بدأوا فى التراجع ، كما أنهم أثناء ارتدادهم كانوا يحملون معهم خمورهم التى شربوها وتساقطوا بعد أن ثملوا ولعبت الخمر برؤوسهم فكانوا صيدا سهلا للمسلمين (١١٥) . وعندما فشل الصليبيون فى محاولات رد الهجوم الاسلامى عليهم قرروا الدخول فى مفاوضات وعرض الجلاء

(١١٢) Donovan, Pelagius, 88-92.

(١١٣) عن عرض واف لأحداث هذه الفترة انظر : محمود عمران :

الحملة الخامسة ، ص ٣٦٤ - ٣٩٣ .

(١١٤) ذكر رانسيما أن الفرسان التيوتون هم الذين أحرقوا

أمتعتهم . وعلى الرغم من أن أوليفر هو الذى روى هذه الحادثة

الا أنه لم يشر الى الفرسان ، وانما ذكر أن التيوتون هم الذين

قاموا بذلك . وربما المقصود بهم الالمان وليسوا فرسان الجماعة .

لأنه عندما يشير اليهم يستخدم معهم كلمة « منزل التيوتون » .

كما اشارت المصادر الاسلامية الى حادثة حرق الامتعة دون أن

تحدد من قام بذلك . انظر :

Oliver, Historia, ch. 73, 270. cf. also : Runciman, History,

iii, 168.

(١١٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ٩٧ ، ابن الاثير الكامل ،

ج ٩ ، ص ٣١٨ .

عن دمياط . وخلال هذه الفترة الحرجة كان هرمان موجودا مع الملك الصليبي بحكم ما كان يربطهما من صداقة (١١٦) . وربما يكون له دور في وضع بنود الصلح واختيار الرهائن لتنفيذها . وليس واضحا على وجه الدقة ان كان قد ذهب بالفعل مع أولئك الرهائن أم أنه اتجه مباشرة الى دمياط حيث كان القادة الصليبيون قد اختاروه مع مقدم جماعة الداوية للذهاب الى هناك لاقتناع الصليبيين الذين بها بتسليم المدينة (١١٧) .

(١١٦) كانت العلاقة بين هرمان والملك الصليبي قد توثقت بصورة قوية . وبالفعل أيده هرمان في قبول عروض الصلح ، كما أنه أعطى للملك نصف نصيبه من الغنائم التي حصل عليها في دمياط عندما كان الملك في حاجة للاموال . وكان لذلك تأثيره على الجماعة حيث منح لها الملك امتيازات في بريكان عكا وسورها ، وكذلك أعطى للجماعة صليباً ذهبياً كي يضعه أعضاؤها على ملابسهم . وسيكون لهذه العلاقة أيضاً تأثيرها فيما بعد في الوساطة بين جان دي بريين والامبراطور فردريك الثاني حول زواج الأخير من ابنة الملك جان . للمزيد انظر الثالث ص ١٨٢ - ١٨٣ وكذلك Perlbach, Die Reste no.

(١١٧) اختار السلطان الايوبي كلا من جان دي بريين وبلاجيوس ومقدمي الجماعات الثلاثة ولويس دوق بافاريا بالاضافة الى ثمانية عشر فارساً وبالتالي يصبح مجموعهم أربعاً وعشرين رهينة ، وذلك حسبما أشار أوليفر . أما المصادر العربية فقد أشارت الى أنهم كانوا « عشرين ملكاً » ، مما قد يوحي بعدم ذهاب هرمان ومقدم الداوية بطرس دي مونتاجو معهم ، أو يكونا قد أرسلوا من ينوب عنهما . أما ما أشار اليه أوليفر من أنه تم اطلاق سراح بعض هؤلاء الرهائن فلم يحدد ذلك على وجه الدقة . وإنما أشار فقط الى أن السلطان لكي يظهر حسن نواياه قام باطلاق سراح أسقف بوفيه المنتخب - وليس دوق بافاريا كما أشار البعض - وعدد آخر من الاسرى الذين كانوا مقيدين بالسلاسل وأنهم أحضروا الى معسكرهم ، مما يعنى أنه ليس هرمان أو مقدم الداوية . ولم توضح المصادر العربية شيئاً عن ذلك سوى أنها ذكرت أن الفرنج « راسلت قسوسهم ورهبانهم الى دمياط لتسلم الى المسلمين » ، « فلم يمتنع من بها » . وأجمعت تلك المصادر على اسم جان دي بريين وبلاجيوس ،

ولاشك في أن اختياره لهذه المهمة يرجع الى شخصيته وربما لتأثيره على الصليبيين الموجودين في دميـساط. والذين كان غالبيتهم من الالمان والايطاليين (١١٨) . وبالفعل كانت قد حدثت اشتباكات بينهم هناك ، وتعرض أحد فرسان الداوية للقتل ، وأصيب فارس آخر من فرسان التيوتون اصابة خطيرة . وتعرضت منازل الجماعات العسكرية ، ومن بينها التيوتون ، وكذلك أملاك الملك الصليبي في المدينة ، للهجوم بسبب قرارهم تسليم المدينة للمسلمين . ولكن بعد أن تم اقناعهم بضرورة تسليم المدينة بسبب نقص المؤن وقرب الشتاء ، بالاضافة الى الاخطار المحيطة بها ، وافقوا على ذلك . ونجح هرمان ومقدم الداوية في القيام بهذه المهمة . وفي ٢٢ رجب ٦١٨هـ / ٨ سبتمبر ١٢٢١م استرد المسلمون دميـساط لتنتهى تلك الحملة الصليبية على مصر دون أن تحقق أيا من أهدافها حيث عاد الصليبيون بخفي حنين .

على أية حال ، لقد وضح لنا مدى اسهام الجماعة الالمانية وعلى رأسها هرمان دى سالزا في احداث هذه الحملة الهنغارية والحملة على مصر ، ومدى حرص المقدم على ألا يفوت هذه الفرصة لاثبات وجوده . بل انه كان في نفس الوقت على اتصال بالبـابا هونوريوس الثالث والامبراطور فردريك الثانى يحيطهما علما بأخبارها ، ويسعى في نفس الوقت على أن يكون ملما بأخبارهما لكي يستغل الفرص للحصول على امتيازات منهما في الوقت المناسب . وكان لذلك أثره بالفعل ، حيث حصل على قائمة طويلة من الامتيازات والمنح وخاصة من البابا هونوريوس الثالث أثناء وجوده في روما لحضور حفل تتويج الامبراطور فردريك . كذلك

وانفرد ابن أيبك بالإشارة الى صاحب جزيرة قبرص - ربما جوتيه الثالث ميد قيسارية - كما أشار الى أعيان الديوية وكبار الاسبتارية والكنود دون أن يحدد أسماءهم . أما ابن الفرات فأشار الى كندرين صاحب صور . للمزيد انظر :

Oliver, *Historia*, Ch. 79-81, 276-77; cf. also : Donovan, *Pelagius*, 92-3, Runciman, *History*, iii, 168-9.

Favreau, *Studien*, 83-4, n. 130.

استغل الفرصة كي يقوم بدور الوساطة بين الامبراطور والبابا في الوقت الذي بدأت فيه الامور تتأزم بينهما . وهو ما سوف نبرزه تفصيلا في الفصل التالي .

ومن بين النتائج الهامة التي عادت على الجماعة بعد اشتراكها في هذه الحملات نجاح هرمان في اثبات شخصيتها العسكرية القتالية ، ووصفت الجماعة في وثائق البابا والامبراطور بنفس اوصاف الداوية والاسبتارية ، وأن ما تقوم به هو « كفاح ضد الاعداء وحماية الاراضى المقدسة » . وكان اول من اعترف بهذه المكانة في الغرب هو أحد القادة الذين اشتركوا في هذه الحملة . ولا شك أن هرمان قد نجح في تنفيذ الجزء الاول من خطته وهو رفع مكانة جماعته ، وسوف تكشف الصفحات التالية عن مرحلة أخرى هامة ، وهى تكوين مركز رئيسى لها في قلعة القرين أو مونتفرت .

الفصل الثالث

جماعة الفرسان التيوتون ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي
منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة وحتى وفاة هرمان دي سالزا
(١٢٢١ - ١٢٣٩م/٦١٨ - ٦٣٦هـ)

- موقف هرمان دي سالزا مقدم الجماعة من الصراع بين البابوية
والامبراطورية ، وانعكاس ذلك على جماعته .

- تأسيس قلعة مونتفرت أو القرين المقر الرئيسي للجماعة في الاراضي
المقدسة ، ومناقشة آراء المؤرخين القدامى والحديثين حول تاريخ
انشائها وأهميتها الاستراتيجية .

- الاستعدادات للحملة الصليبية السادسة (١٢٢١ - ١٢٢٧م/٦١٨ -
٦٢٤هـ) ، ودور هرمان في ذلك .

- وصول الامبراطور فردريك الثاني على رأس الحملة الصليبية السادسة
الى عكا في سبتمبر ٢٢٨م/شوال ٦٢٥هـ :

(أ) دور هرمان والجماعة في هذه الحملة حتى عقد معاهدة
يافا في ١٧ فبراير ١٢٢٩م/٢١ ربيع أول ٦٢٥هـ .

(ب) آثار المعاهدة على الجماعة ، وانعكاس ذلك على علاقاتها
السياسية بالمسلمين في مصر والشام .

(ج) مدى تأثير الجماعة بالنتائج العامة للحملة .

- دور الجماعة في الصراع الداخلي في ملكة بيت المقدس ، وانعكاس ذلك
على علاقاتها مع المسلمين في مصر والشام .

- الجماعة الالمانية في مملكة أرمينية الصغرى ، وانعكاس ذلك على دورها
في العلاقات الصليبية الاسلامية في شمال بلاد الشام اعتبارا من عام
١٢٣٦م/٦٣٣هـ .

- الجماعة الالمانية حتى وفاة هرمان دي سالزا في مارس ١٢٣٩م/شعبان
٦٣٦هـ ، وتقييم دورها في عهده .

مرت الجماعة الالمانية منذ تحولها الى جماعة عسكرية وحتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة باحدى المراحل الهامة في تاريخها ، وترجع هذه الاهمية الى نجاحها في الافلات من محاولات كل من الداوية والاستتارية السيطرة عليها ، والتي سوف تستمر حتى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى/أواسط السابع الهجرى . ويتولى هرمان دى سالزا رئاسة الجماعة اختلف الامر تماما عما كان من قبل . فسرعان ما نقلها هذا الرجل الذى كان شعلة من الحركة والنشاط ، الى دائرة الاضواء ومسرح الاحداث . فلم يدع فرصة تفوته الا استغلها لصالح جماعته فى الحصول على الامتيازات والمنح المختلفة سواء من القوى الدينية أو العلمانية . وترك ذلك كله أثره عليها ، فظهر دورها واضحا فى العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، خاصة فى تلك الفترة التى تغلبت فيها الدبلوماسية على الحرب لظروف العالمين الاسلامى والمسيحى وقتها كما أسهم هرمان بدور رئيسى فى الحملة الصليبية السادسة التى تركت آثارها على الجماعة الالمانية كما سنرى على صفحات هذا الفصل .

عقب فشل الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، غادرها هرمان مباشرة متجها الى الغرب الاوروبى حاملا أنباء فشلها . وفى روما ناقش المقدم الأعلى للجماعة أسباب فشلها ، وقدم النصح الى البابا بشأن أحوال الاراضى المقدسة . وفى نفس الوقت عمل هرمان على استغلال ما كان فردريك الثانى قد أعلنه وهو رغبته فى الخروج بالحملة (١) ، حيث كان يرى امكانية التغلب من خلالها على النزاع بين الجماعات الرهبانية العسكرية . ومنذ اللقاء الاول بين الرجلين استطاع هرمان الحصول على امتيازات ضخمة لجماعته (٢) . وكان أبرزها هو الحصول

(١) تعهد فردريك بالخروج بالحملة منذ عام ١٢١٥م/٦١٢هـ وذلك لتتويجه ملكا . ومنذ ذلك العام وحتى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ - أى قبل تتويجه امبراطورا - أعلن استعدادة للخروج بالحملة ليس أقل من ثلاث عشرة مرة . ومنذ تتويجه وحتى عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ أعلن أنه سيخرج أربع مرات . وحتى عام ١٢٢٥م/٦٢٢هـ أعلن نيته فى الخروج سبع مرات . عن ذلك انظر :

Tumler, Der Deutsche Orden, 37-n. 9.

(٢) انظر ما سبق ص ١٥٩ - ١٦٠ .

على « رعاية الامبراطورية لجماعته » ، وذلك في يناير ١٢١٧م/شوال ٦١٣هـ . وقد حضر هرمان احتفالات تتويج فردريك امبراطورا في روما في ٢٢ نوفمبر ١٢٢٠م/٢٢ رمضان ٦١٧هـ (٣) ، ويبدأ بعدها رحلاته الدبلوماسية الى البابا هونوريوس الثالث . وقد حرص البابا على أن يتوج بابويته بحملة صليبية تعوض فشل الحملة الخامسة ويكون الامبراطور على رأسها حيث سبق أن وعد بذلك ، وفي نفس الوقت فإن فردريك بدأ يفصح عن نواياه الخاصة بتوطيد سلطانه في صقلية وجنوب ايطاليا والمدن اللمباردية ، وهو ما كانت البابوية تخشاه حتى لا تقع بين شقي الرحى (٤) .

وقد حرص هرمان على استغلال الفترة التي تلت تتويج فردريك في الحصول على الامتيازات لصالح جماعته . وبلغ مجموع الوثائق التي حصل عليها من البابا هونوريوس الثالث مائة وثلاث عشرة وثيقة ، منها فقط تسع وخمسون وثيقة في الفترة ما بين ديسمبر ١٢٢٠م ومارس ١٢٢١م (٥) . وقد أتاحت هذه الوثائق ذات الطابع التشريعي البحث

(٣) يرى كون Cohn أن تتويج فردريك تم بمساعدة ووساطة هرمان دي سالزا لدى البابا . وقد كان هرمان موجودا في الغرب قبل التتويج بالفعل ، وربما استطاع اقناع البابا بأن التتويج سوف يساعد على ذهاب فردريك الى دمياط حيث كان الصليبيون في أمس الحاجة اليه آنذاك . وبالفعل أعلن فردريك بعد التتويج نيته في الذهاب ، ولكنه لم يف بوعده . انظر :
W. Cohn, Hermann von Salza (Breslau 1930), 28 ff.

(٤) سعيد عاشور : الامبراطور فردريك الثاني ، ص ١١٣ .
(٥) تـؤرخ وثيقتين فقط في عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ أما الوثائق الخاصة بالفترة من يناير الى مارس ١٢٢١م/ذى القعدة ٦٧١هـ الى صفر ٦١٨هـ فيبلغ مجموعها سبعا وخمسين وثيقة . ويوجد منها أربع وثلاثون وثيقة في الفترة من ١٥ الى ٢١ يناير-١٢٢١م/١٩ - ٢٢٤ ذى القعدة ٦٧١هـ فقط . انظر :

Strehlke, nos. 365-415, 806-7, 308-64.

أما امتياز ١٦ يناير ١٢٢١م/٢٠ ذى القعدة ٦١٧هـ فقد أعطى الجماعة حق جمع الصدقات وتصريف جزء منها وصدر امتياز

للجماعة أن تكون صاحبة السيادة على نفسها ، وتركت العنان لطفرتها السياسية والعسكرية وكذلك استقلالها عن أى سلطة سواء دينية أو غلمانية ، وتبعيتها المباشرة للبابوية فقط . وسوف نرى تأثير ذلك على دورها فى العلاقات السياسية مع المسلمين فى الشرق اللاتينى وخاصة أثناء الحملة الصليبية السادسة . واستطاع هرمان أيضا أن يحصل على حق جديد كفل لجماعته جميع امتيازات جماعتى الداوية والاسبتارية ، وهكذا استطاع أن يحقق أحد أهدافه التى وضعها نصب عينيه منذ توليه رئاسة الجماعة . ولا شك أن ذلك ترك أثره على هرمان حيث حرص على أن يكون وسيطا بين عاهلى العالم الاوروبى ، محاولا التوفيق بينهما (٦) .

أما عن علاقة هرمان بفردريك فقد أخذت فى التوثيق يوما بعد يوم ، وظهرت نية الامبراطور فى رفع مكانة الجماعة الالمانية عندما خاطب مقدمها هرمان بلقب « المقدم المبجل » *Venerabilis magister* كما وصف الجماعة بأنها « المنزل المبجل » *Venerabilis domus* وذلك فى احدى وثائقه المؤرخة فى ديسمبر ١٢٢١م (٨) . ولم يقتصر الامر

آخر بنفس الشرط وذلك فى ٩ فبراير ١٢٢١م/ ١٣ ذى الحجة ٦١٧هـ حيث حصلت الجماعة على نفس امتيازات الداوية والاسبتارية . وحصلت بموجب ذلك الامتياز على المنح من الافراد سواء فى المانيا و ايطاليا . انظر :

Strehlke, no. 331, 362.

(٦) من بين تلك الامتيازات ، امتياز ٩ يناير ١٢٢١م/ ١٣ ذى القعدة ٦١٧هـ والذى حصلت بموجبه الجماعة على جميع امتيازات الداوية والاسبتارية ، وامتياز آخر يحق لها اقامة كنائسها فى املاكها وللبابا وحده الحق فى منعها ، بالاضافة الى عدم خضوعها لآى تشريعات أسقفية أو غيرها . وكان لهذه الامتيازات - بدون شك - أثرها الواضح عليها فى تحركها . انظر أرقام هذه الوثائق فى هامش رقم (٥) الصفحة السابقة . وأيضا :

Dailliez, *Les Chevaliers*, 24-25.

J.F. Bohmer, *Regesta Imperii*, V, 1198-1272 (Innsbruck 1881- (V) 1882), nos. 1315, 1422, 1514, 1574.

وهى على التوالى من سنوات ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥م .

على رفعها الى مكانة الداوية والاستتارية ، بل عمل على أن تفوقهما (٨) .
وبدأ الامبراطور يعتمد على مقدمها بصورة أساسية في علاقته بالبابوية
من ناحية ، وفي معظم علاقاته مع القوى العلمانية سواء في داخل المانيا
أو خارجها من ناحية أخرى . وأصبح هرمان هو الرجل الاول في بلاط
الامبراطور ، وسوف يكون لذلك تأثيره الواضح على سياسة الجماعة سواء
في الشرق اللاتيني أو الغرب الاوروبي أو بالنسبة للصراع الصليبي
الاسلامي .

حرص هرمان على المشاركة في الدعوة للحملة الصليبية السادسة منذ
بدايتها ، والتي استغرقت حوالي ثمانى سنوات حتى أمكن أن تخرج
الى الشرق ، فعقب ذهابه الى الغرب قام البابا هونوريوس الثالث
بارسال خطابات الى جميع رجال الدين لحث الناس على المشاركة فيها ،
وكان ذلك في ١٩ ديسمبر ١٢٢١م / ٣ ذى القعدة ٦١٨هـ (٩) . واقترح
البابا - ربما بناء على نصيحة من هرمان دى سالزا - أن يتم الانتظار

من عام ١٢٦٦م nos. 1598, 1606, 1613, 1670, 1672, 1674

من عام ١٢٢٩م : nos. 1741, 1742, 1747, 1748, 1749, 1750, 1751.

وفيما يتعلق بوصف مقدم واخوة الجماعة بهذا الوصف انظر :
Huillard-Bréholles, ii, 224.

(٨) عمل فردريك على زيادة أعداد الجماعة بضم أعداد كبيرة من
النبلاء الصغار اليها ، بالإضافة الى منحها حق بناء السفن .
ومن بين الامتيازات الهامة أيضا ذلك الامتياز الذى أعفاها من
الضرائب ، وخاصة ما يعرف بضريبة السوق .

ولا شك أن ذلك كان من أهم الامتيازات التى زادت من
قدرتها الاقتصادية ، وأعطى لها حرية فى التحرك وتوفير مصادر
تمويل جديدة لها . انظر عن ذلك :

Daillez, *Les Chevaliers*, 51-2; Sterns, « *The Teutonic Knights* » 360.

(٩) عن ذهاب هرمان الى الغرب انظر : Eracles, ii, 355.

أما عن الخطابات الخاصة بالدعوة فانظر :

P. Pressutti (ed.), *Regesta Honorii Papae III* (2 Vols, Rome 1888-95), no 3637.

حتى ينتهى الاعداد لها وخروجها بأكملها ، وحتى لا يحدث ما حدث
فى الحملة السابقة وكان أحد عوامل فشلها (١٠) وفى اللقاء بين الامبراطور
والبابا فى فريولى Veroli بايطاليا فى ابريل ١٢٢٢م/ربيع ٦١٩هـ ،
اتفق فيه على احضار ممثلى القوى الصليبية لكى تشارك فى مؤتمر آخر
لمناقشة الخطط والاعداد الخاص بالحملة المزمع القيام بها ، على أن
يعقد المؤتمر فى نوفمبر من نفس العام ، وعندما حان الموعد المحدد تم
تأجيل المؤتمر بسبب مرض البابا ، وحدد شهر مارس ١٢٢٣/صفر ٦٢٠هـ
كموعد آخر له وقبل عقد المؤتمر اجتمع فردريك مع هرمان والملك جان
دى بريين الذى كان قد حضر من الشرق للمشاركة فى المؤتمر ، واتجهوا
بعد ذلك الى فرننتينو Ferentino مكان عقد المؤتمر (١١) .

وفى هذا المؤتمر تم الاتفاق على تأجيل الحملة الصليبية لمدة عامين ،
وذلك حتى ٢٤ يونية ١٢٢٥م/٥ جمادى آخرة ٦٢١هـ . كما عرضت فكرة
زواج فردريك من ايزابيلا - أو بولاند - وريثة تاج مملكة بيت المقدس -
فى المؤتمر . وأيا كان المسئول عن هذه الفكرة ، فقد كان لكل طرف هدفه

Pressutti, no. 3783.

(١٠)

(١١) أرسل فردريك أربع سفن لاحضار الملك يوحنا وبلاجيوس
ورادلف أوف ميرتكورت بطريرك بيت المقدس وجارين دى
مونتاجو المقدم الأعلى للاسبتارية وجوليمو القائد العام للداوية .
وقد أشار رورشت خطأ الى أن جريولد كان بطريرك القدس ،
وهو لم يكن تولى بعد هذا المنصب . أما برسيتى Pressutti
فقد وضع اسم هرمان كمقدم لجماعة الاسبتارية . أما لوران ديليه
فقد أشار خطأ أيضا الى بطرس مونتاجو مقدم الداوية ، والذى
لم يذهب الى الغرب بناء على نصيحة البارونات لكى يبقى
للدفاع عن الاراضى المقدسة . حسبما ذكر اوليفر . عن ذلك :

Oliver, *Historia*, ch. 89, 280, Eracles, ii, 355; Richard of San
Germano, « *Chronica* » (ed. Pertz) MGH, SS, Vol. xix,
342; Pressutti, no 4112; Delaville Le Roulx, *Cart.* ii, no.
1754, cf. also : Donovan, *Pelagius*, 102, 106-107, n. 47;
Dailliez, *Les chevaliers*, 51-2, Röhrich, *Regesta*, no.
953, n.1.

من وراء هذا الزواج ، والذي سيكون له أكبر الاثر على سير مجرى الاحداث ، بل وعلى الجماعة الالمانية نفسها . ومن الواضح أن هرمان دي سالزا كان من أكبر المتحمسين لهذا المشروع ، بل وربما كان هو صاحب الفكرة الاساسية . فقد رأى فيه امكانية توحيد عرش المملكة الصليبية والامبراطورية الرومانية وصقلية (١٢) . ومن ناحية أخرى فإن مشروع الحملة الصليبية لم يعد مشروعاً بابوياً ، وإنما أصبح مشروعاً امبراطورياً لأنه أدخل المملكة الصليبية داخل نطاق الامبراطورية . وتعهد فردريك بالحروج في الموعد المحدد . وفي نفس الوقت واصل هرمان رحلاته بين صقلية وروم والمانيا . وعمل فردريك على الاستفادة من الظروف الجديدة لوضع حد للخلافات القائمة في ألمانيا وتوطيد سلطته في صقلية . وأتاه له ذلك وجود شخص مثل هرمان صاحب القدرة على الاقناع ، واستطاع بالفعل التوصل الى ذلك من خلال لقائه بأولئك الامراء الالمان مما عاد بالفائدة على فردريك والحملة المقبلة (١٣) .

١٢١ : ذكر انبعض نسطور هونوريوس هو صاحب الفكرة ، وأقنع هرمان سوس دي لاتمبرطور كما ذكر البعض الآخر أن جان دي بريين ذكر صاحب الفكر ، وأنه ذهب الى الغرب لكي يبحث عن زوج نسطور . ذكر جود بري في لزواج فرصة لاجبار فردريك على الخروج من حملته ولكن مسألة تاج بيت المقدس كانت مسألة شرفية . أما حين دي بريين فقد كان يرى أنه سوف يحتفظ بالتاج او الوصاية على بننه حتى وفاته حسبما أقنعه هرمان بذلك . انظر :

Huillard-Bréholles, ii, 922, cf. also Donovan, *Pelagius*, 107.
n. 52, T.C. Van Cleve, *The Emperor Frederick II of Hohenstaufen, Immulator Mundi* (Oxford 1972) 160;
Runciman, *History*, iii, 174, La Monte, *Feudal Nobility*, 159, Sterns, « *The Teutonic Knights* », 362.

(١٣) يتضح من ذلك الخطاب الذي أرسله هونوريوس للامبراطور مدى المكانة التي تمتع بها هرمان أثناء توسطه بينهما . فقد وصفه البابا بالصدق والاخلاص والعمل من أجل الصالح العام ، واقناعه بأن الامبراطور يعمل بجد من أجل خروج الحملة والتفاوض مع الامراء شخصياً في ذلك . انظر :
Tumler, *Der Deutsche Orden*, 36.

أخرى متعللا بالمشاكل العديدة التي تعترض عريقه . واستطاع هرمان بدبلوماسيته الرائعة أن يقنع البابا بذلك حيث أخبره عدم وجود استجابة فعلية للحملة ، وأيده في ذلك الملك يوحنا الذي كان يشارك أيضا في الاعداد لها في أماكن أخرى . وفي نفس الوقت ذكر فردريك للبابا في خطابه أنه أعد مائة سفينة بخلاف خمسين أخرى كانت تحت البناء لكي يثبت جديته في الخروج بالحملة . وفي ذلك الاجتماع الذي عقد في سان جرمانو في ٢٥ يوليو ١٢٢٥م/١٧ رجب ٦٢٢ هـ ، والذي حضره عدد كبير من رجال الدين منهم جريولد بطريرك بيت المقدس (١٢٢٥ - ١٢٣٢م/٦٢٢ - ٦٢٩ هـ) بالإضافة الى هرمان دي سالزا والملك - استطاع هرمان - الممثل المخلص للامبراطور الالماني اقناع الحاضرين بتأجيل الحملة . وتقرر خروجها في ١٥ أغسطس ١٢٢٧م/أول رمضان ٦٢٤ هـ . أما مشروع زواجه من ايزابيلا فلم يستطع فردريك تأجيله ، فأرسل في أغسطس ١٢٢٥م/شعبان ٦٢٢ هـ أسطول الملك المكون من أربع عشرة سفينة بقيادة هنري من مالطة لاحتصار المملكة الى برنديزي حيث تمت مراسم الزواج في ٩ نوفمبر ١٢٢٥م/٦ ذى القعدة ٦٢٢ هـ (١٤) .

وطوال تلك الفترة التي قضها هرمان في الغرب الاوربي حتى مغادرته أبوليا في منتصف سبتمبر ١٢٢٧م/شوال ٦٢٤ هـ عائد الى عكا ، ظل يعمل على تهدئة العلاقة بين العاهلين الاوربيين من ناحية وبين

(١٤) تم الاتفاق على أن يخرج فردريك في الموعد الذي تحدد ومعه ألف فارس يقوم برعايتهم لمدة عامين في الاراضي المقدسة ، واعداد السفن لنقل مائة ألف ، بخلاف ألفي فارس ومعهم خيولهم بمعدل ثلاثة خيول لكل واحد منهم . وللوفاء بالتزاماته تعهد فردريك بوضع مائة ألف أوقية من الذهب على خمسة أقساط بضمان هرمان دي سالزا تسترد عند قيامه بالحملة وتستخدم للصرف عليها . أما اذا لم يف بتعهده ، فانه يتم الصرف منها على الاراضي المقدسة . وأضاف أحد الحاضرين أن الامبراطور قبل أن يفرض عليه قرار الحرمان في حالة عدم وفائه . عن ذلك انظر :

Huillard-Bréholles, ii, 500; cf. also : Donovan, *Pelagius* 108,

n. 57, Van Cleve, *The Emperor Frederick II*, 165-116.

Runciman, *History*, iii, 176, La-Monte, « *Lords of Sidon* », 201.

فردريك وخصومه خاصة للمباردين - من ناحية أخرى . واستطاع هرمان اقناع البابا أكثر من مرة أن تأجيل الحملة يعود الى المشاكل والظروف المحيطة بالامبراطور وليس بسبب عدم جديته . ولكن سرعان ما تغيرت الظروف وانقلب تضد فردريك ، فقد مات هونوريوس الثالث في ١٨ مارس ١٢٢٧م . وخلفه أجولينو أوف أوستيا وقلترا (Ugolino of Ostia and Velletra الذي حمل اسم جريجورى التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١/٦٢٤ - ٦٣٨هـ) وكان على النقيض تماما من هونوريوس في شخصيته وطريقة تعامله (١٥) . ووضع جريجورى نصب عينيه تحقيق التفوق على الامبراطورية في السيادة على العالم المسيحى ، أما مسألة الحملة الصليبية فقد كانت تأتى في المقام الثانى بالنسبة لاهتماماته . وأدرك جريجورى بحكم خبرته الطويلة السابقة أنه لا محالة سوف يدخل في صدام مع فردريك الثانى ، والذي كان عليه أن يغير سياسته في ظل هذه الظروف الجديدة التى طرأت على المسرح .

وعلى الرغم من مشاغل هرمان السياسية خلال هذه الفترة الا أنه لم ينس جماعته . وقد نجح في الحصول على العديد من الامتيازات سواء من البابا أو الامبراطور لصالحها . أما هدفه الآخر والخاص يتكون مناطق خاصة بها في الاراضى المقدسة فقد عمل على تحقيقه منذ توليه رئاستها (١٦) . وكان قد اختار المنطقة الواقعة خلف عكا لما لها من أهمية استراتيجية واقتصادية في نفس الوقت (١٧) . وسنحت له الفرصة المناسبة لتحقيق هدفه في مايو ١٢٢٠م/ربيع أول ٦١٧هـ عندما رغب أوتوكونت هنبرج وزوجته بياتريس في بيع ميراث والدها جوسلين الثالث والواقع في هذه المنطقة محور اهتمام هرمان . واشتمل البيع على عدد كبير من

Van Cleve, *The Emperor Frederick II*, 184, Runciman, op. (١٥) cit., 178.

(١٦) عن سياسة المقدمين الاول الخاصة بالحصول على الاملاك انظر الفصل الاول .

(١٧) سبق للجماعة أن حصلت على أجزاء من هذا الاقطاع الخاص بجوسلين الثالث في عوام ١٢٠٨م و ١٢١٥م ، انظر ما سبق الفصل الاول .

القرى الصغيرة وتوابعها وأراضي خارجية محيطة بها ، خاصة في معليا أو Castellum Regis . وبلغ عددها سبعا وثلاثين قرية . وكذلك ثلث أقطاع القديس جورج الواقع بالقرب من نفس المنطقة وعدد قراه سبع (١٨) . كما اشتمل البيع أيضا على اقطاع نقدي يحق للجماعة الحصول على ثلث ثمانمائة بيزنط تجبى من إيرادات ميناء عكا ، وأيضا ألفى بيزنط أخرى . ودفعت الجماعة سبعة آلاف مارك من الفضة وألفى بيزنط اسلامى ، كما تعهدت بدفع مبلغ ٣٢٥٠ بيزنطا اسلاميا ، كانت ديننا على صاحب الاقطاع لوليم أوف اما ندليه زوج اجنيس الوريثة الثانية للاقطاع . كما اشتملت الوثيقة أيضا على شراء منزل آخر كان يقع في عكا ثم تحديد موقعه وحدوده بعناية حتى لا يحدث نزاع عليه فيما يبدو مع أى أشخاص آخرين (١٩) .

(١٨) استئنفت الوثيقة قلعة البوم Album أنتى خصر عليها الاسبتارية من قبل . أما معني أو قلعة الملك فتقع على بعد ١٥ كيلو مترا شمال شرقى عكا . ولكن دوسو وندى نسمة حددت موقعها خطأ بأنها خربة لمعلية انوثة على بعد سعة شومى من جنوب شرقى صور - وهذا فطاع نقدي يقع في سبعة صور بخلاف معليا أو قلعة الملك المتار نيه في هذه التوقيع . أما اقطاع القديس جورج واندى يعتقد انسيحيون به مكان ميلاد هذا القديس فقد ضم العديد من الاماكن الأماكن الأخرى حصلت منها الجماعة فقط على سبع قرى . عن هذه المواقع ننظر خريطة رقم (١) . وأيضا :

Beycr. « Akkon » . p. 193 n. 2; Dussaud, Topographie, 29; P. Deschamps, Les chateaux des Croisés en Terre Sainte, Le Crac des chevaliers (Paris 1934), 308.

(١٩) لم تحدد الوثيقة الاولى قائمة الاماكن التى حصلت عليها الجماعة الالمانية بموجب هذه الوثيقة . ولكنها وردت في وثيقة جان دى برين الموثقة لهذا البيع . وقد تم هذا اما في ٣٠ مايو / ٢٦ أو ٢٧ ربيع أول حيث لم تحدد الوثيقة اليوم . ولأن الوثيقة الاولى كانت في ٣٠ مايو . فاما أن يكون التوثيق تم في نفس اليوم التالى ، لأن الوثيقة الثانية مؤرخة في شهر مايو وحرصت الجماعة أيضا على الحصول على توثيق من السلطة الجديدة في

وعلى الرغم من أن الجماعة حصلت على توثيق من الملك جان دي برين على هذا البيع ، إلا أنها لم تمارس الحذر المطلوب في الحصول على موافقة جميع الورثة . فقد طالبها جيمس ابن وليم واجنيس بحقوقه ، ورفض تسليمها أجزاء من الاقطاع . ووصلت القضية الى الامبراطور فردريك في عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ ، ربما عن طريق هرمان نفسه - باعتباره ملكا على المملكة الصليبية . فقام بتعويض الجماعة الالمانية عما دفعته من أموال لأبيه ، وحفظ له حقوقه ولا شك أن حصول الجماعة الالمانية على نصيب الاسد في ذلك الاقطاع الهام قد زاد من مكانتها في وقت قصير جدا في المملكة الصليبية ، اضافة الى العائد الاقتصادي الهام منه لوقوعه في تلك المنطقة الخصبة خلف عكا . كما ارتبط أيضا مع امتداد سيادة آل هوهنشتاوفن التي كان يطالب بها هرمان لما لها من نتائج هامة على جماعته باعتبارها الاداة الرئيسية في تنفيذ هذه السياسة . وقد أشرنا الى وجود العديد من القرى الصغيرة *Casalia* وكذلك الاراضي الخارجية *Gastine* في هذه الوثيقة . وتعنى الاولى نوعا من التجمع السكاني الريفي الخاص ، وقد كانت تعتمد على الزراعة وما تنتجه من محاصيل هامة ، وكذلك الفواكه التي اشتهرت بها هذه المنطقة من فلسطين . أما الاراضي الخارجية فقد كان بها العديد من المناطق المستغلة كمناطق للرعى ، كانت تدر أيضا عوائد من تربية الحيوانات بها وحصول الجماعة على جزء منها . وعلى الرغم من أنها أثناء فترة الاغارات كانت تفقد الكثير من أهميتها نتيجة للتخريب الذي

المملكة الصليبية - أي من الامبراطور فردريك وزوجته ايزابيلا .
لكي تحفظ حقها بعد زوال سلطة يوحنا دي برين . للمزيد
انظر :

Strehlke, no. s. 52, 53, 54, 60; Huillard-Bréholles, ii, 536; 671
cf. also : H.E. Mayer, «Die Seigneurie de Joscelin und
der Deutsche Orden, in Die Geistlichen Ritterorden
Europas (Vorträge und Forschungen 26), 190, Favreau,
Studien, 87-8.

تعرض له ، الا أنها ظلت موردا اقتصاديا هاما لها خلال فترات السلم (٢٠) .

أما عن الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة التي حصلت عليها الجماعة ، فقد تمثلت في قيامها بإنشاء قلعتها الرئيسية في الأراضى المقدسة فيها - وقد أطلقت عليها المصادر الألمانية اسم « التل الحصين » Starkenberg أو Montfort والتي تعنى نفس الاسم بالفرنسية ، أما المصادر العربية فقد أسمتها « القرين » أو « القرن » . وقد أقيمت مكان حصن قديم كان يعرف باسم « القلعة الملكية الجديدة » Castellum Novum Regis (٢١) . وقد أجمع غالبية المؤرخين الحديثين على أهميتها كموقع دفاعى واستراتيجى خاصة فى الدفاع عن عكا الى جانب أنه تم بناء عدة قلاع فى نفس الوقت على فترات زمنية مختلفة ، والتي كان يتم تحصينها بين الآونة والأخرى - كما أنها ذات موقع طبيعى حصين لوقوعها الى الداخل بعيدا عن البحر ، بخلاف ما قامت به

(٢٠) لم تكن جميع هذه الأراضى الخارجية مناطق صالحة للاستخدام بل كانت هناك مناطق غير مستغلة حول المدن الكبرى ، انظر : Riley-Smith, *Feudal Nobility and The Kingdom of Jerusalem, 1174-1277*, (London 1973) 43 f.

(٢١) سميت بهذا الاسم تميزا عن هونين التي كانت تعرف باسم القلعة الجديدة Castellum Novum وليس واضحا من كان يمتلكها فى القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى . وربما كانت تابعة لمعليا وأعطيت كدوطة لجوسلين الثالث مع هذا الاقطاع فى عام ١١٧٩م/٥٧٤هـ . ولكن احدى وثائقه فى عام ١١٨١ - ١١٨٢م/٥٧٦ - ٥٧٧هـ أشارت الى تبعيتها للملك الصليبي لأنه حصل عليها مباشرة بدون الإشارة الى معليا التي تم تبادلها معه . أما موقع قلعة مونتفرت فقد كان تابعا لجوسلين الثالث ، ثم فقدت بعد معركة حطين ، ولكنها عادت بعد صلح الرملة الى الصليبيين . وآل الاقطاع الى ابنتيه اجنيس وبياتريس . للمزيد انظر :

Benvenist i, *The Crusaders in The Holy Land*, 333; Richard, *The Latin Kingdom*, 74.

الجماعة من ادخال تحسينات زادت من حصانة هذا الموقع وفعاليته (٢٢) . غير أن المؤرخ براور خالف آراء هؤلاء جميعا بعدم قبوله لأهميتها الاستراتيجية و الجغرافية . ودلل على ذلك بصغر حجمها ، وعدم تحملها اقامة حامية كبيرة بها ، و تحمل الحصار لفترة طويلة . وأضاف أن اختيار موقعها يرجع الى وقوعها وسط الاملاك التي حصلت عليها الجماعة وقربها من عكا (٢٣) . غير أن هذه الآراء في حاجة لوقفة قصيرة لمناقشتها والرد عليها ، فمن ناحية الحجم أو الحصانة أجمعت مختلف التقارير الاثرية التي كتبت عن اكتشافها أنها كانت شديدة المناعة ، ويدل على ذلك نوعية الحجارة الضخمة التي استخدمت في بنائها . كما أشار دين Dean الى أنها « أثر معمارى حقيقى ، ومن القلاع المميزة في فلسطين » (٢٤) . أما من ناحية اقامة حامية كبيرة بها ، فإن الجماعة لم تكن بحاجة الى ذلك بسبب تركزها في عكا حاضرة المملكة الصليبية الاسمية وذات الموقع التجارى والاستراتيجى الهام . وقد استطاعت القلعة صد هجوم للسلطان الظاهر بيبرس عليها كما سنرى فيما بعد ، ولكنها سقطت في الهجوم الثانى لأن معظم المعازل والمدن الصليبية حولها كانت قد سقطت (٢٥) . كما أن اختيار الجماعة لهذا الموقع لكى تضع فيه أرشيفاتها وكنوزها ومقر اقامة الكثير من موظفيها لن يتسم بسهولة ، لو أنه لم يكن من الحصانة بحيث يمكن أن يسقط في أى لحظة . أما المصادر العربية فقد أجمعت على الاشادة بموقعه وحصانته ، فذكر ابن عبد الظاهر أنه كان من أمنع الحصون وأضرها بصدد ، وكان السلطان

B. Dean. «The Exploration of a crusaders fortress in Palestine» (٢٢) *Bull. of The Metropolitan Museum of New York*, 1927; E.W.G. Mastermann, A visit to the ruined castle of The Teutonic Knights » in *Palestine Exploration Fund*, 1919, 5-46; Hubatsch, « Montfort », 186.

(٢٣)

Prawer, *The Latin Kingdom*, 298, n. 33, *idem*, *Historie*, ii, 181-83.

Dean, *op. cit.*, 6.

(٢٤)

(٢٥) انظر الفصل الخامس .

نوبة فتوح صفد غار عليه ، بل غار عليه أن يكون للكفر مثله « (٢٦) .
وأضاف ابن أيبك الداودارى « وكان حصنا صعب المرام ، بناؤه بالحجر
الاصم . وبين كل حجرين عمود ملزم بالحديد » (٢٧) . أما شيخ الربوة
فقد وصفه بأنه « قلعة مليحة منيعة بين جبلين كان ثغرا للفرنج فتحه الملك
الظاهر » (٢٨) .

على أى حال ، فإن بناء مونتفرت كمركز رئيسى للجماعة الالمانية
فى الاراضى المقدسة قد تم بمبادرة شخصية من المقدم نفسه ، ولكنه غير
واضح على وجه التحديد متى بدأ البناء « (٢٩) . فقد عاد هرمان الى
عكا فى منتصف أكتوبر ١٢٢٧م / أوائل ذى القعدة ٦٢٤هـ ، فى نفس الوقت
الذى كانت القوات الصليبية التى سبقت فردريك فى الوصول الى الاراضى
المقدسة ، وخاصة الفرنسية والانجليزية ، مشغولة فى تحصين صيدا وبناء
قلعة البحر بها (٣٠) . وليس لدينا ما يؤيد مشاركة قوات من تلك الحملة
مع الجماعة الالمانية فى بناء حصنها ، لأن القوات الالمانية كانت فى نفس
الوقت تقوم بتحسين قيسارية . وذكر روجراوف وندوفر أن الخطة

(٢٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ .
(٢٧) ابن أيبك الداودارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٨ ،
ورقة ١٦٢ .

(٢٨) الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢١١ .
(٢٩) ذكر هيثوم الارمينى أنه بدأ بناء مونتفرت فى ٧٦٥ بالتقويم
الارمينى (٢٤ يناير ١٢٢٦ ، ٢٣ يناير ١٢٢٧م) ، كما أوردت
مآثر القبارصة نفس التاريخ . ويرى ماير أن هرمان دى سالزا
ربما يكون قد وضع عينيه على اقطاع جوسلين الثالث منذ عام
١٢١٥م / ٦١٢هـ ، وذلك عندما دفع مبلغا يقدر بأربعمئة مارك
من الفضة لمنزل يخص كونراد أوف شفرزنبرج Konrad of
Schwarzenberg وهو منزل ضخم ، والمبلغ المدفوع لا يتعلق
بالمنازل فحسب بل بالاراضى المحيطة به ، وذلك كخطوة للحصول
على اقطاع جوسلين . عن ذلك انظر :

Heutum, R.H.C., Doc. Arm. I., 485, idem, Vol ii, 653 ff;
cf. also : Mayer, « Die Seigneurie de Joscelin, 190.

(٣٠) أسامة زيد : صيدا ودورها فى الصراع الصليبي الاسلامى ،
الاسكندرية ١٩٨١ ، ٢٢١ وما بعدها .

الموضوعة كانت تقضى بالاتجاه الى يافا لتحسينها بعد الانتهاء من تحصين قيسارية . وليس من المعقول مشاركة الفرنسيين للامان في عملية البناء لما بينهم من عداوة معروفة ، ولعل هذا يؤيد ما أورده هوبتش أن الجماعة الالمانية قامت بعملية البناء بمفردها (٣١) . وقد سبق لها أن حصلت على الخبرة المطلوبة في مشاركتها للدواوية في بناء قلعتها في عثليت المعروفة باسم قلعة الحجاج .

وقد استغل هرمان تلك المنحة التي أعطاها له ليوبولد دوق النمسا أثناء الحملة الصليبية الخامسة في شراء الارض التي أعيد فوقها بناء مونتفرت (٣٢) . ولكن ظهرت بعد ذلك بعض المشاكل المتعلقة بالحصول على هذه الارض ، والتي تم حلها جزئيا بالاتفاق مع جيمس أوفلاماندليه في ٢٠ ابريل ١٢٢٨م / ١٣ جمادى أولى ٦٢٥هـ حصلت الجماعة بمقتضاه على « القلعة الجديدة التي تسمى مونتفرت ، والتي حصنها المنزل - أى الجماعة الالمانية - والتي يجب أن تظل تابعة له (٣٣) . كما حصل على مبلغ ٦٤٠٠ بيزنط سنويا تدفع من إيرادات وسواق عكا تقسط على أربعة أقساط في العام بواقع القسط الواحد ١٦٠٠ بيزنط ، أما اذا لم يتم الوفاء بالدفع ، فان الجماعة غير مطالبة باعادة مونتفرت لأنها تم تبادلها مع خربة أو قصر موبيللي Mobilie (٣٤) .

Roger of Wendover, *Chronica sive flores historiarum*, (ed. (٣١)
H.G. Hewlett, *Rolls Series 84, 1*) London 1886, ii, 349-
51; cf. also : Hubatsch, « Montfort, 186.

(٣٢) أكد هرمان دى سالزا حصوله على هذه المنحة في منحة العشر الخاصة بالجماعة من عشر المعاصي التي منحها له البسبا جريجورى التاسع ، انظر ما يلى ص ١٩ ، وكذلك

(٣٣) « Et castro novo, quod dicitur Montfort, quod eciam eadem domus firmavit, itaut illud castrum debeat domui perpetuo remanere » Strehlke, no. 63.

واشترط جيمس في وثيقته على الجماعة أنه في حالة مرور ستة أشهر وعشرين يوما على موعد تسديد القسطين والبالغ قيمتهما ٣٢٠٠ بيزنطا اسلاميا ، فعلى الجماعة اعادة كل الاقطاع فيما عدا مونتفرت . انظر نفس الوثيقة السابقة .

شيدت الجماعة حصنها الجديد فوق قمة بلغ ارتفاعها ١٨٥ مترا ، وعرضها ٦٥ مترا ، ولم تكن تتصل بالداخل الا عن طريق ضيق من الارض ، وأحيطت القلعة بالحوائط من جهات ثلاث ، أما الجانب الرابع فكان يقع على المنحدر مباشرة ، واتخذت الطراز الغربى ، ولم يدخل التأثير الشرقى فى بنائها ، كما اقيم برجها الرئيسى فى المنطقة المعرضة للهجوم ، وبلغ ارتفاعه حوالى خمسة عشر مترا . كما أضيفت اليها وسائل أخرى للحداية مثل الساتر الدائرى والمداخل السرية والابواب التى يتم رفعها وانزالها فوق الخندق الموجود أمام القلعة (٣٥) ، وذلك خلافا لما اشار اليه دين Dean من أن اسم القلعة قد اشتق من اسم عائلة مونتفرت الشهيرة ، اذ ليس هناك أى ارتباط بينهما (٣٦) .

(٣٥) عن الوصف التفصيلى لمونتفرت انظر شكل رقم ٣ ، ولوحات ارقام ٤ ، وايضا :

Dean, op. cit., 12ff, Hubatsch, « Montfort », 186 c, Tumler, Der Deutsche Orden, 62, Forstreuter, Der Deutsche Orden, 41-2.

(٣٦) كان أول أعضاء هذه الاسرة هو جاي أوف مونتفرت الذى حضر

الى القسطنطينية وتزوج من هالفيس أوف ابليس ، وأثمر

الزواج فيليب الذى أعاده أبوه معه الى الغرب . ثم قدم هذا

الابن لأول مرة الى المشرق مع حملة ثيوبولد صاحب شامبانيا

فى عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ ، وتزوج من ماريا الارمينية وريثة اقطاع

تورون وما وراء الاردن انظر :

Prawer, Histoire, ii, 181-2; Riley-Smith, Feudal Nobility, 19-28.

وخلال تلك الفترة الوجيزة التى قضها هرمان فى لاراضى المقدسة حصل على امتيازات أخرى لجماعته ، فقد منحها بوهمند الرابع أمير أنطاكية وطرابلس فى يناير ١٢٢٨م/صفر ٦٢٥هـ طاحونة تقع خارج سور أنطاكية ، بالإضافة الى حديقة مزروعة بالقرب منها ، وأيضا معصرة للكروم والارض المقامة عليها ، وقد منحها لها بدون ضرائب تفرض عليها ، ووثق هذه المنحة وختمها بخاتمه الخاص (٧٣) . وتحتاج هذه الوثيقة التوقف قليلا عندها ، فقد استطاعت الجماعة الالمانية أن تحافظ على علاقة متوازنة مع صاحب أنطاكية على الرغم من علاقتها مع المملكة الارمينية ، ولم تتعرض للانتقام مثلما حدث لجماعة الاسبتارية ، وربما كان هناك تأثير آخر جعل بوهمند يتقرب الى الجماعة الالمانية ، وهو أن ابنه بوهمند - الخامس فيما بعد - تزوج من أليس أرملة هيو الاول ملك قبرص والوصية على الملك الصغير هنرى الاول - وقد رفض الاوصياء الاليلينيون التنازل عن الوصية فى قبرص عندما رغبت فى اعطائها لزوجها الجديد ، وأدى ذلك الى أن تصبح طرابلس واحدة من المعاقل المؤيدة للحزب الامبراطورى والذي كانت الجماعة الالمانية على رأسه (٣٨) . وبالإضافة الى ذلك فان هذه المنحة كانت ذات أهمية اقتصادية خاصة

Strehlke, no. 64.

(٣٧)

(٣٨) ازدادت العلاقة سواء بين بوهمند الرابع وجماعة الاسبتارية منذ وقوف الاخيرة ضده أثناء الصراع الذى دار فى تلك الامارة على العرش بينه وبين ريموند روبان ، وتدخلت قوى عديدة فيه ، وانتهى بانتصار بوهمند الرابع الذى ثار لذلك خصوصا من الاسبتارية ، ونتيجة لذلك فقد أصدر البابا هونوريوس ضده قرار الحرمان ، وسمح للجماعة باسترداد املاكها عنوة فى عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ . وظلت محاولات التوفيق بين الجانبين قائمة . ولا نستبعد أن يكون هرمان دى سالزا قد لعب دورا فى محاولة التوفيق هذه والذى توافق منحه مع عودته من الغرب ، حيث ذكر أن فردريك أرسل مندوبا عنه للتوسط فى حل هذه المشكلة . وأشار ابن نظيف الحموى الى هذه الاحداث وحرمان بوهمند الرابع ووصول رسول من الانبرور - الامبراطور - للصلح بينهم ،

الطاحونة والمعصرة واللثان سوف تساعدانها على طحن وعصر ما تحتاجه دون مقابل ، بل وربما حصلت على عوائد مقابل قيامها بتأجيرها للاهالى الموجودين فى المنطقة أيضا . وهى تضاف الى ما سبق أن حصلت عليه من امتيازات من بوهمند الثالث فى حرية التجارة داخل اماراته ، وأيضا ريموند رويان أثناء فترة توليه حكم أنطاكية وطرابلس معا (٣٩) .

أما عن الاحداث التى جرت قبيل وصول فردريك الى عكا فقد تمثلت فى عقد الصليبيين لمؤتمر تم فيه مناقشة مختلف الآراء بخصوص ما يجب أن تفعله هذه القوات . وكان هرمان دى سالزا حاضرا ذلك المؤتمر ، ولا بد أنه اسهم بدور رئيسى فيه باعتباره نائبا عن فردريك . وتم الاتفاق على خطة تقضى بتحسين قيسارية ثم يافا للاتجاه الى بيت المقدس بعد ذلك . أما صيدا فمن المرجح أن تلك القوات الفرنسية والانجليزية التى اتجهت اليها قد قامت بالاستيلاء على النصف التابع للمسلمين بها . ثم قامت بعد ذلك بعملية التحسين وانشاء قلعة البحر بها . وقد استغلت هذه القوات وفاة المعظم عيسى المعارض الرئيسى للصليبيين فى أول ذى الحجة ٦٢٤هـ / ١٢ نوفمبر ١٢٢٧م ، وقامت بهذه الاعمال ، ويؤيد ذلك ما أشار اليه المؤرخ ابن نظيف الحموى ، وفيها عمروا الفرنج صيدا بغير رضى من فى الساحل لأن الفرنج الذين وصلوا من الجزائر وعمروها « (٤٠) » . وقد أورد ذلك بعد الإشارة الى تحصينهم لقيسارية ووفاة المعظم عيسى . ويتفق ذلك مع ما ورد فى تاريخ هرقل

انظر : الحموى (أبو الفضائل محمد بن على المعروف بابن نظيف) التاريخ المنصورى ، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، صورة خطية منشورة فى آثار الآداب الشرقية - السلسلة الكبرى للنصوص ، موسكو ١٩٦٠ ، لوحة 166 a ، وأيضا مصطفى الحناوى جماعة الفرسان الاسبتارية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ وأيضا : J. La Monte, «Johnd Iblin», The old Lord of Beirut, 1177-1236; Byzantion, xii 1937, 429; Hamilton, The Latin Church, 224-5; Riley-Smith, The Knights of St. John 161.

(٣٩) انظر ما سبق الفصل الثانى .

(٤٠) ابن نظيف الحموى : التاريخ المنصورى ، 166 a

أيضا من أن وصول الصليبيين الى صيدا كان في فترة وفاة المعظم عيسى (٤١) . وربما كان رد الفعل الوحيد لمهاجمة صيدا قد تم من جانب العزيز عثمان صاحب بانياس ، فقد خرج في أواخر ربيع الاول ٦٢٥هـ / أوائل مارس ١٢٢٨م حيث كمن ومعه بعض القوات ليلا أمام صور في المنطقة التي يخرج اليها الصليبيون لرعى مواشيهم ، وحيواناتهم ، وعندما خرجت هذه القوات في الصباح باغتها المسلمون واستطاعوا قتل العديد من رجالها بخلاف الاسرى والماشية التي حصلوا عليها كغنائم (٤٢) . وبخلاف هذا الحادث ، فانه لم يرد في المصادر الصليبية أو الاسلامية ما يفيد وقوع اشتباكات بين الجانبين في الجنوب حتى وصول فردريك .

(٤١) لم تحدد المصادر العربية بدقة تاريخ سقوط صيدا - أو النصف التابع للمسلمين - في قبضة الصليبيين - وقد ذكر ابن الامير أن الذي قام بذلك هم الصليبيون الذين كانوا في عكا وصور وبيروت ، وذلك بعد وفاة المعظم عيسى . وقال ان ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها مثل هونين وتبنين . أما المصادر المتأخرة فقد أشار أغلبها الى أن تحصين صيدا تم بعد وصول فردريك أي في سبتمبر ١٢٢٨م / شوال ٦٢٥هـ . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، الحموى ، التاريخ المنصوري ، لوحة 166 b ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ ، العيني : عقد الجمان ، ج ٢١ ، ورقة ١٦٥ . وكذلك : Van Cleve, *The Emperor Frederick*, p. 205, n. 3.

(٤٢) يوجد بعض الخلط في رواية سبط ابن الجوزي عن هذه الحادثة ، أما الرواية الواردة في الذيل على الروضتين فهي أوضح ، وذكر أبو شامة أنها جرت في أواخر ربيع الاول ٦٢٥هـ / أوائل مارس ١٢٢٨م ، ولكنه أشار الى أن عدد القتلى بلغ مائتي فارس وراجل بخلاف ستة آلاف رأس من الماشية التي غنمها المسلمون . أما ابن الجوزي فقد أشار الى أن القتلى بلغوا سبعين فقط . وفيما يبدو أن رواية الذيل نقلت عن شهود عيان لأنه ذكر « وخبرت بعد الواقعة » . وأضاف التويري اسم « التبين » لصارم الدين الذي كان مصاحبا للعزيز عثمان في الهجوم على صور . أما ابن الاثير فقد أورد رواية مختلفة تماما عن هذه الغارة ، والتي ربما تكون قد وصلت اليه محرفة . ونرجح

تركت عودة صيدا الى الصليبيين أثرها على الجماعة الالمانية . ففي ١١ فبراير ١٢٢٨م/٢ ربيع أول ٦٢٥هـ ، حصلت على منحة في المدينة من صاحبها باليان (١٢١٠ - ١٢٤٠م/٦٠٦ - ٦٣٨هـ) ، والتي اشتملت على بعض الحدائق وأراضى تقع خارج المدينة ، وتم تحديد موقعها في الوثيقة ، كما حصلت الجماعة على المسجد الكبير الواقع بين سورى المدينة ، حيث يفتح أحد أبوابها على الطريق المؤدى الى صور ، وكانت هذه عادة الصليبيين فى الاستيلاء على المساجد الاسلامية كما حدث زمن الحملة الصليبية الخامسة فى مدياط ، ولكن الوثيقة لم تحدد كيفية استخدام الجماعة للمسجد (٤٣) . أما أهمية هذه الوثيقة فهى فيما ضمته من أراضى وحدائق للجماعة ذات أهمية اقتصادية ، وكانت أيضا نقطة البدء لحصولها على امتيازات أخرى فيما بعد فى نفس الاقطاعية الهامة * وربما يدل حصول الجماعة على المسجد أن الصليبيين كانوا قد استولوا على الجزء التابع للمسلمين فى صيدا .

وبينما يواصل فردريك استعداداته للخروج بالحملة توفيت زوجته ايزابيلا بعد أن وضعت له طفلا هو كونراد ، واختلف الوضع القانونى لفردريك ، فلم يعد سوى وصى على الطفل صاحب العرش ، وكان من حق المحكمة العليا فى المملكة الصليبية الاسمية اختيار الوصى ، وتم اختيار كل من باليان صاحب صيدا واود اوف مونبليارد وصيين ، وكان كلاهما

رواية سبط بن الجوزى والذيل لمعاصرة الاول للاحداث ووجوده بالقرب منها . عن ذلك انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٦٥٢ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٢ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٣٧٦ ، الفويرى : نهاية الارب ، ج ٢٧ ، لوحة ٣٩ . أما ابن نظيف فقد أشار الى الحادثة بعد الاستيلاء على صيدا كرد فعل لذلك . انظر : الحموى : التاريخ المنصورى لوحة 166 a .

على علاقة طيبة بفردريك (٤٤) . وفي ظل هذه الظروف أبحر فردريك الى الشرق في أواخر يونيه ١٢٢٨م/أوائل شعبان ٦٢٥هـ ، وبالإضافة الى قرار الحرمان الذى أصدره ضده البابا جريجورى التاسع (٤٥) ، وفي طريقه توقف في قبرص حيث طالب يوحنا أبلين بالتنازل عن الوصاية على الملك هنرى الاول وبيروت ، وبعد أخذ ورد بين الجانبين وافق يوحنا على الطلب الاول ، ولكنه رفض الثانى طالبا عرض المشكلة على المحكمة العليا في عكا والمختصة بالفصل في ذلك الامر (٤٦) .

(٤٤) ولد كونراد في ٢٣ ابريل ١٢٢٨م/١٦ جمادى ولى ٦٢٥هـ وخلال الفترة التى كانت ايزابيلا فيها على قيد الحياة ، قبل البارونات في المملكة الصليبية نائبه توماس اوف اكيرا . ولكن اختلف الوضع ب وفاة ايزابيلا . عن ذلك انظر :

La Monte, « Lords of Sidon », 202-3.

(٤٥) يرى سميث أن قرار الحرمان الذى أصدره البابا كانت له آثاره الضارة على الحملة ، فمن ناحية جعل أملاكه في أوروبا عرضة للهجوم من الجلفيين أنصار البابوية بسبب عدم مسئولية البابا عنها ، لأن فردريك فقد حق حماية الممتلكات الذى كان يعطى للمشاركة في الحملة - ومن ناحية أخرى أفقده تعاون الداوية والاستتارية معه ، وجعله يتفاوض من موقف الضعف . وهو ما أشار اليه هرمان دى سالزا أيضا في خطابه كما سنرى فيما بعد . للمزيد انظر :

Huillard-Bréholles, iii, 90, cf. also : Riley-Smith, *Feudal Nobility*, 160.

(٤٦) كان فردريك يهدف الى تحقيق عدة أهداف من وراء تدخله في قبرص فقد أراد أن يتخذ من تلك الجزيرة ركيزة وسندا له في حالة فشله في أثناء مفاوضاته مع الكامل محمد . كذلك رغب الامبراطور في فرض وصايته على الملك الطفل هنرى الاول باعتباره فصلا تابعا له بحكم تبعية الجزيرة للامبراطورية المقدسة منذ منح الامبراطور هنرى السادس التاج للوكها . وقد أرسل فردريك عدة خطابات قبل وصوله الى فيليب وجان دى ايلين الوصيان موضحا لهما أنه ليس من حقهما تتويج الطفل . وكان قد رادا بذلك تفويت الفرصة على فردريك وتدخل البابا هونوريوس الثالث بالفعل الى جانب الملك الطفل ضد فردريك .

وصل الامبراطور الالماني الى عكا في ٧ سبتمبر ١٢٢٨م/ ٥ شوال ٦٢٥هـ حيث كانت جموع الصليبيين في انتظاره وعلى رأسهم هرمان دي سالزا وجماعته . ولكن نشر أنباء قرار الحرمان الصادرة ضده من البابا بدل الموقف (٤٧) . فلم يقدم له الداوية والاسبتارية المساعدة ، كما وقف منه جريولد بطريرك بيت المقدس موقفا معارضا . ولن نتناول تفاصيل هذه الحملة على مدى الصفحات القادمة وانما سنركز الضوء على دور هرمان دي سالزا وجماعته فيها ، وانعكاس ذلك على سياسة الجماعة حيال الايوبيين في الشام .

عمل فردريك على تفادي قرار الحرمان الصادر ضده ، فأعطى قيادة الجيش الى عدد من أصدقائه المخلصين . وكان على رأس هؤلاء بطبيعة الحال هرمان دي سالزا وجماعته التي كانت الجماعة العسكرية

كما كان فردريك يرغب في تمويل الحملة من إيرادات قبرص وهو ما كان يرفضه ملوك الجزيرة دائما حتى لا تضيق موارد جزيرتهم في هذه الحروب . وانتهت المرحلة الاولى من الصراع بين فردريك والأوصياء بتسليم آل ابلين بحقوق فردريك في الجزيرة ، ولكن نشبت الحرب مرة أخرى بعد رحيل فردريك مع الأوصياء الخمسة الذين تركهم بها . انظر :

Riley-Smith, *Feudal Nobility*, 163, La Monte, & John Iblin 426-29.

(٤٧) قام اثنان من الاخوان الفرنسيسكان بنشر قرار الحرمان عندما حملا خطابين أحدهما يخص قرار الحرمان ، أما الثاني فقد أمر فيه جريجورى الجماعات العسكرية بعدم تقديم المساعدة الى فردريك حيث اتهمه البابا بأنه يسعى لعقد تحالف مع الكامل محمد ، وربما سمح البابا بالكتابة الى الكامل لمنع التحالف مع فردريك ، انظر :

Matthaeus Parisiensis, *Chronica majora* (ed. H.R. Luard, Vol. 2-3 (Rolls Series 57) London 1874-1876), iii, 576, 591; Huillard-Bréholles, iii, 490-2; cf. also : Riley-Smith, *The Knights of St. John*, 165, n. 1, 2.

وقد ذكر بريهولد أن ذلك الخطاب الذي أرسله البابا للجماعات العسكرية كان مزورا وغير صحيح .

الرهبانية الوحيدة التى وقفت بجانبه طوال الحملة . واتجه فردريك نحو يافا لتحصينها ، واعطاء نوع من الدعاية بأن هدف الحملة هو الاتجاه بعد ذلك الى القدس . وبصحبه قواته والجماعة الالمانية ، وكانت القرارات أيضا تصدر الى الجيش باسم « الرب والمسيحية » لتفادى قرار الحرمان . ولا شك أن هرمان دى سالزا كان له دور فى تلك النصائح بما عرف عنه من خبرة أثناء توسطه فى الصراع بين البابوية والامبراطورية . وقد كان الناصح الامين للامبراطور وليس تابعا كما أشار بعض المؤرخين الحديثين (٤٨) .

وبينما كان الصليبيون يقومون بأعمال التحصين فى يافا كانت المفاوضات تجرى بين الامبراطور والكامل محمد لتنفيذ ما سبق أن عرضه السلطان الايوبى على الامبراطور بأن يعطيه البيت المقدس وبعض فتوحات السلطان صلاح الدين الايوبى (٤٩) ، غير أن الظروف كانت قد تغيرت بوفاة المعظم عيسى . وحاول الكامل محمد التملص من ذلك ، ولكن فيما يبدو كانت هناك عوامل عديدة أدت الى أن تستمر المفاوضات بينهما ، ومن بين هذه العوامل أن المفاوضات بينه وبين أخيه الأشرف موسى لم تكن قد وصلت الى نتيجة بعد فيما يتعلق باملاك الناصر داود

(٤٨) أقام فردريك خارج عكا بعد موقف الصليبيين منه خوفا من تدبير أى مؤامرات ضده وكادت الحملة تفشل عندما ظلت فترة من الوقت تنتظر وصول الامدادات التى تأخرت بسبب سوء الاحوال الجوية ، وربما اضطرت القوات الصليبية لمهاجمة القرى الاسلامية القريبة للحصول على المؤن ، مما اثر على المفاوضات وتقديم فردريك تعويضا عن تلك الخسائر . وعندما تحسن الجو وصلت المؤن وبدأ تحصين يافا . للمزيد انظر ملحق رقم (٤) ترجمة لخطاب هرمان دى سالزا الى البابا جريجورى التاسع .

(٤٩) أشار الحموى الى أن رسول الامبراطور طلب الساحل من الكامل محمد ، أما العيني فقد أشار الى القدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل انظر : التاريخ المنصورى ، لوحة 166 b عقد الجمان ، ج ٢١ ، ورقة ١٦٥ .

وهو ابن أخيهما المعظم ، ومحاولة إعادة تقسيم هذه الاملاك . كذلك احتمال أن يكون فردريك قد أرسل الى الناصر عارضا عليه الاتفاق معه ، وهو ما كان يخشاه الكامل محمد حتى لا يواجه تحالفا فرنجيا سوريا . ويضيف براور الاعتبارات الاخلاقية بين العاهلين الكامل وفردريك (٥٠) . غير أن المؤرخ ابن الفرات يشير الى عامل هام وهو أن الكامل محمد كان يرغب في تملك دمشق ، ولذلك حرص على انتهاء هذه المفاوضات ، « ولما غلب على الملك الكامل رغبته في تملك دمشق اذ عن لتسليم القدس للامبراطور » (٥١) .

أما موقف فردريك فقد أخذ يسوء يوما بعد يوم ، فقد وصلت الانباء من الغرب في ديسمبر ١٢٢٨ م / صفر ٦٢٦ هـ تحمل أنباء الهجوم الذي

(٥٠) لم تشير المصادر العربية الى دهاب رسول من فردريك الى الناصر داود . وسنمرت المفاوضات فترة ما بين أخذ ورد ، تخللتها في بعض الاحيان تساؤلات من جانب فردريك عن بعض المسائل العلمية التي عرصها الكامل على العلماء المسلمين وأجابوا عليها . وربما وصلت المفاوضات الى حد التهديد بالحرب حسبما أشار ابن الفرات الى فردريك « طلب القدس وجميع ما فتحه صلاح الدين أو تلقاني » وعن تفاصيل هذه المفاوضات انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصوري . لوحات 167 f ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٣٧٧ - ٣٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، ص ٢٢٢ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١٢ ، لوحة ٢٣ ، وأيضا : Praver, Histoire, ii, 194-5.

(٥٩) ذكر ابن الفرات أن الكامل استشار الامراء في أمر المفاوضات مع فردريك ، فأشاروا عليه بالعودة الى تل العجول ماعدا الامير سيف الدين بن أبي ذكرى حيث أشار عليه بابقاء دمشق مع الناصر داود وطلب الاشرف وعساكر حلب ومحاربة الصليبيين . « فاما لنا واما علينا ولا يقال أن السلطان أعطى الفرنج القدس ، فامتعض لذلك وقبض عليه وسيره الى مصر فحبسه فيها وعاد الى تل العجول . انظر : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١٢ ، لوحة ٢٣ .

تعرضت له أملاكه الايطالية من جانب قوات البابا جريجورى التاسع نفسه بقيادة يوحنا دى بريين وبلاجيوس المندوب البابوى السابق (٥٢) . وبالإضافة الى ذلك ، فان الكامل كان قد توصل الى اتفاق مع أخيه الأشرف بشأن أملاك الدولة الايوبية . وفى ظل هذه الظروف لم يعد أمام فردريك سوى التذلل والاستعطاف لدى الملك الكامل للوصول الى هدفه . « وقال الانبروز - أى فردريك - للامير فخر الدين ابن الشيخ لولا أنى أخاف انكسار جاهى عند الفرنج لما كلفت السلطان شيئا من ذلك » (٥٣) . وأخيرا تم التوصل الى معاهدة يافا بين الامبراطور والسلطان الايوبى ، وهى المعاهدة التى لم يرض عنها أى من الجانبين الصليبي والاسلامى . ولن نتناول تفاصيلها وهى التى تناولتها الكثير من من الابحاث الحديثة بالدراسة - وان كانت هناك نقاط لم تحسم بعد فيها (٥٤) - وانما سوف نتناول ما تركته من آثار على الجماعة الالمانية وعلى علاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشام .

(٥٢) تجدر الإشارة الى أن فارسا تيوتونيا يدعى ليونارد أحضر له انباء هذه الهجوم :

انظر :

Sterns. «The Teutonic Knights», 365, Donovan, Pelagius, 109 g.

(٥٣) العينى : عقد الجمان ، ج ٢١ ، ورقة ٢٢٣ .

(٥٤) أورد براور تفاصيل هذه المعاهدة نقلا عن مختلف النصوص العربية والاجنبية وكذلك مواقف القوى المختلفة سواء المؤيدة أو المعارضة . وأجمع غالبية المؤرخين المسلمين على أمر معارضة المسلمين لهذه المعاهدة - فيما عدا المؤرخ ابن أبى الدم الذى وقف بجانب الكامل مؤيدا له ومدافعا عنه . أما ابن نظيف الحموى ، والذى انفرد بالإشارة الى كثير من أحداث هذه الفترة سواء فى الشرق أو الغرب ، فإنه للأسف لم يتحدث عنها سوى ما ذكر أنه تم عقد المعاهدة - وأوضح أنه ذكر تفاصيلها فى تاريخه الكبير - الكشف والبيان فى حوادث الزمان - والذى فقد ولم يعثر عليه . للمزيد انظر :

Prawer, Histoire, ii, 192-213, Stevenson, The Crusaders, 312.

169 ff.

ابن أبى الدم : الشماريخ فى التواريخ لوحة ،

شهد هرمان دى سالزا توقيع السلطان الكامل على المعاهدة ، وهذا يوضح وجوده الى جانب الامبراطور طوال الفترة السابقة (٥٥) . ولا بد أنه لم يضيع فرصة مثل هذه - وهو الذى عرف عنه كيف يستفاد من وجوده فى مثل هذه المواقف - فى الحصول على امتيازات خاصة لجماعته . وبالفعل فقد تضمنت المعاهدة احتفاظ الصليبيين بغرب الجليل والتي كانت تقع فيها معظم أملاك الجماعة ، وخاصة مونتفرت مقرها الرئيسى ، كما أعيدت تورون أو تبنين وجميع توابعها ومنازلها (٥٦) . وثار نزاع بين الجماعة واليس الارمينية التى ادعت ملكيتها لها وطالبت بها . غير أن العينى انفرد دون بقية المؤرخين المسلمين - الذى ربما كان ينقل عن أحد المؤرخين المعاصرين ولكنه لم يحدده - بقوله « وفى سنة ست وعشرين طلب الانبرور من السلطان تبنين (تورون) وأعمالها بحكم أن صاحبها بنت الهنغرى ودخلت عليه فسأله فأنعم السلطان وانتظم الصلح مدة عشر سنين » (٥٧) . وربما يكون النزاع قد حدث بينها وبين الجماعة حول ملكية تورون أو تبنين بعد أن أعطاها فردريك للجماعة بحكم أنها واقعة فى اقطاع جوسلين الثالث معتبرا أن ذلك من حق الجماعة الالمانية ، ولكن عندما عرضت اليس القضية على المحكمة العليا والتي أقرت حقها هدد البارونات بسحب خدمتهم ، تراجع فردريك وأعطى لها مهلة لى تثبت حقها وحدد لها وقتا لذلك . وبالفعل حضرت فى الوقت المحدد ومعها ما يثبت حقها فأقره فردريك ، وعوض الجماعة الالمانية عن ذلك بايجار قدره سبعة آلاف بيزنط تجبى سنويا من ميناء عكا بالإضافة الى مارون وقلاعها وتوابعها (٥٨) .

(٥٥) شهد التوقيع أيضا أسقفا ونشستر واكستر من رجال الدين الانجليز وعدد قليل من الرجال الآخرين ، انظر :

Gottschalk, *Al-Malik Al-Kamil*, 156.

Huillard-Bréholles, iii, 90.

(٥٦)

(٥٧) العينى : عقد الجمان ، ج ٢١ ، ورقة ٢٢٣ .

(٥٨) ذكر معظم المؤرخين الحديثين أن هذا النزاع حدث بعد مغادرة فردريك للاراضى المقدسة . ولكن رالى سميث ناقش ذلك فى مقالته عن قوانين بيت المقدس ، وتوصل الى أن هذا النزاع تم أثناء وجود فردريك فى الاراضى المقدسة . وحدد التهديد الاول بسحب

أما النتيجة الثانية للمعاهدة التي تركت أثرها على الجماعة الألمانية ، فقد تمثل في إعادة الكامل محمد مدينة القدس الى الصليبيين . واستثنى من ذلك منطقة الحرم الشريف بما حوته من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى ومسجد عمر وهذه كلها تكون تابعة للمسلمين ، وكذلك

النبلاء لخدمتهم في الفترة ما بعد المعاهدة وحتى عودة فردريك الى عكا ، أي في الفترة ما بين ١٨ فبراير الى ٢٣ مارس ١٢٢٩م/ ٢٢ ربيع أول الى ٧٢ ربيع آخر ٦٢٦هـ ، ثم كان قرار فردريك بحل المشكلة في ابريل ١٢٢٩م/جمادى الأولى ٦٢٦هـ ، وذلك في سلسلة وثائقه للجماعة الألمانية التي منحها الكثير من الامتيازات فيها . أما لامونت فقد أشار الى اهداء تورون أو تبنين الى أليس دون أن يشير الى رواية العيني ويناقشها . ونرجح رواية العيني في هذا المجال ، وذلك لأنه لم يكن يعلم بالصراع الدائر بين أليس والجماعة الألمانية حول الاقطاع ، وصحة ما حدث بعد ذلك من قرار فردريك بحقها في الاقطاع . وكان ذلك الاقطاع قد آل الى أليس عن طريق أخيها همفري الرابع أوف تورون - وربما الذي أشار اليه العيني باسم الهنغري - الذي كان قد ورثه عن أمه ايزابيلا أوف تورون زوجة روبان الثالث وكانت تبنين في قبضة الايوبيين منذ استرداد صلاح الدين لها بعد حطين حتى أعادها الكامل الى الصليبيين في المعاهدة المذكورة . غير أن الجماعة الألمانية أظهرت وثيقة كانت من المحكمة العليا اتاحت لصاحب تورون أنه في حالة الاستيلاء عليها بقرار من المحكمة العليا فإنه يتم تعويض صاحبها بمارون وتوابعها . وهذا ما قام به فردريك من تعويض الجماعة ، غير أن هذا أدخلها في نزاع آخر مع الوريث الثاني جيمس اوف لاماندليه حول مارون . واستمر ذلك النزاع حتى عام ١٢٤٤م/ ٦٤٢هـ ، للمزيد انظر :

Huillard-Bréholles, iii, 124, . Cf. also : Riley-Smith, « The Assise sur la ligece and the commune of Acre », « Traditio, 27 (1971), 192-3; Rey, Les Familles, 474; La Monte, «The rise and decline», 314-20; Richard, The Latin Kingdom, 308-9.

حرية اقامة شعائهم وعدم دخول الفرنج اليها الا للزيارة (٥٩) . كما
أضاف ابن أبي الدم « اقامة صلاة الجمعة فيه ، وعدم منع أى مسلم من
زيارته كيفما أراد ولا يؤخذ من زائر مال أصلا » (٦٠) . كما أضاف
برهولد عدم مهاجمة هذه المنطقة عن طريق الحصار أو الالتحام المباشر ،
وعدم السماح لأى فرنجى أو أى جنس آخر بغزوها ، وعدم حدوث تغيير
فى سيطرة المسلمين عليها ، وذلك لأنهم سوف يعلنون فى خطبهم سيطرتهم
عليها ، بالإضافة الى تسليم مفاتيح الابواب الواقعة فى هذه المنطقة اليهم
- أى للمسلمين - الذين سيسكنون فيها ويعملون على الحفاظ عليها وعدم
طردهم منها فيما بعد (٦١) .

وبنجاح الامبراطور فى استعادة القدس حاول هرمان دى سالزا
استغلال تلك الفرصة لاقتناع جريولد بطيريك بيت المقدس بأن ينضم الى
جانب فردريك . ولكنه تشبث بموقفه ورفض ذلك ، وهاجم المعاهدة
على الرغم من أن هرمان أعطاه نسخة منها موضحا أهميتها وما أمكن
التوصل اليه من نتائج . ولكن الصليبيين لم يستمعوا لنصيحة البطريرك
وتقرر التوجه الى المدينة ، وعبر الجميع عن فرحتهم . وفى ١٧ مارس
مارس ١٢٩م / ١٩ ربيع آخر ٦٢٦هـ ، وصل فردريك ومعه هرمان دى سالزا
وجماعته وبقية القوات الى باب المدينة حيث كان قاضيها شمس الدين
فى استقباله وقدم مفاتيحها اليه - فيما عدا المنطقة التابعة للمسلمين .
وعندما علم هرمان بنية البطريرك فى فرض الحرمان على المدينة ،
ومكاتبته لرئيس أساقفة قيسارية بهذا الخصوص ، سارع فى اليوم التالى
بالذهاب الى الضريح المقدس حيث وضع التاج فوق رأسه فى أغرب

(٥٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ٢٤١ - ٢٤٢ .
(٦٠) ابن أبي الدم : الشماريخ فى التواريخ ، مخطوط بمكتبة
البودليان - اكسفورد -

(٦١) أضاف براور أنه ربما تضمنت المعاهدة شرطا على المسيحيين
بخلع أحذيتهم قبل دخول المنطقة التابعة للمسلمين . انظر :
Huillard-Bréholles, iii, 86-90; cf. also : Prawer, Histoire, ii, 206.

احتفال لم يحضره أى من رجال الدين (٦٢) . وخرج فردريك بعد ذلك حيث ألقى خطبة قام هرمان دى سالزا بترجمتها الى الحاضرين ، وحاول الامبراطور أن يهدىء من ثائرة البابا بعد أن شرح لهم أسباب تأخره ومرضه . ولكن خاب أمله عندما حرف جريولد نص حديثه ، وأخبر البابا بما اعتبره هجوما على البابوية ، ولم يقبل البابا النص الاصلى الذى أرسله كل من الامبراطور وهرمان دى سالزا . وعرض فردريك خطة سريعة على قادة الجماعات الرهبانية العسكرية خارج القدس سرا تجنباً لقرار الحرمان . وطلب مقدم الاسبتارية وقائد عام الداوية اعطائهما مهلة للرد عليه (٦٣) . ولكن الامبراطور وصلت الى مسامحه أنباء المؤامرة التى حاكها له الداوية ، والتى حاولوا تدبيرها عن طريق الكامل محمد ، وأشار اليها أيضا المؤرخ متى الباريسى . فقرر فردريك مغادرة المدينة فى اليوم التالى - ١٩ مارس/ ٢١ ربيع آخر - الى يافا ومنها الى عكا حيث وصل اليها فى ٢٥ مارس/ ٢٧٦ ربيع آخر (٦٤) . وكما اتضح لنا فان فان هرمان دى سالزا والجماعة الالمانية لم تفارق الامبراطور طوال هذه الفترة السابقة ، وظل المقدم بمثابة الناصح له والمدافع عنه فى كثير من الاحيان ضد مؤمرات البطريرك . وقد اعترف فردريك بذلك فى خطابه (٦٥) .

(٦٢) رأى المؤرخون السابقون أن فردريك قام بتتويج نفسه ملكا على القدس ، غير أن ماير أثبت أن ذلك لم يكن سوى احتفالا بلبس التاج فقط . انظر :

H.E. Mayer, « Das Pontifikale von Tyrus und die Kronung der Lateinischen Könige von Jerusalem », DOP, 21 (1967) 141-232, Favreau, Studien, 86-7.

Prawer, Historie, ii, 206-10.

(٦٣)

Matthew Paris, Chron. majora, iii, 177-9; cf. also : Riley-Smith, The Knights of St. John 168, n. 3. (٦٤)

وقد أشار سبط ابن الجوزى الى هذه المؤامرة حيث حيث قال ان فردريك أمضى ليلتين فى القدس ثم عاد الى يافا خوفاً من الداوية . مراة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٥ - ٦٥٦ .

Bohmer, Act-Imperii, 1737.

(٦٥)

ترتب على عودة القدس للصليبيين عودة الجماعة الالمانية الى مقرها القديم في المدينة ، فقد منح لها فردريك في ابريل ١٢٢٩م/جمادى أولى ٦٢٦هـ منزلين ، أحدهما كان يخص ملوك القدس في شارع الارمن بالقرب من كنيسة توماس مع كافة متعلقاته ، أما المنزل الآخر فقد كان يمتلكه الالمان في المدينة قبل نجاح صلاح الدين في استرداد المدينة في ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، كذلك بعض الاراضى التى لم تحدد الوثيقة موقعها (٦٦) . كما وثق فردريك شراءها لمنزل آخر كان تابعا ليوحنا كونش John of Conches (٦٧) . وبعودة الجماعة الالمانية الى القدس وحصولها على ذلك المنزل التابع للالمان فقد أثارت جماعة الاسبتارية تلك القضية القديمة والخاصة بخضوعها لها بموجب مرسوم البابا كلستين الثانى الذى منح لها الحق فى اخضاع المستشفى الالمانى السابق فى القدس (٦٨) ، وأرسل البابا جريجورى التاسع فى ١٧ أغسطس ١٢٢٩م/٢٤ رمضان ٦٢٦هـ الى جريولد يطلب منه بحث هذه المسألة . غير أن هرمان لم يكن من السذاجة بحيث يعطى الاسبتارية هذه الفرصة . ولا بد أنه كان يعلم بهذه المشكلة القديمة - فقد ترك الاشارة الى المنزل السابق فى القدس دون أن يحدد تبعيته لآى جماعة أو مستشفى سابق ، واكتفى بالاشارة الى تبعيته فقط الى « الالمان » دون أن يحدد من هم أولئك الالمان . كما أن الوثيقة أشارت الى الاملاك الأخرى التى حصلت عليها الجماعة فى القدس فى صدر الوثيقة ، وتركت الاشارة الى هذا المنزل القديم فى داخل الوثيقة ، مما يدل على ذكاء هرمان والمأمة بهذه المشكلة التى قد يثيرها الاسبتارية ، وقد انتهت مؤقتا عندما تم التوصل الى اتفاق سان جرمانو فى ٢٣ يوليو ١٢٣٠م/١٠ رمضان ٦٢٧هـ بين البابا والامبراطور ولم يرغب جريجورى التاسع فى ممارسة أى ضغط على الجماعة الالمانية آنذاك (٦٩) .

Huillard-Bréolles, iii, 126.

(٦٦)

(٦٧) ينتمى الى عائلة برجوازية استقرت فى عكا ، وورد اسمه بصيغ مختلفة منها :

Conckes, Conche, Conca, Röhrickt, Regesta, index.

(٦٨) انظر ما سبق التمهيد الخاص بهذا الكتاب .

(٦٩) Favreau, Studien, 89-90, Tumler, Der Deutsch Orden, 60, (٦٩)

1589-90; Riley-Smith, The Knights of St. John, 397-8.

وبعودة القدس الى السيادة الصليبية كان لابد من وجود حامية صليبية بها لحمايتها أو على الأقل حماية الصليبيين الذين يأتون لزيارتها ، أو التصدى لأي اعتداءات تقع عليها من جانب المسلمين خاصة وأن الرأي العام الاسلامي لم يكن راضيا عن هذه المعاهدة وكان ساخطا عليها . وأشار فردريك في أحد خطاباتاته الى أنه ترك حامية بالمدينة ، ويرى كليف Van Cleve أن هذه الحامية ربما كانت من الفرسان التيوتون باعتبار أنهم أكثر الموالين له (٧٠) . غير أننا لا نميل الى الأخذ بهذا الرأي كاملا ، وذلك لأن هذه الحامية لم تكن قاصرة على الجماعة الالمانية فحسب . وإنما كانت هناك قوات أخرى كما سنرى في الهجوم الذي ستعرض له المدينة بعد قليل ، وما نرجحه هو أنها عادت الى أملاكها التي حصلت عليها ، وكان هناك من ينوب عنها فقط . وسرعان ما تعرضت بيت المقدس للهجوم من جانب المسلمين المقيمين بحى المدينة التابع لهم ، ويرجع سبب هذا الهجوم الى وجود بعض القتلى من المسلمين عثر عليهم في آبار المدينة ، فقام المسلمون على الفور بمهاجمة الصليبيين حيث نسبوا اليهم هذه الجريمة ، وسارع رينالد سيد حيفا - ربما المسئول عن الحامية الصليبية - بطلب النجدة من عكا التي وصلت متأخرة ، وربما تأثرت الجماعة الالمانية بهذه الغارة وذلك بحكم وجودها في المدينة لأن ابن الدم الذي انفرد بالاشارة الى هذه الحادثة ، ذكر أن عدد قتلى الصليبيين بلغ خمسمائة قتيل ، ولاشك أنه مبالغ فيه . وقد أنكرت السلطات الايوبية مسئولياتها عن هذا الحادث ، الذى ربما وقع نتيجة لتلك الحملة التي قام بها الناصر داود ضد هذه المعاهدة عن طريق الوعاظ والخطباء ومنهم سبط، ابن الجوزى (٧١) .

(٧٠) Van Cleve, The Emperor Frederick II, 226.

(٧١) لم تحدد المصادر الصليبية أو الاسلامية تاريخ هذه الغارة ، واكتفت بالاشارة الى أنها جرت في عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ . وعلى الأرجح أنها جرت تعهد رحيل فردريك - أى بعد مايو ١٢٢٩م/ رجب ٦٢٦هـ - وذلك لأن البطريرك جريولد حاول استغلالها لصالحه ومهاجمة المعاهدة التي لم توفر الحماية للمدينة أو المقيمين بها . أما ابن الدم فلم يكن حاضرا لأنه ذكر « كما روى » أما ما ذكره من عدد القتلى فهو يدل على ضخامة الغارة والتي

ومن النتائج التى ترتبت على المعاهدة وتركت آثارها على الجماعة الألمانية فى الاراضى المقدسة ، البند الخاص بحق التحصين ، وقد اختلفت المصادر الصليبية والاسلامية فيما يتعلق بهذا الحق . فقد أجمعت المصادر الاسلامية سواء المعاصرة أو المتأخرة أنه لم يسمح للصليبيين بتحصين القدس ، ولكنها لم تشر الى بقية القلاع والمدن (٧٢) . أما هرمان دى سالزا فقد أشار فى خطابه الى حق الصليبيين فى إعادة تحصين بيت المقدس بالاسوار والابراج وفقا لمشئئة الصليبيين ، وكذلك « قلاع يافا وقيسارية وقلعة مونتفرت وهى القلعة الجديدة التابعة لنا والتى بدأنا تحصينها فى الجبال فى ذلك العام » (٧٣) . وربما ما أورده روجراوف وندوفر يحل هذا الخلاف ، فقد ذكر أنه على الرغم من أنه كان مسموحا للصليبيين باتمام اصلاح أسوار القدس وقلاع يافا وقيسارية وصيدا والقلعة التابعة لجماعة القديسة ماريا التيوتونية والتى كان فرسان تلك الجماعة قد بدأوا فى بنائها فى منطقة عكا الجبلية والتى لم يسمح للصليبيين ببنائها فى أى

يمكن أن تسبب أثرا على المعاهدة . وقد أورد ابن أبى الدم هذه الرواية للدلالة على أن تسليم الكامل القدس الى الصليبيين لم يكن له آثار خطيرة على المسلمين الذين كان باستطاعتهم استردادها فى أى وقت متى أرادوا . أما المصادر الصليبية التى أشارت الى هذه الغارة ، فقد نسبتها الى المسلمين المقيمين بنابلس وحبرون . ولجأ الصليبيون الى برج داود للاحتماء به والواقع الى جوار القصر الملكى القديم الذى حصلت عليه الجماعة الألمانية ، مما يدل بوضوح على تأثير الجماعة بها .

Prawer, *Histoire*, ii, 227-28; Richard, *The Latin Kingdom*, 237-38; Setton, *History*, ii, 546.

وكذلك سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ ، ٦٥٣ - (٧٢) أشار ابن أبى الدم الى عدم حق الصليبيين فى تحصين القدس ، وكذلك أبو الفدا والعينى والنويرى من المتأخرين . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ٢٤١ ، ابن أبى الدم : الشماريخ فى التواريخ ، لوحة ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٣٧٨ ، أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ١٤١ ، العينى عقد الجمان ، ج ٢١ ، ورقة ٢١٢ ، ٢١٣ .

Huillard-Bréholles, iii, 92.

(٧٣)

من المعاهدات السابقة ، فان السلطان لم يسمح حتى نهاية المعاهدة بينه وبين الصليبيين والتي كانت مدتها عشر سنوات ، باصلاح أو اعادة بناء هذه القلاع السابقة . وما يهمنا هنا هو : هل تأثرت الجماعة الالمانية بهذا الشرط وتوقفت عن تحصين قلعتها مونترفرت ؟ ويمكننا الحكم من خلال خطابات وثائق تلك الفترة على ذلك الامر ، ففي خطاب مقدم الجماعة المؤرخ في مارس ١٢٢٩م/جمادى أولى ٦٢٦هـ ذكر أن الجماعة « بدأت في البناء » . وبعد ذلك في وثائق الجماعة التي منحها لها فردريك في النصف الثاني من شهر ابريل ١٢٢٩م/جمادى أولى ٦٢٦هـ ، قال في اثنتين منها عن مونترفرت « التي حصنتها الجماعة » ويتضح لنا تحول صيغة الفعل من: المضارع في الخطاب الى الماضي في الوثائق الثانية (٧٥) . وربما تكون الجماعة قد استغلت فترة المفاوضات وانتهت أعمال التحصين في قلعتها والتي كانت قد بدأتها قبل التوصل لعقد المعاهدة .

وقد حرص هرمان على الحصول على امتيازات لصالح قلعة القرين تساعد في عملية البناء فالى جانب ما حصل عليه من الامبراطور فردريك ، فقد منحه بوهمند الرابع أمير أنطاكية وطرابلس في يونيه ١٢٢٨م/رجب ٦٢٥هـ مائة بيزنط تدفع سنويا من ايرادات السوق والميناء في عكا ، وهو ربما كان اقطاعا نقديا يخص بوهمند في المدينة ، وذكرت الوثيقة أن بوهمند أعطى الجماعة هذه المنحة « لتأييد عملها في قلعتها التي تقوم بتحسينها ، لكي تدعم من قدرة المسيحيين ضد المسلمين (٧٦) » . وقد أشرنا من قبل الى أسباب ذلك التقارب الذي كان بين بوهمند والجماعة الالمانية . أما الامتياز الثاني الذي حصل لعيه هرمان فقد كان من البابا جريجورى التاسع لصالح بناء وتدعيم القلعة . وكانت هذه

Roger of Wendover, ii, 366-7.

(٧٤)

Huillard-Bréholles, iii, 92, 118-21; Strehlke, nos. 65, 67, (٧٥)

cf. also : Forstreuter, Der Deutsche Orden, 41-2.

أما وثيقة رقم ٦٣ في شترالكة والخاصة بمونترفرت أيضا ، فهي مؤرخة خطأ بعام ١٢٢٨م/٦٢٥هـ ، وصحتها ١٢٢٩م/٦٢٦هـ .

Strehlke, no. 64

(٧٦)

المنحة في ١٠ يوليو ١٢٣٠م/٢٦ شعبان ٦٢٧ وذلك قيل حوالى اسبوعين من توصله الى اتفاق سان جرمانو بين البابا والامبراطور . ومنحه البابا عشر ايرادات صندوق عشور المعاصى وذلك لمدة عشر سنوات . وأوضح هرمان للبابا الاسباب الداعية لذلك ، ومنها أن قلعة القرين تعتبر من المواقع الهامة التى يستطيع المسيحيون الاستفادة منه فى رد هجمات المسلمين ، بالإضافة الى أنها كانت تقع الى الداخل بعيدا عن البحر وعدم قدرة قلاع المملكة الصليبية على مداها بحاجتها . كما أنها سوف تكون مخصصة للفقراء والمرضى ، وهذا كله لا تستطيع الجماعة أن تقوم بتغطيته من مصادرها الخاصة . وفيما يبدو فان هرمان كان على وشك تحقيق الوفاق بين البابا والامبراطور وذلك من خلال الاوصاف التى وصف بها جريجورى التاسع الجماعة الالمانية من أنها تعمل على مكافحة أعداء الدين المسيحى ، وتضحيتها بارواحها من أجل مساعدة الغير (٧٧) .

على أية حال ، كانت هذه أهم نتائج تلك المعاهدة الكاملة الفردىكية - اذا جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير - على الجماعة الالمانية . أما فيما يتعلق بنتائج الحملة الصليبية السادسة على الجماعة بصفة عامة فقد كانت أخطر من ذلك ، فقد حاول فردريك أن يجعل منها أدواته الرئيسية فى الشرق الادنى . فأعقد عليها الامتيازات والمنح سواء أكانت نقدية أو فى شكل قلاع وأراضى . وقد ترك ذلك أثره عليها ، وأدخلها فى نزاعات عديدة مع أصحاب هذه الاراضى بعد رحيل الامبراطور ظلت لفترة غير قصيرة من الزمن . أما من ناحية علاقتها بالجماعات الأخرى ، فقد أشرنا الى علاقتها بالامبتارية ومحاولة الاخيرة اعادة فرض سيادتها عليها . كما أن عدااء فردريك للداوية بصفة خاصة ومحاولته احلال الجماعة الالمانية محل هذه الجماعة فى التفوق والسيطرة ، جعل الداوية تناصبها العدااء . بالإضافة الى ما كان بينها من صراع حول الرداء الذى كانت الداوية تطالب بعدم أحقية الجماعة الالمانية فى ارتدائه . وتطور النزاع الى حد الصدام المسلح بينهما فى بعض الاحيان . ولكن بعد معاهدة سان جرمانو تدخل جريجورى التاسع أمرا الداوية بعدم استغلال هذه المشكلة

في مهاجمة التيوتون ، وحل المشكلة بأن جعل التيوتون يضعون صليباً أسود على اليسار لكي يتم تمييزهم عن الداوية مع احتفاظهم ببردائهم الأبيض (٧٨) .

ومن ناحية أخرى فإن هرمان قبل عودته الى الغرب الاوروبى مر في طريقه بجزيرة قبرص حيث حصل على منحة أخرى لجماعته في يونيه ١٢٣٠م / رجب - شعبان ٦٢٧هـ . وكانت المنحة عبارة عن قرية تسمى كالافاديا Klavdhia تقع بالقرب من أملاك سابقة للجماعة في الجزيرة ، وكذلك منحة الملك هنرى الاول ومجلس الاوصياء منزلاً في نيقوسيا . وكانت سياسة هرمان متفقة مع سياسة المد التي اتبعها آل هوهنشتاوفن في السيطرة على شرقى البحر المتوسط خاصة بعد أن تنازل يوحنا ابلين عن الوصاية في الجزيرة . غير أن هذه السياسة لم تنجح في الجزيرة ، وسرعان ما ستنشب الحرب الاهلية فيها والتي ستنتهى بهزيمة الامبراطورية . ولاشك أن الجماعة تأثرت بهذه الهزيمة باعتبارها من المؤيدين الرئيسيين للحزب الامبراطورى ، ولكنه ربما اقتصر على عدم توسعها أو حصولها على أملاك جديدة (٧٩) .

وترك رحيل فردريك الاراضى المقدسة في حالة تقرب من الفوضى .

(٧٨) عن تطور هذه المشكلة بين الجماعتين انظر ما سبق ص ١٤٢

أما عن مرسوم جريجورى التاسع فانظر :

L. Auvray (ed.) Les Registres de Grégoire ix (4 vols., Paris, 1896-1908), i, no. 491.

Strehlke, no. 71.

(٧٩)

استمرت الجماعة موجودة في الجزيرة على الرغم من هزيمة الامبراطوريين فيها ، وفيما يبدو أن أملاكها لم يتم مصادرتها في الجزيرة ، حيث أن صلح سان جرمانو ترك تأثيره على الحزب الامبراطورى - بعض الوقت - والذي اتخذ البابا جريجورى جانبه فترة من الوقت . وقد استمرت الجماعة موجودة حتى القرن الرابع عشر الميلادى / الثامن الهجرى في الجزيرة . وتشهد على ذلك احدى الوثائق المؤرخة في ١٣ ديسمبر ١٣٠٠م في فاما جوستا بقبرص . وقد ورد فيها اسم الأخ هنرى دى تراباك مارشال اسبتارية القديسة مريم التيوتونية - Enrico de Trabac

فسرعان ما تفجر الصراع بين هذه القوى ، ولكن الخطر أتى هذه المرة من قبرص . وخلال الفترة التالية سوف تشهد ازدياد قوة الجماعات العسكرية الرهبانية ، وخاصة الجماعة الألمانية . فقد اتضحت سياستها الوالية للامبراطورية ، والقرام مقدمها هرمان دي سالزا بهذه السياسة حتى بعد عودته الى الغرب الاوروبى . وسوف تتأثر الجماعة من هذه السياسة واتخاذها بجانب الحزب الامبراطورى فى ذلك الصراع الداخلى الذى سينشب فى قبرص ثم ينتقل الى الاراضى المقدسة . غير أننا لن نتناول تفاصيل هذا الصراع ، وسنكتفى بالإشارة الى تأثيره على الجماعة الألمانية فى الشرق اللاتينى وأثر ذلك على علاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشام .

انتهت المرحلة الاولى من ذلك الصراع الداخلى بهزيمة الامبراطوريين فى يونيه ١٢٣٠م / رجب - شعبان ٦٢٧هـ ولم يكن باستطاعة فردريك او هرمان التفرغ لهذه الاحداث فى الشرق . فقد كان الامبراطور مشغولا بحروبه لاستعادة املكه الايطالية من البابا . وفى نفس الوقت فان هرمان كان مشغولا بالوساطة بينهما . وأسفرت تلك المحاولات من جانب المقدم الأعلى عن التوصل الى اتفاق سان جرمانو فى ٢٣ يوليو ١٢٣٠م / ١٠ رمضان ٦٢٧هـ ، والذى ترك أثره على الاوضاع فى الشرق (٨٠) . فقد توقفت الخطابات العدائية التى كان يرسلها جريجورى التاسع الى أنحاء العالم المسيحى يهاجم فيها فردريك ، كما أمر البابا مندوبه جريولد برفع قرار الحرمان عن القدس ، ووبخه لتأييده آل ابلين فى الصراع الدائر هناك . وكانت تعليماته للحزب المعادى للامبراطوريين واضحة فى وقف

انظر :

Valeria Polonio (ed.) *Notai Genovesi in Outremare atti Rogati a Cipro da Lamburto di Sambuceto* (3 Luglio 1300-3 agosto 1301), *Collana Storica di Fonti e Studi* 31, Genova 1982) nos. 140-1.

(٨٠)

Auvray, Grégoire ix, nos. 414-415; Huillard-Bréholles, iii, 213,

cf. also : Riley-Smith, *The Knights of St. John*. 170-2.

Prawer, *Histoire*, ii, 228-29.

عدائهم للحزب (٨١) . وربما ترك ذلك أثره على الجماعة الألمانية في الشرق وموقف جريولد منها . فتوجد لدينا وثيقتان تؤرخان في أكتوبر ١٢٣٠م/ذو الحجة ٦٢٧هـ حيث وثق فيها بيع حصلت الجماعة بمقتضاه على بعض المنازل مقابل دفع ايجار سنوى لها لدير القديسة جوازيفات . وقد شهد على الوثيقة الاولى جريولد نفسه وختمها بخاتمه . وكان ينوب عن هرمان آنذاك نائبه هايمو Haymo وشهد على الوثيقة عدد آخر من اخوة الجماعة في الشرق (٨٢) .

كان من الممكن أن تستقر الامور على النحو السابق في المملكة الصليبية ، ومن الواضح أنها تعتبر انتصارا لسياسة فردريك نتيجة لصالح سان جرمانو ، والذي يرجع الفضل لهرمان في تحقيقه . ولكن فيما يبدو كان مصرا على احترام سلطته دون أى معارضة ، وأن ينتقم لما حدث من هزيمة قواته في قبرص ، فأرسل قوات بقيادة مارشاله ريتشارد فلانجيري في أواخر ١٢٣١م/أواخر ٦٢٩هـ والتي لم تتمكن من النزول في قبرص ، فاتجهت الى سورية لمحاصرة بيروت المعقل الرئيسى لآل ابلين ، وسقطت المدينة ولكن القلعة صمدت ورفضت الاستسلام ، أما صور فقد استسلمت الى الامبراطوريين . وتطورت الامور الى اشتباكات مسلحة ابخرط فيها عدد كبير من نبلاء الاراضى المقدسة الى جانب آل ابلين . ووقف الى جانب فلانجيري التيوتون والبيازنة . وبعد نجاح آل ابلين فى استرداد بيروت وطرد الامبراطوريين منها ، استطاعت قوات الامبراطوريين اعادة تجميع قواتها وألحقت الهزيمة بآل ابلين عند قلعة امبرت فى ٣ مايو ١٢٣٢م/١١ رجب ٦٢٩هـ . وانتقل الصراع مجددا الى قبرص حيث لقي

(٨١) من بين الفئات الأخرى التى أرسل اليها جريجورى التاسع طالبا منها التوقف عن الاعمال العدائية ضد الحزب الامبراطورى الداوية وقومون عكا حيث أمرهما أيضا بالتوقف عن أية أعمال من شأنها خرق المعاهدة المعقودة مع الكامل محمد انظر : Prawer, Histoire, ii, 228-29.

Strehlke, nos. 73-74.

(٨٢)

من بين هؤلاء الاخوة ليتولف القائد العام وجونثار المارشال وكونراد متولى قلعة مونتفرت .

الامبراطوريون الهزيمة مرة أخرى في معركة أجريدي في ١٥ يونيو
١٢٣٢م/٢٤ شعبان ٦١٩هـ (٨٣) .

على أية حال ، استغلت الجماعة الألمانية وجود ريتشارد فلانجيري
في الشرق ، واستمرت في توسيع أملاكها ، ففي عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ
حصلت على اقطاع جديد في المنطقة الواقعة خلف عكا وهي السياسة التي
سار عليها شرمان مقدم الجماعة كما سار نائبه على خطاها . واشتمل
ذلك الاقطاع على قريتي عربية Arrabe (٨٤) وزاخنين
Zechanin (٨٥) ، بالإضافة الى ثلاثة أراض خارجية اشتملت على

(٨٣) عن هذه الاحداث انظر :

La Monte, « Lords of Sidon », 203-5, Setton, History, ii,
547-8; Riley-Smith, « The Assise sur la ligece » 194 ff;
Runciman, History, iii, 197-200.

وقد عرض فردريك اختيار فيليب أوف موجاستيل لكي يكون
نائباً في عكا بينما يظل فلانجيري في صور . وكاد هذا الامر أن
يتم لولا معارضة يوحنا الثالث صاحب قيسارية الذي تدخل وفض
اجتماع البارونا وتوأصر على اختيار يوحنا آبلين الذي رفض
وأصر على بقاء باليان وأودو أوف مونبليارد . عن ذلك انظر :

حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٨٤) تقع على بعد ١٧ كيلو مترا من شمال شرقى الناصرة ، ٢٦
كيلو مترا جنوب شرقى عكا . وحددها بابر بأنها عربية البطون
- ووردت بصيغ مختلفة في المصادر الصليبية
انظر :

Beyer, « Akkon », 200. n. 5.

(٨٥) لم ترد في الوثيقة الأصلية للبيع وإنما وردت في توثيق
فلانجيري . ووردت بأسماء أو صيغ مختلفة منها Zaccanyn
Arrabe و Arrabia . ويقترح ماير أن عدم ذكرها في الوثيقة
الأولى يرجع الى أن الوثيقة أشارت الى الاقطاع كاملا ، أما
الوثيقة فذكرته مفصلا وربما تكون أهديت الى الجماعة . للمزيد
انظر :

Beyer, op. cit., 200-1; H.E. Mayer, « Die Kreuzfahrer-herrschaft » Arrabe; ZDPV, 1977 (93), 201.

دير حنا Derhenne (٨٦) ، ومزرا Miscalim (٨٧) ،
وخربة مصيلحة Miscalim (٨٨) . أما صاحبة هذا الاقطاع فهي
ايزابيلا صاحبة بيسان وزوجها براتراند بورسيل Porcele ، فقد
قامت بهذا البيع مقابل ٣٧٠٠ بيزنطا اسلاميا حصلت عليها من الجماعة
الامانية (٨٩) . وقد تولى القيام بهذا البيع ليتولى قائد عام الجماعة
الامانية ، وحرص على الحصول على توثيق هذه المنحة من ريتشارد
فلانجيري نائبا بفردريك والوصى على المملكة (٩٠) . وقام ريتشارد بالفعل
بتوثيق هذه المنحة لها . وحرص هرمان - الذى كان آنذاك فى أوجسبرج
أن يحصل على توثيق من فردريك نفسه باعتباره الوصى على ابنه ملك
بيت المقدس لهذه المنحة . وبالفعل أعطى لها فى عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ
توثيقا لهذه المنحة ، وعدل بعض الامتيازات فى هذه الوثيقة لصالح
الجماعة ، منها اعفاؤها من تقديم الخدمات المؤداة للملك عن هذا
القطاع . وسوف يكون هذا التعديل محور النزاع بين الجماعة وورثة
هذا الاقطاع (٩١) . أما عن أهمية هذه المنحة فتبدو فى أنها كانت تقع

(٨٦) دير حب أو Derhenne أيضا - عن موقعها انظر خريطة

رقم (١) .

(٨٧) غير محددة الموقع ولكنها تقع فى نفس الاقطاع السابق .

(٨٨) تقع بالقرب من عربة البطون ووردت بصيغ مختلفة منها

Misklin و Mischulim و Miscalim انظر :

وكذلك خريطة رقم (١) .

(٨٩) تزوجت ايزابيلا ابنة فيليب الاحمر وستيفانى صاحبة بيسان

مرتين : الاولى من رينالد بارليس ، ثم من برتراند بورسيل .

انظر :

La Monte, « The rise and decline », 309-10.

Beyer, op. cit., 200-1.

Strehlke, nos. 77-78.

(٩٠)

(٩١) أعفى فردريك الجماعة من تقديم خدمة فارسين حسبما ورد فى

قائمة الخدمات المؤداة عن هذا الاقطاع فى عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ ،

أو فارس واحد حسبما ورد فى عام ١١٨١ - ١١٨٢م/٥٧٦ -

٥٧٧هـ . ولايزال الخلاف قائما بين المؤرخين الحديثين حول اذا

ما كان هذا الاقطاع ضمن اقطاع جوسلين الثالث أم لا . ويؤيد

بالتقرب من اقطاع جوسلين الثالث والذي كانت الجماعة الالمانية قد حصلت على نصيب الاسد فيه وهي فيينا ييسدو كانت ترغب في استكمال هذه المناطق المجاورة له لكي تكون تابعة لها . وقد بلغت مساحة هذا الاقطاع حوالي ثمانية كيلو مترات مما يدل على اضافة جديدة للجماعة بما يحتويه من قرى وأراضي خارجية يمكن استغلالها كمراع وما تدره من أرباح اقتصادية للجماعة . كما أنه ربما يكون أحد نتائج معاهدة يافا ، لأن هذه المنطقة واقعة على ذلك الطريق الذي حصل عليه الصليبيون من عكا الى الناصرة ضمن بنود هذه المعاهدة (٩٢) .

وصل الصراع بين الصليبيين في الشرق اللاتيني الى مرحلة من الجمود ، وكان لابد من البحث عن مخرج له . وبالفعل أرسل هرمان دي سالزا يطلب من الصليبيين ارسال عدد من السفراء للبحث عن حل لهذه المشكلة . فقدم في عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ فيليب أوف تروى وهنري أوف الناصرة ، وبعد مباحثات مع هرمان تم التوصل الى اتفاق يجعل من بوهننذ الخامس أمير انطاكية وطرابلس (١٢٣٣ - ١٢٥٢م/٦٣٠ - ٦٥٠هـ) نائبا للملكة ، وأن يتمتع بكافة الحقوق الملكية في صور ، وأن تعدل مساحات المنطقة للجماعة التي تسيطر عليها . غير أن هذا الاتفاق لم يقدر له النجاح بسبب معارضة البارونات الشديدة له ، ورأوا فيه

لامونت عدم دخوله ضمن اقطاع جوسلين . أما ماير فيرى أنه آل الى جوسلين الثالث والذي حصلت الجماعة على جزء منه أثناء منحه عام ١٢٣٠م/٦١٧هـ ، أما ما تبقى من الاقطاع فقد باعته ايزابيلا في هذه الوثيقة للجماعة الالمانية . ويدعم وجهة نظره أن السعر الوارد في الوثيقة قليل جدا للاقطاع بأكمله ، ويرجح أن زاخنين قد تم اهداؤها . أما الاعفاء من تقديم الخدمة فيرى أنه ربما تم مبكرا عن ذلك لأن هذه المنطقة كانت في قبضة الايوبيين ثم أعيدت ضمن المنطقة الممنوحة للجماعة كطريق من عكا الى الناصرة ضمن معاهدة الكامل وفرديريك : للمزيد عن ذلك انظر :

Huillard-Bréholles, IV, 792; cf. also : La Monte, « The rise and decline », 309-10; Mayer, « Arrabe », 201-2.

اجحافا بحقوقهم (٩٢) . ولكن الذى يهدنا من هذا الاتفاق أنه على الرغم من وجود هرمان فى الغرب الاوروبى ، الا أنه ظهر بمظهر الموجه للاحداث فى الشرق ، كما أن جماعته لم تغب عن ذهنه محاولا اعطاءها قلعة صور احدى المدن الرئيسية فى الشرق (٩٣) .

والتساؤل الهام الذى يفرض نفسه هنا هو ما مدى تأثير هذه الاحداث السابقة على علاقة الجماعة الالمانية بالمسلمين فى مصر والشام . والواقع أنه ليس هناك اجابة مباشرة من المصادر التى بين ايدينا على هذا التساؤل . ولكنها بدون شك ارتبطت بموقف فردريك ونائبه ريتشارد فلانجيرى . وكانت التعليمات واضحة له بعدم خرق المعاهدة المعقودة مع الكامل محمد . وربما كان هذا ما دفعه الى مهاجمة بعض القوات الصليبية العائدة من غارة على احدى المناطق الاسلامية - وفى أثناء عودتها قتل بعض أفرادها (٩٤) . وعلى عكس جماعتي الداوية والاستبارية اللتين دخلتا فى علاقات عدائية مع الايوبيين فى شمال الشام بصفة خاصة - حيث لم تدخل الامارات الشمالية فى المعاهدة المعقودة - فان الجماعة الالمانية التزمت سياسة غير عدائية حيال المسلمين ، خاصة وأن مقدمها هو الذى لعب دورا واضحا كما أشرنا من قبل فى التوصل الى

(٩٢) أورد لامونت ترجمة لهذه السفارة وما حدث أثناء المفاوضات مع هرمان دى سالزا ، وذلك نقلا عن تاريخ هرقل فى كتابه حروب فردريك - وقال ان تاريخ هرقل أشار الى هذه السفارة خطأ فى عام ١٢٣٢م / ٦٢٩هـ ، وصحتها عام ١٢٣٥هـ / ٦٣٢هـ . للمزيد انظر :

J. La Monte, Wars of Fredrick II, 168-9.

(٩٣) ليس من الواضح اذا كان هرمان قد لعب دورا فى زواج فردريك للمرة الثالثة أم لا . فقد تزوج من ايزابيلا بلانتجنانت

Isabel Plantagenet

ابنة الملك يوحنا وأخت هنرى الثالث ملك إنجلترا . كما أسهم بدور أيضا فى اقناع هنرى السابع - ابن فردريك بالاستسلام لأبيه عن ذلك انظر :

Sterns, « The Teutonic Knights », 367.

Jean Richard, The Latin Kingdom, 510.

تلك المعاهدة . كما أن مشاغله الأخرى العديدة في الغرب ، وانخراط الجماعة الألمانية في ذلك الصراع الداخلي في الشرق قد ترك أثره عليها فجعلها تلتزم بهذه السياسة غير العدائية . أما الجانب الآخر ونقصه به الايوبيين سواء في مصر أو الشام ، فقد كان من حسن حظ الصليبيين انخراطهم في النزاعات الداخلية فيما بينهم التي اتسعت هوتها وزادت حدتها . وفي نفس الوقت انشغلوا أيضا بخطر خارجي آخر تمثل في وصول الخوارزمية الى خلاط ومقوتها في قبضتهم في ٢٨ جمادى أولى ٦٧٢هـ / ١١ أبريل ١٢٣٠م وتهديدهم للايوبيين في الشمال . وقد اضطر الاشرف موسى أن يتحالف مع علاء الدين كيقيباد الاول سلطان سلاجقة الروم ضد الخوارزمية . ووقعت المعركة بين الجانبين في أرزنكان بآرمينية ، وانتهت بهزيمة جلال الدين منكبرتي واسترداد الاشرف لعاصمته خلاط وتم عقد الصلح (٩٥) . ولا شك أن هذه الاحداث شغلت الدولة الايوبية عن استغلال ذلك الصراع الداخلي في المملكة الصليبية لصالحها ، وربما كان ذلك أحد عوامل بقاء المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٢٣٩م / ٦٣٧هـ .

أما في شمال بلاد الشام فقد حرصت الجماعة الألمانية على تواجدتها هناك أيضا . وقد سنحت لها تلك الفرصة مرة أخرى بتولى هيثوم الاول (١٢٢٦ - ١٢٦٩م / ٦٢٣ - ٦٦٧هـ) في أرمينية ، والذي يعتبر من أعظم الشخصيات في تاريخ المملكة الأرمينية الصغرى (٩٦) . وقد سبق أن أشرنا الى هذه العلاقة الوثيقة بين الملوك الأرمن والاباطرة الألمان ، وأثر ذلك على الجماعة الألمانية . واتضح ذلك التقارب مرة أخرى في عام ١٢٣٢م / ٦٢٩هـ ، عندما انهزم الامبراطوريون في أجريدي بقبرص

(٩٥) عن هذا الخطر وتطوره انظر : أسامة زكي زيد : الخوارزمية

ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي في عصر بني أيوب

(١٢٢٥ - ١٢٤٦م / ٦٢٢ - ٦٤٤هـ) مجلة كلية الآداب - العدد

٣٠ - الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩ .

(٩٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ،

ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

واتجهوا الى أرمينية حيث نزلوا بها واستقبلهم قنسطنطين وابنه الملك
هيثوم بحفاوة بالغة (٩٧) .

تؤرخ هذه الوثيقة التي عطي هيثوم بموجبها الجماعة الألمانية
مدينة هرونية وتوابعها في ٢٢ يناير ١٢٣٦م/ ١١ جمادى الاولى
٦٣٣هـ وذلك بعد انفراده بحكم الملكة (٩٨) . كما منح لها أيضا نفس
نفس الامتيازات السابقة التي كان يتمتع بها صاحب الاقطاع السابق ،
بالإضافة الى بعض الشروط الخاصة بالفلاحين التابعين له والذين كانوا
يعملون على هذه الأرض (٩٩) . ولابد أن نتوقف قليلا عند هذه المنحة
لنرى اذا ما كانت تمثل أهمية بالنسبة للجماعة أم لا . ويرى فورستريتر
أن هذه المنحة كانت تمثل امكانيات واسعة للجماعة في التوسع في هذه
المنطقة الجديدة ولكنها فيما يبدو انشغلت بمناطق أخرى للتوسع مثل
بروسيا بل ووصلت الى أسبانيا أيضا حيث شاركت هناك في الحروب ضد

Rey, *Les Familles*, 126-7.

(٩٧)

وعن العلاقة بين الملوك الأرمين والاباطرة الألمان انظر ما سبق
الفصل الثاني .

(٩٨) ذكر ياقوت أن هرونية مدينة صغيرة بالثغور في طرف جبل
اللكام اختطها هارون الرشيد وسميت باسمه . أما عن موقعها
فتقع على بعد ٥٥ كيلو مترا جنوب غربى مرعش ، وعلى بعد
عشرة كيلو مترات من جيهان . انظر أيضا خريطة رقم ٢ ،
ياقوت : المشترك وشعا والمفترق صقعا ، ص ٤٧٣ ، وكذلك :
Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 62.

(٩٩) Strehlke, no. 83, cf. also : Riley-Smith, « The Templars and
the teutonic », 113-14.

وقد أشارت الوثيقة بالتفصيل الى أسماء الأديرة والأماكن
والسهول وغيرها الداخلة في نطاق هذه المنحة للجماعة الألمانية
ووصف هيثوم الجماعة بأنها تقوم بمحاربة أعداء المسيح ولكي
تساعد هذه المنحة على أداء ما تقوم به من أعمال نحو رعاية
المرضى والفقراء . واشترطت فيما يتعلق بهؤلاء الفلاحين
أنه في حالة فرض أية ضرائب عليهم يجب أن تجنى مئاصفة مع
الملك ، أما اذا رغبت الجماعة في الاستغناء عنهم فيمكنها ذلك .
Ibid.

المسلمين (١٠٠) . ولكننا سوف نرى فيما بعد - وذلك في النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى تقريبا/النصف الثانى من القرن السابع الهجرى - أنه سيكون هناك موظف خاص مسئول عن أرمينية فى الجماعة ضمن المناصب الادارية الكبرى بها ، مما يدل على اهتمامها بهذه المنطقة وحرصها على التوسع بها ولكن ربما ستحول عوامل عديدة بينها وبين ذلك التوسع كما سنرى (١٠١) . أما من ناحية الموقع فهى تمثل منطقة ذات أهمية خاصة ، وذلك بحكم أنها تتحكم فى الطريق الى مرعش وملطية وهى الطريق المؤدية الى قليقية من جهة الشرق . وقد حرص الملك هيثوم ، فيما يبدو ، على أن تكون الجماعة بمثابة درع واق له فى هذه الجبهة ، خاصة وأن الجبهة الغربية لمملكته كانت قد تقلصت بسبب نجاح السلاجقة فى توجيه الضربات المتوالية للارمن فيها (١٠٢) .

غير أن أخطر النتائج التى ستترتب على وجود الجماعة الالمانية فى أرمينية الصغرى هو ذلك التعاون الذى سوف نراه بينها وبين وبين الارمن فى محاولة التحالف مع التتار ضد المسلمين . ولا شك أن طول فترة حكم هيثوم الاول فى أرمينية ستكون عاملا مساعدا على التعاون بين الجانبين . وسوف نرى أثر تلك السياسة على علاقة الجماعة بالمسلمين ، وبصفة خاصة مع المماليك ، والنتائج المترتبة على ذلك بالنسبة لها والمملكة الارمنية أيضا .

(١٠٠) Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 61-2.

(١٠١) انظر ما يلى الفصل الخامس .

(١٠٢) تعرضت هذه الجبهة الغربية لهزات متلاحقة أدت الى سقوط

عدد من القلاع فيها ، منها قلاع لولون Lauzada ولازادا

Loulon . وربما ارتبطت هذه الهزائم بمنحة الملك ليو

الارمنى لجماعة الاسبتارية فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ لكى يجعل

منها درعا واقيا له فى هذه المنطقة ثم كانت منحة هيثوم الاول

للتبوتون لكى يجعل منها أيضا حاميا له فى الجبهة الشرقية .

وأصبح « أخا » للجماعة أو confrater وأصبحت المملكة

الارمنية على علاقة خاصة بالجماعة الالمانية . للمزيد انظر :

Boase, « History of the kingdom », 22, Riley-Smith, op. cit.,

أما عن الفترة المتبقية من عهد هرمان دى سالزا مقدم الجماعة فقد
تمثلت في وجوده في أوربيه يتنقل بين البابا جريجورى التاسع
والامبراطور فردريك الثانى في محاولة حل أى مشاكل بينهما . وقد
وصلت بعض المشاكل الى استحالة حلها الا بوجود هرمان نفسه (١٠٣) .
أما عن جماعته في الشرق ، فقد استمرت في الحصول على الامتيازات
والمنح خاصة من أولئك الامراء والبارونات المؤيدين للحزب الامبراطورى .
وفي ١٠ أغسطس ١٢٣٦م / ٥ ذى الحجة ٦٣٣هـ حصلت الجماعة على قرية
جديدة تسمى « صفد لى قاطمون الواقعة في منطقة تورون »

« Saphet lo Cathemon » (١٠٤) . وقد حصل على هذه
المنحة ليتولف القائد العام للجماعة نائبا عن هرمان (١٠٥) . وفي ٢٤
يناير ١٢٣٩م / ١٦ جمادى آخرة ٦٣٦هـ أضافت الجماعة الى قائمة
أملكها أملاكاً جديدة في الجابيس Cabsic (١٠٦) ، والتي دفعت
في سبيل الحصول عليها ٢٠٦ بيزنطا اسلامية وتلا ذلك في فبراير ١٢٣٩م /
رجب ٦٣٦هـ حصول الجماعة على آخر الامتيازات في عهد مقدمها هرمان
دى سالزا ، حيث حصلت على قطعة أرض تابعة لدير جبل صهيون ،
دفعت مقابلها ايجارا سنويا قدره عشرين بيزنطا . وكانت قطعة الارض
هذه تقع بالقرب من المنطقة التابعة للجماعة في سور عكا ، اذ أشارت
الوثيقة أنها تقع بالقرب من باب القديس نيقولا حيث تركزت الجماعة
منذ نشأتها في عكا (١٠٧) .

وبعد فترة من المرض قضاها هرمان في سالرنو لم يبرأ بعدها مات

Tumler, Der Deutsche Orden, 39-40, Van Cleve, The Emperor (١٠٣)
Frederick II, 377.

(١٠٤) عن موقع هذه القرية والمواقع الأخرى التي تحمل اسم صفد
« أو صفت » انظر ما سبق ص ١٢٣ هامش ٣ .

Strehlke, no. 84. (١٠٥)

(١٠٦) ربما هي الجابيس الواقعة على بعد ثمانى كيلو مترات ونصف
من الزيب ، انظر خريطة رقم (١) ، وكذلك :

Strehlke, no. 85; cf. also : Beyer, « Akkon », 192, n. 7.
Strehlke, no. 86. (١٠٧)

في ٢٠ مارس ١٢٢٩م/ ١٢ شعبان ٦٣٦هـ . وفي يوم وفاته بدأ البابا جريجورى التاسع صراعه ضد الهوهنشتاوفن (١٠٨) . واذا أردنا أن نقيم هذه السنوات التى قاربت على الثلاثين عاما عن رئاسة الجماعة ، فإنه يكفى ما حققه لجماعته من مكانة بين الداوية والاسبتارية . فقد وصلت الى مكانة هاتين الجماعتين بل وفاقتهما في أثناء سيطرة الهوهنشتاوفن . كما شهدت الجماعة في عهده اتساعا لم تشهده من قبل في الاراضى المقدسة . فانتشرت أملاكها في أنحاء المملكة الصليبية ، وفي أنطاكية ، وقبرص ، ومملكة أرمينية الصغرى . وكذلك شهدت الجماعة ديرها العالمى في عهده فانتسعت في بروسيا وآنحاء أوروبة . هذا بخلاف اقامته لمقرها الرئيسى في الاراضى المقدسة في قلعة القرين . أما عن دوره الذى أسهم به في الصراع بين البابوية والامبراطورية ، فقد نجح في أن يحل هذا الصراع في فترات كثيرة منه والتوصل الى اتفاق سان جرمانو الذى ترك أثره على الاوضاع في الشرق اللاتينى والغرب الاوروبى والجماعة الالمانية أيضا . وقد حظى بمكانة خاصة لدى كل من البابا هونوريوس الثالث وجريجورى التاسع ساعدته كثيرا في التوسط بينهما وبين الامبراطور الالمانى على الرغم من وعود فردريك الثانى الكثيرة التى لم يف بها ، الا أن دبلوماسية هذا الرجل مكنته من التخلص من كثير من هذه المآزق السياسية التى وضعه فيها فردريك . ولم ينس جماعته خلال هذه المشاغل السياسية العديدة ، ونجح في الحصول على العديد من الامتيازات والمنح التى رفعت من مكانتها . كما استكمل لها قوانينها ، ولم تمر الا سنوات قليلة حتى اكتمل قانونها الخاص بعد أن كانت تستمد قوانينها من الداوية والاسبتارية . أما عن دوره في العلاقات السياسية مع المسلمين فقد اتضح حرصه على تأييد التوصل الى عقد الهدن والمعاهدات ، والتى ربما كان يهدف من خلالها الى توفير المناخ الملائم لنمو جماعته ونشأتها خاصة في تلك الفترة المبكرة . ولكنه سرعان ما استغل الحملة الصليبية الخامسة للمشاركة في القتال ضد الايوبيين في مصر ، وأسهمت جماعته بدور رئيسى خلالها ، الامر الذى أعلى من شأنها أمام الجماعتين الاخرين . وعلى الرغم من ذلك فقد أيد التوصل للصلح ، وظهرت صحة آرائه التى أبداهها في كثير

من المواقف . وازداد هذا الموقف خلال الحملة الصليبية السادسة والتي ظهر خلالها أنه الوجه الرئيسى لها حيث أسفرت عن تلك المعاهدة السلمية الفريدة من نوعها فى تاريخ الصراع الصليبي الاسلامى والتي استمرت حتى بعد وفاة هرمان بشهور قليلة .

الفصل الرابع

جماعة الفرسان التيوٲون ودورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية
بعد وفاة هرمان دى سالزا وعقب وفاة مقدمها بوبو دى اوسترنا
(١٢٣٩ - ١٢٥٦م/٦٣٧ - ٦٥٤هـ)

- الجماعة فى عهد كونراد اوف ثورنجا (١٢٣٩ - ١٢٤٠م/٦٣٧ -
٦٣٨هـ) ، وجيرارد اوف مالبرج (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٩ - ٦٤٢هـ) :
(ا) الامتيازات والمنح التى حصلت عليها فى عهديهما واثـر ذلك على
علاقاتها السياسية بالمسلمين فى مصر والشام .

(ب) دورها فى حملتى ثيوبولد اوف شامبانيا (١٢٣٩م/٦٣٧هـ) ،
وريتشارد اوف كورنول (١٢٤٠ - ١٢٤١م/٦٣٨ - ٦٣٩هـ) ،

وموقفها من التحالف الصليبي مع القاهرة او دمشق .
(جـ) موقفها من الصراع الامبراطورى البابوى ، وانعكاسه على
اوضاعها فى الاراضى المقدسة .

(د) علاقاتها بكل من الداوية والاسبتارية ، وتأثير ذلك على
علاقاتها بالايوبيين فى مصر والشام .

- الجماعة الالمانية فى عهد هنريش اوف هوهنوه (١٢٤٤ - ١٢٤٩م/
٦٤٢ - ٦٤٧هـ) :

- دورها فى معركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، والاثـر المترتبة عليه .

- دورها فى الصراع بين الامبراطور فردريك والبابا انوسنت الرابع ،
واثـر ذلك عليهما .

- جونيتـر من فيلـر سلبن (١٢٥٠ - ١٢٥٢م/٦٤٨ - ٦٥٠هـ) وبوبو من
اوسترنا (١٢٥٢ - ١٢٥٦م/٦٥٠ - ٦٥٤هـ) مقدما الجماعة ،
ودورهما فى حملتى لويس التاسع على مصر والشام .

- تقييم دور الجماعة الالمانية فى العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين
فى مصر والشام .

شهدت هذه الفترة من تاريخ الجماعة في الاراضى المقدسة تطورات هامة داخلية وخارجية ، تركت آثارها عليها وعلى علاقاتها السياسية مع المسلمين في مصر والشام . فللمرة الاولى نشهد انقسامات داخلية واستقالة اثنين من مقدميها ، وبالإضافة الى ذلك ، فقد ظهرت مجموعة قوانين الجماعة الخاصة بها بعد أن كانت تستمد قوانينها من الجماعتين الأخريين: الداوية والاسبتارية . كما تارجحت علاقاتها مع البابوية ، وتأثرت في فترات كثيرة بموقفها من الصراع الامبراطورى البابوى ، المعروف اصطلاحا باسم : « الصراع العلمانى » . وقد كان لذلك كله تأثيره على علاقاتها السياسية مع الايوبيين في مصر والشام . كذلك شهدت هذه الفترة تطورا سريعا في الاحداث السياسية ، فقد توالى الحملات الصليبية التى كان يرأسها أمراء أو ملوك غربيين فى محاولة يائسة لانقاذ المملكة الصليبية التى أوشكت على الانهيار . وساهمت الجماعة بدورها فى هذه الحملات سواء عن طريق مقدميها أو من ينوب عنهم . واتخذت موقف المؤيد للتحالف مع القاهرة بدلا من دمشق ، حيث أملت عليها سياستها المؤيدة للامبراطور فردريك هذا الموقف ، بالإضافة الى مصالحها الخاصة . وإلى جانب ذلك ، فقد شهدت هذه الفترة حدثا هاما ترك آثاره على الشرق اللاتينى بأكمله ، وهو نهاية الدولة الايوبية فى مصر وظهور دولة المماليك الاولى أو البحرية . ولاشك أن ذلك الحدث كان من أهم الاحداث التى سوف تظهر نتائجها فيما بعد عليها وعلى أملاكها فى المنطقة .

وعند استعراض العلاقات السياسية بين الصليبيين والايوبيين سواء فى مصر أو الشام ، فإننا لا نستطيع ذلك دون توضيح نقاط أخرى هامة لها اتصالها المباشر بهذه الاحداث . ومن بينها تلك الامتيازات والمنح التى حصلت عليها الجماعة خلال هذه الفترة ، سواء من القوى الدينية أو الدنيوية المختلفة ، وما ثار من خلافات حول أملاك سابقة كانت قد حصلت عليها . بالإضافة الى ذلك الدور الذى أسهمت به فى أحوال الصليبيين الداخلية وتأثير ذلك عليها ، كما أننا لا نستطيع أن نتعرض لهذه الاحداث دون أن نشير الى دورها فى الصراع بين البابوية والامبراطورية ، والذى يفسر كثيرا من مواقف الجماعة ، خاصة فى مجال العلاقات السياسية مع المسلمين .

على الرغم من أن كونراد من ثورنجا لم يتول مقدا أعلى للجماعة إلا لمدة عام واحد (١٢٣٩ - ١٢٤٠م / ٦٣٧ - ٦٣٨ هـ) (١) ، إلا أنه كان عاما مليئا بالأحداث التي شارك فيها وأسهمت الجماعة خلالها بدور هام . ففي نفس اليوم الذي مات فيه هرمان دي سالزا وهو ٢٠ مارس ١٢٣٩م / ١٢ شعبان ٦٣٦ هـ ، أصدر البابا جريجوري التاسع قرارا بحرمان فردريك الثاني للمرة الثانية . وكان على الامبراطور الألماني أن يواجه الموقف بمفرده في هذه المرة . وازداد الصراع اشتعالا بينهما عندما زوج فردريك ابنه انزيو Enzio من اداسيا Adelasia وريثة سردينيا وهي إحدى المناطق التي كانت ضمن اهتمامات البابوية ، وقام فردريك بضمها إلى امبراطوريته (٢) . ولكي يبعد البابا الجماعة عن تأييدها للامبراطور ، فقد هددها في خطاب له بتاريخ ١١ يونيو ١٢٣٩م / ٧ ذي القعدة ٦٣٦ هـ بالغاء جميع امتيازاتها إذا وقفت بجانبه (٣) . ثم أرسل لها خطابا آخر في ١٢ يناير ١٢٤٠م / ١٥ جمادى الآخرة ٦٣٧ هـ يطلب فيه إرسال نائب عنها للدفاع عن نفسها ضد مطالب الاسبتارية باخضاعها . وحدد لها مهلة حتى ١٦ أكتوبر ١٢٤٠م / ٢٦ ربيع أول ٦٣٨ هـ من نفس العام للرد على ذلك ،

(١) الابن الأصغر لهرمان أوف ثورنجا من زوجته الثانية وصفياء أوف بايرن . ولد في ١٢٠٦م / ٦٠٢ هـ أو ١٢٠٧م / ٦٠٣ هـ ثم التحق بالجماعة الألمانية في نوفمبر ١٢٣٤م / صفر ٦٣٢ هـ . وأظهر نشاطا واضحا خلال الفترة السابقة على اختياره مقدا أعلى لها . ولم يظهر ضمن وثائق الجماعة في الأراضي المقدسة ولكن أشير إليه ضمن المجتمعين في سبتمبر ١٢٣٩م / صفر ٦٣٧ هـ ، وجهة « بالمقدم الأعلى » يحني الإشارة إليه . وقد ورد خطأ في هامش حملة ثيوبولد . وعلى الرغم من أنه لم يذكر اسم إلا أن تحديده روتلان أنه تولى في الفترة من ١٢٣٩ إلى ١٢٤٤م ، بينما لم يحكم الجماعة سوى عام واحد فقط .

Rothelin, R.H.C.H. Occ. ii, 530-1, n. H.; cf, also : Tumler, Der Deutsche Orden, 42-3.

J. Leuschner, Germany in The late Middle Ages, (trans. by. (٢) S. Mac. Cormack, Oxford 1980) 52.

Auvray, Gergoire ix, iii (Paris 1908) no. 4876.

(٣)

والا فسوف يطبق عليها مرسوم البابا كلستين الثانى والذى أكده البابا هادريان الرابع كما ادعت الوثيقة (٤) . ولسنا نعرف ماذا حدث بعد ذلك ، وما اذا كان كونراد مقدم الجماعة يحمل معه ردا على هذا الخطاب عندما سافر الى روما ووصلها فى ٢٤ يوليو ١٢٤٠م/٢ محرم ٦٣٨هـ . ولكنه توفى فى اليوم التالى لوصوله بسبب حمى ألّت به (٥) . ولم تنه وفاة المقدم القضية ، فقد أرسل البابا خطابا آخر للجماعة فى ٢٣ مارس ١٢٤١م/٨ رمضان ٦٣٨هـ يحدد فيه مطالبه السابقة معطيا لها مهلة حتى ٣٠ نوفمبر للرد مبينا أن عليها تحمل مسئولياتها حتى بدون وجود مقدم أعلى لها (٦) . ولا نعلم ماذا حدث بعد ذلك ، ولكن جاءت وفاة البابا جريجورى التاسع فى ٢٢ أغسطس ١٢٤١م/١٢ صفر ٦٦٣٩هـ ، أى قبل انتهاء المهلة المحددة للجماعة للرد خلالها ، لكى تضع حدا مؤقتا للمشكلة (٧) .

(٤) ذكرنا من قبل عدم وجود نسخة أصلية من خطاب البابا هادريان الرابع الذى زعم جريجورى التاسع وجوده . وهذه أول إشارة ترد عنه فى هذه الوثيقة . انظر ما سبق المقدمة .

وعن مرسوم البابا جريجورى التاسع انظر :
Delaville Le Roux, Cart. ii, no. 2247.

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 42-3. (٥)

Strehlke, no. 469. (٦)

(٧) ازدادت العلاقات سوءا بين الامبراطور والبابا فى الفترة السابقة لوفاة جريجورى التاسع . فقد ضم فردريك انكونا وسبلاتو الى امبراطوريته ، واحتل فى ١٢٤٠م/٦٣٧هـ فانزا Faenza بعد حصار طويل فى ١٢٤١م/٦٣٨هـ . ولا شك أن ذلك كله ترك أثره على المجاعة الالمانية وارسل البابا خطابه الثانى اليها . لمزيد انظر :

Leuschner, *op. cit.*, 52; Favreau, *Studien*, 92-94.

(٨) أشار باير الى أنها غير محددة ، ويعتقد كوندر أنها « يا نوح » الواقعة على بعد سبعة كيلو مترات ونصف من عمقا . غير أن باير لا يوافق على ذلك ، ويعتقد أن « يانوح » هذه من الافضل أن تكون « Yanot » ، انظر :

Beyer, « Akkon », 187, n. 8, 199.

أما عن الامتيازات التي حصلت عليها خلال فترة كونراد ، فقد تمثلت في حصولها على قرية *La Nabie* أو *Noie* وموقعها غير معروف على وجه الدقة (٨) وكانت محسورا للنزاع مع جماعة الاسبتارية ، وذلك في ابريل ١٢٣٩م /رمضان ٦٣٦هـ . وتم التوصل لاتفاق بشأنها ، حيث حصلت عليها الجماعة الالمانية في مقابل احتفاظ الاسبتارية بما تنتجه من السكر . وكان ليتولف القائد العام للجماعة الالمانية هو الذى توصل لهذا الاتفاق ، لانه فيما يبدو أن كونراد لم يكن قد أصبح مقدما بعد (٩) . وفي نفس العام - دون تحديد للشهر - قام ليتولف بشراء حديقة في منطقة مجاورة لعكا ، وذلك من رهبان القديسة ماريا اللاتينية . واشترط الرهبان في الوثيقة عدم بيعها لأى جماعة رهبانية أخرى و الجاليات التجارية ، واحتفاظهم بالحق في استردادها اذا ما رغبت الجماعة في بيعها (١٠) . وكانت هذه الحديقة تقع بالقرب من أملاك أخرى خاصة بها في نفس المنطقة . وهذا يعنى استمرارها في تكوين مناطق خاصة بها حول عكا . وكذلك استمرار نشاطها على الرغم من عدم وجود مقدم أعلى لها في هذه الفترة التى أعقبت وفاة هرمان دى سالزا وقبيل تولى كونراد أوف ثورنجيا .

وفي أثناء ذلك العام الذى تولى فيه كونراد شؤون الجماعة - أى عام

(٩) استشهد فورستريتر بهذه الوثيقة على حسن العلاقة بين الجماعتين . أما مارى لويص فقد أشارت الى أنه لا يمكن الاخذ بهذا ، لأن هذه القرية ، فيما يبدو ، كانت من ضمن اقطاع جوسلين الثالث الذى حصل عليه الجماعة الالمانية ، وبالتالي فقد سلمت الاسبتارية بحقها . الا أننا لا نتفق مع كليهما في استخدام هذه الوثيقة لتفسير العلاقة بين الجماعتين ، لسبب بسيط وهو أن تاريخها هو ابريل ١٢٣٩م ، وفي هذا التاريخ لم يكن البابا قد وجه أى خطاب للجماعة الالمانية بشأن علاقتها مع الاسبتارية . انظر عن ذلك :

Strehlke, no. 87; cf. also : Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 26-27; Favreau, *Studien*, 93.

Strehlke, no. 88.

١٢٣٩م/٦٧٣هـ - كان أجل المعاهدة المعقودة بين فردريك الثانى والكامل محمد الايوبى على وشك الانتهاء . وقد لذلك كان البابا جريجورى التاسع قد دعا لحملة صليبية جديدة . ولم يستجيب لهذه الدعوة سوى عدد قليل من الامراء الفرنسيين كان على رأسهم ثيوبولد الرابع كونت شامبانيا وملك نافار (١١) . واتجهت الحملة مباشرة نحو عكا حيث وصلتها فى أوائل سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ . وبعد وصولها بفترة عقد قادتها مؤتمرا فى عكا فى ٧ أكتوبر/ربيع أول لمناقشة ما سيتم عمله واستعراض مختلف وجهات النظر . وكان كونراد أوف ثورنجا مقدم الجماعة أحد الحاضرين فى المؤتمر . وفيما يبدو أن اجتماع اليوم الاول لم يحدث فيه اتفاق بعد أن استمرت المناقشات لفترة طويلة . وفى اليوم الثانى عقد اجتماع تم التوصل فيه لأسوأ قرار ، وهو مهاجمة دمشق والاتجاه قبل تنفيذ ذلك الهجوم الى مدينة عسقلان لتحصينها (١٢) . وفتح الصليبيون بذلك على أنفسهم جبهتين للعمل فيهما فى وقت واحد ، فهم من ناحية هددوا أحد المراكز المصرية الامامية بتحسينهم عسقلان ، وكذلك مهاجمتهم لدمشق . وأشار المؤرخ رالى سميث الى أنه لا يوجد لدينا تسجيل للدور الذى أسهمت به الجماعات العسكرية الرهبانية فى ذلك المؤتمر (١٣) . غير أننا من خلال معرفتنا بهذه الآراء التى عرضت فى

(١١) عندما توفى جان دى بريين امبراطور الدولة اللاتينية فى القسطنطينية فى ١٢٧٣م/٦٣٤هـ ، حاول البابا توجيه الحملة الى قادة الحملة وعلى رأسهم ثيوبولد رفضوا ذلك . وكانوا قد اختاروا فردريك الثانى قائدا لهم بحكم كونه ملك بيت المقدس . وخشى البابا من استغلال فردريك للحملة كما فعل فى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ . ولكن حلت المشكلة بعد اعتذار فردريك عن قيادتها : انظر :

Richard, *The Latin Kingdom*, 321-22.

Rothelin, 530-1.

(١٢).

(١٣) ظلت عسقلان خرابا منذ عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ الى قدوم هذه الحملة الصليبية ثم أعاد ريتشارد كورنول تحصينها ومنحها الى ممثل الامبراطور . وحصلت الاستبارة عليها حيث ظلت تابعة للصليبيين حتى عام ١٢٤٧م/٦٤٥هـ عندما نجح الصالح نجم

المؤتمر ، يمكن تبين القوى التي كانت وراء كل اقتراح ، ففيمما يتعلق بتجديد المعاهدة السابقة المعقودة مع مصر وكذلك تحصين قلاع الجليل ، لا شك أن الجماعة الألمانية سوف تكون من المؤيدين لهذين الاقتراحين ، فهما يتفقان مع سياستها ، وكذلك فإن تحصين قلاع الجليل سوف يعود عليها بالفائدة حيث كانت تتمركز أملاكها ، وخاصة القرين وتوابعها (١٤) .

ظهرت الخلافات بين الجماعات العسكرية الرهبانية منذ وصول الحملة حول الهدف الذي توجه ضده . فقد أيد الداوية نقض الاتفاق مع مصر ، بينما وقف التيوتون والاسبتارية الى جانب هذا التحالف . وربما يكون لهذه المواقف من جانب الجماعات الرهبانية أثرها على اتخاذ القرار المزدوج بتحسين عسقلان ثم الاتجاه بعد ذلك لمهاجمة مصر . ويقول برور ان الرأي القديم الذي كان يرى أن ظهور الخلاف في أثناء هذه الحملة ليس مرجعه الى هذه الجماعات وانما الى البارونات المحليين الذين اتخذوا هذا القرار ، يقول ان هذا لم يعد رأيا صحيحا ، ففي هذه الفترة كان من المتعذر قيام أية حملة دون مشاركة الجماعات العسكرية فيها . وهو لا شك مصيب في ذلك ، فسرى أن عبء الملكة أصبح ملقى على عاتق هذه الجماعات ، ومن بينها الجماعة الألمانية . وإذا كان يرى أنه من الصعب توضيح موقف كل جماعة من السياسة الخارجية للملكة الصليبية ، فمما لا شك فيه أنها كانت تضع مصلحتها في المقام الأول بالإضافة الى اعتبارات أخرى متداخلة في بعضها ليس هنسا مجال الافاضة فيها (١٥) .

الدين أيوب في استردادها منهم . للمزيد عن ذلك انظر :
Beyer, «Die Kreuzfahrergebiete Südwestplastinas», 166;
Riley-Smith, *The Knights of St. John*, 186.

(١٤) من بين الآراء التي عرضت في هذا المؤتمر محاولة التفاوض مع الامراء الايوبيين المتنازعين . ولكن تم رفض هذا الاقتراح لأن الحملة كانت قادمة وفي نيتها القتال ، بالإضافة الى الآراء الأخرى الخاصة بتحسين قلاع الجليل وتحسين عسقلان ومهاجمة دمشق - عن ذلك انظر :

Runciman, *History*, iii, 213.

Prawer, « *Military Orders* » 221.

على أية حال اتجه الصليبيون الى عسقلان في ٢ نوفمبر ١٢٣٨م/٢ ربيع آخر ٦٣٧هـ لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه ، واتخذ البعض الطريق البحرى حيث رسوا عند عثليت او قلعة الحجاج ، بينما وصل الذين اتخذوا الطريق البرى الى يافا ، وأمضوا بها أربعة أيام . وفى أثناء الطريق تمكن بعض الفرسان الفرنسيين بقيادة بطرس أوف بريتانى وراذلف أوف سواسون من مباغطة احدى القوافل الاسلامية وحصلوا منها على غنائم وغيرة . وقد أثار ذلك غيرة هنرى كونت بار ومعه مجموعة أخرى من الفرسان الفرنسيين الذين صمموا على التقدم نحو غزة لمهاجمة الجيش المصرى الموجود هناك . وعندما علم ثيوبولد بذلك أسرع ومعه مقدمو الجماعات العسكرية - ومن بينهم كونراد مقدم الجماعة الالمانية - حيث تجمع هؤلاء الفرسان ونصحوهم بعدم الاقبال على المغامرة وانتظار وصول بقية الجيش للذهاب جميعا الى عسقلان ، حيث يتواجدون على مقربة من المسلمين ، وبالتالي يتسنى لهم تحقيق نتيجة أفضل بعد أن يتشاوروا معا فيما يمكن عمله (١٦) . وعلى الرغم من

(١٦) اشترك فى هذه الحملة كل من عمورى أوف مونتفرت وجوتيه أوف يافا وباليان أوف صيدا وأود أوف مونبليارد . وكان معهم ستمائة فارس مجهزون بأسلحتهم الثقيلة ، بالإضافة الى سبتين فارسا من حملة الرايات بخلاف حملة السهام والمشاة ، هذا ، فضلا عن عدد كبير ممن كانوا قد أتوا رغبة فى الحصول على مزيد من المكاسب ، مما يدل على ضخامة عدد الجيش الصليبي . أما مارى بوليست فقد أشارت الى أن كونراد لم يذهب الى الشرق مطلقا حيث توفي فى روما فى ٢٤ يوليو ١٢٤٠م/٢ محرم ٦٣٨هـ . وكما أشرنا من قبل ، فإن روتلان أشار الىه مرة أخرى بأنه كان موجودا مع الحملة وذهب لانقاذ ولئك الصليبيين . وعلى الرغم من عدم ذكره صراحة لاسمه ، الا ن كلمة « المقدم الاعلى » او « et li granz mestrez » تعنى صراحة أنه كان موجودا فى الشرق . للمزيد عن ذلك انظر :

Rothelin, 538-39; cf. also : M.L. Bulst, « Zur Geschichte der Ritterorden und des Königreichs Jerusalem in 13 Jahrhundert bis zur Schlacht bei La Forbie am 17 Okt. 1244 », *Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters* 22. (1966) 199, n. 6.

تهديد ملاك نافار بالعودة الى عكا اذا لم يستمع أولئك الفرسان لنصيحته ،
الا أن العناد ركب رؤوسهم رغبة في تحقيق الغنيمة والنصر ، أو أنهم
وقعوا في الفخ نتيجة للمعلومات الخاطئة التي أرسلها لهم أحد
الجواسيس الداوية عن قلة عدد الجيش الايوبي المتمركز بالقرب من
غزة (٧١) . وعندما وصل أولئك الصليبيون عند منطقة تسمى « شعر
الجميز » (١٨) بالقرب من غزة فوجئوا بعدد الجيش الايوبي . وكانت
الهزيمة ثقيلة ، فقد راح ضحية هذه المعركة ما يقرب من ألف وثمانمائة
قتيل ، بخلاف الاسرى الذين بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة وثلاثين أسيرا .
وقد حدثت هذه المعركة ما بين ١٤ و ١٥ ربيع ثاني ٦٣٧هـ / ١٣ و ١٤
نوفمبر (١٩) . ووصلت أنباء الهزيمة الى ثيوبولد ومن معه من الصليبيين

Riley-Smith, The Knights of St. John. 176-77. (١٧)

(١٨) وردت هكذا في النويري . ومن المرجح أنها شعر الجميز .
والشعر بضم أوله ، يجوز أن يكون جمع أشعر كأنهم شبهوا هذا
الموضع بالشعر لكثرة نباته كما قال ياقوت الحموي في معجمه .
ولذلك فانا نرجح أنها « شعر الجميز » على اعتبار كثرة أشجار
الجميز في هذه المنطقة . انظر : معجم البلدان ، ج ٣ ، ٣٤٩
وقد انفرد النويري بذكر اسم الموقع ، بالإضافة الى اشارته الى
أسر ملكهم وثلاثة من الكنود ، ولكن دون أن يحدد أسماءهم .
أما هنري كونت بار قائد الصليبيين في هذه المعركة فقد اختلفت
المصادر الصليبية في مصيره ، اذ أشارت حوليات الاراضي المقدسة
الى مقتله هو وعموري مونتفرت . بينما أشار تاريخ هرقل الى
وقوعهما في الاسر . وقد ثبت صحة ما أورده تاريخ هرقل بشأن
عموري أوف مونتفرت حيث عثر على نقش عام ١٢٤٢م / ٦٤٠هـ
يثبت اطلاق سراحه دون الإشارة الى مصير كونت بار والذي
ربما يكون قد أسر ومات أثناء الاسر . انظر : النويري : نهاية
الارب ، ج ٢٨ ، ورقة ٧٠ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ،
ص ٢٩٢ ، والذي فيما يبدو أخذ روايته عن النويري . وكذلك
انظر :

« Annales de Terre Sainte », 440 A-B; Estoire de Eracles.

(١٩) أخطأ النويري - وكذلك المقریزی - في تحديد تاريخ المعركة .
فقد أشار الى أنها حدثت في شهر ربيع الاول ، ولكنها حدثت في
ربيع الثاني . وأشار الى أنها وقعت يوم الاحد . وبعد مراجعة

الآخرين - وكان من بينهم كونراد وجماعته الالمانية . ويذكر روتلان انه عند سماعهم بهذه الانباء خرج ثيوبولد ومعه أولئك الفرسان التيوتون على وجه السرعة دون انتظار لخروج بقية الجيش الصليبي لمحاولة تقديم المساعدة لأولئك الصليبيين . ولكن عندما وصلوا كانت المعركة قد انتهت وحلت الهزيمة بالصليبيين المتهورين . وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع أولئك الفرسان التيوتون تقديم بعض المساعدات لأولئك الفارين من المعركة حيث كان المسلمون يتبعونهم . وعندما رأى الفرسان الايوبيون الفرسان التيوتون ارتدوا الى الجيش الرئيسى الذى قفل عائدا الى مصر . ومعه أولئك الاسرى . وعلى الرغم من أن روتلان ذكر أن الفرسان التيوتون حاولوا تخليص بعض الاسرى عن طريق مهاجمة الايوبيين الا أننا لا نتفق معه في هذا الرأي ، فقد كان واضحا خروج التيوتون بمفردهم دون انتظار بقية الجيش الصليبي مما يعنى قلة عددهم كما كان الجيش الايوبي يفوقهم عددا ، هذا فضلا عن العامل النفسى . فقد كان الايوبيون هم المنتصرين وهذا كان دافعا قويا لهم ، بالاضافة الى ما شاهده التيوتون بأنفسهم في ساحة المعركة وكل هذا لن يكون دافعا لهم على محاولة الاشتباك في المعركة والعمل على تخليص الاسرى (٢٠) .

عقب هذه الهزيمة التى منى بها الصليبيون ، قرر ثيوبولد الانسحاب

التاريخ الميلادى وجدنا أن الاحد يوافق ١٣ نوفمبر/ ١٤ أو ١٥ ربيع الثانى . والاشارة الى ١٥ ربيع الثانى من واقع كشف أثرى حديث عثر عليه على نقش وقف فى مسجد النصر فى موقع حديث سمي « بيت حنون » . ويرى براور أن تسمى هذه المعركة بهذا الاسم الحديث . غير أننا لا نميل للاخذ بهذا الرأي طالما أن هناك اسما عربيا معاصرا للمعركة والذي أورده النويرى بدلا من تلك التسمية الحديثة . انظر : النويرى المصدر السابق ، نفس الورقة ، المقريزى : نفس المصدر ، وأيضا :

Prawer, « Military Orders », 221, n. 12.

(٢٠) استطاع والتر أو جوتيه أوف يافا وهيو أوف برجنديا وباليان أوف صيدا ويوحنا أوف ابلين وأودو أوف مونبليارد الفرار من المعركة قبل بدءها . عن ذلك انظر :

Setton, History, ii, 463-485.

عائدا الى عكا . وكان رد الفعل لهذه الحملة هو قيام الناصر داود صاحب الكرك بمهاجمة بيت المقدس بعد أن نقض الصليبيون المعاهدة السابقة بوصول هذه الحملة وكذلك تعميرهم أجزاء من أسوار القدس . وبعد حصار سريع سقطت المدينة في قبضته الناصر في ١٥ جمادى الاولى/١٣ ديسمبر (٢١) . وربما كان هناك بعض من اخوة الجماعة الالمانية آنذاك في القدس ، باعتبار أنها كانت قد حصلت على أملاك سابقة منذ حوالي عشر سنوات في المدينة .

ظل ثيوبولد حائرا في عكا في ظل هذه الظروف الصعبة التي كان عليه أن يواجهها . وكان قد أرسل الى فردريك الثانى يطلب منه ارسال المساعدة له والاموال اللازمة . ولكن الاخير رد عليه ردا دبلوماسيا معتذرا بعدم استطاعته ذلك (٢٢) . وفي ظل هذه الظروف عرض عليه الصالح اسماعيل صاحب دمشق تحالفا عسكريا ، ففى مقابل الوقوف معه ضد الصالح نجم الدين أيوب الذى كان قد نجح فى الوصول الى الحكم فى مصر بعد أن عزل أخاه العادل الثانى - سوف يعطى للصليبيين الكثير من

(٢١) لم يحدد ابن واصل تاريخ سقوط القدس وإنما أشار الى أن ذلك حدث بعد اعتقال الصالح نجم الدين أيوب بالكرك ، ثم ذهب الناصر ومعه أصحاب الصالح الى القدس حيث تم حصاره واستسلام المدينة وهدم برج داود . أما التواريخ المشار اليها هنا فنقلا عن النويرى : نهاية الارب ، ج ٧٢ ، ورقة ٧٠ ، المقرئى السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩١ . ولكنه أشار الى أن الحصار استمر ثلاثة أسابيع ، وهى فترة طويلة لم يكن بوسع المدينة أن تقاوم خلالها ، خاصة وأننا علمنا أنه لم تصل اليها أى نجدات من الصليبيين فى عكا . أيضا : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . كما أضاف أ . د . سعيد عاشور فى تعليقه هنا أن تاريخ هرقل Eracles II, 529 اتفق مع المقرئى والعينى والنويرى فى أن سقوطها كان فى جمادى الاول ٦٣٧هـ انظر الصفحة التالية

Huillard-Bréholles, V, 646-47; Mathew Paris, *Chronica Majora* (٢٢) (ed. Luard) *Rolls Society*, 7 Vols. London, 1872-84) IV, 65, cf. also : Prawer, *Histoire*, ii, 227-229.

القلاع ، والمدن الايوبية (٢٣) ، وقد عارض الاسبتارية والتوتون - اللذان كان يعملان نيابة عن الامبراطور فردريك الثانى - هذا الصلح معارضة شديدة ، ونجحا فى فتح باب المفاوضات مع الصالح نجم الدين للوصول الى اتفاق مماثل . وحصلا على وعد منه باطلاق سراح أسرى معركة شعر الجميز . وبالفعل وافق ثيوبولد على هذه المعاهدة ونسى تعهداته لدمشق .

انتهت هذه الحملة دون أن تحقق أى أهداف ، سوى أنها زادت من خلافات الصليبيين الداخلية ، فقد ظهر التخبط فى اتخاذ القرارات منذ البداية وعدم التزام قادتها بالاوامر . وانتهت بعقد صلح مستحيل مع كل من أعدائها . وكانت الجماعات الرهبانية العسكرية مبعث هذا التخبط ، الذى كان دافعا لبدء توجيه النقد اليها الذى سوف يزداد ضدها يوما بعد يوم (٢٤) .

(٢٣) أشار ابن وصل الى تسليم الشقيف (شقيف أرنون أو بوفور) وصفد . أما سبط ابن الجوزى فقد أشار الى تسليم الصالح اسماعيل الشقيف الى صاحب صيدا (باليان) . وأضاف النويرى بلاد صفد والشقيف ومنافقة صيدا وطبرية وأعمالها وجبل عاملة (الجليل) وجميع بلاد الساحل . وكذلك دخول دمشق لابتياح السلاح وقد حدث رد فعل شديد من جانب العلماء المسلمين لهذا الموقف الاخير أورده المقرئى . أما حوليات الاراضى المقدسة فقد أشار الى بيت المقدس أيضا . عن ذلك انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ٣٠١ - ٣٠٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ ، ٣٣٢ ، النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٧ ، ورقة ٧٩ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٠٣ ، انظر كذلك :

« Annales de Terre Sainte », 440. A.

(٢٤) عن هذا النقد وتطوره انظر :

Prawer, « Military Orders » 221 ff.

وربما يكون الداوية والاسبتارية هما أكثر الجماعات تعرضا لهذا النقد ، وبخاصة بسبب ما امتلكته كل منهما من اقطاعيات وقرى وغيرها فى أوروبا .

وبينما كان ثيوبولد يغادر عكا ، وصل ريتشارد أوف كورنول الى عكا في ٨ أكتوبر ١٢٤٠م/١٧ ربيع أول ٦٣٨هـ على رأس مجموعة أخرى من الصليبيين . وقد أرسل الى الامبراطور فريدريك الثانى خطابا عبر فيه عن الحالة السيئة التى كان عليها الصليبيون آنذاك من تمزق وتشتت وخلافات (٢٥) . وقرر ريتشارد عدم الاخذ بأراء أى جماعة والاتجاه الى عسقلان لتحصينها أولا ثم تقرير ما يراه مناسبا ، وذلك على الرغم من أنه نزل في مقر الاسبتارية في عكا . وقد استمع الى وجهة نظر كل من الجماعتين بشأن خلافاتها (٢٦) . ومن الغريب أن تؤيد الجماعة الالمانية مشروع تحصين عسقلان وهو نفس الرأى الذى شاركته فيها جماعة الداوية ، باعتبار أن ذلك لن يؤثر على العلاقة مع دمشق من وجهة نظر الداوية (٢٧) . وسرعان ما بدأ ريتشارد الدخول في دوامة المفاوضات مع الحكام الايوبيين . فلم ينجح في التوصل الى اتفاق مع الناصر داود صاحب الكرك بشأن بعض الاسرى الصليبيين الموجودين في أسره . وبينما كان ريتشارد مشغولا في تحصين عسقلان كان الاسبتارية يسعون لاقتناع الصالح نجم الدين أيوب بعرض اتفاق للصلح على ريتشارد ، ونجحوا بالفعل في هذا ، وعقد صلح مع مصر (٢٨) . ولا شك أن الجماعة الالمانية أيدت هذا التحالف مع مصر طالما أن ذلك يتفق مع سياسة فردريك الثانى في تأييد التحالف مع مصر ، وسوف يكون لذلك أثره عليها بدون شك .

(٢٥) « كان الموقف يخيم عليه عدم الوفاق بدلا من السلام ، والفرقة بدل الاتحاد ، والكراهية بدل الحب . وغابت العدالة ، وكل من بذر هذه البذور يجنون ثمارها الآن فهل يستطيعون اقتلاعها من جذورها . . » انظر :

Matthew Paris, *Chronica*, IV, 138-41; cf. also : Prawer, *Histoire*, ii. 255.

Riley-Smith, *The Knights of St. John* 177-78. (٢٦)

Bulet, *op. cit.*, 204, n. 16. (٢٧)

(٢٨) لا يوجد النص الاصلى للمعاهدة ، الا أن معظم بنودها وردت في تاريخ بطاركة الاسكندرية وفي خطاب ريتشارد نفسه ، وقد تعلم ريتشارد الدرس من المعاهدة السابقة التى عقدها فردريك مع الكامل . وحصل على الجليل بما فيه من قلاع صفد وطابور

ويرى البعض أن كلمة « *Castrum de Cazenis* » الواردة في خطاب ريتشارد يمكن أن تكون « *Corenis* » أو قلعة القرين التابعة للجماعة الألمانية (٢٩) . ولكن من الواضح أن الخطاب تضمن الإشارة الى المناطق التي حصل عليها الصليبيون من الصالح نجم الدين وليست المناطق التابعة لهم . وقد كانت القرين في حوزة الجماعة قبل هذه المعاهدة بفترة طويلة ، وبالتالي فاننا نستبعد أن تكون المقصودة هنا . كذلك نتج عن هذه المعاهدة حصول الجماعة الألمانية على منحة جديدة عبارة عن اراضى في طبرية وكذلك قرية الكورسى *Corsy* وتوابعها من فيليب أوف موجاستيل ، وذلك في ديسمبر ١٢٤١م/جمادى ثانية ٦٣٩هـ (٣٠) . وكان ممثل الجماعة في هذه الوثيقة ليتولف القائد العام .

وتبنين وهونين . وكذلك شقيف ارنون أو بوفور التي تحصى صيدا ، وربما شقيف تيرون . كما أضاف خطاب ريتشارد الاراضى الاراضى الجبلية في بيروت . أما كورنيس « *Coreniz* » فربما تكون كوكب الهوى التابعة للاستبارية أو كهف تيرون وكلاهما لم تكونا في يد الصليبيين قبل المعاهدة وأعيدت اليهم بموجبها . كما أضاف رالى سميث أن مدتها كانت خمسة عشر يوما . وربما كانت تلك الإشارة الواردة في احدى المخطوطات في المتحف البريطانى وهى مخطوطة «الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية» أو « كتاب سيرة الملك الناصر » عن وصول الصليبيين الى عسقلان وقيامهم بتحسينها هى المقصود بهذه الحملة . فقد أشار المؤلف الى « ونزلوا بعسقلان وشيدوا ما وهى من مبانيها وتحكمت في خراب البلاد الاسلامية فاستسلمت لأوامرها ونواحيها » . عن ذلك انظر : « الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية » المتحف البريطانى رقم *Or. 3025* ٦٠ - ٦١ وكذلك تحليل المصادر والمراجع . وأيضا :

Prawer, *Histoire*, ii, 286 ff; Riley-smith, *The Knights of St. John*, 178-9.

Prawer, *Histoire*, ii, 285. (٢٩)

(٣٠) بعد عودة طبرية الى الصليبيين قام أودو أوف مونبليارد بتحسينها . وقد وقعت هذه المنحة في معقل الامبراطورين في صور . أما جان ريتشارد فقد أشار الى أنه من نتائج هذه

وليس من الواضح ان كان جيرارد أوف مالبرج (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٩ - ٦٤٢هـ) قد تم اختياره مقدما أعلى أم لا في هذا الوقت (٣١) . أما أول اشارة عنه كمقدم فقد كانت في فبراير ١٢٤٢م/شعبان ٦٤٢هـ ، حيث أشير اليه « مقدم منزل الألمان الذي أختير حديثا » (٣٢) . ومن المرجح أنه يكون قد أختير مقدما للجماعة قبل أكتوبر ١٢٤١م/ربيع آخر ٦٣٩هـ ، وذلك لأن رحلات السفن تتوقف عادة من أول أكتوبر وحتى أوائل مارس من كل عام (٣٣) . على أية حال ، فقد واجه جيرارد عند توليه مهامه صعوبة في هذه الفترة الاولى من رئاسته للجماعة ، فقد اندلعت الخلافات العسكرية الرهبانية ، وقام الداوية وباليان ابلين بمحاصرة الاسبتارية في مقرهم في عكا ، وانتهر الداوية الفرصة للانتقام من الجماعة الالمانية فهاجموا أفرادها وقاموا بطردهم خارج عكا . وكان ذلك على الأرجح في أواخر ١٢٤١م وحتى ابريل ١٢٤٢م (٣٤) . وليس من الواضح السبب

المعاهدة استعادة فيليب اوف موجاستيل طبرية وقرية الكورسى ، ثم هبته لهذه المنحة الى الجماعة الالمانية بعد ذلك . وقد كانت هذه هي الاملاك الوحيدة للجماعة في هذه المنطقة . وتقع الكورسى على بعد عشرة كيلو مترات شمال طبرية ، انظر :

Beyer, «Akkon» 232, Richard, *The Latin Kingdom*, 325-26.

(٣١) وردت أول اشارة عنه كما رشال للجماعة الالمانية في عام ١٢٤٠م/٦٣٨هـ وذلك في وثيقة رقم ٨٩ . وانظر كذلك :

Strehlke, no. 90, cf. also : Tumler, *Der Deutsch Orden*, 45-6.

Richard of San Germano, *Chronica*, 382. (٣٢)

Introduction to Strehlke, 71. (٣٣)

(٣٤) ترى مارى بلوست أن المؤرخ الوحيد الذى أشار الى هجوم الداوية على التيوتون هو متى انباريسى ، بينما ترى أن التيوتون كانوا منضمين في ذلك الوقت الى جانب الداوية ، ومن الصعب قبول هذا الرأي ، لأنه من الواضح أن الجماعة الالمانية كانت لاتزال مؤيدة للامبراطورية في سياسته . وكذلك للتحالف مع مصر وهى السياسة التى عارضها الداوية . وقد لقي بطرس دى فيله بريد مقدم الاسبتارية حتفه أثناء الحصار وذلك في ١٧ سبتمبر ١٢٤٢م ، وخلفه وليم أوف شاتنوف . أما رانسيمان فيرى أن الجماعة الالمانية لم تشارك في هذه الاحداث الداخلية ،

الذى أدى الى سفر مقدم الجماعة الى الغرب الاوروبى فى هذه الفترة الحرجة . فهل كان للرد على مطالب البابا جريجورى التاسع بالخضوع أو للتظلم من هجوم الداوية على جماعته . والمرجح أن يكون السبب الاول ، وذلك لأن هجوم الداوية ربما حدث وهو فى الغرب الاوروبى . ولكنه عندما وصل الى الغرب وجد البابا جريجورى قد مات وانتهت القضية مؤقتا .

وأثناء وجود جيرارد فى الغرب الاوروبى اعتلى البابا أنوسنت الرابع الكرسي البابوى (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) ، وكان هذا الرجل عنيدا لم يستطع فردريك التغلب عليه أبدا (٣٥) ، واستغل فردريك وجود جيرارد فى بلاطه فأرسله مرتين الى روما لمحاولة التوسط بينه وبين البابا الجديد، وفى أكتوبر ١٢٤٣م / جمادى الأولى ٦٤١هـ كانت المقابلة الاولى حيث أستطاع جيرارد أن يستغلها أيضا لصالح جماعته ، فقد أدى يمين الولاء للبابا ، وفى مقابل ذلك منحه أنوسنت الرابع تجديدا لامتياز الجماعة فى بروسيا ، بالإضافة الى تعديل قوانين الجماعة ، ولن نتعرض هنا بالتفصيل لهذه القوانين - والتى ليست محور هذه الدراسة - وإنما سوف نحاول أن نكتبين الدافع الذى من أجله عملت الجماعة الالمانية على تعديلها . فقد أشارت الوثيقة الخاصة بذلك أن هذه القوانين لم يعد معمولاً بها ، وأن الاخوة

وأنها أثرت الاعتزال واتجهت الى أرمينية حيث حصلت على ضياع شاسعة هناك ، ولا نميل للاخذ بهذا الرأى لأن الجماعة الالمانية ظلت تشارك فى أحداث المملكة . وبخصوص منحة أرمينية فقد كانت حصلت عليها فى عام ١٢٣٦م / ٦٣٣هـ أى قبل نشوب هذا النزاع بفترة طويلة ، وللمزيد انظر :

Matthew Paris, *Chronica*, IV, 167, 68; cf. also : Bulst, *op. cit.*, 216; Runciman, *History*, iii, 218.

(٣٥) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور ، ط . ثانية الاسكندرية ١٩٨٤ ،

لم يكونوا يطبقونها (٣٦) . وقد كانت أغلب هذه القوانين مستقاة من قوانين الداوية والاسبتارية . وفيما يبدو أن الجماعة الالمانية حرصت على الاستقلال التام ووضع قوانين خاصة بها ، وذلك بعد تلك المحاولات من جانب الجماعتين الآخرين ضدها .

أما الامتيازات والمنح التي حصلت عليها الجماعة أثناء فترة جيرارد فتبدو قليلة . ومن الملاحظ أنه لم يظهر في أى من هذه الوثائق ، وربما يعود ذلك الى وجوده في الغرب فترة طويلة . وعندما عاد الى الشرق اتجه الى مونتفرت للاقامة بها بسبب خلافات داخلية كما سنرى . وكان ليتولى القائد العام - أو كبير القواد كما أشير اليه في احدى الوثائق - هو الذى يتولى عقد الاتفاقيات والحصول على المنح والامتيازات . وتجدر الإشارة الى أن جيرارد ورد اسمه في احدى وثائق الجماعة من الاراضى المقدسة ، ولكن أثناء توليه منصب مارشال الجماعة وليس كمقدم لها ، وذلك في عام ١٢٤٠م/٦٣٨هـ . فقد تم التوصل في هذه الوثيقة الى اتفاق بين التيوتون والاسبتارية بشأن حصول الاخيرة على ربع ايرادات فريه عربية التابعة للجماعة الالمانية ، وذلك مقابل دين قدره خمسة آلاف بيزنطا اسلاميا حصلت عليه الجماعة الالمانية من الاسبتارية وبعد استكمال دفع هذا المبلغ تعود عربية للجماعة الالمانية بأكملها مرة اخرى (٣٧) . وتبدو هذه الوثيقة في غاية الاهمية ، فللمرة الاولى نشهد

(٣٦) لم يتضح تماما ماذا حدث عقب حصول الجماعة على الحق في تعديل بعض قوانينها في عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ وحتى ظهور أقدم نسخة لقانون الجماعة عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ . وقد ناقش سترن Sterns ذلك وانتهى الى أنه ربما تكون ظهرت بعض هذه القوانين في عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ على الاقل ، ثم أخذت تكتمل بعد ذلك . للمزيد انظر :

Strehlke, no. 470, cf. also : I. Sterns, «Crime and punishment among the Teutonic Knights» *Speculum*, 57, 1, (1982), 87-88, idem, «The Teutonic Knights in the Crusader States» pp. 315-378, (Setton, *History of The Crusades*, Vol. V, The Impact of the Crusades on the Near East, Madison, 1985) 323-24.

Strehlke, no. 89.

قيام الجماعة بالاستدانة ، مما يعنى أنها ربما كانت تواجه متاعب اقتصادية اضطرتها لهذا الامر ، وربما يعود ذلك الى تأثير ايراداتها نتيجة لوفاة هرمان دى سالزا الذى كان يحرص دائما على الحصول على منح وامتيازات تدعم من قدرة جماعته الاقتصادية ، كذلك فقد منحت اراضى فى طبرية وقرية الكورسى فى ديسمبر ١٢٤١م/جمادى ثانية ٦٣٩هـ (٣٨) .
كما حصلت على حديقتين كبيرتين فى عكا وذلك فى ٣٠ ابريل ١٢٤٢م/٢٦ رمضان ٦٣٩هـ ، بعد أن تم التوصل لاتفاق مع رالف أسقف عكا تدفع الجماعة ايجارا سنويا قدره ٧٥ بيزنطا اسلاميا فى مقابلها (٣٩) . وفى عهد جيرارد أيضا حصلت الجماعة على منزلين كانا يتبعان شخصا يسمى جيرارد الالماني الكبير ، بالاضافة الى منحه لها أيضا أسلحته الخاصة به كى تستخدمها الجماعة بعد وفاته مشروطا عليها دفنه فى مقبرها (٤٠) .
أما بقية الوثائق المؤرخة فى فترة جيرارد ، والمنشورة بأرقام ٩٣ الى ٩٧ فى شترالكة ، فهى عبارة عن توثيق من الملك كونر د الرابع لأملاك ومنح سابقة حصلت عليها الجماعة من الامبراطور فردريك الثانى - وتؤرخ هذه الوثائق فى ديسمبر ١٢٤٣م/رجب ٦٤١هـ (٤١) .

غادر جيرارد الغرب الاوروبى عائدا الى الاراضى المقدسة ، وربما كان ذلك فى واخر ١٢٤٣م/أواسط ٦٤١هـ ، لأنه ظهر فى الشرق فى أوائل بام ١٢٤٤م/أواخر ٦٤١هـ ، وليس واضحا ماذا حدث اثناء فترة غيابه عن جماعته ، وهل حدثت خلافات داخلية أدت الى ذهابه الى مونتفرت حيث اتخذ منها مقرا له خلال هذه الفترة . ولكن ربما تم حسم هذا الخلاف باختيار مقدم آخر جديد هو هنريش دى هوهنلوه الذى ظهر لأول مرة كمقدم أعلى للجماعة فى احدى الوثائق بالجماعة فى الاراضى المقدسة بتاريخ ٧ يوليو ١٢٤٤م/٢٩ محرم ٦٤٢هـ ، وظل فى رئاسته للجماعة

Strehlke, no. 90.

(٣٨)

Strehlke, no. 91.

(٣٩)

Strehlke, no. 92.

(٤٠)

Strehlke, nos. 93-97 and Introduction, 71 f.

(٤١)

حتى ١٥ يوليو ١٢٤٩م/٢٨ ربيع أول ٦٤٧هـ (٤٢) . وليس من المعروف ماذا آل اليه مصير جيرارد بعد ذلك ، وهل انضم للجماعة مرة أخرى أم تم طرده منها (٤٣) . وكان ظهور هنريش في هذه الوثيقة الخاصة بذلك الخلاف الذى دار بين الجماعة وبين جاك دى اميجالايه وريث اقطاع مارون ونصف ايراد نقدى يقدر بسبعة آلاف بيزنط من ميناء واسواق عكا (٤٤) . وقد تم التوسط من جانب بعض الاصدقاء لحل هذا الخلاف ، حيث اعترفت الجماعة بحقوقه فى الاقطاع وفى الحصول على ايراداته ولكن ليس بأثر رجعى كما طالب فى البداية ، وانما من تاريخ التوصل الى الاتفاق بينهما . كما اشترط فى الوثيقة أنه فى حالة عودة أى من توابع هذه الاقطاعية التى كانت فى حوزة المسلمين ، فإنه يحق للجماعة الالمانية الحصول عليها أولا ، واضيف كشرط آخر دفع مبلغ ٢٥٠٠ بيزنط كعقوبة جزائية للجانب الذى يقوم بنقض هذا الاتفاق . وهناك عدة

(٤٢) ظهرت عائلة هوهنلوه منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، وانضم ثلاثة من أبناء هذه العائلة الى الجماعة الالمانية فى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ وكان هنريش هذا من بينهم وأصبح مهتما فى منطقة مرجننهايم Mergentheim وقائدا لمنازل الجماعة فى المانيا القديمة . وقد لعب دورا هاما فى الجماعة حتى اختياره مقدما أعلى لها وذلك فى عكا . انظر :

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 46-47..

(٤٣) حصل جيرارد على اذن من البابا بانضمامه الى جماعة الداوية على الرغم من أن ذلك لم يكن مسموحا به قبل ذلك . ولا يزال هناك خلاف بين المؤرخين الحديثين حول اذا كان جيرارد قد عاد للجماعة حيث منحه هنريش مناطق فى فرنسا وفلاندرز أم أنه لم يعد . وهناك بعض الوثائق ترجع الى عام ١٢٤٥م/٦٤٢هـ تشير الى استعادة هذه المنح منه ثانية مما يعنى عودته مرة أخرى .

Rodenberg (ed.) *Epistolae Saecvli XIII. e Regestis Pontificum Romanorum* (Selectae per G.H. Pertz, Berolini, 1837) ii. no. 6.

(٤٤) عن هذا الاقطاع انظر : ما سبق ص ١٨٥ وكذلك :
Strehlke, no. 98.

ملاحظات هامة على هذه الوثيقة ، منها أنه ورد بها أسماء عدد كبير من اخوة الجماعة ، الذين يشغلون مختلف المناصب ، مثل القائد العام ، والمارشال ، ومسئول أو متولى قلعة مونتفرت ، والمسئول عن المستشفى ، ومسئول الملابس ، وعدد آخر من الاخوة (٤٥) . وتم التوصل في نفس اليوم لاتفاق آخر بين جاك والجماعة حيث وافق الاول على الحصول على مبلغ ٢٥٠٠ بيزنط كايجار سنوي لهذا الاقطاع يحصل عليه من خزانة الجماعة سواء في عكا و مونتفرت (٤٦) . وكذلك فانه يلاحظ أن الجماعة الالمانية بدأت تلجأ الى أسلوب آخر جديد لحل خلافاتها في هذه المرحلة مع أصحاب هذه الاقطاعات ، وهو أسلوب التفاوض وتوسط الاصدقاء ، وذلك بعد أن منى الامبراطوريون بالهزيمة في الاراضي المقدسة . في عام ١٢٤٣م / ٦٤١هـ ، ولم تعد المملكة الامبراطورية هي صاحبة السلطة في الفصل في هذه النزاعات (٤٧) .

أما عن العلاقات الصليبية الاسلامية في هذه الفترة فنجد أن الصليبيين لم يلتزموا بتلك المعاهدة التي عقدت مع الصالح نجم الدين أيوب في عام ١٢٤١م / ٦٣٩هـ ، وقاموا بعدة محاولات لاستفزاز السلطان المصري ، وكان الداوية على رأس أولئك الصليبيين ، حيث كانوا يحاولون التحالف مع دمشق بدلا من القاهرة (٤٨) ، وبالفعل استطاع الداوية

(٤٥) كان كونراد هو القائد العام ، وجرنريوس دي مبرك المارشال ويوحنا دي نيفلند متولى قلعة مونتفرت ، وكونراد مسئول المستشفى ، ولود فيكوس مسئول الملابس ، وغيرهم من اخوة الجماعة . انظر الوثيقة السابقة وعن هذه الوظائف ومسئوليات أصحابها انظر :

Sterns, «The Teutonic Knights», 326 ff.

Strehlke, no. 99.

(٤٦)

Introduction to Strehlke, 73.

(٤٧)

(٤٨) هاجم الصليبيون ، وعلى رأسهم الداوية بصفة خاصة ، حبرون في ١٢٤٢م / ٦٤٠هـ واشتبكوا مع الايوبيين في معركة بالقرب من عسقلان . وفي أواخر هذا العام هاجموا نابلس والتي ظلوا يعيشون فيها فسادا لمدة ثلاثة أيام حتى قدم الملك الناصر داود لاجلائهم . وربما راح ضحية هذا الهجوم حوالي ألف مسلم .

وعلى رأسهم مقدمهم هرمان دي بريجورد ، أن يعقدوا ذلك الاتفاق مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، وانضم اليهم الناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور ابراهيم صاحب حمص . وتم ذلك الاتفاق في أوائل ١٢٤٤م/٦٤٢هـ وكان أهم بنوده هو عودة القدس مرة أخرى للصليبيين بما فيها من المناطق الاسلامية التي كانت في حوزة المسلمين حتى عندما أعيدت لهم القدس في عهد السلطان الكامل محمد الايوبي وعاد الداوية مرة أخرى الى المسجد الاقصى الشريف حيث دنسوا حرمة بخمورهم (٤٩) . وفيما يبدو أن الجماعة الالمانية لم تعد مرة أخرى الى القدس على الرغم من أن البابا انوسنت الرابع كان قد ذكرها بين الصليبيين الذين طلب منهم في خطابه التبرع من أجل تحصين القدس ، وذلك في أغسطس ١٢٤٣م/صفر ٦٤١هـ . ولكن لم يقدر لهذا العمل أن يتم بسبب عدم وجود السلطة التي تقوم بتنفيذ هذا الامر (٥٠) . وسرعان ما استرد المسلمون المدينة المقدسة نهائيا من أيدي الصليبيين بعد ذلك ببضعة أشهر . أما الشرط الخاص بمنح الصليبيين المدن الواقعة جنوبا وكذلك جزء من الديار المصرية في حالة انتصارهم على الصالح أيوب ، فانه من الناحية العملية شرط نظري لم يتم تحقيقه . أما الشرط الخاص بمنح الصليبيين

ويبدو أن هذه الاحداث وقعت في الفترة قبيل الاتفاق بين الصليبيين والدماشقة في ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . أما ابن الجوزي فقد أشار الى حدوث هذا الهجوم عند قلنسوة ، والتي كانت آنذاك تابعة للصليبيين في اقطاعية قيسارية ، وليست في نابلس . للمزيد انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ ، ص ٧٤٣ - ٧٤٤ ، الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، ورقة ٦٠ ، ٦١ .
Annales de Terre Sainte, 440-7, cf. also : Riley-Smith, *The Knights of St. John* 178-79.

(٤٩) أشار ابن واصل الى ما رآه في الحرم الشريف عندما مر به متجها الى مصر ، فذكر « ودخلت القدس ، ورأيت القسوس والرهبان على الصخرة المقدسة . وعليها قناني الخمر برسم القريان . ودخلت الجامع الاقصى ، وفيه جرس معلق ، وأبطل بالحرم الشريف الاذان ، والاقامة ، وأعلن فيه بالكفر » . انظر مفرج الكروب ، ج ٥ ، ٣٣٣ .

طبرية وكوكب الهوى ، فقد كان عبثا جديدا أضيف عليهم ، وبصفة خاصة على الجماعات الرهبانية العسكرية والتي من بينها الجماعة الالمانية حيث حصلت على مناطق جديدة في الاتفاقات السابقة (٥١) . وكان عليها أن تواجه هذه الاعباء كلها . والملاحظة الهامة على هذه الاتفاقية - كما ارشار رالى سميث - أنها تعتبر آخر تلك الاتفاقيات التي عومل فيها اللاتين كند ، وبلغت المملكة الصليبية الاسمية أقصى اتساع لها (٥٢) .

أما هذا التحالف السابق لم يكن بوسع الصالح أيوب سوى البحث عن حليف آخر له ، ووجد ضالته في أولئك الخوارزمية الذين سرعان ما استجابوا لهذه الدعوة التي وجهت اليهم بالقدوم لمساعدته ، مع وعد ربما بإعطائهم الأراضى السورية . وتقدموا في نحو عشرة آلاف برئاسة مقدمهم حسام الدين بركة خان ، واتجه قسم منهم نحو دمشق ، بينما اتجه الآخر الى الجليل حيث سقطت طبرية ثم بانياس ومنها الى بيت المقدس حيث وصلوها في ١١ يوليو ١٢٤٤م/ ٣ صفر ٦٤٢هـ (٥٣) . وربما تأثرت الجماعة الالمانية بهذا الهجوم حيث أنها كانت قد حصلت على منحة في طبرية وقرية الكورسى في أواخر ١٢٤١م/ ٦٣٩هـ . وفيما يبدو أن هذه المنطقة لم تسقط نهائيا في أيدي الخوارزمية ، لأننا سوف نرى الصالح أيوب فيما بعد يوجه اليها جيشا ويستردها نهائيا في عام ١٢٤٧م/ ٦٤٥هـ (٥٤) . بدأ حصار الخوارزمية للقدس في ٢١ يوليو ١٢٤٤م/ ١٣ صفر ٦٤٢هـ . وعلى الرغم من استنجاد المدينة بالصليبيين في عكا إلا أنه لم تصل اليهم سوى حامية صغيرة سرعان ما عادت إدراجها بعد أن علمت بتحطيم أسوار المدينة . ولا ندرى ان كان الفرسان التيوتون قد شاركوا في هذه الاحداث أم لا ، إلا أنه من المرجح أنهم كانوا موجودين في عكا في تلك الاثناء ، حيث أشير في وثيقة ٧ يوليو/ ٢٩ محرم الى وجود المقدم الأعلى هنريش أوف هوهنلوه ، وأغلب أعضاء جماعته بما فيهم

Prawer, *Histoire*, ii, 308 ff.

(٥١)

U. & M. Lyons and Riley-Smith, *Ayubids, Mamlukes and Crusaders, Selections, from 'Tarikh al-Duwal wa' al Muluk of Ibn al-Furat*, (2 Vols. Cambridge 1971) ii, p. vii.

(٥٣) أسامة زيد : الخوارزمية ، ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٥٤) انظر ما يلي ص ٢٥٤ .

القائد العام والمارشال (٥٥) . واستطاع الخوارزمية استعادة بيت المقدس نهائيا من الصليبيين وذلك في ٢٣ أغسطس/ ١٥ ربيع أول من نفس العام (٥٦) .

بدأ الجانبان الاستعداد لهذه المعركة الفاصلة قبلها بحوالى شهر ، فقد وصل الخوارزمية عند غزة وأرسل اليهم الصالح ايوب عسكريه بقيادة ركن الدين بيبرس ، وفرقة أخرى اتجهت بقيادة حسام الدين أبى على ابن محمد بن أبى على الهذبانى الى نابلس (٥٧) وذلك ربما لمراقبة المنطقة ومنع تقدم قوات كثيرة من الايوبيين المتحالفين مع الصليبيين ، أو لى تستخدم للضغط عليهم عند الحاجة اليها . وفى نفس الوقت كان الجانب الآخر ، ونقصد به الصليبيين والدماشقة والناصر داود والمنصور ابراهيم صاحب حمص ، يستكملون استعداداتهم . وعلى الرغم من أن الاسبتارية والجماعة الالمانية كانتا تعارضان بشدة هذا الاتفاق الذى تم ، إلا أن هزيمة الامبراطورين فى صور فى عام ١٢٤٣م/ ٦٤١هـ تركت أثرها عليهم . فلم يعد بوسعهما الوقوف أمام الداوية ورجال الدين والبارونات الذين أبدوا هذا التحالف (٨٥) ، وانضمت الجماعتان الى الجيش الصليبي الايوبي . ورحل المنصور ابراهيم صاحب حمص على رأس جيشه وجيش الصالح اسماعيل الذى لم يشترك فى المعركة بنفسه ، كذلك أرسل الناصر داود عسكريه بقيادة الظهيرين سنقر الحلبي والزيرى . واتجه المنصور الى عكا حيث دخلها « ونزل فى دار الديوية واجتمعت جيوش الفرنج وضربوا مشورة ، وتقرر خروج العساكر معه وملوك الفرنج والديوية والاسبتارية والكنود » (٥٩) . وشد الجيش رحاله الى غزة فى ٤

Strehlke, no. 98.

(٥٥)

(٥٦) أسامة زيد : الخوارزمية ، ٢٢٦ وما بعدها .

(٥٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٥٨) La Monte, Wars of Frederick II, 173 f; Riley-Smith, The Knights of St. John, 180, 180-1.

(٥٩) أشار ابن القرات الى ذلك دون بقية المؤرخين المسلمين . وتقع دار الداوية فى عكا عند قلعة البحر فى الجنوب الغربى للمدينة وأورد تاريخ هرقل أن المنصور ابراهيم كان قائد القوات الايوبية

أكتوبر/ ٢٩ ربيع آخر ، وقبل أن يصلها الفرنج عقدوا مجلسا آخر للتشاور وتقسيم الجيش . وقعوا في الخطأ الذي كبدهم تلك الكارثة الضخمة ، فقد تقرر الدخول في معركة نظامية . وفيما يبدو أن الصليبيين حاولوا أن يجعلوا الايوبيين يتقاتلون أولا حتى يفنى بعضها البعض ثم تصبح لهم الغلبة في النهاية ، ولذا فانه من المرجح أن تكون قوات الصليبيين في الميمنة بينما كانت عساكر الناصر بقيادة الحلبي والوزيرى في الميسرة والمنصور ابراهيم في اللقب (٦٠) . وقد دارت هذه المعركة فيما بين غزة وعسقلان ، وبالتحديد عند قرية الحربية الحالية أو أربيا كما أشار ابن الفرات (٦١) . غير أن ميدان المعركة اتسع حتى وصل الى العريش كما

المتحالفه . انظر :

Lyons and Riley-Smith, *Ayyubids, Mamlukes and Crusaders*, ii, 173; *Estoire de Eracles*, ii, 428.

(٦٠) أشارت المصادر العربية أن ترتيب الجيش كان على هذا النحو . كما اتفق فيهم روتلان . أما جوانفيل فقد أشار الى أنه تم تقسيم الجيش الى ثلاثة أقسام : الاول بقيادة والتراوف بربين ومعه الاسبتارية والثانى بقيادة المنصور ابراهيم والثالث بقيادة البطريك والبارونات وربما معه الداوية . ولكننا نرجح الرواية الاولى بسبب معاصرة المؤرخين لها واتفاق تاريخ روتلان معهم . بالاضافة الى أن جوانفيل ربما يكون قد نقل عن أناس ولكن بعد حدوث المعركة بحوالى خمس سنوات . عن ذلك انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ . راجع أيضا :

Rothelin, 564, Joinville's chronicle of the Crusade of St. Lewis, in *Memorials of The Crusades* (translated by F. Marzials, London, 1908) 268.

(٦١) أورد ابن الفرات هذا الاسم لمكان المعركة نقلا عن سبط ابن الجوزى ، بعد مراجعة الاخير أشار الناشر الى مكان المعركة هكذا فرسا . واقترح أن تكون فرما . والواقع أنها بعيدة جدا عن موقع المعركة الاصلى ولا يعقل أن يصل اتساع ميدانها الى هذا المكان الذى يقع عند السويس الحالية . ولا ندرى اذا كان ابن الفرات قد استخدم المخطوط الاصلى لسبط ابن الجوزى ،

أشار ابن الجوزي (٦٢) . وعلى الرغم من هزيمة المصريين في بداية المعركة ، إلا أن الخوارزمية شنوا هجوما قويا على الميسرة والقلب فانهزم الدماشقة والمنصور ابراهيم وعسكر الناصر ، وثبت الفرنج وحدهم بعد الهزيمة التي تعرض لها حلفاؤهم من الايوبيين ، والواقع أنهم ربما لم يشتبكوا لأنهم - كما أشار روتلان - رتبوا الامر على أن يشتبك الايوبيون أولا ، ولكن جاء الدور عليهم وذكر ابن الفرات - نقلا عن المقرئ (٦٣) - « ثبت الديوية والاستتار قبيل العساكر المصرية والخوارزمية وقاتلوا الى أن قتلوا جميعا ولم يبق منهم الا نفر يسير أسروهم » . ومن المرجح أن المعركة لم تستمر سوى يوم واحد وهو الاثنين ١٧ أكتوبر/ ١٢ جمادى

وهو على أى حال أقرب الى الصحة لأن الاسم الذى أورده مقارب لكل من الاسم الاجنبى Forbia أو الحربية . انظر : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ص ٨ (نشر Lyons and Riley-Smith - سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٤٥ ، ٧٤٦ .

(٦٢) أشار سبط ابن الجوزي الى العريش ، أما الذهبى فقد ذكر الزعقة ، والتي لم تتوصل الى تحديد موقعها على وجه الدقة ولكنها من المرجح أنها تقع فى نفس المنطقة .

للمزيد انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٤٦ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

(٦٣) بعد مراجعة المقرئ لم نعثر على هذه الاشارة التى أوردها نقلا عنه ، وربما يكون قد اطلع على نسخة أصلية من المخطوط . وعلى أى حال فهى تتفق مع سياق الاحداث وليس فيها أى تعارض نظرا لأن الداوية والاستتارية هم الذين لعبوا دورا واضحا فى المعركة . أما عدم اشارته الى الجماعة الالمانية على الرغم من وجودها فيمكن أن يفسر بأحد أمرين : إما أنه بسبب نفس الرداء الابيض الذى كانوا يرتدونه وهو نفس رداء الداوية ، أو أنه كان يشار اليهم ضمنا مع الاستتارية ، لأن كما سنرى سوف يشير اليهم ابن الفرات باسم استتار الإلمن أو الارمن . انظر : ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ج ٢ ، ص ٦ .

أولى (٦٤) . ولم يشر أى من المصادر العربية المعاصرة أو المتأخرة أو الصليبية فى الاراضى المقدسة الى استمرارها يومين (٦٥) .

أما عن التساؤل الهام هنا فهو عن ذلك الدور الذى أسهم به الفرسان التيوتون فى هذه المعركة والنتائج التى ترتبت عليها وأثرها عليهم بصفة خاصة ، من الواضح أن الجماعة الألمانية يؤيدها فى ذلك الاسبتارية عارضتا الاتفاق مع الدماشقة منذ البداية ، وحاولتا اقناع الصليبيين باستمرار المعاهدة المعقودة مع مصر ، وإلى جانب هزيمة الامبراطوريين ، فقد كان للخلافات الداخلية فى الجماعة أثرها على تسليمها والوقوف الى جانب الصليبيين . وقد ورد فى خطاب روبرت بطريك بيت المقدس اللاتينى أن عدد أفراد الجماعة التى شاركت فى هذه المعركة بلغ أربعمائة لم يتبقى منهم سوى ثلاثة (٦٦) . واعترض رالى سميث على هذا العدد مشيراً الى أنه ليس بإمكان الجماعة الألمانية المساهمة بهذا الرقم من الفرسان فى المعركة . وقد يكون محققاً فى هذا ، إذ كانت الإشارة الواردة فى الخطاب تدل على أنهم جميعاً فرسان ، إلا أن البطريرك لم يحدد أنهم فرسان ، ومن المرجح أن هذا العدد ضم الفرسان والتركوبول . وعلى هذا الأساس فإنه لم يكن مبالغ فيه (٦٧) . وسواء

(٦٤) الذهبى : دول الاسلام ، ج ٢ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

(٦٥) أسامة زيد : الخوارزمية ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٦٦) « Alberti Milioli Notarii Regini Liber de Temporibus » MGH, SS, 31, 516.

(٦٧) أشار الى أن الداوية ساهموا بـ ٣١٢ فارساً و ٣٢٤ من التركوبول ، أما الاسبتارية فكانوا ٣٢٥ فارساً و ٢٢٤ من التركوبول . بالإضافة الى التيوتون دون أن يحدد عدد الفرسان والتركوبول . ويقترح رالى سميث أن عدد القوات الصليبية يمكن أن يكون ألفاً ومائتى فارس منهم ستمائة من فرسان الداوية والاسبتارية والتيوتون والقديس لعازر . ولم يشر رالى سميث الى ما أورده ابن الجوزى عن عدد الفرسان الصليبيين والذى قدره بألف وخمسمائة فارس وعشرة آلاف فارس . ولا شك أن

اكان هذا الرقم صحيحا ام لا ، فانه يدل على حقيقة هامة وهى أن الجماعة ساهمت في هذه المعركة ، وكانت خسائرها تماثل خسائر الجماعتين الآخرين .

اختلف المؤرخون الحديثون حول قائد الجماعة الألمانية في هذه المعركة . فقد ذكر جان ريتشارد أن جيرارد أوف مالبرج المقدم الأعلى للجماعة كان ضمن الثلاثة الناجين منها ، وطرد من وظيفته بعد ذلك بفترة قصيرة نتيجة لذلك (٦٨) . ، أما ديليه فقد أيده في هذا الرأي . ولكنه أضاف أنه تمكن من الافلات مع نحو ثلاثمائة فارس ، وأن مجلس الجماعة قد أقر هذا الهروب في المعركة بعد فترة من الوقت (٦٩) . والواقع أن هذه الآراء بحاجة الى وقفة قصيرة لمناقشتها ، ف فيما يتعلق بوجود جيرارد كمقدم أعلى للجماعة في هذه الفترة ، فقد جانبهما الصواب في ذلك تماما ، فقد كان هنريش أوف هوهنلوه هو المقدم الأعلى للجماعة منذ ٧ يوليو ١٢٤٤م / ٢٨ محرم ٦٤٢هـ على الأقل ان لم يكن قبل ذلك ، ولم يتضح مصير جيرارد بعد انفصاله عن الجماعة . أما أمر طرده من الجماعة فلم يكن بسبب ما حدث في معركة غزة وانما ربما بسبب حصوله على اذن من البابا بالانضمام الى جماعة الداوية ، ثم ما حدث في الغرب بعد ذلك ، حيث استعيدت منه المناصب التي ضمت له مرة أخرى (٧٠) . أما سترن فيقترح أن هنريش أوف هوهنلوه مقدم الجماعة لم يكن موجودا في المعركة ، لأن الناجين منها كانوا ثلاثة فقط . ولهذا السبب فهو يرى أنه لم يشارك فيها (٧١) . ولكن ليس من المستحيل أن ينجو مقدم الجماعة من المعركة اذا كان قد شارك فيها ، الا أن هنريش لم يكن مشاركا فيها منذ البداية . ويدعم هذا الرأي أنه يوجد خطاب مرسل

هذا الرقم أقرب الارقام الى الصحة حيث أن السبب كان هو نفسه بالقرب من ميدان المعركة بل وذهب اليه في صبيحة المعركة . انظر : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٧٤٦ .

Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 33-34. (٦٨)

Daillez, *Les Chevaliers*, 44. (٦٩)

(٧٠) انظر ما سبق ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

Sterns, «*The Teutonic Knight*», 371-2. (٧١)

من عكا بتاريخ ١١ سبتمبر ١٢٤٤م / ٧ ربيع آخر ٦٤٢هـ (٧٢) لم يرد فيه اسم هنريش وإنما قائد عام الجماعة الذي كان آنذاك هو كونراد ناسو Conradts de Nasso كما ورد في وثيقة رقم ٩٨ في شترالكة . كما أن ظهور هنريش في الغرب الاوربي في يناير ١٢٤٥م / شعبان ٦٤٢هـ يعني أنه سافر قبل المعركة ، وذلك لأن رحلة السفن عادة ما تتوقف خلال هذه الفترة ما بين أوائل أكتوبر حتى أوائل مارس كما أشرنا من قبل . وهذا يعني بوضوح أن هنريش مقدم الجماعة لم يكن موجودا في المعركة حيث كان قد غادر الاراضى المقدسة - وربما معه جيرارد المقدم الاعلى السابق الذى ظهر أيضا في الغرب الاوربي في نفس الفترة . وكان لابد من وجود القائد العام للجماعة ومارشالها . وكان يشغل هذين المنصبين كل من كونراد أوف ناسو وجرنويوس دي ميريك (٧٣) .

تركت معركة غزة الثانية أثارا هامة على الصليبيين بصفة عامة . وعلى الجماعات الرهبانية بصفة خاصة ، فقد كانت خسائر الصليبيين قادمة من حيث القتلى سواء من الفرسان أو المشاة ، أما الجماعات العسكرية فقد كانت الخسارة فيها أفدح وأعداد القتلى أكثر ، فلم ينج من أعضائها سوى أعداد قليلة جدا ، وفيما يتعلق بالجماعة الالمانية فان الناجين منها لم يزيدوا على ثلاثة ، بينما فقدت ما يقرب من ٣٩٧ في هذه

(٧٢) اشار متى الباريسى الى وجود قائد عام الجماعة الالمانية في المعركة ، كذلك اشار الى نجاة ثلاثة فقط من الجماعة الالمانية ولكنه لم يحدد مصير هذا القائد وهل نجا من القتل أو فر قبل بدء المعركة أو وقع أسيرا . ولسوء الحظ فان أول وثيقة للجماعة من الاراضى المقدسة بعد هذه المعركة مؤرخة بعام ١٢٤٩م / ٦٤٧هـ ولا توجد أية وثائق ما بين ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ وهذا التاريخ ، والتي ربما كانت تساعدنا لو وجدت في معرفة مصيره ، وهل ظل حيا أم قتل ، الى آخر هذه التساؤلات . انظر عن ذلك :

Matthew Paris, *Chronica*, IV, 33 7.

(٧٣) انظر ما سبق ص ٢٤٢ .

المعركة ما بين فرسان وتركوبول (٧٤) . وتبدو فداحة هذه الخسارة لانها كانت من أولئك الصليبيين المقيمين في الاراضى المقدسة ممن يصعب تعويضهم . هذا بالاضافة الى أن المملكة الصليبية الاسمية وبقية الامارات الصليبية في الشرق كانت تعتمد اعتمادا كليا على هذه الجماعات في الدفاع عنها في وقت بدأ فيه ميزان القوى في الصراع بين المسلمين والصليبيين يعتدل بشكل واضح لصالح المسلمين ، بينما كان الكيان اللاتيني في الاراضى المقدسة أخذا في التداعى والانحيار . ومهما يكن ، فقد كانت الجماعات الرهبانية العسكرية ، ومن بينها التيوتون ، تمتلك الامكانيات المادية والبشرية التى كانت تمكنها من القيام بهذا الدور . أما الخسارة المادية فقد تمثلت في فقد الصليبيين للكثير من الاراضى التى كانوا يمتلكونها ، خاصة وأن الخوارزمية وصلوا في تقدمهم حتى عكا نفسها . ولا شك أن الجماعة الالمانية عانت من ذلك كثيرا ، حيث كانت أغلب أملاكها تتمركز في هذه المنطقة المحيطة بعكا . ووصف خطاب من الاراضى المقدسة بتاريخ ٢٥ نوفمبر/ ٢٣ جمادى آخرة الحالة فأشار : « ينطلق الخوارزمية دون أى عفة ، ولا يستطيع أحد مقاومتهم ، يستولون على البلاد ، ويتقاسمونها

(٧٤) أسر في هذه المعركة وليم شاتنوف مقدم الاسبتارية ، وهيواف مونولوس Hugh of Monlos مارشال الداوية ، وتوماس أوف هام ، ويوحنا ، ووليم صاحب البترون وجيمس ابن أخى والتر أوف بريين . أما أرماند أوف بريجولد مقدم الداوية ، ووالتراف بريين ، ويطرس رئيس أساقفة صور ، فقد ماتوا في الاسر ، وقتل أغلب الاسبتارية والداوية والتيوتون وفرسان القديس لعازر وراهب القديسة ماريا أوف جوزافيات . وتراوح عدد الاسرى ما بين ثلاثمائة وثمانمائة اسير حسبما أشار جوانفيل وسبسط ابن الجوزى . للمزيد انظر :

Estoire de Eracles, ii, 229-30; Rothelin, 564, «Annales de Terre Sainte », 441 (A-B), Joinville, 269.

سبسط ابن الجوزى - مِرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٧٤٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ، ص ٨ .
والتركوبول اما قوات من مسيحيين غربيين تزوجوا من شرقيات مسيحيات وهو الرأى القديم ، أو أولاد نتساج الزواج بين شرقيين وصليبيات غربيات ، وكانوا خفيفي التسليح .

كما لو كانت ملكا لهم ، ويعينون ضباطا في المدن والقرى المسيحية ، ويجمعون المحاصيل ، ويجبون الضرائب التي كان الفلاحون يدفعونها للصليبيين . فضلا عن ذلك ، فقد أصبح الفلاحون أعداء للصليبيين ، وعندما ثاروا انضموا للخوارزميين . والآن لم يتبق للفرنجة أى أرض عدا الحصون التي يحافظون عليها بصعوبة « (٧٥) » .

ولا شك أن هذا الخطاب يوضح مدى الخسائر التي لحقت بالصليبيين عموما ، ومن بينهم الجماعة الألمانية حيث كانت هذه الاملاك تدر عليها دخلا هاما سواء عن طريق ما تغله من محاصيل و فواكه و هذه الاراضى الخارجية التي كان يتم فيها رعى مختلف أنواع الحيوانات ، وغيرها من الايرادات . وقد كان جروسية محقا عندما وصفها بأنها معركة « حطين الثانية » (٧٦) . وكما أشار ابن القرات أنها كانت « يوما عظيما لم ير في الاسلام مثله » (٧٧) . ولا نكون مبالغين اذا قلنا انه منذ هذه المعركة لم تقم للصليبيين قائمة بعدها ، وكان يمكن للصالح أيوب أن يستثمرها الى أبعد الحدود لولا تلك الخلافات الداخلية التي تقضى عادة على أى تصر عسكري ، فقد انشغل بمحاربة أمراء البيت الايوبى الذين كانوا قد تحالفوا ضده ، بالإضافة الى الخوارزمية الذين انضموا اليهم بعد أن رفض اعطاءهم دمشق كثمن للنصر في معركة غزة . وانتهت هذه الاحداث بانتصار الصالح أيوب على الخوارزمية في معركة جرت في أوائل ١٢٤٦م / محرم ٦٤٤هـ بالقرب من حمص رقت عليهم وتشتت شملهم بعدها (٧٨) .

وقبل أن نواصل حديثنا عن دور الجماعة الألمانية في أحداث الشرق اللاتينى ، لابد من التوقف قليلا عند رأى ديليه الذى ذكر أن الحوليات لا تمتع باى نشاط للجماعة الألمانية بعد فوريبيا - أو معركة غزة الثانية - وحتى سقوط عكا في ١٢٩١م / ٦٩٠هـ ، وأنها ظلت بمنأى عن الصراعات

Matthew Paris, *Chronica*, IV, 337 f. (٧٥)

R. Grousset, *Histoire des croisades et du Royaume franc de Jerusalem*, (3 Vols. Paris, 1948) ii, 372, 396. (٧٦)

(٧٧) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ، ص ٨٠ (نشر رالى سميث وليون) .

(٧٨) اسامة زيد : الخوارزمية ، ص ٢٨٠ - ٢٨٢ .

الداخلية بين الصليبيين وبعضهم البعض ، بالإضافة الى عدم اشتراكها في أى عمل مباشر في الحملة الصليبية الثامنة - يقصد حملة لويس التاسع على مصر (٧٩) .

والواقع أنه جانبه الصواب تماما في ذلك ، فعلى الرغم من تلك الهزيمة المريعة التى منيت بها الجماعة في هذه المعركة إلا أنها ظلت تمارس دورها في أحداث المملكة الصليبية والامارات الأخرى حتى سقوط عكا . وشارك مقدموها أو نوابهم في العديد من المؤتمرات التى عقدت لمناقشة مسائل داخلية أو لاقرار السياسة الخارجية وغيرها من الاحداث التى سوف نتناولها على مدى الصفحات الباقية من هذا البحث .

كان هنريش أوف هوهنلوه قد سافر في وقت ما قبل معركة غزة - كما اشرنا من قبل - وظهر في الغرب في أوائل ١٢٤٥م / أواسط ٦٤٢هـ ، فقد أرسله فردريك لمقابلة البابا انوسنت الرابع في ليون في ١٢ يناير ١٢٠٥م / ١١ شعبان ٦٤٢هـ (٨٠) ، ثم عاد مرة أخرى الى ليون حيث كان يعقد مؤتمر لدراسة الحملة الصليبية الجديدة التى تقرر أن يخرج الملك الفرنسى لويس التاسع على رأسها ، وانهقد المؤتمر في الفترة ما بين ٢٨ يونيو الى ١٧ يوليو ١٢٤٥م / ١ - ١٩ صفر ٦٤٣هـ ، وحاول هنريش مؤيدا لسياسة الهوهنشتاوفن مما أحدث الانقسام مرة أخرى في داخل الجماعة ، فقد وقف ديتريش من جرينجن Dietrich von Gringen مقدم الفرع البروسى الى جانب البابوية وعمل معها . وربما كان لذلك تأثيره من ناحية أخرى ، حيث أن البابا لم يرغب في الضغط على الجماعة ضغطا قويا حتى لا يفقد هذا الجانب الموالى له في الجماعة (٨٢) .

Dailliez, *Les chvaliers*, 45.

(٧٩)

وهى الحملة السابعة في عداد الحركة الصليبية .

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 47, n. 28.

(٨٠)

(٨١) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، ص ٥٦ -

٥٨ .

Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 62 — 27.; Favreau, *Studien*, (٨٢)
93-4.

وفي أثناء وجود هنريش في مؤتمر ليون يبدو أنه تمكن من اقناع البابا انوسنت الرابع باعطائه وثيقة يدعو فيها البابا الصليبيين الى التبرع لمساعدة الجماعة في بناء برج آخر في مونتفرت ، وبالفعل صدرت هذه الوثيقة في ١٨ سبتمبر ١٢٤٥م/٢٤ ربيع آخر ٦٤٣هـ . ومن الملاحظ عليها أنها استخدمت كثيرا من عبارات الوثيقة السابقة لهرمان دي سالزا والخاصة أيضا بمونتفرت . فقد أشارت الى بعد مونتفرت عن البحر وصعوبة إمدادها بالمؤن ، والتي كانت تستخدم كمركز لايواء المرضى والفقراء من الصليبيين (٨٣) . غير أننا نرجح أن الجماعة أدركت أنها أصبحت في خطر بعد هذه الهزيمة واقترب الايوبيون كثيرا من الحدود الصليبية . ولذا ، فقد حرصت على اضافة بعض التحصينات الجديدة التي قد تمكنها من الصمود أمام الاخطار الايوبية وبالفعل لم تمر سوى فترة قصيرة حتى نجح الصالح أيوب في استرداد طبرية في ١٧ يونية ١٢٤٧م/١١ صفر ٦٤٥هـ ، وبعدها بفترة ، وفي ١٥ أكتوبر ١٢٤٧م/١٣ جمادى الآخرة ٦٤٥هـ تمكن من استرداد عسقلان وتدمير تحصيناتها (٨٤) .

وفي أثناء ذلك الوقت كانت الاستعدادات تجري في الغرب الاوربي لخروج حملة لويس التاسع الصليبية ، وأبحرت الحملة من ميناء أجمورت جنوبى فرنسا في ١٢ يونيو ١٢٤٨م/١٨ صفر ٦٤٦هـ وذلك بعد تأخر دام حوالى ثلاث سنوات للاعداد لها ، وارتدت الحملة في ميناء النمسون أوليما سول في قبرص حيث كان المكان لمتفق عليه لتجمع بقية الصليبيين للابحار منها بعد ذلك الى دمياط . وطالت اقامة الحملة في قبرص حتى مايو

Forstreuter, *Der Deutsche Orden*, 43.

(٨٣)

(٨٤) كان هذا الجيش الايوبى بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، وكانت نجدة صليبية قد وصلت من قبرص وعكا عن طريق البحر ، ونجح الاسطول في الدخول الى الميناء بالفعل . ولكنه اضطر لرحيل لسوء الاحوال الجوية عائدا الى عكا وقبرص تاركا المدينة لمصيرها المحتوم . للمزيد عن ذلك انظر :

Estoire de « Eracles », 432-35; « *Annales de Terre Sainte* », 442.

وكذلك : أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٨٠ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ، العمرى : مسالك الابصار ، ج ٢٧ ، ق ٣ ، لوحة ٣٦٢ .

وقبل أن نواصل الحديث عن محلة لويس التاسع دور الجماعة

١٢٤٩م/صفر ٦٤٧هـ . وكان لذلك أثره السوء عليها فيما يتعلق بتلك الخلافات الداخلية التي اندلعت بين الصليبيين في الشرق اللاتيني ، ففي ١٢٤٨م/٦٤٦هـ حاول توماس أوف اكيرا النائب الامبراطوري الذي كان لا يزال يقيم بطرابلس إعادة كونراد الثاني الى عرشه ، وربما كان يدعم هذه الحركة كل من الاسبتارية والفرسان التيوتون ، فارسل البابا الى الداوية بعقاب أولئك الذين اتخذوا جانب الامبراطوريين (٨٥) . واندلعت الحروب بين البيازنة والجنوية والتي تطورت الى نزاع علني في مارس ١٢٤٩م/ذي الحجة ٦٤٦هـ ، وانتهت بتدخل يوحنا دي ابلين صاحب ارسوف وعقد معاهدة بينهما لمدة ثلاث سنوات (٨٦) .

وقبل أن نواصل الحديث عن حملة لويس التاسع ودور الجماعة الألمانية خلالها، لابد من التوقف قليلا لاستعراض أوضاع الجماعة الألمانية قبيل وصول الحملة الى دمياط . فتوجد وثيقة مؤرخة في ٣٠ ابريل ١٢٤٩م/١٥ محرم ٦٤٧هـ تولى فيها ايفرارد دي سين Everart de Saine القائد العام للجماعة في الاراضي المقدسة عقد اتفاق مع يوحنا اليمان سيد قيسارية (٨٧) بشأن أملاك خاصة بالآخر في منطقة عكا ، وقد حصلت الجماعة عليها في مقابل ايجار سنوي قدره أربعة آلاف بيزنط ، ودفع منها ايفرارد مبلغ ألفين وستمائة ، وتبقى ألفان وأربعمئة تقرر أن تدفعها الجماعة على أربعة أقساط بواقع ستماية بيزنط كل قسط ، وكضمان لسداد

(٨٥) Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 336-7; Riley-Smith. *The Knights of St. John* 182, *idem*, *Feudal Nobility*, 213-14.

(٨٦) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، ص ٦٤ .

(٨٧) ورثت مارجريت اقطاعية قيسارية في الفترة ما بين ١٢٣٨ و ١٢٤١م/٦٣٥ - ٦٣٨هـ وظهر زوجها يوحنا أليمان معها في الوثائق في فترة متأخرة . ولكن هزرد جانبه التوفيق عندما اشار الى أن أول ظهور لمارجريت في الوثائق كان في اكتوبر ١٢٤٩م/ رجب ٦٤٧هـ ، اذ ظهرت في هذه الوثيقة المؤرخة في ٣٠ ابريل ١٢٤٩ عن ذلك انظر :

Strehlke, no. 100; cf. also : Hazard, «Ceaserea and the Crusades 100.

الدين وضعت الجماعة قرية الباصة التابعة لها كرهن لسداد هذا الدين ،
وفي حالة عدم دفعها للايجار فانها ملزمة باعادة الاملاك لسيد المدينة ،
اما في حالة تعرض هذه الاملاك لهجوم من جانب المسلمين وفقدان جزء
منها ، فانه يتم تقدير هذا الجزء وعدم دفع ايجار عنه (٨٨) ، ومن
المرجح انه بعد عقد هذه المعاهدة أبحر فرسان الجماعة مع بقية الصليبيين
الى قبرص للاتجاه بعد ذلك الى دمياط .

ومنذ اللحظة الاولى لوصول الحملة الى دمياط ظهرت الجماعة
الامانية كمشاركة فيها ، فعقب سقوط دمياط في ٦ يونيو ١٢٤٩م / ٢٢ صفر
٦٤٧هـ حصلت على نصيب من الغنائم خصصها لها الملك الفرنسي لويس
التاسع (٨٩) . أما عن تفاصيل الحملة فلن نتعرض لها هنا ، وانما سنكتفى
بالإشارة الى ذلك الدور الذي أسهمت به الجماعة خلالها ، فعقب سقوط
دمياط ظل الصليبيون زهاء خمسة أشهر دون عمل شيء سوى انتشار
المفاسد ونشوب الخلافات فيما بينهم ، وذلك في الفترة من ٦ يونيو الى
٢ نوفمبر ١٢٤٩م / ٢٢ صفر - ١٢ شعبان ٦٤٧هـ ، الى أن وصلت قوات
جديدة على رأسها الفونس كونت بواتييه وذلك في ٢٤ أكتوبر ١٢٤٩م / ١٥
رجب ٦٤٧هـ . وتم الاتفاق على التقدم نحو القاهرة . وفي أثناء ذلك كان
الملك الصالح نجم الدين أيوب قد توفي في ١٤ شعبان / ٢٢ نوفمبر - وظلت
زوجته شجر الدر تدير البلاد ولحين وصول ابنه المعظم تورانشاه من
حصن كيفا ببلاد الجزيرة ، ووصل الصليبيون عند بحر أشموم الذي يعرف
اليوم باسم البحر الصغير ، واتخذوا مراكزهم عند الضفة الشمالية منه ،
وظلت المعارك دائرة بين الطرفين وكذلك الضربات المتفرقة التي كان

أما عن الاملاك التي حصلت عليها الجماعة فهي بيت جين
Beitegen ، وساجور Señor ، ونف Nef ، وخربة
الحسينية La Huseinie ، ومجدل الكروم Mergecolon
وخربة جالون Gelon . وتقع أغلب هذه الاملاك بالقرب من
عمقا . انظر خريطة رقم . وكذلك :

Beyer, «Akkon», 210.

Strehlke, no. 100.

Rothelin, 594.

(٨٨)

(٨٩)

يوجهها اليهم المسلمون . ومن بين هذه المعارك تلك المعركة التي جرت في ٢٠ يناير ١٢٥٠م/١٤ شوال ٦٤٧هـ . فقد أخبر الجواسيس الملك الفرنسى باعتزام المسلمين بمهاجمة الصليبيين ، وتحقق الامر عندما أمر الامير فخر الدين قواته بالعبور ومهاجمة الصليبيين في معسكرهم . وقد اشار روتلان صراحة الى أن الفرسان التيوتون شاركوا في هذه المعركة منذ بدايتها . » وكان جيشنا يتكون من فرسان الاسبتارية والاخوة نوتردام بالمانيا « (٩٠) . وقد اختلفت المصادر الصليبية والاسلامية في تقدير نتيجة هذه المعركة ، اذ اشارت المصادر الاسلامية أن المسلمين قتلوا من الصليبيين اربعين فارسا بالاضافة الى أسر ٦٧ أو ٦٩ فارسا كان من بينهم ثلاثة من أكابر الداوية (٩١) ، أما جوانفيل فقد ذكر أن المسلمين هم الذين تكبدوا الخسائر في هذه المعركة (٩٢) . ولكن روتلان اعترف بقتل أحد عشر من الاسبتارية ، بالاضافة الى أربعة من التيوتون في هذه المعركة (٩٣) . ومن الواضح أنه منذ البداية لم يشارك الداوية في هذه المعركة ، وانما كان الجيش - أو ربما مقدمته مكونة من الاسبتارية والتيوتون فقط كما روى روتلان . وبالتالي فإن تلك الاشارة الواردة عن أسر ثلاثة من أكابر الداوية التي أوردتها المصادر الاسلامية ربما يقصد بها التيوتون ، وذلك للشبه الواضح في نفس رداء الجماعتين وعدم استطاعة المؤرخين المسلمين التفريق بينهما .

تسرب اليأس الى الحملة ، وفترت روح رجالها المعنوية بعد تلك المحاولات العديدة لعبور النهر الى أن دلهم أحد الخونة على مخاضة يعبرون منها . وعقد الصليبيون مجلسا للتشاور ، وتم وضع خطة العبور . وفي يوم الاثنين ٧ فبراير ١٢٥٠م/٣ ذى القعدة ٦٤٧هـ عبر

Rothelin, 600. ^١

(٩٠)

(٩١) أشار المقرئى الى أن عدد الاسرى كان ٦٧ ، بينما حده ابن الفرات بـ ٦٩ . أما ابن أيبك فقد اشار الى أن الجانبين تكبدا خسائر كثيرة . انظر : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ٣٤٨ ، تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ، ص ٢٥ . وكذلك جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

Joinville, 184-5.

(٩٢)

Rothelin, 601.

(٩٣)

روبرت كونت ارتوا ومعه قوات من الجماعات العسكرية بما فيهم التيوتون ، وحاول احراز نصر مبكر ، فسارع الى دخول المنصورة وهنا وقعت الكارثة ، فقد سار ركن الدين بيبرس البندقدار قائد المماليك البحرية في أثر مقدمة الجيش الصليبي ، وتعقبهم في الازقة والشوارع ، وشارك سكان المدينة في هذه الملحمة الشعبية واستطاعوا انزال الهزيمة بالصلبيين(٩٤) . وسوف نأخذ رواية المؤرخ متى الباريسي عن دور الجماعة الالمانية في هذه المعركة بشيء من الحذر ، فقد ذكر في أول اشارة له عن هذه المعركة ، وأنه لم يفر من الداوية سوى اثنين وواحد من الاستبارية ثم عاد وأشار مرة أخرى الى أنه فر ثلاثة من الداوية وأربعة من ثم عاد وأشار مرة أخرى الى أنه فر ثلاثة من الداوية وأربعة من الاستبارية ومات الخامس متأثرا بجراحه أما الجماعة الالمانية فقد فر ثلاثة منها وأصيب ثلاثة كانت اصابتهم خطيرة(٩٥) . وتجدر الاشارة الى أن رالى سميث أشار الى هذه الاعداد من الاسرى ضمن أسرى المعركة التي حدثت قبل أسر لويس التاسع عند فارسكور(٩٦) ، وقد جانبته الصواب في ذلك لأن متى الباريسي أشار اليها صراحة ضمن أسرى وقتلى معركة المنصورة ، ولكنه أوردها ضمن روايته عن أمر الملك لويس التاسع .

استمرت الاحداث تتوالى على ضفاف النيل . فقد حاول الصليبيون التقدم جنوبا نحو القاهرة وفي نفس الوقت ظل الايوبيون يحاولون وقف تقدمهم الى أن وصل المعظم تورانشاه الى المنصورة في ٢١ ذى القعدة ٦٤٧هـ / ٢٥ فبراير ١٢٥٠م . وازدادت حالة الصليبيين سوءا ، وقرروا الانسحاب عائدين نحو دمياط ، ولكنهم وقعوا في خطأ كبير ، فقد أهملوا ازالة الجسر الذى عبروا عليه النهر ، وانتهاز بيبرس البندقدارى هذه الفرصة ، فعبر عليه وهاجم المسيحيين الموجودين في المعسكر الصليبي ، وسار في أعقاب القوات الصليبية حيث وقعت مذبحة دموية عند فارسكور وذلك في ٦ ابريل / ٢ محرم ٦٤٨هـ . وفيما يبدو أن مؤخرة الجيش

(٩٤) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، ١٦٢ وما بعدها .

(٩٥) Matthew Paris, Chronica, V, 154, 158, VI, 195-97.

(٩٦) Ibn al-Furat, ii, 186.

الصليبي كانت مكونة من الجماعات العسكرية والتي أبيدت عن آخرها ، ولم يتبق منها سوى شخص واحد كما أشار روتلان (٩٧) .

كان لهذه الهزيمة الثقيلة التي منى بها الملك الصليبي أثرها على بدء المفاوضات مع الايوبيين ، وقد انتهت بسقوطه أسيرا بعد خيانة أحد الجنود الذي يدعى مارسيل ، وبدأت المفاوضات بين لويس والمعظم تورانشاه ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد استطاع المماليك البحرية التخلص من المعظم تورانشاه في ٢٨ محرم ٦٤٨هـ / ٢ مايو ١٢٥٠م . وبمقتله تنتهى الدولة الايوبية في مصر لتبدأ فترة جديدة سجل فيها المماليك البحرية أروع صفحاتهم بالقضاء على الصليبيين وطردهم من الشرق اللاتيني (٩٨) . وعقب استقرار الاوضاع عقد الملك الفرنسى معاهدة جديدة تقرر فيها دفع مبلغ كبير لاطلاق سراحه وفدية عن بقية الاسرى الفرنج ، يتم دفع نصفها مقدما والآخر بعد خروجه من مصر ، بالإضافة الى رد دمياط (٩٩) .

ومما لا شك فيه أن الجماعة الالمانية أسهمت بدور واضح خلال

(٩٧) لمزيد من التفاصيل انظر جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٩٩ وما بعدها ، وكذلك :

Rothelin, 615.

(٩٨) يرى فريق من المؤرخين المسلمين أن الصالح نجم الدين أيوب هو آخر ملوك بنى أيوب ، ويرى فريق آخر أن المعظم تورانشاه هو آخرهم ، وأضاف ثالث أن الاشرف موسى هو آخرهم . وأجمعت غالبية المراجع الحديثة أن شجر الدر هى أول من حكم من المماليك باعتبار أنها من فئة المماليك ، ولأن رابطة الصالح نجم الدين أيوب قد انقطعت بموته وبموت ابنها منه وهو خليل في حياة أبيه . للمزيد انظر : جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ١٤٠ ، ح ٢ ، قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى - عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٠ ، جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس في مصر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٩ ، أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١١٢ .

(٩٩) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على الشام ، ٧٣ وما بعدها .

الحملة كما وضح لنا من خلال الاشارات التى أوردها كل من روتلان ومتى الباريسى ، ولا ندري لماذا لم يشر جوانفيل اليها ، وهو مؤرخ الحملة وشاهد عيان لها ولغالبية أحداثها ، فهل يكون قد التبس عليه الامر بحكم ردائها الذى كان يشبه رداء الداوية ، أم أن الكراهية التقليدية بين الفرنسيين والالمان منعتهم من الإشارة اليهم ؟ أو ربما يكون قد اختلط عليه الامر ، خاصة وأنه سجل مذكراته عن الحملة بعد حوالى نصف قرن من انتهائها ، وحتى الإشارة الوحيدة التى أوردها عنهم كانت إشارة عامة تحت اسم الالمان دون أن يحدد لنا أنهم هم الفرسان التيوتون ، وذلك أثناء الحملة على بلاد الشام كما سنرى . وعلى الرغم من أن تلك الخسائر التى منيت بها الجماعة خلال الحملة تعتبر قليلة ، إلا أنها اذا ما قورنت بعددها الاقل نسبيا من الجماعتين الأخرين تعتبر كثيرة . وكانت هذه المرة الثانية التى تجارب فيها الجماعة فوق أرض مصر ولكنها لم تلعب دورا هاما مثلما لعبته فى المرة الاولى أثناء الحملة الصليبية الخامسة . وفيما يبدو أن الظروف قد تغيرت ، فلم يكن على رأس الجماعة شخصية مثل شخصية هرمان دي سالزا ، كما أن مقدميها وجهوا اهتماماتهم شطرا مكان أخرى عديدة . ولا نعرف شيئا عن مقدمها الذى كان يتولى أمورها فى هذه الفترة وهو جونتراوف فيلرسلين Gunter of Willersleben (١٢٤٩ - ١٢٥٢م / ٦٤١ - ٦٥٠ هـ) . وما يؤسف له أن وثائق الجماعة لم تذكر شيئا عن نشاطه أو دوره سواء فى الشرق أو الغرب (١٠٠) . وهذا مما يزيد الغموض حول دور الجماعة أثناء حملتى لويس التاسع على مصر والشام ، باستثناء تلك الشذرات والنتف البسيطة التى أمكننا جمعها من المصادر المختلفة .

غادر لويس التاسع دمياط متجها الى عكا فى ٨ مايو ١٢٥٠م / ٤ صفر

(١٠٠) لم يرد ذكر هذا المقدم الا فى كتب الموتى الخاصة بالجماعة ، والتى أشارت الى أنه توفى فى ٣ أو ٤ مايو دون تحديد للعام ويرى تملر أن فترة حكمة تظهر من خلال نهاية حكم هنريش أوف هوهنلوه وبداية حكم بوبو دي أوسترنا . ولما كان الاول قد مات فى ١٥ يوليو ١٢٤٩م / ٢٦ ربيع أول ٦٤٧ هـ فاننا نضع حكمه بعد ذلك التاريخ وحتى عام ١٢٥٢م / ٦٥٠ هـ عندما تولى بوبو . انظر: Tumler, Der Deutsche Orden, 46-8.

٦٤٨هـ حيث وصلها في ١٣ من نفس الشهر ، وبعد استقراره عقد مجلسا للتشاور فيما يمكن عمله والذي شاركت فيه الجماعة الالمانية ، وعقدت ثلاثة مجالس في ثلاثة آحاد متتالية في الفترة من ١٩ يونيو الى ٣ يوليو ١٢٥٠م/٧١ ربيع أول الى أول ربيع آخر ٦٤٨هـ (١٠١) ، ولا توضح لنا مصادر الحملة أوثائق الجماعة دورها في هذه المجالس وهل كانت ضمن المؤيدين لبقائه ، لما في ذلك من مصلحة لها في هذه الفترة ، خاصة بعد تلك الخسائر التي منيت بها منذ معركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، وكذلك الاسرى الذين كانوا لا يزالون في مصر من بين أعضائها . وأخيرا فقد اتخذ لويس قراره بالبقاء في الاراضى المقدسة على الرغم من معارضة غالبية أمرائه لذلك (١٠٢) .

وفي أثناء اقامة لويس التاسع في الشام عمل على استغلال الاوضاع لصالحه ، ومحاولة استنزاف قوى الطرفين الايوبي بقيادة الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والذي كان على رأس الامراء الايوبيين في الشام وبين الامراء المماليك الذين كان على رأسهم المعز أيبك بعد زواجه من شجر الدر في ٢٩ ربيع الثاني ٦٤٩هـ/٣٠ يوليو ١٢٥٠م . وقد وصلت سفارة من الناصر يوسف الى الملك الفرنسى عارضه عليه اعادة بيت المقدس مقابل الوقوف معه ضد المماليك البحرية . ولم يرفض لويس ذلك العرض وانما رد ردا دبلوماسيا عليه ، فقد أخبره أنه سوف يرسل للماليك لكى يعدل المعاهدة السابقة المعقودة معهم ومعرفة رأيهم في ذلك ، فاذا رفضوا فانه لن يتردد في عقد المعاهدة معه ضدهم (١٠٣) . وفي سبتمبر ١٢٥٠م/جمادى ثانية ٦٤٨هـ (١٠٤) وصلت سفارة صليبية برئاسة

(١٠١) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ٩٩ - ١٠٨

(١٠٢) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(١٠٣) جوزيف نسيم : نفسه ، ١٦٥ .

(١٠٤) أشار روتلان الى أن اطلاق سراح أولئك الاسرى تم بعد مغادرة شقيق الملك لويس التاسع عكا عائدا الى فرنسا . وكان الفونس كونت بواتييه وشارل كونت انجو قد عاد الى أوروبا في أغسطس ١٢٥٠م/جمادى أولى ٦٤٨هـ ، لذا فأننا نرجح أن وصول السفارة

يوحنا دى فالنيس Jean de Valenciennes الى دمياط ثم
منها الى القاهرة وذلك لعرض مطالب لويس ، وبعد دراسة هذه المطالب
من جانب الممالك ، وافقوا عليها بشرط تحالفه معهم ضد الامراء
الايبوبيين . واطهارا لحسن نواياهم أطلقوا في رجب ٦٤٨هـ / أكتوبر ١٢٥٠م
سراح عدد من الاسرى من بينهم وليم اوف شاتنوف مقدم الاسبقتارية وعدد
آخر من الاسرى تراوح بين سبعمائة وتسعمائة أسير . وأشار روتلان الى
أنه كان من بينهم عشرة من الفرسان التينوتون (١٠٥) . وليس من
الواضح ما اذا كانوا من أسرى غزة او أثناء الحملة الصليبية على
مصر (١٠٦) .

أما عن دور الجماعة الالمانية حتى وقوع محاولة الصليبيين مهاجمة
بانياس والاستيلاء عليها في يوليو ١٢٥٣م / ربيع أول ٦٥١هـ ، فان المصادر
لا تمدنا بشيء عنه وربما كان تركيز هذه المصادر - وبصفة خاصة جوفانفيل
مؤرخ الحملة - على أحداث المفاوضات الجارية بين الملك الفرنسى والامراء
الايبوبيين في الشام والممالك في مصر ، وانتهت هذه المفاوضات باتفاق
بينه وبين الممالك بعد انتصارهم على الايبوبيين في معركة العباسة التي
وقعت في ١٠ ذى القعدة ٦٤٨هـ / ٢ فبراير ١٢٥١م . ثم سرعان ما ضاعت
آمال الملك الفرنسى في استخدام الوقعة بين المسلمين لمصلحته ، وذلك
عندما تم الاتفاق بين الايبوبيين والممالك في صفر ٦٥١هـ / ابريل
١٢٥٣م (١٠٧) . وفيما يبدو أن لويس لم يوجه اهتمامه نحو تحصين
مونتفر تاو القرن - قلعة الجماعة الرئيسية في الاراضى المقدسة ، وذلك
بسبب اهتمامه بتحصين المراكز الساحلية من ناحية . ومن ناحية أخرى

كان في سبتمبر حيث تم اطلاق سراح هؤلاء الاسرى في اكتوبر
١٢٥٠م / رجب ٦٤٨هـ ، انظر : Rothelin, 625.

(١٠٥) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ١٥٥ - ١٥٦ .

(١٠٦) أشار سترن خطأ الى أن هؤلاء الاسرى تم اطلاق سراحهم مع
الملك لويس التاسع ، انظر :

Sterns, «The Teutonic Knights», 372.

(١٠٧) عن هذه الاحداث انظر : جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على
الشام ، ص ١٦٩ وما بعدها .

فربما انتهت من اقامة برج آخر في القلعة ، كما أشارت وثيقة البابا انوسنت الرابع في ١٢٤٥م من أجل التبرع لبناء هذا البرج .

وقد أورد جوفانفيل الرواية الوحيدة عن الجماعة الالمانية من خلال اشارته العامة اليها باسم الالمان ، وذلك اثناء الهجوم الذي تم على بانياس الداخلية ، فقد قال ان أولئك الالمان الذين كانوا تحت قيادة الكونت أيو خالفوا التعليمات التي كانت تقضى بانتظار بقية الجيش لمهاجمة قلعة الصبية . واستطاعت القوات الايوبية التي كانت قد تعرضت للهزيمة في بداية الامر استرداد أنفاسها ومهاجمة الفرسان الالمان الذين اضطروا للارتداد نحو بانياس حيث كان يقيم جوفانفيل وبقية القوات الصليبية . ووقع الاضطراب في صفوف الصليبيين ، واختل نظامهم ، ولكنهم استطاعوا الفرار في النهاية بعد خدعة قاموا بها ، ولحقوا بالملك الفرنسي عند صيدا (١٠٨) . والواقع أننا يجب أن نأخذ بشيء من الحذر رواية جوفانفيل عن دور الجماعة في هذا الهجوم ، فقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يشير فيها الى الالمان - أو الفرسان التيوتون ، اذا كان يقصدهم من اشارته هذه ، كما أنه لم يعط أي تفاصيل أخرى عن قائدهم أو مارشال الجماعة الذي كان لابد أن يكون موجودا اذا شاركت الجماعة في أي قتال ، الى آخر هذه التساؤلات التي لازالت بحاجة الى اجابة عليها ، ولم تسعفنا المصادر الأخرى بذلك .

وقبل مغادرة لويس التاسع الاراضي المقدسة بعامين تولى بوبودي أوسترنا Popo de Osterna مقدم الجماعة الالمانية رئاسة الجماعة (١٢٥٢

Joinville, 278-282.

(١٠٨)

وكذلك جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ،

٢١٤ - ٢٢١ .

(١٠٩) التحق بالجماعة في عام ١٢٢٨م/٦٢٥هـ ، وكان من بين اعضائها في بروسيا في عام ١٢٣١م/٦٢٩هـ وأصبح مقدما هناك في الفترة من ١٢٤١م - ١٢٤٤م/٦٣٨ - ٦٤٢هـ . أما عن الفترة حتى اختياره مقدما أعلى فلا يوجد شيء عنه خلالها . وتولى في عام

- ١٢٥٦م/٦٥٠-٦٥٤هـ) . وعلى الرغم من أنه توجد لدينا سبع وثائق من فترته ، إلا أنه لم يظهر سوى في اثنتين منها فقط . ومن الملاحظ على هذه الوثائق أنها تعلقت بنزاعات بين الجماعة وبين قوى دينية وعلمانية طائفت بحقوق لها في هذه الاملاك . ولم تحصل الجماعة على املاك أو امتيازات جديدة خلالها . وكان النزاع الاول قد حدث عندما طالب برثولوميو دي فوسا Bartholomew de Foosa أسقف حبرون (١١٠) بأملك سابقة لهذه الاسقفية في عكا . وقد تولى التحكيم في هذا النزاع الراهب ماثيو ، وكان والتر قائد عام الجماعة ممثلاً لها في القضية ، وطالب برثولوميو الجماعة بثلاثة آلاف بيزنط كإيجار لهذه المنازل الواقعة في ضاحية عكا ، بالإضافة الى منزل آخر صغير ، وذلك منذ أن حصلت عليها الجماعة ، ولكن والتر ممثل الجماعة رد عليه بأنه ليس من حق الاسقف فرض أى شئ على الجماعة ، بحكم أنها معفاة من الخضوع لآية قوانين أسقفية وإنما تتبع البابا مباشرة (١١١) . وبعد توسط ماثيو تقرر أن تعترف الجماعة بحق الاسقفية في هذه الاملاك ، وأن تقوم بدفع إيجار سنوى لها قدره سبعة بيزنطيات ، وفرض خمسمائة مارك من الفضة في حالة

١٢٥٢م/٦٥٠هـ بعد وفاة سلفه جوثير . أما شترن فقد أشار أنه لا يوجد لدينا شئ عن أعماله . ولكن توجد سلسلة الوثائق السابقة والتي استطاع خلالها بويو حل عدد من مشاكل الجماعة حول الاملاك التابعة لها . انظر :

Tumler, *Der Deutsche Orden*, 48-9; Sterns, «The Teutonic Knights», 372-3.

(١١٠) عاد البابا أنوسنت الرابع هذه الاسقفية الى الوجود على الرغم من عدم استرداد الصليبيين لحبرون . وكانت هذه الاسقفية خالية منذ معركة حطين . وأمر في يناير ١٢٥٢م/شوال ٦٤٩هـ بالبحث عن أملاكها السابقة ، ثم وصل برثولوميو الى الاراضى المقدسة حيث ثار هذا النزاع بينه وبين الجماعة الالمانية . عن ذلك انظر :

Strehlke, nos. 101-102, 104; cf. also : Hamilton, *The Latin church*, 296-99.

(١١١) انظر ما سبق ص ١٧٩ .

مخالفة الاتفاق (١١٢) . وتجدر الإشارة الى أن الجماعة بدأت تلجأ الى أسلوب جديد في حل خلافاتها حول الاراضى أو الاملاك الأخرى المتنازع عليها ، وخاصة تلك التى حصلت فيها فى عهد فردريك الثانى ، وتمثل ذلك فى التهديد برفع الامر الى البابا وعرض القضية عليه . ولما كانت أغلب هذه القوى لا تملك النفقات المطلوبة لعرض مثل هذه القضايا على البابوية والتى كانت تتكلف نفقات باهظة ، فقد كان الجانب الآخر يطلب توسط بعض الاصدقاء وحل القضية بالطرق الودية ، وهذا ما حدث بالفعل (١١٣) . وربما كانت هذه الاملاك لا تستحق أن يصرف عليها هذه المبالغ ، لأن ايجارها السنوى كما رأينا كان سبعة بيزنطيات ، أما اذا كانت الاملاك جديرة بالاهتمام فان الطرف الآخر يقبل ذلك كما حدث فى النزاع التالى بين الجماعة وعمورى بارليس .

كانت الجماعة قد حصلت على اقطاع عربية وزاخنين من ايزابيلا أميرة بيسان فى عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ كما أشرنا من قبل (١١٤) . الا أن عمورى بارليس حفيد ايزابيلا طالب بحقه فى هذا الميراث فى فترة ما من هنرى صاحب قبرص والنائب فى المملكة الصليبية ، وبالفعل قام هنرى بمنح عمورى بارليس الحق فى استعادة أملاكه بسبب عدم حضور الجماعة الألمانية أمامه للرد على هذا الادعاء (١١٥) . وبناء على ذلك ، فقد استولى على هذه الاملاك عنوة وطرد الجماعة منها ، وتطور النزاع بين الجانبين الى أن وصلت القضية أمام الادارة المركزية البابوية فى روما ، وعرضت فى ١٩ فبراير ١٢٥٤م/٢٨ ذى الحجة ٦٥١هـ . وفوض البابا

Strehlke, no. 104.

(١١٢)

Hamilton, The Latin church, 299.

(١١٣)

(١١٤) انظر ما سبق ص ٢١٣ .

(١١٥) كان كونراد الرابع ملك المانيا هو صاحب الحق فى حكم بيت المقدس ، غير أنه لم يأت مطلقا الى الاراضى المقدسة للحصول على تاجه ، قال حق النيابة الى اليس صاحبة قبرص أقرب الاقارب واعترفت بها المحكمة العليا فى عام ١٢٤٣م . ثم تلاها هنرى فى عام ١٢٤٦ وحتى ١٢٥٣م . وفيما يبدو أن النزاع بدأ

انوسنت الرابع الكاردينال أوتو للفصل فيها . وناب عن الجماعة قائدها العام كونراد ، وعن عموري بارليس بارينو الاسبانى . وأشار كونراد الى قيام عمورى بالاعتداء على أملاك الجماعة وما ألحقه به من أضرار نتيجة لذلك ، وطالب بإعادته لهذه الأملاك ورد إيراداتها الذى قدره بعشرة آلاف مارك ، بالإضافة الى تعويض قدره ألف مارك نتيجة لما لحق بها من خسائر ، ورد بارينو أن عمورى لم يقم بالاعتداء على هذه الأملاك، وإنما كان معه أمر من هنرى صاحب قبرص وأظهر وثيقة الامتلاك الخاصة بذلك والمنقومة من الملك القبرصى ، وأنه لجأ اليه باعتباره النائب فى المملكة الصليبية ، وعندما لم تمثل الجماعة أمامه أعطى عمورى هذا الحق ، ورد كونراد أنه ليس من حق هنرى فرض رأى شئ على الجماعة باعتبار أنهم ينتمون الى الملك الكهنوتى ، وعندما أوضح بارينو أن هذه أراضى اقطاعية ومن حق الملك استدعاء الجماعة رد ممثل الجماعة أنهم ليسوا مقطعين من الملك وأن هذه المنحة كانت عبارة عن منحة صدقة ، وبالتالي ليس من حق الملك استدعاؤهم ، وفى أى الحالات ، فإنهم يخضعون للبابا مباشرة وليس لأى شخص آخر . واستطاع كونراد - الذى كان فيما يبدو على دراية تامة بالقوانين والاضاع فى المملكة الصليبية - اقناع الكاردينال أوتو بأحقية الجماعة ، فحكم لصالحها باستعادة أملاكها ودفع عمورى النفقات المطلوبة لها (١١٦) . أما عن الفترة المتبقية من عهد بوبو فان وثائق الجماعة لا تمدنا بشئ عنها ، فقد استمر يرأسها حتى عام ١٢٥٦م حيث استقال من منصبه فى المجلس العام للجماعة الذى عقد فى روما فى نفس العام ، وهو نفس المجلس الذى سوف يختار خليفته انواوف سانجر هاوزن . ولا ندرى هل ظهر خلاف آخر داخل الجماعة أم أنه لم يعد قادرا على ادارة شئونها .

الواقع أننا اذا حاولنا أن نقيم دور الجماعة فى ذلك الصراع بين الصليبيين والمسلمين فى مصر والشام حتى نهاية الدولة الايوبية ، فأننا

فى فترة ما قبل وفاته الى أن وصلت القضية الى روما فى العام التالى لوفاة . انظر :

Riley-Smith, *Feudal Nobility*, 188-89; La Monte, *Wars of Frederick II*, 175 ff.

Strehlke, nos. 106-107.

(١١٦)

نجد أنها قد سارت على مبدأ واحد تقريبا . فقد ظهرت منذ تحولها الى جماعة عسكرية في كافة المؤتمرات التي عقدها الصليبيون لمناقشة مسائل الحرب أو قبول عروض الصلح من جانب الايوبيين ، وكثيرا ما وقفت الى جانب تأييد هذه العروض ، ولكنها في نفس الوقت حرصت على المشاركة في أى حملة أو هجوم يقوم به الصليبيون ، خاصة في تلك الفترة المبكرة من تاريخها لكي تثبت وجودها على مسرح الاحداث لما يعود ذلك عليها بالفائدة . فاشتركت في الحملة الصليبية الخامسة على مصر ولعبت دورا هاما خلالها . وكان نتيجة ذلك أن اعترف قادة صليبيون في الغرب الاوروبى بها وكانوا ممن شاركوا في هذه الحملة . وكانت الحملة الصليبية السادسة بقيادة فردريك الثانى فرصة لاطهارها بصورة أوضح ، فقد كانت هى المؤيد الرئيسى للامبراطور منذ وصوله وحتى رحيله . بل كان هرمان دى سالزا مقدها هو المخطط الرئيسى للحملة واحداث تلك الفترة من الزمن . ولا نكون مبالغين اذا قلنا أنه لولا وجود هذا الرجل لاختلفت الاوضاع تماما عما كانت عليه . وكان ممن شاركوا أيضا في عقد اتفاقية يافا ومن المدافعين عنها ، وعندما وصلت حملتا ثيوبولد أوف شامبانيا وريتشارد كورنول نصحت الجماعة كليهما باستمرار التحالف مع مصر بدلا من عقد معاهدة جديدة مع دمشق . ولكن الاوضاع في الشرق اللاتينى لم تكن آنذاك في صالحها خاصة بعد هزيمة الامبراطورين . فآثرت الجماعة أن تشارك الصليبيين في اتفاقهم مع دمشق . وكانت تلك الهزيمة المريعة التى منى بها الصليبيون في غزة ، والتى تركت آثارها الواضحة على الجماعة الالمانية بصفة خاصة . وهذا ما دفع الامبراطور فردريك الى أن يلوم الصليبيين لعدم استماعهم لنصيحة الجماعة ومعها الاسبتارية بالتحالف مع مصر . ثم كانت حملتا لويس التاسع على مصر والشام والتى شاركت فيهما الجماعة ، ولكن ليس بصورة رئيسية ، فقد كانت لاتزال تعاني من آثار الهزيمة في غزة من ناحية ، بالاضافة الى انشغال مقدميها بأمور الغرب الاوروبى دائما . وكان لذلك آثاره عليها وعلى وضعها في الاراضى المقدسة ، مما سيدفع مجلس الجماعة الى اتخاذ قرار بعدم مغادرة المقدم الاعلى للاراضى المقدسة الا بعد حصوله على اذن منه . ويظهر دولة المماليك البحرية أو الاولى سوف تطرأ تغيرات على العلاقات الصليبية الاسلامية نتيجة المستجدات على المسرح السياسى ، وكان على الجماعة أن تواجه هذا الموقف الجديد بعد أن مال ميزان الصراع بشكل واضح لصالح المماليك .

الفصل الخامس

دور جماعة الفرسان التيوتون في العلاقات السياسية

بين المماليك والصليبيين حتى سقوط عكا

(١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠ هـ)

- انوسانجر هاوزن مقدم الجماعة (١٢٥٧ - ١٢٧٤م/٦٥٥ - ٧٦٣ هـ) وعلاقة جماعته بالمماليك في مصر والشام .
- الظاهر بيبرس وعلاقته بالجماعة الالمانية :

(ا) محاولته الاولى ضد حصن القرين في ٦٦٤هـ/٢٦٦م ، وفشلها

(ب) هجماته على المدن والقلاع الصليبية في الشام ، وأثرها على أملاك الجماعة الالمانية .

(ج) المنح والاملاك التي حصلت عليها الجماعة ، وعلاقة ذلك بدورها في الصراع الصليبي الاسلامي .

(د) سقوط القرين في قبضة بيبرس في مايو ١٢٧١م/ذى القعدة ٦٦٩هـ ، وأثر ذلك .

- دور الجماعة الالمانية في العلاقات المغولية الصليبية ، وأثره عليها .
- هرتمان أوف هلدرنج مقدم الجماعة (١٢٧٤ - ١٢٨٢م/٦٧٣ - ٦٧١ هـ) ، وعلاقة جماعته بالمماليك .

- بركارد أوف شفاندرن مقدم الجماعة (١٢٨٣ - ١٢٩٠م/٦٨٢ - ٦٨٩ هـ) ، ودور جماعته في المعاهدة المعقودة مع قلاوون في عام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ .

- حصار الاشرف خليل لعكا في ١٢٩١م/٦٩٠ هـ ، ودور الجماعة الالمانية في الدفاع عنها .

- سقوط بقايا القلاع والمدن الصليبية ، ونهاية الجماعة الالمانية في الاراضي المقدسة .

على الرغم من أن هذه الفترة شهدت نهاية الجماعة الالمانية في الاراضى المقدسة ، الا أنها تعتبر من أخصب الفترات في تاريخها ، وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتها السياسية بالمماليك . فقد أظهر المقدمون العظام اهتمامهم البالغ بالاراضى المقدسة عندما شعروا بالخطر الذى يهددهم من جانب المماليك . وأصدر المجلس العام للجماعة قرارا بعدم مغادرة مقدمها الاعلى الاراضى المقدسة الا بعد الحصول على موافقته . وفى نفس الوقت . عمل هؤلاء المقدمون على تعويض ما فقدته الجماعة من أملاك في جنوب المملكة الصليبية فاتجهوا نحو الشمال باحثين عن مناطق أخرى . ووجدوا في صيدا وبيروت ضالتهن المنشودة . ولكنهم لم يهنأوا طويلا بهذه الاملاك التى سرعان ما فقدوا جانبا كبيرا منها في فترة وجيزة . وفى نفس الوقت ركزوا أيضا على الحصول على مناطق جديدة في عكا ، وتكوين منطقة خاصة بهم ظلت حتى سقوط عكا نهائيا في قبضة السلطان المملوكى الاشرف خليل .

وقد عانت الجماعة الالمانية كثيرا من هجمات الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) . فقد نجح في استرداد معظم المدن والقللاع الرئيسية من الصليبيين ، سواء في المملكة الصليبية الاسمية و طرابلس أو انطاكية ، بالإضافة الى مملكة أرمينية الصغرى - وتأثرت الجماعة الالمانية من هذه الهجمات بشكل واضح ، اذ فقدت العديد من أملاكها في هذه المناطق السابقة ، كما أن الاملاك الأخرى المتبقية تأثرت أيضا بطريق غير مباشر . فكان بيبرس يتبع سياستين في هجماته : الاولى هى التى كان يهدف من ورائها استرداد أراضى أو مدن أو قلاع ، وهذه كان يستعد استعدادا خاصا لها ، أما النوع الثانى من الهجمات فكان بقصد الضغط الاقتصادى على الصليبيين ، حيث كان يترك المنطقة مخربة تماما بحيث لا يستفيد منها العدو ، وقد ترك ذلك تأثيره الواضح على الجماعة الالمانية ، خاصة أملاكها الموجودة حول عكا والتى تعرضت لهذا النوع الثانى من الهجمات .

كذلك فقد تعرض مونتفرت أو القرين - حصن الجماعة الرئيسى في الاراضى المقدسة - لمحاولتين لاسترداده من جانب بيبرس . وقد فشلت المحاولة الاولى في عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م - والتى ربما كانت محاولة استكشافية - بسبب وعورة المنطقة وصعوبة تضاريسها ، أما في المحاولة

الثانية فقد نجح السلطان المملوكى فى استرداده فى عام ٦٧٠هـ / ١٢٧١م ولم يكن ذلك يعنى نهاية وجودها فى الاراضى المقدسة ، فسرعان ما تغلبت على هذه العقبة وعادت الى عكا - مركزها الرئيسى - وظلت تمارس نشاطها حيث حصلت على امتيازات ومنازل جديدة بها . بل انها قامت بتقديم القروض لبعض الصليبيين ، مما يدل بوضوح على استمرار نشاطها الاقتصادى فى هذه الفترة الهامة . وكان لنجاحها أيضا فى الحصول على الاسكندرونة ، Scandalion ، أثره الهام على استمرار دورها فى احداث تلك الفترة .

واذا عدنا الى موضوع علاقة الجماعة الالمانية بالمماليك فى هذه الفترة ، نقول أنها التزمت جانبا دفاعيا فى أغلب فتراتها حيث مال الميزان لصالح المماليك ، كما أنها شاركت فى بعض المحاولات القليلة التى استهدفت مهاجمة المماليك . أما عن دورها فى المعاهدات العديدة التى عقدت بين الصليبيين والمماليك ، فلا يوجد لدينا معاهدة خاصة بين الجماعة والمماليك كما هو الحال بالنسبة للاسبتارية والداوية ، ولكنه وردت اشارات عديدة فى مختلف المعاهدات عن أملاك خاصة بها دون أن تذكر الجماعة بالتجديد . كذلك شارك ممثل عنها فى احدى المعاهدات التى عقدت بين المنصور قلاوون والصليبيين فى عكا . وأخيرا لابد من أن نشير الى دور خطير أسهمت به الجماعة آنذاك ، وتمثل ذلك فى دورها فى العلاقات الصليبية المغولية ، فقد وقفت الجماعة الى جانب هيثوم الاول ملك أرمينية الذى كان على رأس المؤيدين لقيام تحالف مع المغول لضرب المماليك ، ولم يقتصر دورها على تأييد الملك الارمينى فى سياسته ، ولكنه تعدى ذلك الى التعاون المباشر واستخدام قلاع الجماعة فى المملكة الارمينية نتيجة لموقفها المؤيد للمغول ، كما ترك ذلك أثره على أملاك الجماعة الالمانية هناك .

على الرغم من أن حملة لويس التاسع الصليبية تعتبر فاشلة من الناحية العسكرية بسبب الهزيمة التى لقيها على ضفاف النيل ، إلا أن وجودة فى الشام أعطى الصليبيين آمالا جديدة بما أقامه من تحصينات فى المعقل والمدن الصليبية ، ولكنه بعد رحيله أصبحت المملكة الصليبية جسدا بلا روح ، وخلال هذه الفترة كان ثمة عنصران يلعبان دورا هاما فى تاريخها ، تمثل العنصر الاول فى المدن الايطالية وأساطيلها القوية التى

كانت بمثابة الشريان الذى يغذيها بالقوة والحركة ، أما الثانى فكانت تلك الجماعات الرهبانية العسكرية والتي حملت على عاتقها حماية ذلك الكيان الصليبي المتداعى ، ولكن فى الوقت الذى كان فيه الصليبيون فى أمس الحاجة اليهما ، تورطت هذه القوى فى صراعات داخلية راح ضحيتها الآلاف منهم ، وفى نفس الفترة كان المماليك فى مصر والشام يحاولون التغلب على مشاكلهم الداخلية لكى يتفرغوا بعد ذلك لمواجهة الاخطار الخارجية والتي تمثلت بصفة خاصة فى الصليبيين والتتار .

وفى ظل هذه الظروف ، تولى انومن سانجر هاوزن Anno of Sangerhausen وظيفة المقدم الاعلى للجماعة (١٢٥٦ - ١٢٧٣ / ٦٥٤ - ٧٦٢ هـ) وكان لطول فترة رئاسته للجماعة أثره عليها ، فقد أظهر نشاطا ملحوظا ، ومحاولات عديدة لايجاز مناطق جديدة تعوض بها الجماعة ما فقدته من أملاك ، وكانت أولى الامتيازات التى حصلت عليها الجماعة فى عهده هى منح يوحنا الثانى صاحب بيروت قلعة الزيب Imbert وتوابعها (١) ، وتؤرخ هذه الوثيقة فى ١٥ سبتمبر ١٢٥٦م

(١) تقع أمبرت أو همبرت على بعد ١٤ كيلو مترا شمال عكا على ساحل البحر . وأطلق عليها هذا الاسم بعد أن استولى عليها الصليبيون فى عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ وأعطيت لأحد الفرسان المدعو همبرت دى باكو Humbert de Pacco سميت باسمه ، كما تسمى أحيانا باسم قلعة الزيب Ziph . وقد استردها صلاح الدين فى ١١٨٧م/٥٨٣هـ ولكنها عادت مرة أخرى الى الصليبيين أثناء الحملة الصليبية الثالثة . واستمرت فى قبضتهم لحين حصول الجماعة عليها فى هذا العام ، وذلك كإيجار لمدة عشر سنوات ، ولكنها آلت اليها بعد حوالى خمس سنوات - أى فى ١٢٦١م/٦٥٩هـ . للمزيد عن ذلك انظر :

Perlbach, «Die Reste», no. 41; Röhricht, Regesta, no. 101; Benvenisti, The Crusaders, 221-22; Beyer, «Akkon», 190-1.

أما عن المناطق التابعة لها فهى : أم الفرج Le Fierge ، والكابرة La Seleque ، وخربة الشوبيك Le Quiebre ، وخربة جاعطون Jashon ، وكفر نبيد أونبتل Soebeique ، أو Quafrenebit وخربة الطيرة Douheireth ، وخربة بنا Benna وخربة سماح Samh Aguille أو

٢٥ شعبان ٦٥٤هـ ، حيث اشترطت حصول الجماعة عليها لمدة عشر سنوات ، وفيما يبدو أن أنو لم يكن قد وصل الى الاراضى المقدسة بعد ، وذلك لأن ايفرارث دى ساين Everarth de Sayn القائد العام للجماعة هو الذى تولى عقد الاتفاق (٢) ، أما عن أهمية هذه الاملاك فإنها كانت تقع غرب مونتفرت أو القرين ، والتي كانت بمثابة منفذ لها على البحر المتوسط ، ومن ناحية أخرى فقد كونت هذه الاملاك منطقة متجانسة (٣) .

وخلال هذه الفترة حصلت الجماعة على أهم أملاكها في بارونية صيدا ، وتوجد سلسلة من الوثائق التى توضح لنا حصولها على هذه المنح ، وخاصة في منطقة الشوف وجازين ، ففي عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ منح يوحنا صاحب الشوف اقطاعا تابعا له الى جوتيه قائد عام الجماعة في صيدا وذلك مقابل الف بيزنط سنويا ، ووثق جوليان صاحب صيدا هذه المنحة في ١١ يونيه ١٢٥٨م/٧ جمادى آخرة ٦٥٦هـ (٤) . أما أولى الوثائق

La Guille
وهى غير معروفة ، وادى كركرا
بالإضافة الى أراضى خارجية منها خربة المشرفية ، وعن مواقع
هذه القرى انظر خريطة رقم (١) .

(٢) ظهر أنو لأول مرة في تاريخ الجماعة أثناء ذلك التمرد الذى
عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ . وتولى مناصب عديدة بها قبل توليه
منصب المقدم الأعلى ، كما شهدت الجماعة في عهده تطورات
هامة ، بخاصة ازدياد عدد مراكزها في أوربا وبخاصة في وسطها
حدث في ليفونيا عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ . وتولى مناصب عديدة بها قبل توليه
Tumler, Der Deutsche Orden, 49-50; Sterns, «The Teutonic
Knights», 373.

(٣) Forstreuter, Der Deutsche Orden, 47 Beyer, «Akkon» 194.

(٤) أشارت الوثيقة الى أن المنحة كانت في عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ ،
وتم توثيقها في ١٢٥٨م/٦٥٦هـ من جوليان نفسه ، وتجدر
الإشارة الى أنه ورد بها إشارة هامة عن منصب جديد في الجماعة
الالمانية وهو « قائد صيدا » ، مما يدل دلالة واضحة على ما
كانت تعلق عليه الجماعة من آمال بخصوص هذه المنطقة الجديدة
والتي ربما كانت تأمل في أن تتسع وتزداد يوما بعد يوم . كذلك ورد
في نفس الوثيقة شرط هام ، وهو أن الجماعة سوف تدفع ألف

التي ظهرت فيها أنو المقدم الأعلى للجماعة في الاراضى المقدسة فهى بتاريخ ٤ يناير ١٢٥٧م/ ١٦ ذى الحجة ٦٥٤هـ في صيدا ، ومنح جوليان كل اراضى الشوف سواء تلك التى فى حوزته أو تلك التى فى قبضة المسلمين الى الجماعة الالمانية مع جميع امتيازاتها وحقوقها (٥) ، ودفعت الجماعة ٢٣٥٠٠ بيزنط مقابل هذه المنحة ، مما يدل دلالة واضحة على ضخامتها من ناحية ، وعلى مقدرة الجماعة الاقتصادية فى هذه الفترة من ناحية أخرى .

كذلك حصلت الجماعة على شقيف تيرون Cave de Tyron (٦) وجميع توابعها من جوليان سيد صيدا . وفى ١٠ يناير ١٢٥٧م/ ٢١ ذى الحجة ٦٥٤هـ تم توثيق هذه المنحة وذلك نظير الخدمات الجليلة التى اداها المقدم الأعلى للجماعة - انو - وجماعته لجوليان صاحب صيدا كما ذكرت الوثيقة ، وأشارت الوثيقة أيضا الى قائمة كاملة بأسماء هذه التوابع وامتيازاتها ، كما تعهد جوليان بالوقوف أمام أى شخص يعارض هذه المنحة (٧) . ولم يقتصر الأمر على حصول الجماعة على أملاك وامتيازات من جوليان صاحب صيدا فقط ، بل قام أيضا افصائه ببيع أملاكهم لها فقد قام جون لى تور كندسطليل صيدا ببيع قلعة كفر فاقود

بيزنط فى حالة السلم وخمسمائة بيزنط فى حالة الحرب . ويدل هذا الشرط على مدى استئثار الصليبيين بذلك الخطر الذى بدأ يتهددهم من جانب المماليك فى مصر والتتار فى شمال بلاد الشام .
Strehlke, no. 115.

(٥) كان أنو قد تم اختياره مقدما أعلى فى المجلس الذى عقد فى روما فى صيف ١٢٥٦م/ ٦٥٤هـ ، ولا بد أن يكون قد غادر أوروبا الى الشرق فى وقت ما قبل أكتوبر من نفس العام ، وذلك لأن حركة السفن تتوقف فى الفترة ما بين أكتوبر وأوائل مارس ، انظر أيضا: Strehlke, nos. 108, 111.

(٦) وردت الإشارة اليها فى المصادر العربية تحت اسم الشقيف أو شقيف تيرون أو تيرون النها وذلك تمييزا لها عن لها عن شقيف أرنون أو بوفورت الواقعة أيضا فى صيدا . وعن موقعهما انظر خريطة رقم (٣) .

Strehlke, no. 110.

(٧)

Cafar facouh (٨) - الواقعة في أرض الشوف - الى الجماعة
الامانية ، مقابل أربعمئة بيزنط . وأقر بعدم أحقية ورثته في المطالبة
بأى شيء . وتعود هذه الوثيقة الى ٢٠ مارس ١٢٥٨م / ٢٣ ربيع اول
٦٥٧هـ (٩) .

استطاعت الجماعة الامانية أن تحصل على هذه المجموعة الضخمة
من الاملاك الواقعة في جنوب لبنان وشرق صيدا ، والتي كانت ما بين نهر
الدامور في الشمال ونهر الليطاني في الجنوب والشرق ، والواقع أن جوليان
صاحب صيدا كان قد أوْشك على الافلاس ؛ بسبب مقامراته العديدة ، فقام
ببيع العديد من أملاكه للجماعات العسكرية ومن بينها الجماعة الامانية .
ومن الصعب أن نحدد الاماكن التي كانت في قبضة المسلمين ، فقد تعرضت
صيدا لهجمات عديدة سواء أثناء وجود لويس التاسع في مصر أو في بلاد
الشام . وأدرك الملك الفرنسي مدى الخطورة التي تتعرض لها المدينة ،
فأخذ في تحصينها بعد أن طلب منه جوليان صاحبها ذلك ، فقام ببناء
الاسوار والابراج المنيعة والخنادق المتسعة ، والتي استغرق بناؤها حوالي
ثمانية أشهر (١٠) ، ومن الواضح أن المدينة نفسها كانت لاتزال في قبضة
الصليبيين ، أما توابعها فكان بعضها في قبضتهم والبعض الآخر في قبضة
المسلمين ، أما شقيف تيرون فمن المرجح أنها كانت لاتزال في قبضة
الصليبيين عندما حصلت عليها الجماعة الامانية ، أو على الأقل كانت
مخرية وكانت الجماعة الامانية تأمل في تحصينها فيما بعد (١١) ، ولكن

(٨) أشار دوسو الى أنها تقع غرب دير القمر وذلك ضمن أراضي
الشوف كما أشارت الوثيقة نفسها :

Strehlke, no. 110; cf. also : Dussaud, *Topographie*, 53.

(٩) ورد في الوثيقة أنها كتبت في يوم الاربعاء ٢٠ مارس ١٢٥٧م /

١٣ ربيع اول ٦٥٦هـ ، ولكن شترالكة أشار الى أن الاربعاء ٢٠
مارس يوافق عام ١٢٥٨م وليس ١٢٥٧م . انظر الوثيقة السابقة .

(١٠) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، ص ١١٤ ،

٢٨٠ ، ٢٨٣ ، كذلك : العدوان الصليبي على بلاد الشام ،

ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(١١) أشار متى الباريسي الى أن المسلمين استردوا شقيف تيرون أثناء

حملة لويس التاسع على مصر . ولكن المصادر العربية أشارت

ذلك لم يدم طويلا لأن الظاهر ببيرس نجح في استردادها بعد فترة وجيزة (١٢) .

وفي سبتمبر ١٢٥٧م/رمضان ٦٥٥هـ ثار نزاع بين الجماعة وفلورنس اسقف عكا حول بعض الاملاك الواقعة في نطاق اسقفية عكا ، والتي كانت قد حصلت عليها منذ فترة ، وطالب الاسقف بايرادات وعشور هذه الاملاك ، ولكن المقدم الأعلى للجماعة سارع بمطالبة الاسقف بأربعة آلاف بيزنط كانت الاسقفية تحصل عليها بدون وجه حق وثلاثين ألف بيزنط كتعويض ، وكان ذلك نوعا من الضغط على الاسقف لكي يحول دون لجوئه الى الببوية لعرض القضية عليها ، وبعد توسط بعض الاصدقاء تم حل الخلاف حيث حصلت الاسقفية على مارك من الفضة كل عام بالإضافة الى جزء من عشور وايرادات هذه المناطق بعد استبعاد تكاليف النقل . او منتجات الطواحين الموجودة في هذه المناطق فقد تم اعفاؤها من العشور (١٣) . وفي أول نوفمبر من نفس العام حصلت الجماعة الالمانية على بعض المنازل من دير جبل القديس صهيون بعد موافقة جيمس بطريرك بيت المقدس على هذا البيع . وتبدو أهمية هذه المنازل في أنها تقع بجوار منازل أخرى تابعة للجماعة الالمانية . وكان الايجار السنوي لهذه المنازل ٣٠٩ بيزنط تدفع على ثلاثة أقساط سنويا . وحصلت على امتياز آخر يتيح لها حرية بناء ما تشاء من منازل في هذه المنطقة (١٤) ، وكما هو واضح استمر المقدم الأعلى انو في اقامة مناطق متجانسة للجماعة سواء في عكا نفسها ، أو الاتجاه شمالا نحو صيدا وبيروت لاقامة مناطق تمركز جديدة .

الى صيدا فقط . وربما تكون شقيف تيرون قد عادت الى الصليبيين بموجب المعاهدة التي عقدت بين لويس التاسع والمماليك في مصر كما اشار جان ريتشارد . للمزيد انظر :

Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 341, 43.

(١٢) ذكر ابن عبد الظاهر أنه أثناء استعداد ببيرس لمهاجمة عكا

في جمادى الاولى ٦٦٢هـ/مارس ١٢٦٤م شرع النواب في الشام

ببناء شقيف تيرون مما يدل على أنه كان خرابا . ولم يوضح اذا ما

كان في قبضة المسلمين أم لا . انظر الروض الزاهر ، ص ١٩٧ .

(١٣) Strehlke, no. 112, cf. also : Hamilton, *The Latin Church*, 302.

Strehlke, no. 113.

(١٤)

وفي الوقت الذي كان فيه الممالك يظهرن كقوة جديدة على مسرح الأحداث في الشرق اللاتيني ، اندلعت الخلافات الصليبية الداخلية مرة أخرى ، وكان النزاع بينهما حول دير القديس سابا الواقع على قمة تل مونتيجو المشرف على ميناء عكا . ولم يكن الهدف هو السيطرة على الدير بقدر ما كان الهدف هو السيطرة على الميناء ، وكذلك تجارة شرقى البحر المتوسط بأكملها . ولم يكن يهم المدن التجارية الإيطالية سوى مصالحها الشخصية وتحقيق المكاسب المادية دون النظر للمصالح الصليبية العام . وعرض الخلاف على الإدارة المركزية البابوية في عام ١٢٥٥م/٦٥٣هـ للفصل فيه ، ولكن الجنوية قاموا باحتلال الدير في عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ مما أدى الى احتدام الصراع . وبدأ كل جانب في البحث عن حلفاء ومؤيدين له في هذا الصراع ، وسرعان ما انخرط الجميع فيه ، فقد وقف الى جانب البنادقة كل من البيازنة وعائلة ابليين وتجار مرسيليا وبوهمند السادس أمير أنطاكية وطرابلس والداوية ، أما الجنوية فكان يؤيدهم فيليب أوف مونتفرت وعائلة امبرياتشى سادة جبيل وانكونا وارثوذكس سورية اليونانيين والاسبطارية (١٥) ، أما الجماعة الألمانية فقد حاولت التوسط في البداية لانهاء الحرب والتوصل الى اتفاق سلمى ينهى الصراع ، ولكنها لم توفق في ذلك ، وانضمت الى البنادقة في هذا النزاع . وقد يبدو هذا الموقف غريباً لأنها انضمت الى الجانب المعادى

(١٥) المصدر الرئيسى لأحداث هذه الفترة موجود في :
Annales Ianuensis, MGH, SS, 18, 236 ff. Estiore de Eracle.
ii, 443 ff; «Annales de Terre Sainte», 446-48; Rothelin,
633-35.

وذكرت حوليات الجنوية أن السبب الرئيسى لهذه الحرب هو مقتل أحد الجنوية على يد البنادقة ، فقام زملاؤه بمهاجمة البنادقة للانتقام منهم . أما المصادر الصليبية الشرقية فقد أشارت الى أن السبب كان هو الصراع حول امتلاك دير القديس سابا .
وللمزيد انظر :

La Monte, Feudal Monarchy, 240, n. 2; Riely-Smith, The
Knights of St. John, 184-5; Sterns, «The Teutonic
Knights», 374-5.

وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ١١٠٦ - ١١١٠ .

للوهنشتاوفن (١٦) ، فهل هذا يعتبر تحولا في موقفها ؟ غير أن الجانب الآخر وهم الجنوية وحلفاؤهم كانوا هم خصوم فردريك الثانى أصلا ، كما أن مفهوم المعارضين والمؤيدين للوهنشتاوفن لم يعد ذا أهمية حقيقية بعد وفاة كونراد الرابع فى ١٢٥٤م/٦٥٢هـ وتولى كونرادين الذى كان لايزال طفلا .

وفى نفس الفترة ظهر خلاف آخر حول تولى الحكم فى المملكة الصليبية الاسمية ، وأسرع البعض الى بوهمند السادس أمير انطاكية طالبين منه التدخل لوضع حد لهذه المشكلة ، ووصل بوهمند ومعه أخته بليسنس وابنها الصغير هنرى الثانى حيث طالب له بالعرش باعتبار أن كونرادين لم يأت الى الشرق للمطالبة بعرشه ، وبالتالي حسب قوانين المملكة فإنه يؤول الى أقرب أقاربه ، وقد زاد ذلك من حدة الخلافات الداخلية ، وأيد الداوية والبنادقة مطالب بليسنس وابنها هيو الثانى وعارضها الاستبارية وحلفاؤهم وأعلنوا أن ذلك من حق كونرادين (١٧) ، ووقفت الجماعة الالمانية الى جانب هيو الثانى مما يؤيد أنها اتخذت خطا جديدا مخالفا عن سياستها السابقة والمتمثلة فى تاييد آل هوهنشتاوفن الالمان حيث شعرت أنهم لم يعودوا بذات قيمة بعد وفاة كونراد الرابع (١٨) .

ومما لا شك فيه أن هذه النزاعات الداخلية والحروب الاهلية قد تركت تأثيرا عميقا عليها ، فالى جانب الانقسامات كانت تلك الخسائر

(١٦) يرى براور أن الجماعة الالمانية لم تكن مرتبطة بالبنادقة على عكس ما أشارت اليه المصادر ، أما هيلش فيرى أن المفهوم الخاص بمؤيدى و معارضى الهوهنشتاوفن لم يعد ذا قيمة مع هذه الفترة .
عن ذلك انظر :

Der Deutsche Ritter orden im südlichen Libanon», ZDPV, 1977. 175.

(١٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ١١٠٧ - ١١١١ ، وكذلك :

La Monte, Feudal Monarchy. 74-5; Riley-Smith, The Knights of St John, 185.

Sterns, «The Teutonic Knights» 375.

(٧١)

المادية والبشرية الضخمة التي لحقت بهم جميعا ، فطبقا لرواية كل من روتلان وتاريخ هرقل قتل في السنة الاولى من هذه الحرب (١٢٥٧ - ١٢٥٨م/٦٥٥ - ٦٥٦م هـ) حوالي عشرين الفا من الصليبيين ، هذا بخلاف الخراب الذى حدث فى عكا وصور وبقية أنحاء المملكة الصليبية وما لحق بالتجارة من تأثير (١٩) .

أدركت الجماعات العسكرية الرهبانية الثلاث الرئيسية ما لحق بالصليبيين من أضرار نتيجة لهذه الخلافات الداخلية ، فقرروا عقد اتفاق فيما بينهم لانهاء هذه الخلافات ، وفى أكتوبر ١٢٥٨م/٩ شوال ٦٥٦ هـ .جتمع مقدمو هذه الجماعات : توماس بيرارد عن الداوية ، وهيورافيل عن الاسبتارية ، وانواوف سانجرهاوزن عن التيوتون فى عكا ، ودعى وجهاء الاراضى المقدسة من رجال الدين والعلمانيين لحضور حفل توقيع ذلك الاتفاق (٢٠) . وكما ورد فى نص الاتفاق أنهم اجتمعوا لعقد « سلام أبدى واتفاق مرض فيما بينهم » . ومن فرط أهميته فإنه كان يسرد كل عام فى مجالسهم وعلى لسان كل مقدم جديد أمام الاثنى عشر عضوا من أعضاء المجلس العام لجماعته . واقسم المسئولون عن قلاع الجماعات فى قبرص والمملكة الصليبية وأرمينية وأنطاكية وطرابلس على طاعته ، كما فرضت عقوبة قدرها ألف مارك فى حالة مخالفته ، كما التزمت الجماعات بمساعدة بعضها البعض فى أثناء محاربة الاعداء ، ويقصد بهم المسلمون . وفى حالة ذهاب الجماعة الالمانية لمساعدة الداوية والاسبتارية فى طرابلس أو أنطاكية أو قبرص ، فإنهما مسئولتان عن رعاية أفرادها أثناء وجودهم هناك . وربما كان لهذا مدلوله الهام ، فعلى الرغم من أنه كانت توجد أملاك للجماعة الالمانية فى هذه المناطق السابقة ، الا أنه فيما يبدو لم يكن بها أحد من أخوة الجماعة والا فإنهم كانوا سيتكفون برعايتهم أثناء

La Monte, op. cit., 241.

(١٩)

(٢٠) يوجد النص الاصلى للاتفاق فى شترالكه رقم ١١٦ . وفيما يبدو أن ما ذكره شترن من أن الاتفاق كان فى عام ١٢٥٣م/٦٥١ هـ هو خطأ مطبعى لأنه من المؤكد أن الاتفاق كان فى ١٢٥٨م/٦٥٦ هـ ، انظر :

Sterns, op. cit., 373.

وجودهم بها . وقد يكون بها من يديرها نيابة عنهم وتحصل على ايراداتها فقط ، لانها كانت لاتزال فى قبضة الصليبيين ولم يكن المماليك قد نجحوا فى استردادها بعد .

وبينما كان الصليبيون مشغولين فى خلافاتهم الداخلية ، كان المماليك فى مصر يحاولون تثبيت اقدامهم والتغلب على مشاكلهم الداخلية ، فعقدوا اتفاقا مع الصليبيين فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ لمدة عشر سنوات اتاح لهم تثبيت اقدامهم (٢١) . وفى اثناء ذلك ظهر خطر آخر جديد هدد تلك الدولة الناشئة ، ونقصد به الخطر المغولى ، فقد استطاع المغول اكتساح بغداد ووصلوا الى شمال الشام بعد ان احتلوا بلاد الجزيرة وشمال العراق ، وتساقطت المدن والمعقل الاسلامية الواحدة تلو الاخرى فى قبضة هولاكو أو هلاوون ، ويلخص لنا رشيد الدين الهمذانى الحالة فى بلاد الشام بعد تقدم المغول بقوله : « وقصارى القول انه خلال مدة وجيزة تم الاستيلاء على بغداد وديار بكر وديار ربيعة والشام بأسرها ، ودخلت فى حوزة نواب هولاكو ، وفتحت ممالك الروم » (٢٢) . ولكن نبأ وفاة الخان الاعظم مونج كا أدى الى عودة هولاكو الى بلاده وانشغاله

(٢١) عقد المعز أيبك اتفاقا مع الناصر يوسف صاحب حلب تم فيه الاتفاق على أن يكون للمعز مصر والجزء الساحلى من فلسطين الذى كان تابعا للصالح نجم الدين أيوب ، والا يؤوى الناصر يوسف أحدا من المماليك البحرية عنده ، بالاضافة الى تلك المعاهدة التى عقدت مع الصليبيين مما أدى الى نجساحهم فى مواجهتهم بعد ذلك هم والمغول ، انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ١١٠٤ .

(٢٢) رشيد الدين فيصل الله الهمذانى : تاريخ المغول ، المجلد الثانى ، الجزء الاول ، نقله الى العربية محمد صادق نشأت وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٠٥ - ٣١٠ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٦٣ - ٦٤ ، العمرى : مسالك الابصار ، ج ٧٢ ، ق ٤ ورقة ٢٩٨ - ٣٠٤ ، العينى : عقد الجمان ، ٢٠ ، لوحة ١١٢ .

بالخلافت الداخلية فيما بعد (٢٣) .

ويتبادر الى الذهن تساؤل هام عن موقف الصليبيين من المغول

(٢٣) ظهر التتار أو المغول على مسرح الاحداث منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى/أوائل السابع الهجرى بعد أن نجح جنكيز خان فى اقامة امبراطورية واسعة فى الشرق الاقصى ، غير أن وفاته فى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ أوقفت تلك تلك الغارات لفترة ، ولكنها عادت بعد ذلك للظهور حيث اكتسحت ايران وجورجيا ومناطق واسعة من أوروية حيث وصلت الى المانيا ذاتها ، وكان الروس أول من اطلق عليهم التتر أو التتار نشروا الرعب والفرع فى جميع أنحاء أوروبا ، وحاول انوسنت الرابع تكوين أول حملة صليبية لاييقاف خطرهم ، وكانت موجاتهم تتوقف فى حالة ظهور المشاكل الداخلية ، وخاصة بعد وفاة الخان الاعظم . ووصلت أولى المعلومات عنهم الى الغرب الاوروبى عن طريق المؤرخ جاك دى فيترى فى أحد خطابه المؤرخة فى ابريل ١٢٢١م/صفر ٦١٥هـ حيث اعتقد الصليبيون أثناء الحملة الخامسة أنهم من نسل الملك داود الذى سوف يظهر بينهم لى يقضى على الامبراطورية الاسلامية ويحرر القدس ، ولكن هذه الموجة التتارية توقفت لفترة ونسيهم الغرب الاوروبى . وبعد عودتهم مرة أخرى حاولت البابوية اتباع طريق آخر معهم ، وهو محاولة معرفة أصولهم وحياتهم ومحاولة ادخالهم الى المسيحية على المذهب الكاثوليكي ، وبالفعل كانت تلك الارساليات والبعثات التبشيرية التى أرسلت اليهم وذلك فى مارس ١٢٤٥م/شوال ٦٤٢هـ . وتوالت بعدها البعثات . وقد شهدت هذه المنطقة صراعا بين المسيحية والبوذية والاسلام كل منها يسعى لكسب التتار اليه ، وكان الظفر والنصر من نصيب الاسلام . للمزيد عن ذلك انظر :

Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 385; Cahen, *La Syrie*, 694 ff; M.W. Baldwin, «Missions to the East in the 13th and 14th centuries», in Setton, *History*, Vol. V, 470-80.

وكذلك : جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على الشام ، ٢٥ وما بعدها ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ١١١٢ -

أو التتار بعد أن تقدموا في زحفهم ووصلوا الى غزة ، ولن نتناول هنا وضع الارمن و صليبي أنطاكية - الذين كان لهم موقف مخالف سوف سنعرض له فيما بعد - وقد ذكر بيبرس الداودارى أن الصليبيين عندما علموا باقتراب كتبغا - نائب هولكو في الشام - أرسلوا اليه رسلا « من الفرنج الذين بالساحل بالهدايا والتقادم لأنهم خافوا على بلادهم من تطرق التتار اليها وغارتهم عليها » . كما شرعوا في تحصين مدانيهم وحصونهم « (٢٤) » . ويدعم ذلك ما ذكره روتلان من أن الصليبيين عملوا على تحصين مات بقى في أيديهم من قلاع ، فعهدوا للداوية بسبع قلاع وبائنتين للاسبتارية وبواحدة للجماعة الالمانية ، كما تعهدوا بالدفاع معا عن عكا وصور (٢٥) . وبالإضافة الى ذلك ، فقد قاموا بتخريب المناطق المحيطة بعكا وأبعاد الاحجار الموجودة في المنطقة حتى لا تستخدم كقذائف ضد المدينة في حالة تقدم المغول (٢٦) .

كان هذا هو موقف الصليبيين في المملكة الصليبية من المغول حيث حاولوا مهادنتهم وعدم اظهار العداء ضدهم حتى يتجنبوا انتقامهم ،

(٢٤) زبدة الفكرة في تاريخ اهل الهجرة ، نسخة مصورة بجامعة القاهرة ، ج ٩ ، لوحة ٢٨ .

(٢٥) Rothelin, 636.

ولاشك أن المقصود هنا قلعة مونتفرت - حصن الجماعة الرئيسي في الاراضى المقدسة ، وقد أشار أسقف بيت لحم في خطابه الى أن المغول أرسلوا الى الفرنج في عكا يطلبون منهم الخضوع ، ولكن قادة المملكة رفضوا وقرروا مقاومتهم ، و تحصين مدنهم . ولكن رواية بيبرس الداودارى ربما تكون أصدق هنا ، وذلك لأنهم لم يكونوا في حالة تسمح لهم بمقاومة المغول خاصة بعد تلك الحرب الاهلية التى كانت دائرة وراح ضحيتها الآلاف منهم . كما أنه من الصعب الحصول على المؤن والاموال اللازمة لتأجير المرتزقة ، والذين لم يكونوا موجودين أيضا بسبب الفرع والرعب الذى سببه المغول انظر :

Ibn al Fraut, Ayybdds, Mamluks and Crusders, (trans by Lyons and Riley-Smith, 2 Vols. Cambridge 1971) ii, 190-1.

Richard, The Latin Kingdom, 388.

(٢٦)

لأنهم لم يفرقوا بين حليف أو عدو ، فلم تسلم المدن الارمينية أو أنطاكية منهم أثناء تقدمهم في هذه المناطق (٢٧) ، غير أن جوليان صاحب صيدا تهور وقام بمهاجمة بعض المناطق التي كان المغول قد استولوا عليها مما أدى الى تعقد الموقف ، وقام كتبغا بإرسال قوة صغيرة لتأديب المغيرين ، ولكن جوليان باغت هذه القوة المغولية ونجح في قتل ابن أخى كتبغا قائد هذه القوة المغولية ، فاستشاط كتبغا غضبا وسارع بالاتجاه بنفسه الى صيدا للانتقام ، وبالفعل نجح في تدمير تحصيناتها ودخل الى صيدا حيث لم ينج سوى أعداد قليلة من سكانها أنقذها أسطول جنرى كان في طريقه من صور الى أرمينية (٢٨) . أما المصادر ، سواء عربية أو صليبية ، فإنها لم تحدد تاريخ هذا الهجوم ، ولكننا نرجح أنه حدث في الفترة ما بين شهرى يونيه وسبتمبر من عام ١٢٦٠م / رجب وشوال ٦٥٨هـ - وهى الفترة التى غادر فيها هولاكو بلاد الشام تاركا القيادة لكتبغا وبين معركة عين جالوت التى قتل فيها كتبغا . وقد ترك مهاجمة المغول لصيدا أثره على العلاقات مع الصليبيين في الجنوب ، فلم يعد أى طرف يثق فى الطرف الآخر . كما أن الصليبيين لم يعودوا يرغبون فى التحالف مع المغول فى حظيرة المسيحية اللاتينية وإقامة تحالف يهدف الى القضاء على الاسلام ، وهى نفس السياسة أيضا التى سار عليها قبل ذلك الملك الفرنسى لويس التاسع .

وفى أثناء ذلك وصلت رسل كتبغا الى مصر طالبة من المماليك الاستسلام (٢٩) . وقوبل هذا الطلب بالرفض ، وقرروا الخروج

Runciman, *History*, iii, 308-309.

(٢٧)

راجع أيضا : أسامة زيد : صيدا ، ٢٣٥ - ٢٣٧ . أما تاريخ رحيل هولاكو فى جمادى ثانية ٦٥٨هـ / مايو ١٢٦٠م فقد ذكره رشيد الدين الهمذانى ، المجلد الثانى ، ج ١ ، ٣٨ - ٣٠٩ .

Richard, *The Latin Kingdom*, 388-89.

(٢٨)

(٢٩) أورد المقرئى نص هذه الرسالة ، انظر : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ص ٤٢٧ - ٤٢٩ . كما أشار رشيد الدين الى آراء الامراء المماليك فى المغول . تاريخ المغول ، المجلد الثانى ، ج ١ ،

٣١٠ - ٣١١ .

لمواجهتهم ، وعندما وصل سيف الدين قطز الى عكا خرج الفرنج للقاءه عارضين عليه التحالف معه وأن يسيروا معه نجدة فشكرهم واستحلفهم « أن يكونوا لا له ولا عليه » (٣٠) . وقد اختلفت المصادر الصليبية والاسلامية فيما يتعلق بهذه النقطة ، فأشارت الاولى الى أن السلطان قطز أرسل للصليبيين يطلب منهم الاذن بالسماح له بالعبور وامدادته بالمؤن اللازمة للجيش ، وعقد البارونات في عكا اجتماعات لمناقشة ذلك الامر ، وتم التوصل الى اتفاق بشأن التحالف مع قطز ضد المغول نظرا لموقفهم ضد صيدا ، بالإضافة الى سجلهم الملىء بالمذابح والقتل ، وكذلك فإن هؤلاء الصليبيين ألفوا تلك الحضارة الاسلامية وعاشوا في كنفها فترة تزيد على القرن ونصف قرن من الزمان ، كما كان تفضيل المغول للمسيحيين الشرقيين ماثرا لقلق الصليبيين الغربيين والذين لم يكونوا على وفاق معهم . وممها تكن الاسباب ، فإن انوارف سانجرهاوزن مقدم الجماعة الالمانية حذر الصليبيين من الوثوق ومحالفتهم وتقديم العون لهم ، وأنهم سوف ينقلبون عليهم بمجرد انتصارهم على المغول ، وكان لعباراته شيء من التأثير ، فتم رفض التحالف العسكى ، ووعدوا فقط بتقديم المؤن اللازمة للجيش المملوكى ، وفى المقابل وعدهم الممالك أن يبيعوا لهم ما يقع فى أيديهم من خيول المغول بأثمان مخفضة (٣١) .

أما المصادر العربية فقد ذكرت رواية مختلفة ، فنجد أن ابن عبد الظاهر يشير الى مرور الممالك بالقرب من عكا أثناء خروجهم لمحاربة المغول . ولكنه ، للأسف لم يزودنا بأية تفاصيل عما حدث أثناء ذلك ، وكل ما ذكره أن الظاهر بيبيرس دخل الى عكا متخفيا . وقد يكون لاهتمامه بذكر اخبار الظاهر بيبيرس فقط أثره على اغفال ما دار عند عكا . فمن الطبيعى أن دخول الممالك الى عكا ثم بعد مفاوضات جرت بين الجانبين (٣٢) . أما المصادر المتأخرة فقد أشارت الى أن الصليبيين هم الذين أرسلوا الهدايا الى قطز ، وخرج ملكهم عارضا عليه أن يأخذ عسكره ويسير فى خدمته فلاطفه المسلمون وخلع عليهم واستحلفهم أن

(٣٠) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ، ٤٣٠ .

(٣١) Rothelin, 636-37; cf. also : Runciman, History, iii, 311-12.

(٣٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٦٣ - ٦٤ .

يكونوا لا له ولا عليه . فعندئذ كتب الملك الى قبائله بما سمعه من السلطان .
وقد أشار ابن دقماق والمقریزی الى هذه الرواية (٣٣) . ولا شك أن
الصليبيين كانوا آنذاك في حالة من الضعف والتفكك بحيث لم يكن في
استطاعتهم فرض ما يريدون . وقد اختاروا الحياذ أملا في أن يقضى
الطرفان على بعضهما ، ثم اتخاذ موقف أكثر وضوحا بعد أن ينجلي
الموقف . ومما لا شك فيه أن مقدم الجماعة - انو - قد لعب دورا هاما
في اتخاذ هذا الموقف - اذا صح ما ذكرته المصادر الصليبية - وكان يفضل
التحالف مع المغول ، وسوف نجد صحة ما توقعه كما متشهد الاحداث
بعد قليل .

وهكذا أصبحت المواجهة بين المغول والمماليك ، واتجهت الانظار
الى مضر باعتبارها اعظم حصن للاسلام ، وعند عين جالوت (٣٤) وقعت
المعركة الفاصلة بين الجانبين في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ / ٣ سبتمبر ١٢٦٠م .
واستطاع قطز أن يحقق النصر الذي ترتب عليه قلب الاوضاع في المنطقة
رأسا على عقب ، فقد استطاع المماليك أن يقضوا على بقايا الايوبيين في

(٣٣) الكتبي : عيون التواريخ ، ج ٢ ، لوحة ١٧٩ ، ابن دقماق :
الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، ورقة ١١٣ ،
المقریزی : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ٤٣٠ ، العيني : عقد
الجمان ، مجلد ٥٤ ، لوحة ٤٣٢٤ وكذلك : أحمد مختار
العبادي : قيام دولة المماليك الاولى ، بيروت ١٩٦٩م ،
ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣٤) ذكر سمباد المؤرخ الارميني رواية مختلفة عن هذه المعركة .
فقد أشار الى أن كتبغا جمع جنوده بنية دخول مصر . ولكن
الجواسيس المصريين علموا بذلك فأخبروا قطز وتم استدعاء
الجيش وخروجه لمواجهة التتار . أما عن مكان المعركة فقد ذكر
أنها وقعت بالقرب من مكان يسمى Brt ويرجح نارسيسيان
أنها ربما هي زرعين التي تقع على مسافة قصيرة من عين
جالوت . كما أوضح أن سبب الهزيمة يرجع الى شدة الحرارة
وانتشار المرض بين التتار . أما هايتون فقد أشار الى وقوعها
عند عين جالوت أو Aimeloc عن ذلك أنظر :

Sampad the condstable, DOP, 160, Hayton, RHC. Doc. Arm.,
iii, 175, 305.

الشام ، وعادت وحدة مصر والشام وهى الوحدة التى عانى منها الصليبيون
الامرين من قبل ، وجعلت من الممالك القوة الرئيسية فى الشرق الادنى ،
وزادت من قوة العنصر الاسلامى واضعفت الجانب المسيحى . كذلك
أسهمت فى انتشار الاسلام بين المغول . كما عجلت بزوال الامارات
الصليبية ، لأن الممالك تفرغوا لعدوهم الرئيسى = وهم الصليبيون -
وذلك حسبما تنبأ به المقدم الاعلى للجماعة الالمانية وأصبحوا
حريصين على التخلص من أعداء الدين (٣٥) .

وفي الوقت الذى كان فيه جوليان صاحب صيدا لايزال يتانى من
آثار هذا الهجوم المعولى الذى تعرضت له مدينته ، قام ببيع صيدا نفسها
وحصن شقيف ارنون اوبوفورت لجماعة الفرسان الداوية (٣٦) . ولكن
الجماعة الالمانية سارعت للحصول على توثيق لأملكها السابقة فى
الاقطاعية وذلك حتى لا يحدث نزاع مع الداوية . وكانت هذه المنحة فى
مارس ١٢٦١م / ربيع آخر ٦٥٩هـ ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد ثار أيضا
نزاع مع الداوية حول بعض الاراضى الخارجية فى هذه المنطقة (٣٧) .

تجح بيتيرس فى الوصول الى عرش الدولة المملوكية بعد أن تخلص
من قطز ، وذلك فى ١٥ ذى القعدة ٦٥٨هـ / ٢٢ أكتوبر ١٢٦٠م (٣٨) ،

(٣٥) عن نتائج هذه المعركة انظر : سعيد عاشور : الحركة
الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١٣٧ - ١١٣٨ ، العبادى : قيام دولة
الممالك ، ١٦٧ - ١٦٨ وكذلك :

Runciman, History, iii, 313-14; Stevenson, The Crusaders, 334.

Strehlke, no. 116. (٣٦)

(٣٧) ثار نزاع بين الجماعتين حول دلهمى Delhemie والتى تقع
بالقرب من نهر الدامور ، ومكاهيرا Mechaicra وتقع أيضا
عند نهر المعصرة - أحد فروع نهر الدامور . بالاضافة الى
La lehdie Margckeneiroh غير المحددتين .

وظل هذا النزاع حتى ١٣ مارس ١٧٢٥م / ١٦ رمضان ٦٧٣هـ
حيث تم حل الخلاف ، ولكن فيما يبدو أنها لم تكن فى قبضة
الصليبيين انظر :

Strehlke, no. 127.

(٣٨) عن الروايات الخاصة بمقتل قطز ودور بيتيرس فيها انظر :

حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ح ٢ .

وكانت شخصية هذا القائد المسلم من الشخصيات الفريدة في التاريخ الاسلامى ، والتي دخلت في نطاق الاساطير . وقد استطاع أن يستغل الظروف التي خلفها الغزو المغولى ليؤسس في بضع سنوات أقوى دولة عرفها الاسلام (٣٩) . ومنذ البداية كان عليه أن يواجه عدوين أساسيين هما : الصليبيين والارمن ، بالإضافة الى المغول الذين انكسرت شوكتهم في عين جالوت . ولكنهم ظلوا يحاولون بين الحين والآخر الانتقام لما حل بهم ، وإيكن الظروف لم تعد في صالحهم ، كما أن بيبرس لم يعط لهم هذه الفرصة (٤٠) .

حرص بيبرس على أن يقضى على مشاكله الداخلية أولا لكي يتفرغ بعد ذلك لمواجهة أعدائه (٤١) ، واتبع في ذلك خطة منظمة ، فلم يواجههم جميعا في وقت واحد ، فقد كان يهادن طرفا ، وفي نفس الوقت يحارب الطرف الآخر ، كما أن هجماته على الصليبيين اتخذت شكلين : الاول شكل اغارات كان هدفها اضعاف مصادر العدو الاقتصادية مثل تخريب الحقول والقرى والمناطق الزراعية ، وكانت هذه الاغارات شبه مستمرة ، وكان يقوم بها غالبا أمراؤه وقواده في الشام وكان أحيانا يشارك

Cahen, La Syrie, 701 f.

(٣٩)

(٤٠) تعددت الوسائل التي حرص بها على إيقاف خطر التتار ، ومنها ترحيل الاهالى من منطقة الى أخرى مثلما حدث مع أهل الشام الذين نزحت منهم أعداد كثيرة الى مصر . كذلك حرق أعشاب المروج التي كان ينزل بها التتار ، وحصد النباتات وهي خضراء حتى لا يجدوا ما يقتاتون به ، كذلك ارسال فئات من العسكر عرفت بالكشافة لاستطلاع أخبارهم وأسر العديدين منهم : انظر : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ٤٧٣ .

(٤١) بعد حوالى شهر من تولى بيبرس العرش خرج علم الدين سنجر الحلبي في دمشق ، ونادى بنفسه سلطانا وتلقب بالملك المجاهد ، وحاول بيبرس اقناعه بالعدول عن موقفه فلم ينجح في ذلك ، فتعرض علم الدين للهزيمة وفر هاربا من دمشق حيث اتجه الى قلعة بعلبك . ونجح الامير علاء الدين ايدكين في دخول دمشق ، وحلف الناس للظاهر بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض ، ٩٤ - ٩٥ ، راجع أيضا : العبادى : المرجع السابق ، ١٧٨ .

أفـيها بنفسه ، ما النوع الثاني فقد اتخذ شكلا منظما بهدف استرداد القلاع والمدن الإسلامية من أيدي الصليبيين ، وتركزت هذه الهجمات بصفة خاصة في الفترة من ٦٦٣ الى ٦٦٩هـ/١٢٦٥ الى ١٢٧١م (٤٢) . ونجح في استرداد غالبية هذه المدن والقلاع التي خرب بعضها ، وأقام مراكز جديدة بدلا منها ، وأبقى على البعض الآخر وحصنها .

وقبل أن نسترسل في الإشارة الى العلاقات الصليبية المملوكية ، لابد أن نتوقف قليلا لتوضيح بعض النقاط الهامة ، ففيما يتعلق بدور الجماعة الألمانية - محور هذه الدراسة - في هذه العلاقات ، لم تمدنا المصادر العربية سوى بشذرات ونتف بسيطة عنها ، وقد اتخذت هذه العلاقات شكلا عدائيا في طابعها العام . فأخذت همجات السلاطين المماليك تتوالى الواحدة تلو الأخرى على المعقل والمدن الصليبية ، وعانت الجماعة الألمانية من هذه الهجمات ، وتساقطت أملاكها الواحدة تلو الأخرى ، ولكن المصادر - سواء صليبية أو إسلامية - لم تحدد لنا تواريخ سقوطها ، فكان علينا أن نتتبع خط سير هذه الحملات والاغارات ، وكذلك المعاهدات العديدة التي عقدت بين الجانبين ، لمعرفة ما استرده المماليك وما بقى في أيدي الجماعة الألمانية عقب كل حملة أو غارة من هذه الحملات والغارات .

عمل بيبرس على مهادنة الصليبيين في بداية حكمه ، وتم عقد معاهدة مع يوحنا الثاني أوف ابلين صاحب يافا ، وكتب له منشورا ببلاده ، أما الصليبيون في عكا ، فقد رغبوا في التفاوض مع الظاهر بيبرس ، ووصلت رسل من جانبهم اليه لهذا الغرض وذكر ابن عبد الظاهر أنهم « من البيوت كلها » . وربما كان الفرسان التيوتون من بينهم ، وبعد أن تم الاتفاق حول شروطها ، أراد الصليبيون تعديل بعضها ، ورفض بيبرس ذلك ، « وظل الحال موقوفا » (٤٣) .

Ibn al Furat, ii, xvii.

(٤٢)

(٤٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١١٨ - ١١٩ ، ١٥١ -

١٥٢ . وعن بنود هذه المعاهدة انظر أيضا : حسن عبد الوهاب :

قيسارية : ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

وفي ظل هذه الظروف حصلت الجماعة الالمانية على أملاك أخرى جديدة كانت عبارة عن امتداد للاملاك السابقة التي حصلت عليها في صيدا ، فقد اضطر يوحنا الثانى صاحب بيروت الى التنازل عن قلعة امبرت أو الزيب التي كان أجراها مع أملاك أخرى الى الجماعة الالمانية ، مقابل أحد عشر ألف بيزنط ، وذلك لكى يدفع فدية اطلاق سراحه بعد أن وقع أسيرا مع عدد من قادة المملكة وفرسان الداوية في قبضة التركمان (٤٤) . كما حصلت أيضا في نفس الشهر على برج أحمد في جبل بيروت مع بعض القرى والاملاك الأخرى الواقعة بين نهر الدامور وفرعه الجابون ، بالاضافة الى مساحة من الارض الى جانب النهر السابق ، وذلك مقابل خمسة آلاف بيزنط (٤٥) . وتوضح هاتان المنحتان بعض الحقائق الهامة ، منها أنها كانت لاتزال قادرة من الناحية الاقتصادية على دفع هذا المبلغ الكبير في هذه الفترة الحرجة التي كان بيبرس على وشك تنفيذ خطته بمهاجمة باقى الامارات والمعاقل الصليبية ، كما

(٤٤) تركت قبائل التركمان شمال الشام بعد تقدم التتار حيث أقامت في منطقة الجولان ، وعلم هؤلاء التركمان بنية الصليبيين الهجوم عليهم فكمّنوا لهم لكى يباغتوهم ، وكانت القوات الصليبية مكونة أساسا من الفرسان الداوية بقيادة المارشال ستيفن أوف سايسى Stiphen of Saisy والقائد العام فى بيت المقدس متى سافيجى Mathew Sauvage ، ويوحنا الثانى صاحب بيروت ، ويوحنا صاحب جبيل مارشال المملكة الصليبية ، وجيمس فيدال ، وغيرهم . وكان لفرار مارشال الداوية من المعركة أثره عليه حيث تم طرده من منصبه نتيجة لذلك . وأسر فى هذه المعركة عدد كبير من القادة الصليبيين وفرسان الداوية . أما هيلش فقد جانبه الصواب عندما أشار الى أنهم وقعوا فى أسر المغول . وربما حدثت هذه المعركة فى أوائل حكم بيبرس فى عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م . أما الفدية المطلوبة فكانت عشرين ألف بيزنط ، ولكن حوليات الاراضى المقدسة بالغت فجعلتها مائتى ألف وهو رقم ضخّم . عن ذلك انظر : بيبرس الدودارى : زبدة الفكرة ، ج ٩ ، لوحة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، نشر ليون ورالى سميث ج ١ ، ٥٨ - ٥٩ .

أوضحت مدى المعاناة التي كان يعانيها أولئك القادة الصليبيون في هذه الفترة نتيجة لتهورهم ، والذين لم يجدوا سوى الجماعات العسكرية - ومن بينها الجماعة الألمانية لمساعدتهم . وقد تولى حرتمان أوف هلدرنج القائد العام للجماعة الألمانية عقد الوثيقة الأولى ، أما الثانية فقد تولى هايمو ممثل الجماعة في صيدا الاتفاق مع يوحنا بشأنها . وكانت على شكل وثيقتين : الأولى منحة صدقة الى الجماعة الألمانية ، والثانية تم فيها البيع وذلك لتفادي تلك الاجراءات المعقدة التي يتطلبها مثل هذا النوع من البيع . ويلاحظ أن صاحب بيروت لم يلتزم بمشاركتها في الدفاع عنها في حالة تعرضها لأي خطر من جانب المماليك ، وإنما اشترط فقط عدم مطالبته بإيجارها في حالة سقوطها في قبضة المسلمين . أما اذا عادت فيحق له المطالبة بهذا الإيجار (٤٦) .

على أي حال ، استأنف بيبرس هجماته ضد الصليبيين ، فخرج في ١٧ ربيع الآخر ٦٦١هـ / ٢٨ فبراير ١٢٦٣م متجها الى بلاد الشام ، وسارع الصليبيون لمقابلته وتقديم الهدايا له حيث قبلها وأمر ألا ينزل أحد في زرع الفرنج ولا يسب فرسا ولا يؤذى لهم ورقة خضراء ، ولا تتعرض لمواشيهم أو فلاحيتهم (٤٧) . وكان يرغب في مهادنة الفرنج آنذاك بسبب المشاكل التي أثارها المغيث عمر صاحب الكرك ضده ، وبعد أن تغلب على هذه المشاكل توجه « بكليته الى الفرنج » . ورفض بيبرس محاولات الصليبيين عقد هدنة جديدة معه ، وقابلهم بجفاء شديد ، وأمر في ٤ جمادى الآخرة ٦٦١هـ / ١٥ ابريل ١٢٦٣م بشن هجوم على عكا . واستغرق هذا الهجوم يومين كاملين وصل فيه الجيش المملوكي الى أبواب المدينة نفسها ، وترك دمارا شديدا في المنطقة المحيطة بها ، وخربت الحقول والمزارع والابراج . وما يهمنا هنا هو أن الغارة وقعت بالقرب من باب القديس نيقولا حيث كان يوجد المركز الرئيسي للجماعة في عكا (٤٨) ، ولابد أن تكون الجماعة قد قامت بالدفاع عن هذه المنطقة

Strehlke, nos. 117, 121.

(٤٦)

(٤٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١٥٢ .

(٤٨) ورد في خطاب البابا اريان الرابع وقوع هذه المعركة بالقرب من مقابر القديس نيقولا الواقعة خارج أسوار عكا ، أما المصادر

على الأقل . وذكر ابن عبد الظاهر وجوده «جماعة من الديوية والاسبتار» يقاتلون ضد المماليك (٤٩) ، وقد يكون لتشابه رداء الجماعة الالمانية والداوية - حيث كان أفراد الجماعتين يرتدون الرداء الابيض - أثره على ذلك الخلط بين الجماعتين عند الاشارة اليهما في المصادر العربية ، خاصة وأن جماعة الداوية كانت أقدم وأكثر شهرة لدى المؤرخين المسلمين عن الجماعة الالمانية . وعند عودة بيبرس مر بالمنطقة المحيطة بعكا وتكشفها مكانا حتى يكون على معرفة ودراية بها في المرحلة التالية (٥٠) .

شعر الصليبيون بمدى الخطر المحدق بهم نتيجة الهجمات التي بدأ بيبرس في شنّها ضدهم ، فسارعوا الى الغرب لتأويرى طالبين ارسال المساعدة اليهم ، وشارك هارتمان أوف هلدرنج القائد العام للجماعة الالمانية ونائب المقدم الاعلى في ذلك ، فقد أرسل مع بقية الصليبيين خطابا الى هنري الثالث ملك انجلترا في ٤ ابريل ١٢٦٣م / ٢٣ جمادى اولى ٦٦١هـ ، يشرحون فيه مدى المعاناة التي يواجهونها ، وعدم وجود الاموال والاقوات اللازمة ، ورغبة بيبرس في الاستيلاء على الاراضى المقدسة . وكذلك ما أحدثه التتار من دمار في بلاد الشام (٥٣) . كذلك سافر مندوبون عنهم الى البابا اربان الرابع لاجباره بهذه التهديدات من جانب بيبرس ، وشارك الفرسان التيوتون في هذه السفارة أيضا (٥٢) . ولا شك أن ذلك يدل على مشاركة الجماعة الالمانية في أغلب أحداث هذه الفترة الهامة ، وقد كان عليها أن تواجه نفس المصير الذي ينتظره بقية الصليبيين في الاراضى المقدسة .

العربية فقد أشارت الى حدوثها عند تل الفضول القريب من نفس المنطقة . عن ذلك انظر :

Les Registres d'Urban IV (1261-1264 Recueil des Bulles de ce Pape, (ed. M.J. Guiraud, 4 vols., 1901-1929) no. 344.

(٤٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١٥٩ .

(٥٠) النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٨ ، ورقة ٨٠ - ٨١ ، المقرئى :

السلوك ج ١ ، ق ٢ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ .

Strehlke, no. 124; Delaville le Roux, Cart. no. 3058. (٥١)

Delaville le Roux, Cart. no. 3057. (٥٢)

عمل بيبرس على اتباع تكتيك آخر جديد يختلف عن ذلك التكتيك السابق في مهاجمته للصليبيين ، فلم تعد هذه الاغارات والمناوشات تؤتى ثمارها ، فعمل على توجيه ضربة قوية اليهم ، وأخذ يستعد استعدادا كافيا لهذه الضربة ، وقضى العام التالي ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م في اعداد آلات الحرب والقتال ، وفي نفس الوقت حرص على أن تصل هذه الاخبار الى الصليبيين عن طريق أسراهم ، مثلما حدث عندما استعرض الجيش أمام قسطلان - أو متولى قلعة يافا الذي أطلق سراحه بعد ذلك . كما هادنهم في صفر ٦٦٢هـ / ديسمبر ١٢٦٣م هدنة مؤقتة زمن الحصاد فقط (٥٣) . وفي فترة ما قبل جمادى الآخرة ٦٦٢هـ / أبريل ١٢٦٤م ، فقدت الجماعة الألمانية إحدى قلاعها التي لم يمض على حصولها عليها سوى بضع سنوات ، فقد أشار ابن عبد الظاهر الى أن النواب بالشام شرعوا في بناء شقيف تيرون . وقد أشار المقریزی الى أن هذا الحصن كان مخربا منذ عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان في قبضة المماليك أم لا (٥٤) . ومما يكن من أمر ، فإن ذلك يمثل فقدان الجماعة الألمانية لأول أملاكها في منطقة صيدا وبيروت ، والتي سوف يتتابع فيما بعد سقوط بقيتها في قبضة المماليك .

وبينما كان بيبرس يكمل استعداداته للجولة المقبلة مع الصليبيين ، كان أولئك الصليبيون لا يزالون غارقين في خلافاتهم الداخلية ، فبالإضافة الى ذلك النزاع بين البنادقة والجنوية - والذي كان لايزال مستمرا - ثار نزاع آخر حول الوصاية على العرش ، ولن ندخل في تفاصيل ذلك النزاع الوراثي والقضائي الذي ثار بين هيو أوف أنطاكية - لوزنيان وهيو أوف بريين للوصاية على الملك الصغير هنري الثاني ملك قبرص . وقد اعترفت المحكمة العليا بحقوق هيو أوف أنطاكية - لوزنيان ، والتي أيدها أيضا أوف سانجر هاوزن الذي كان موجودا آنذاك في عكا (٥٥) .

(٥٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
(٥٤) نفسه : ص ١٩٧ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ ق ٢ ، ص ٥١١ .
(٥٥) F.W. Edbury 'The Disputed Regency of the Kingdom of Jeru samelm 1264/6 and 1268' (ed. by. P.W. Edbury, Camden Miscellany, vol. xxvii, London 1979) 1-47, 42-3; La Monte, Feudal Monarchy, 74-9.

وفي يولييه ١٢٦٣م/شعبان ٦٦١هـ تمتعت الجماعة الالمانية بامتياز آخر تمثل في حصولها على-اقطاع نقدي قيمته أربعمئة بيزنط ، ومنحها هذا الامتياز وليم أوف أما ندليه سيد الاسكندرونة أوسكاندليون وزوجته اجنيس ، وذلك نظرا لما قدمته الجماعة من خدمات لهما . غير أن الوثيقة لم تحدد لنا نوعية هذه الخدمات (٥٦) . ولاشك أن هذا الاقطاع النقدي كان بمثابة دعم للجماعة في هذه الفترة الحرجة ، حيث تركت غارات السلطان المملوكي بيبرس أثرها على الصليبيين بصفة عامة ، وعلى الجماعة الالمانية بصفة خاصة حيث تركزت أملاكها في المنطقة المحيطة بعكا . وقد يكون للاستغاثة التي أرسلها الصليبيون الى الغرب الاوروبى أثرها ، فقد أرسل البابا أريان الرابع للجماعات الرهبانية العسكرية ومن بينها الجماعة الالمانية ، يطلب منهم الاستعداد للمشاركة في الحملة الصليبية المقبلة (٥٧) . وفي نفس الفترة كان انو المقدم الاعلى للجماعة قد عاد من الغرب الاوروبى ، وعقد المجلس الاعلى للجماعة - والمكون من اثني عشرة عضوا - اجتماعا تقرر فيه عدم مغادرة المقدم الاعلى للارض المقدسة الا بعد حصوله على موافقة المجلس (٥٨) . وربما يعزى ذلك الى شعورها بالخطر الذي بدأ يتهدها ، وضرورة تواجد المقدم الاعلى لمواجهة .

أكمل بيبرس استعدادته في بداية عام ٦٦٣هـ/أكتوبر ١٢٦٤م حيث وصلت اليه الاخبار بخروج التتار الى البيرة (٥٩) ، فأمر عساكره بالخروج الى الشام فخرجت الدفعة الاولى في ٤ ربيع الاول ٦٦٣هـ/٢٥ ديسمبر ١٢٦٤م ، ثم خرج بنفسه في ٥ ربيع الآخر/٢٥ يناير ١٢٦٥م ،

Strehlke, no. 125.

(٥٦)

Delaville le Roulx, Cart. no. 3097.

(٥٧)

Dailliez, Les chevaliers, 36.

(٥٨)

وللمزيد عن المجلس العام للجماعة وتشكيله واختصاصاته انظر :
Stems, «The Teutonic Knights», 331-33.

(٥٩) يوجد أكثر من موقع يحمل اسم البيرة ، الاول بالقرب من سميساط عند نهر الفرات ، والثاني بين نابلس وبيت المقدس ، والثالث من قرى كفر طاب ، والمقصود هنا الموقع الاول . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١/٥٢٦ ، وأيضا : المشترك وضعاً والمفترق صقلاً ، ٧٥ - ٧٦ .

فوصل غزة ثم توجه إلى صيدا . ورفض بيبرس تجديد الهدنة التي عرضها عليه يوحنا الثاني كونت يافا ، وكان ذلك يعني صراحة اعلان الحرب على الفرنج . وفي أثناء ذلك ، وصلت أنباء هزيمة المغول في الشمال ، فلم يدع هذه الفرصة تفلت من يديه ، فأتجه إلى المنطفة القريبة من أرسوف وقيسارية حيث عاينهما لمعرفة ما تحتاجه من آلات الحصار وغيره . وكان اختياره لهذه المنطقة لتكون هدفا لضربه التالية موقفا للغاية ، ويدل على مهارة حربية فائقة ، ففي حالة نجاحه في استردادها سوف يتيح له ذلك حرية الحركة وتوجيه الضربات تباعا إلى الأقطاعات والأقاليم الصليبية الأخرى ، وفصل شمال الممتلكات الصليبية عن جنوبها . كما أنها ستساعد على ضمان خطوط مواصلاته مع شمال بلاد الشام حيث كان لا يزال الأرمن والتتار يقفان له بالمرصاد . وبالفعل نجح في استرداد قيسارية في ١٥ جمادى الآخرة ٦٦٣هـ / ٥ مارس ١٢٦٥م ، ثم أرسوف في ٨ رجب / ١٩ مارس من نفس العام (٦٠) . وبذلك استكمل الظاهر بيبرس استرداده لهذه المنطقة الهامة لكي يستأنف جهاده ضد الصليبيين في المرحلة التالية . وتجدر الإشارة إلى أن المصادر العربية والصليبية لم تزودنا بأية إشارة عن دور الجماعة الألمانية أثناء حصار الظاهر بيبرس لقيسارية خاصة وأنها كانت لها أملاك في المدينة (٦١) . وبفقدان قيسارية تكون انضمت إلى قائمة الأملاك السابقة التي فقدتها الجماعة في الجنوب عقب معركة غزة عام ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ ، كذلك أشار أحد الرحالة الفرنسيين الذي زار هذه المنطقة إلى « صفد التابعة للألمان » - والتي كانت مخربة أثناء ريارته لها - في عام ١٢٦٥م / ٦٦٣هـ (٦٢) ، ومن المرجح أن تكون سقطت في قبضة المماليك في نفس الفترة .

سعى السلطان المملوكي للاستفادة من الأوضاع في شمال بلاد الشام خاصة بعد وفاة هولاكو خان المغول في ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، واستعد لهذه الحملة استعدادا خاصا ، فعمل على تكتم خبرها حتى عن الأمراء

(٦٠) عن تفاصيل سقوطهما انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ،

ص ٢٣٣ وما بعدها .

(٦١) انظر ما سبق ص ١٣١ .

Beyer, «Akkon», 199.

(٦٢)

أنفسهم ، فأمرهم بفتح الكتاب الذى معهم بعد خروجهم من مصر ، وكان الهدف الرئيسى لهذه الحملة هو قلعة صفد - قلعة الداوية الرئيسية . وانتشرت قواته من أنطاكية وطرابلس شمالا حتى يافا جنوبا ، ولم يدع لآى شخص يعلم من سيكون عليه الدور فى الهجوم . فقد استطاع أن يفصل يافا عن الرملة قواته التى وضعها عند العوجاء ورأس العين ، كما أغارت قوات حمص على حصن الاكراد وعرقه ، وهاجم علاء الدين البندقدار وعز الدين أوغان صور ، أما سيف الدين ايتامش فقد هاجم صيدا ، واتجه السلطان الى عكا على الرغم من أنه لم يكن ينسوى مهاجمتها ، وكان يريد أن يموه على الصليبيين ، حيث كان يستعد لمهاجمة صفد كما أشرنا (٦٣) . وبالفعل نجح فى جعل الصليبيين يلتزمون اسوارها حيث اعتقدوا أنها ربما تكون هدف هذه الحملة . والتساؤل الهام الذى يثار هنا هو : ما هو أثر هذه الهجمات على الجماعة الالمانية وأملاكها فى هذه المنطقة المحيطة بعكا وفى صيدا ؟ فقد أشار ابن عبد الظاهر الى أن السلطان توجه الى عكا ، « ونزل منزلة تعرف بالفرج ، قريب من معصرة الارمن وهى كثيرة المياه » (٦١) . والفرج هنا يقصد

(٦٣) أشار رانسيمان وجان ريتشارد أن بيبرس انسحب من أمام عكا بعد أن علم بوصول امدادات الى عكا من الغرب الاوروبى ، ويضيف رانسيمان أنه انحرف بعد ذلك عن عكا ، وقام بمظاهرة أمام منتفرت ، وزحف فجأة على صفد . والواقع أن عكا لم تكن هدفه فى هذه المرة . كما أن بيبرس لم يبذل أى محاولة جادة ضدها حيث كان لدورها الهام والحيوى فى العلاقات التجارية أثره عليه . فقد كان بحاجة ماسة الى هذه العلاقات التجارية لحملاته الحربية ذات التكاليف الضخمة . ولكنه فى نفس الوقت كان يقوم ببعض المحاولات التى كانت بهدف حرصه على أن يثبت لامرائه ومماليكه عزمه على استرداد عاصمة المملكة الصليبية حتى لا يفت فى عضدهم . عن ذلك انظر :

Runciman, History, iii, 318, Richard, The Latin Kingdom, 394, Ibn al Furat, ii, p. 210 f.

بها أم الفرج أو Le Fierge (٦٥) - إحدى أملاك الجماعة الألمانية الجماعة الألمانية التي حصلت عليها منذ وقت مبكر في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي/أوائل السابع الهجري . أما اشارته الى معصرة الارمن ، فربما يقصد بها تلك المعصرة التابعة للجماعة الألمانية التي حصلت عليها في نفس الفترة السابقة (٦٦) . وقد اكتفى بيبرس بمهاجمة أم الفرج والتي فيما يبدو أنها كانت مركزا مؤقتا لحصار عكا ، وذلك لأنه سترد الإشارة إليها فيما بعد على أنها تابعة للجماعة الألمانية ، ثم وجه الاميرين بدر الدين الايدمرى وبدر الدين بيسرى في نفس العام - ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م - لمهاجمة القرين أو مونتفرت قلعة الجماعة الرئيسية . ولم يمدنا ابن عبد الظاهر بتفاصيل كاملة عن هذا الهجوم (٧٦) . ومن المرجح أنها محاولات استكشافية لمعرفة نقاط الضعف فيها والطرق المؤدية إليها وذلك استعدادا للضربة القادمة التي سيوجهها إليها .

أكمل السلطان استعداداته لتوجيه ضربته التالية ضد صفد حصن الداوية الرئيسي في منطقة الجليل . وعلى الرغم من أن الاستعدادات استغرقت حوالى ثلاثة أسابيع فإن أحدا من الصليبيين لم يجرؤ على التحرك لنجدتها . واستسلمت القلعة في ٢٣ يوليو ١٢٦٦م / ١٨ شوال ٦٦٤هـ ، ولسنا بحاجة للدخول في تفاصيل سقوطها (٦٨) ، وبسقوطها

(٦٥) وردت بأسماء مختلفة في المصادر الصليبية منها Ferge Fiergio ، والتي تقع على بعد ٥ ونصف كـ٠م شمال شرقى قلعة امبرت أو الزيب . وانظر أيضا خريطة رقم ١ .
(٦٩) تقع هذه المعصرة بالقرب من أم الفرج . ووردت الإشارة إليها منذ حوالى ١١٥٣م / ٥٤٨هـ ، ثم حصلت عليها الجماعة الألمانية في عام ١١٩٧م / ٥٩٣هـ قبل تحويلها الى جماعة عسكرية بعام واحد . عن ذلك انظر :

Röhrich, Regesta, nos. 381, 753.

(٦٧) الروض الزاهر ، ٢٥٣ .
(٦٨) أمر بيبرس بقتل الداوية جميعا الذين كانوا في القلعة ، وقد اختلفت المصادر العربية في تبرير ما قام به السلطان ، فذكر ابن عبد الظاهر أنهم نقضوا العهد بخروجهم بأشياء اشترط عليهم عدم خروجهم بها ، وأن السلطان لم يقسم لهم يمينا بذلك ، كما أن المكان الذى قتلوا فيه كانوا هم يقومون بقتل

اختفت سلطة الفرنج في الجليل الشرقى ، وأصبح السلطان المملوكى يتحكم في هذه المنطقة الاستراتيجية والتي سوف تصبح مركزا لهجماته ضد عكا وصور وصيدا . وقد ترك ذلك أيضا تأثيره على أملاك الجماعة الألمانية في هذه المناطق ، حيث ستصبح مونتفرت أو القرنين هي هدفه التالى .

ولم يعط بيبرس لجنوده الفرصة للراحة بعد استرداده لصدد ، بل أمرهم وهم في غمرة فرحهم بمواصلة السير شمالا لتوجيه ضربته ضد مملكة أرمينية الصغرى . وكان يهدف من حملته هذه الانتقام من هيثوم الاول الملك الارمينى بسبب سياسته المعادية للمماليك والموالية للتتار . وبالفعل تمكن هيثوم من التحالف مع التتار وحصل على وعد بمساعدته واعفاء الكنائس الارمينية من الضرائب في مملكة المغول ، بالإضافة الى عدم تعرض مملكته للهجوم (٦٩) . ولن نتعرض كذلك بالتفصيل للدور

المسلمين عنده ، أما ابن أبى الفضائل فقد أورد روايتين ، الاولى تفيد نقضهم للعهد الذى قطعوه على أنفسهم ، أما الثانية فيستفاد منها أن السلطان لم يحلف لهم وإنما أجلس مكانه كرمون أغا التتارى . وعلى الرغم من أن معظم المؤرخين الغربيين يلومون السلطان على ما قام به ضد الداوية ، إلا أن ذلك كان رد فعل طبيعيا لتلك الجرائم التى كانوا يقتربونها ضد المسلمين . عن ذلك انظر : ابن عبد الظاهر : الروض ، ٢٥٣ - ٢٥٤ ، النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٨ ورقة ٨٨ ، العينى ، عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٥٨ ، المقرئى ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ، ٥٤٨ ، ج (١) ، وكذلك : ، وكذلك :

Prawer, *Histoire*, ii, 472-74.

(٦٩) أرسل هيثوم الاول أخاه سمباد فى بعثة الى التتار عام ١٢٤٧م/ ٦٤٤هـ للتفاوض معهم . وبعد عودته أرسل سمباد خطابا الى ملك قبرص يوضح له فيه أهمية نشر المسيحية الكاثوليكية بين التتار . وربما علم لويس التاسع وهو فى قبرص بأمر هذه الاتصالات ، فأرسل سفارة من قبله الى التتار ردا على سفارتهم أيضا . وذهب هيثوم بنفسه فى عام ١٢٥٣م/ ٦٥١هـ الى بلاط المغول لمقابلتهم . عن ذلك انظر :

للدور الذي أسهم به الملك الارمينى فى حملات التتار على بلاد الشام ،
وانما سوف نركز على دور الجماعة الالمانية فى هذه العلاقات المغولية
الصليبية وأثر ذلك عليها . فقد خرجت الجيوش الارمينية تقتل وتسلب
وتنهب المدن الاسلامية ، وتفعل بالمسلمين أكثر مما فعله التتار ، وكان
هذا هو السبب الرئيسى لقيام بيبيرس بحملته ضد ضد المملكة الارمينية
وحليفها بوهمند السادس (١٢٥٢ - ١٢٨٠م / ٦٥٠ - ٦٦٦ هـ) أمير
أنطاكية والذي انضم للحلف الارمينى المغولى وشارك فيه ومعه
قواته (٧٠) .

انضمت الجماعة الالمانية الى ذلك التحالف الارمينى المغولى ،
خاصة وأننا نعلم أنها كانت لها أملاك هامة فى مملكة أرمينية الصغرى ،
وقد توثقت العلاقة بين الملوك الارمن وبينها حيث انضموا اليها . وعلى
الرغم من أن آخر المنح التى حصلت عليها الجماعة فى أرمينية الصغرى
كانت فى ١٢٣٦م / ٦٣٣ هـ . إلا أنها كانت منحة ضخمة ضمت العديد من
الاراضى والقلاع الهامة . غير أنها انشغلت بأماكن أخرى جديدة وخاصة
فى أوروبا ، فكان لذلك أثره على أن توقف الجماعة اهتمامها مؤقتا
بأملاتها فى المملكة الارمينية . كما كان للغزو المغولى لشرق أوروبا أثره
على الجماعة الالمانية ، حيث فقدت الكثير من أملاكها فى هذه المنطقة (٧١) .
غير أن الموقف فى شمال بلاد الشام اختلف عما هو عليه الحال فى شرق
أوروبا ، فقد اتجه المغول بنظرهم نحو شمال الشام ، وأيدهم فى ذلك
الملك الارمينى هيثوم الاول الذى لعب دورا رئيسيا فى ذلك . كما أيدته

Boase. «The History of the Kingdom 25, Cahen. La Syria,
700-1.

(٧٠) عمل لويس التاسع أثناء إقامته فى بلاد الشام على حل الخلافات
بين الصليبيين ونجح فى تزويج بوهمند السادس من ابنة هيثوم ،
وكان لذلك أثره الواضح على شمال بلاد الشام . فلم يكن زواج
مصاهرة فقط ، بل اتفق كلاهما على الانضمام الى المغول ، حيث
أسهما بدور واضح فى ذلك ، للمزيد انظر :

Sempand, in : DOP, 160; Boase, op. cit., 25-26.

Hilsch, «Der Deutsche Ritterorden», 175, f.

(٧١)

في ذلك انو المقدم الاعلى للجماعة ، وعرض وجهة نظره هذه على الصليبيين في عكا حسبما ذكرنا آنفا (٧٢) .

ولكن ما هو الدافع الى وقوف الجماعة الالمانية هذا الموقف المؤيد للتحالف المغولى الارمينى الصليبي ؟ لا شك ان لذلك التعاون والتقارب بينها وبين الملوك الارمن منذ نشأتها أثره على هذا الموقف ، كما ان الاملاك التى كانت لها في مملكة أرمينية الصغرى كان لها أثرها أيضا . وربما كانت الجماعة تأمل أن تكون هذه الاملاك منطقة انطلاق جديدة تنطلق منها في يوم ما خاصة بعد أن لاحت في الافق هذه الاخطار التى هددت أملاكها في المملكة الصليبية الاسمية وبقية الامارات الصليبية . ولكن يثور تساؤل آخر جديد هو : هل وقفت الجماعة الالمانية موقف المؤيد فقط لهذا التحالف الارمينى المغولى الصليبي ؟ أم ماذا فقط لهذا التحالف الارمينى المغولى الصليبي ؟ أم ماذا كان موقفها ؟ لقد سبق أن أشرنا أن سانجرهاوزن نصح الصليبيين في عكا بعدم محالفة المماليك ومساعدتهم ضد المغول ، والاكتفاء فقط بالموقف على الحياد ، غير أننا بعد قراءة دقيقة للمصادر العربية أمكننا استخلاص حقيقة جديدة ، فقد أيدت الجماعة الالمانية ذلك التحالف الارمينى المغولى تأييدا مباشرا ، واستخدمت قلاعها كمركز لتجمع القوات المغولية ، فقد ذكر ابن عسدد الظاهر أنه أثناء حملة ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م عندما حاصرت قوات المماليك قلعة العامودين « أذعن أهلها لتسليمها ، وكان فيها من تتر تقاتل وغيرهم ألفان ومائتا نفر ، فقتل الرجال ، وفرقت السبابا على العساكر . وكان بها جماعة من الديوية ، فقتلوا وأحرقت هذه القلعة بما فيها من حواصل وذخائر » (٧٣) . اما العيني فأورد نفس الرواية ، مع تحريف بسيط - فذكر « ونزلوا من هنالك الى مكان قريب من قلعة تسمى العمودين فأصابوا جماعة كثيرة من التتار وغيرهم وقتلوا ما شاء الله منهم وسبوا سباياهم وأخربوا القلعة وأحرقوها » (٧٤) . أما رواية ابن الفرات فيبدو أن الناسخ أخطأ في كلمة التتار حيث أشار اليهم هكذا « وكان فيها بتر

(٧٢) انظر ما سبق ص ٢٨٥ .

(٧٣) الروض الزاهر ٢٧٠ .

(٧٤) عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٦٤ .

(وصحتها تتر) هایل وغيرهم ألفان ومائتا نفر «(٧٦) . ومن الواضح أن أن القلعة المشار إليها هنا ، وهى قلعة العامودين ، هى التابعة للجماعة الالمانية ، فلم يكن للداوية أى قلعة تحمل هذا الاسم فى هذه المنطقة ، كما أنه لم يرد فى أى من المصادر الصليبية و الوثائق حصول الداوية على هذه القلعة من الجماعة الالمانية . وتفسير ذلك أن المؤرخين المسلمين خلطوا بين الجماعتين بسبب تشابه ردائهم ، والذي لم يكن يميزه سوى الصليب الاسود الموضوع عند كنف الفارس الالمانى - وكما هو واضح فى رواية المصادر العربية ، أن العامودين - قلعة الجماعة الالمانية استخدمت كمركز لاقامة التتار ، مما يدل على تعاون مباشر بينها وبين الارمن والتتار فى هذه المنطقة فى شمال بلاد الشام ، والذي سيعود بأوخم العواقب عليها كما سنرى .

نعود مرة أخرى الى تلك الحملة التى خرجت فى ذى القعدة ٦٦٤هـ / سبتمبر ١٢٦٦م . وكان المنصور الثانى صاحب حماه على رأس الجيش المملوكى ، ويساعده عز الدين أوغان المعروف بسم الموت ، وسيف الدين قلاوون الألفى - السلطان فيما بعد . وتعرض الارمن للهزيمة فى أول لقاء بين الجانبين حيث أسر ليفون ابن هيثوم ، وأسر ثوروس الابن الثانى ، بالإضافة الى عدد آخر من القادة الارمن . وواصلت الجيوش المملوكية تقدمها داخل المملكة الارمينية حيث وصلت الى سيس (٧٧) .

(٧٥) تاريخ الدول والملوك ، مجلد ٦ ، ج ١١ ، لوحة ١١٠ .
(٧٦) أشار ابن شداد الى وجود قلعة أخرى تحمل اسم العمودين ولكنها تقع فى برقة غرب مصر وبنائها بيبرس هناك . عن ذلك انظر : ابن شداد : سيرة الملك الظاهر ، ج ٢ ، مخطوط بمركز تحقيق التراث بباريس - ٢٥٣ .

(٧٧) ذكرت غالبية المصادر العربية هذه الحملة بالتفصيل ، وأشارت الى أنها عبرت شمال الشام الى أرمينية عبر أحد الممرات المسمى بالدربند أو دربند الروم . ووقعت أولى المعارك بين الجانبين بعد نهاية هذا الممر . أما المصادر الارمينية فقد أشارت الى أن هيثوم قسم جيشه الى ثلاثة أقسام : أحدها بقيادته حيث ذهب الى بلاط المغول ، والثانى بقيادة ولديه وأخيه سمباد . أما المؤرخ المقرئى فقد انفرد بذكر رواية صحيحة عن هذه المعركة ، حيث قال أن هيثوم كان لايزال ملكا أثناء هذه المعركة ، ثم

ولم يكن هيثوم موجودا آنذاك ، فقد ذهب الى قراقورم حاضرة المغول لطلب المساعدة منهم . وعاد بالفعل ومعه نجدة مغولية . ولكنه عندما عاد ووجد ذلك الخراب والدمار لحق بمملكته ، أدرك بثاقب نظره عدم جدوى بقاء المغول في مملكته حيث ربما يسببون له متاعب أكثر مما سيجنيه من الفائدة في وجودهم ، فطلب منهم العودة وأرسل الى بيبرس يفاوضه لاطلاق سراح ابنه . ولم تؤد هذه الحملة الى فقدان المملكة الارمينية الصغرى للمناطق التى تحمى مداخلها فى الجنوب والشرق والتى كانت همزة الوصل مع انطاكية فقط ، بل أنها أضعفت هذه الامارة الصليبية وجعلت منها هدفا لضربة بيبرس التالية (٧٨) . أما فيما يتعلق بالجماعة الالمانية ، فقد تركت هذه الحملة تأثيرها المباشر عليها . اذ تعرضت قلعتها فى العامودين والمناطق الأخرى المحيطة بها للهجوم ،

ترهب فيما بعد تاركا الحكم لابنه ليفون . أما غالبية المصادر العربية فقد ذكرت أن هيثوم كان مترهبا ، وهو خطأ بدون شك . أما المؤرخ بيبرس الداودارى فقد انفرد أيضا بالإشارة الى أن هيثوم ترك قيادة الجيش لوالدته - والتى ربما تكون خطأ من الناسخ فى كلمة « ولديه » بدلا من والدته . كذلك انفرد شافع بن على بروايته حول وجود مفاوضات مسبقة بين المنصور صاحب حماة وهيثوم لكى يدخل الامير فى طاعته ، ولكنه رفض ذلك وقبض على الرسل الذين أرسلهم المنصور . للمزيد عن ذلك انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٢٦٩ - ٢٧١ ، شافع بن على : حسن المناقب ، ١١٥ ، بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة ، ج ٩ - نسخة خطية بمكتبة البودليان بأكسفورد - ورقة ٩٥ - ٩٧ ، النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٨ ، ورقة ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٦٤ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ٢٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ، ص ٥٠ - ٥٤ . وكذلك سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

Sempad, DOP, 162-165; Vahram's Chronicle or The Armenian Kingdom in cilicia during the time of the Crusades (trans, by F. Neumann, London 1831) 60-2.

Prawer, Histoire, ii, 382.

وقتل من رجالها أعداد كثيرة بالإضافة الى الاسرى . كذلك فانه من خلال تتبعنا لخط سير الحملة ، يتضح أن قلعة الجماعة في كمبدفورت - الواقعة جنوب اذنة - تعرضت للهجوم أيضا . أما هرونية فيبدو أن الحملة لم تصل اليها لبعدها قليلا عن خط سيرها (٧٩) .

استأنف بيبرس هجماته ضد الصليبيين في جنوب بلاد الشام مرة أخرى . ونجح بالفعل في استرداد هونين وتنين في ١٥ أغسطس ١٢٦٦م / ١١ ذى القعدة ٦٦٤هـ . وبرك ذلك أثره على الجماعة الألمانية في هذه المنطقة الهامة من شمال لجليل ، فقد أصبحت مونتفرت أو القرين هي هدفه التالي ، خاصة وانها أصبحت القلعة الوحيدة المحصنة تقريبا في الداخل في هذه المنطقة لاستراتيجية والنزاع كانه تمثل حدا لحدود الصليبيين الشرقية .

كان لابد من حدود - فعل من جانب الصليبيين لهذه الهجمات المتلاحقة ضدهم ولا يصح - التي كان يحققها السلطان المملوكى الواحد تلو الآخر . وبالفعل هو - هيو 'أوف بطاكية - لوريان تجميع عدد من القوات الصليبية لمهاجمة الممالك - ثم اختيار طبرية لكي تكون هدفا صريحا . وقد نزل ذلك على عهده صليبيين فلم تكن فيما يبدو الا للسلب والنهب ، وذلك لأنه كان هناك أهداف أكثر استراتيجية مثل صفد وغيرها ، ولكن ربما كان نصب اصغر حجم هذه القوات الصليبية أثره في اختيار هذا الهدف السهل للهجوم ، والذي - في حالة تحقيق النصر - يمكن أن يكون دافعا لهم لاستغلاله في الغرب الاوروبى لاثارة حمية الشريين التي تبطت مسدودة فترة طويلة ، المهم أن هذه القوات

(٧٩) جانب رالى سميث الصواب عندما ذكر أن بيبرس استرد العامودين في هذه الحملة . وكما يتضح من المصادر العربية أنه استردها لفترة محدودة خلال الحملة ، ثم انسحبت القوات المملوكية عائدة بعد أن نجحت في توجيه ضربتها للارمن . أما المدن التي جرى التفاوض حولها ، فقد كانت واقعة في شمال بلاد الشام ، ثل بهسنا ودريساك . انظر :

Riley-Smith, «The Templars and the Teutonic Knights, 115.

وكذلك : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

الصليبية بلغت حوالى الف ومائة فارس بخلاف المشاة (٨٠) . وكانت الجماعة الالمانية والاستبارية فى مقدمة الفرسان الذين خرجوا لمهاجمة طبرية . غير أن عسكر صفد علموا بهذا الهجوم ، فأسرعوا من هناك متجهين نحو عكا ، وذلك فى ٢٨ أكتوبر ١٢٦٦م / ٢٧ محرم ٦٦٥هـ حيث كمنوا لهم عند الرويس Caroublier بالقرب من تل الخروبة المشرف على عكا ، ونجحوا بالفعل فى فصل المقدمة عن بقية الجيش الصليبي ، حيث أجهزوا عليها وتساقطوا ما بين قتيل وجريح . ولا شك أن الجماعة الالمانية عانت أشد المعاناة أثناء الحملة حيث كان فرسانها ضمن هذه المقدمة ، واعترفت المصادر الصليبية نفسها بذلك ، حيث ذكرت أن عدد القتلى بلغ حوالى خمسمائة فارس ، غير أن وثائق الجماعة لم توضح لنا خسائرها أو من كان يتولى قيادتها خلال هذه الغارة . على أى حال ، لم تنجح الغارة فى تحقيق هدفها ، بل زادت من تدهور الصليبيين وانقسامهم . ولم تبق غير يافا التى سرعان ما واجهت نفس مصير بقية الامارات والقلاع الصليبية التى نجح بيبرس فى استردادها ، وذلك فى ٧ مارس ١٢٦٧م / ٩ جمادى آخرة ٦٦٥هـ (٨١) .

استمر بيبرس فى سياسته التى كانت تهدف الى الاستفادة الى أقصى حد من الفرص التى تتاح له لتوجيه ضرباته المتوالية الى الصليبيين ، واتخذ من صفد مركزا لعملياته فى منطقة الجليل وعكا بصفة خاصة ، وعمل أثناء وجوده بها فى ٢٤ رجب ٦٦٥هـ / ٢١ أبريل ١٢٧٦م ، على تحصينها وتقوية دفاعاتها ، وشارك بنفسه فى هذه الاعمال ، وأثناء ذلك وفد اليه

(٨٠) ورد فى الترجمة الانجليزية لابن الفرات ، ج ٢ ، أن عدد القوات كان « أحد عشر ألفا » على الرغم من أن النص العربى أشار الى « ألف ومائة » . ولم تحدد المصادر العربية يوم المعركة واكتفت بالإشارة الى أنها وقعت فى المحرم ٦٦٥هـ / ٢ - ٣١ أكتوبر ١٢٦٦م . وأشارت الى أنها وقعت عند وادى عثلين ، أما وقوعها عند الرويس فقد حددته المصادر الصليبية . وعن موقعها انظر خريطة رقم (١) . وكذلك : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٢٦٨ ، شافع بن على : حسن المناقب ، ١١٤ ، راجع أيضا : Eracles, ii, 455, «Annales de Terre Sainte», 452-53.

Prawer, Histoire, ii, 476 ff.

رسل الفرنج بعرضون عليه الصلح . وبعد مفاوضات بين الجانبين وافقوا على مناصرة صيدا وعدم الشقيف ، أى شقيف أرنون أو بوفورت الذى كان تابعا للداوية . وفى نفس الوقت، تعرض شقيف تيرون - الذى كان بيبرس قد استردته منذ فترة - لهجوم من جانب الصليبيين . ولم توضح المصادر العربية التى أشارت الى هذا الهجوم من قام به (٨٢) . ويقترح البعض أن الداوية هم الذين قاموا به غير أننا نرجح أن الجماعة الالمانية هى التى قامت به ، أى على الأقل شاركت فيه بسبب وجود أملاك لها فى هذه المنطقة . كما أنها كانت تابعة لها ولم تكن تابعة للداوية ، بالإضافة إلى أنها كانت تسيطر على هذه المنطقة ، وتعيين قائد خاص لها فى صيدا مما يدل على تعايقها آمالا كبيرة عليها .

نجح بيبرس فى توجيه ضربة قوية أخرى الى الصليبيين وذلك عندما استرد أنطاكية فى ٢٠ مايو ١٢٦٨م/ ٦ رمضان ٦٦٦هـ . ولسنا هنا بصدد الدخول فى تفاصيل ذلك ، وإنما يمهنا فقط تأثير ذلك على الجماعة الالمانية ، فبسقوط أنطاكية تكون الجماعة الالمانية قد فقدت أملاكها وأمتيازاتها المتبقية لها بها . وفى نفس الوقت تقريبا دار صراع بين هيو أوف أنطاكية - لوزنيان وماريا أوف أنطاكية حول وراثة عرش بيت المقدس . ونجح هيو - الذى أصبح هيو الثالث ملك قبرص - فى الحصول على هذا التساج ، حيث أصبح ملكا على قبرص وعكا فى نفس الوقت . وأيدته الجماعة الالمانية فى الحصول على تاج المملكة (٨٣) . ومنذ توليه عمل على أن يتوصل لهدنة مع الظاهر بيبرس ، وأرسل اليه يفاوضه فى ذلك . وكان السلطان قد عاد الى دمشق فى ٢٦ رمضان ٦٦٦هـ/

(٨٢) ابن عبد الظاهر : الروض ، ٢٨١ .

(٨٣) أقرت المحكمة العليا بأحقية هيوأوف أنطاكية فى ذلك النزاع ،

ولكن ماريا أوف أنطاكية ذهبت الى روما حيث رفعت شكواها أمام الادارة المركزية البابوية ، ووضعت نفسها تحت حماية شارل أوف أنجو ملك صقلية . وتم تتويج هيو ملكا على القدس فى ٢٤

سبتمبر ١٢٦٩م/ ٢٣ محرم ٦٦٨هـ .

La Monte, Feudal Monarchy, 74-79; Edbury, «The disputed Regency» 4243; Riley-Smith, The Knights of St. John, 149, Prawer, Histoire, ii, 482-4.

١٠ يونيه ١٢٦٨م (٨٤) . وهناك عدة شروط في هذه المعاهدة يهمننا منها ذلك الشرط الخاص بقلعة القرين أو مونتفرت وكذلك صيدا ، فقد اشترطت المعاهدة أن للقرين عشر قرى والباقي للسلطان . أما بلاد صيدا فالوطاة للفرنج والجبلية للسلطان . وللأسف فإنها لم تذكر لنا أسماء هذه القرى أو تحددتها تحديدا دقيقا . وقد سبق أن أشرنا الى أن الجماعة حصلت على قلعة الملك أو معليا وتوابعها البالغة سبعا وثلاثين قرية أخرى صغيرة . ثم بعد إنشاء مونتفرت أو القرين أصبحت هي مركز هذه الإقطاعية . ولا شك أن الجماعة فقدت ثلثي أملاكها بموجب هذا الشرط في المعاهدة . أما فيما يتعلق بصيدا فكانت أملاك الجماعة الألمانية حول نهر الدامور ، مما يعنى حسب المعاهدة أنها استمرت في قبضتها ، وذلك لأنها اشترطت الجبلية للسلطان والوطاة للصليبيين . أما عكا وتوابعها - التي لم تذكرها المعاهدة - فقد استمرت أملاك الجماعة في هذه المنطقة في يدها . وسوف نتناول فيما بعد هذه التوابع ، وذلك من خلال معاهدة عقدت فيما بعد بين الجانبين الصليبي والملوكي . وهناك ملاحظة أخرى في هذه المعاهدة ، وهي أن أملاك الجماعة الألمانية حول مونتفرت كانت تلي عكا مما يدل على أهميتها . وربما يكون مقدم الجماعة انواف سائجرها وزن قد أسهم بدور ما خلالها (٨٥) .

(٨٤) أشار بزاور خطا الى أن هذه المفاوضات جرت أمام أنطاكية . غير أن هذه المفاوضات التي جرت عندها كانت تتعلق بمفاوضات اطلاق سراح ابن هيثوم وزد المدن الإسلامية وغيرها ، انظر : Prawer, Histoire, ii, 281-82.

(٨٥) أشار فورستريتز الى فقدان الجماعة لأملاكها في صيدا بموجب هذه المعاهدة . ولكن كما هو واضح في هذه المعاهدة لا يوجد أى نص يفيد ذلك . كما كما أنه حددها خطأ بأنها في ٢٧ مايو ١٢٦٨م / ١٢ رمضان ٦٦٦هـ معتمدا على أنها عقدت عند أنطاكية . وسبق أن أشرنا الى ذلك اللبس الخاص بالمفاوضات التي جرت عند أنطاكية ودمشق . أما المقريزي فقد أشار الى مناصفة عكا بين الجانبين ، وهي رواية من الصعب قبولها لأن أيا من المؤرخين المعاصرين وشهود العيان لم يشر اليها . أما العيني فقد أورد نصوص المعاهدة مضطربة قليلا، وربما يكون الناسخ هو الذى أورد الخلط . فلم يذكر اسم القرين على الرغم من أنه أشار أن للفرنج عشر قرى والباقي للسلطان . كما أورد بلاد الكرتك والمقصود

تركت هجمات بيبرس أثرها المباشر على الجماعة الألمانية ، سواء تلك التى كانت بهدف استردادها للاملاك التى كانت تابعة لها ، أو التى قصد منها الضغط عليها ، وذلك بتخريب القرى والحقول وغيرها . ويوضح ذلك تلك الوثيقة التى ورد فيها اتفاق انو المقدم الأعلى للجماعة وهيو رافيل المقدم الأعلى للاستتارية على أن تتنازل الاستتارية للجماعة الألمانية عن قرية المانوث التابعة لها ، والواقعة بالقرب من مونتفرت لمدة موسم زراعى لكى تقوم بحصاد المحصول . ولكنها اشترطت أيضا عدم أحقية الجماعة الألمانية فى المطالبة بها بعد ذلك ، وكما ذكرت الوثيقة أن ذلك بسبب صعوبة امدادها بالموثون لبعدها عن البحر (٨٦) ، ولكن كما أوضحنا فان السبب الرئيسى يعود الى نجاح حملات بيبرس فى تحقيق هدفها والضغط على الصليبيين .

على أى حال ، خرج بيبرس فى العاشر من جمادى الآخرة ٦٦٩هـ / ٢٥ ديسمبر ١٢٧٠م متوجها الى بلاد الشام لكى يستكمل جهاده ضد الصليبيين ، وبينما هو فى شمال بلاد الشام جاءته الانباء بوصول اداورد الاول الامير الانجليزى ومعه بعض الصليبيين ، وذلك فى ٢٧ رمضان ٦٦٩هـ / ٩ مايو ١٢٧١م ، فأدى ذلك الى تغيير السلطان لخطته . وربما كان لذلك أثره فى أن يعقد السلطان هدنة مع بوهمنند السادس أمير

بها الكرمل . أما فيما يتعلق بالتصديق على المعاهدة ، فقد ذكر ابن عبد الظاهر أنه حدث خلاف حولها عندما ذهب الى عكا وعاد الرسل دون أن يحلف هيو الثالث وبقيت الامور ساكنة . ولكنه عاد فذكر بعد ذلك أنه حدثت بعض الامور التى جعلت بيبرس يأمر بفسخها مما يعنى أنها كانت سارية المفعول . وقد أوضح شافع ابن على ذلك حيث ذكر أن الرسل ذهبوا لمقابلة هيو وجرى حوار بينهم أدى الى عدم أداء القسم فى ذلك اليوم . ولكنهم عادوا وأقسموا بعد ذلك « واستقرت الهدنة الى الايام السلطانية الملكية المنصورية القلاوونية للمزيد : ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٣١ - ٣٣٣ ، شافع بن على : حسن المناقب ، ١٣٧ - ١٣٨ ، العينى : عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٨٩ - ٢٩٠ .

Delaville Le Roulx, Cart. no. 3400; cf. also : Forstreuter, Der (٨٦) Deutsche Orden, 48.

طرابلس . وتتل بعد ذلك عائدا الى دمشق (٨٧) . ثم خرج منها في يوم الجمعة الموافق ٢٤ شوال/٥ مايو متوجها لحصار قلعة مونتفرت أو القرين حصن الجماعة الرئيسي في الاراضي المقدسة . وتم اعداد آلات الحصار اللازمة لذلك ، حيث قام بجلب المنجنيقات من صفد . وقد أشرنا من قبل الى أن مونتفرت كانت تقريبا هي الحصن القوي الوحيد في هذه المنطقة التي لم يستردها بيبرس . وسببت خطورة على صفد - مركز عمليات السلطان هناك . وأشار ابن عبد الظاهر الى ذلك ، اذ قال « وكان من أمنع الحصون وأضرها بصفد » (٨٨) . وفي البداية فان المماليك واجهوا مصاعب ضخمة بسبب وعورة الطريق المؤدى اليه من ناحية ، وكذلك وقوعه فوق قمة جبلية مرتفعة من ناحية أخرى . ويتضح مما ورد في المصادر العربية أن الجماعة الالمانية لم تستسلم بسهولة . فقد قاومت مقاومة شديدة ، وذكر ابن أيبك أنه لم يكن به سوى رجال مقاتلة ، « فقاتلوا أشد قتال » (٨٩) . وفيما يبدو أنه لم يهرع أحد من الصليبيين سواء الموجودين في عكا أو في غيرها لنجدته على الرغم من أن قوات ادوارد الانجليزى كانت موجودة آنذاك في عكا . على أي حال ، ظلت القلعة تقاوم الحصار لمدة ثمانية أيام تقريبا (٩٠) . وعندما طال أمد

(٨٧) أشار ابن عبد الظاهر بالفعل الى أنه عندما بلغت بيبرس انباء وصول ادوارد الاول وقواته « ففتر عزم السلطان بعض فتور » . انظر الروض الزاهر ص ٣٨٣ .

(٨٨) ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٨٥ .

(٨٩) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٨ ، ١٦١ .

(٩٠) اختلفت المصادر الاجنبية والاسلامية في تاريخ بدء الحصار ومدته وتاريخ سقوط القلعة . فقد أشار ابن عبد الظاهر الى أن الربض سقط في أول ذي القعدة/١١ يونيه ، والباشورة في الثانى من نفس الشهر/١٢ يونيه دون أن يحدد متى بدأ الحصار . وكان قد ذكر أن السلطان خرج من دمشق في ٢٤ شوال/٥ مايو حيث اتجه الى صفد ومنها الى القرين . أما ابن أيبك فقال أنه خرج من دمشق بعد صلاة الجمعة في ٢٨ شوال/٩ مايو . غير أن الجمعة كان يوافق ٢٤ شوال وليس ٢٨ . وتوجه رواية ابن عبد الظاهر الذى كان شاهدا ومعاصرا لاحداث هذه الفترة من الزمن . أما مدة الحصار فتتراوح ما بين سبعة وثمانية أيام حتى سقوط

الحصار ، ورأى بيبرس حصانتها وصعوبة اقتحامها ، لجأ الى طريقة أخرى لاشعال حماس المهاجمين . فوعد بالف درهم (٩١) لكل حجر يتم زحزحته من مكانه . ولم تكن هذه المكافأة مقابل عمل سهل ، بل عمل شاق لأن هذه الاحجار لم تكن مدعمة بالاسمنت فقط ، بل كانت تحيط بها مثبتات حديدية مغموسة في القصدير (٩٢) . وبعد محاولات مستميتة تمكن المسلمون من استرداد الربض ، والذي ربما كان يستخدم كمكان مراقبة امامية أسفل الوادي ، وذلك في أول ذى القعدة / ١١ يونيو . وفي اليوم التالي ملكوا الحائط الخارجى الذى يختفى وراء السور أو الحصن الخارجى الذى بنى بعتابة برج مراقبة . ولم يتبق سوى القلعة نفسها والتي كانت أيضا شديدة الحصانة (٩٣) . فأخذت القوات تحفر خندقا أسفل القلعة فى هذه المنطقة الصخرية الشديدة الصلابة ، وذلك لمحاولة الوصول الى القلعة . وظهر واضحا تصميم بيبرس على استرداد الحصن .

الربض والباشورة . ثم تلا ذلك مفاوضات الاستسلام أثناء حصار القلعة نفسها . أما حوليات الاراضى المقدسة فقد أشارت الى أن سقوطها كان فى ١٥ يونيو / ٥ ذى القعدة - أى بعد سبعة أيام من بدء الحصار الذى بدأ فى ٨ يونيو / ٢٧ شوال . أما مآثر القبارصة فذكر أن سقوطها كان فى ١٢ يونيو / ٢ ذى القعدة . وانفرد ابن أيبك بقوله أن الحصار استمر ١٥ يوما . وربما يقصد منذ بدء الحصار ومفاوضات الاستسلام ، ثم هدم بيبرس له بعد ذلك . ونرجح سقوط القلعة ما بين ١٢ و ١٥ يونيو / ٢ - ٥ ذى القعدة بناء على ما ذكرته المصادر المصادرة العربية والصليبية . عن ذلك انظر : ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٨٤ - ٣٨٦ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٨ ، ١٦١ - ١٦٢ ،

Ibnal-Furat Vol. ii, 241.

(٩١) استخدم لفظ درهم ليعبر عن النقود الفضية وأحيانا أخرى للدلالة على النقود النحاسية وزنا أو عددا . وليس من المحتم أن يلتزم لفظ درهم وزنا محددًا شرعيا للنقد الفضة أو النحاس ولكنه استعمل ليشير الى وحدة نقدية مختلفة القيمة كما كان الحال فى النقود الاسمية التى أطلق عليها « درهم معاملة » . انظر : عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ، ص ٩٢ .

(٩٢) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٨ ، ١٦٢ .

(٩٣) Mastermann, «A visit to the Ruined Castles» 73-4. (٩٣)

فأدرك المحاصرون ذلك . وقرروا الدخول في مفاوضات من أجل فك الحصار وخروجهم سالمين . وبالفعل تم التوصل الى اتفاق نص على خروج أفراد الجماعة الالمانية سالمين بدون أسلحتهم وأموالهم وتوجههم الى أى مكان يرغبون فيه . وتم انزالهم حيث أركبهم الجمال وأوصلهم الى عكا . ثم توجه بنفسه الى هناك دون أن يجسروا أى من الصليبيين الموجودين بها على الخروج لمواجهة . ثم عاد الى مركز عملياته في القرين ، حيث أمر بهدم جانب كبير منه ، حتى لا يستخدم بعد ذلك كمركز لمهاجمته . وبعد أن استكمل هدم جانب كبير منه ، اتجه عائدا الى مصر في ٢٤ ذى القعدة/٤ يولييه (٩٤) .

لا شك أن سقوط القرين كان خسارة كبيرة بالنسبة للجماعة الالمانية ، فقد فقدت مركزا هاما بالنسبة لها في هذه المنطقة التى يحيط بها عدد ضخم من القرى والاراضى الزراعية . بالإضافة الى كونه مركزا لأرشيقاتها وكنوزها فى الاراضى المقدسة ، ولكن ، للأسف ، فإن المصادر الصليبية أو العربية لم تعط لنا تفاصيل واضحة عن دخول الحصن ، ومن الواضح من سرد الاحداث أنه لم يسمح لهم بالخروج سوى بامتعتهم فقط ، ولا يعنى ذلك أن الجماعة فقدت أرشيقاتها ، فمن المرجح أنها أدركت منذ زمن بعيد الاخطار التى كانت تتهدد الصليبيين بصفة عامة ، فقامت بنقل جزء من أرشيقاتها الى عكا - حيث كانت لاتزال تحتفظ بمركزها الرئيسى - وبجزء آخر الى أوروبا (٩٥) . وهذا ما حدث بالفعل فقد ظلت تمارس نشاطها فى عكا حتى استرداد الاشرف خليل لها فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

وفى نفس الفترة التى سقطت فيها مونتفرت فى قبضة السلطان المملوكى ، توجد وثيقة هامة ، فقد عقد اتفاق بين الجماعة الالمانية وقسطنطين سيد سار فنتيكار فى أرمينية الصغرى (٩٦) ، ويعود هذا

(٩٤) ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ابن أيبك : كنز

الدرر ، ج ٨ ، ١٦٢ .

(٩٥) عن أرشيقات الجماعة ووثائقها انظر الجزء الخاص بتحليل

المصادر والمراجع فى مستهل الكتاب .

(٩٦) أشير اليها فى المصادر العربية باسم صرفند كار ، وتقع على نهر

جهان جنوب هرونية ، انظر أيضا خريطة رقم (٢) .

الاتفاق الى ١٥ يونيه ١٢٧١م/٥ ذى القعدة ٦٦٩هـ حيث مثل الجماعة - يوحنا المقدم الأعلى لها . ولا شك ن انواوف سانجرهاوزن هو المقصود في هذه الوثيقة ، فقد كان لا يزال على قيد الحياة حتى تاريخ هذه الوثيقة . وقد حل هذا الاتفاق الصراع الذى كان دائرا بين الجماعة وسيد سرفنتيكار بشأن تحصيل الضرائب في هذه المنطقة . وقد اتفقا على انشاء الجماعة لمنطقة تقوم فيها بتحصيل ضرائبها . والتساؤل الهام هنا حول تاريخ هذه الوثيقة ، ، وعما اذا كان ثمة علاقة بينها وبين سقوط مونتفرت أو القرين . وبمقارنة تاريخ الوثيقة وسقوط مونتفرت ، يتضح لنا أنهما حدثا في وقت واحد تقريبا . فهل ترك المقدم الأعلى قلعه محاصرة واتجه الى أرمينية لعقد هذا الاتفاق ؟ والاجابة على هذا السؤال بالنفى طبعاً . فمن المنطقي أنه سوف يأخذ فترة حتى يصل الى أرمينية . وربما يكون قد غادر عكا الى هناك قبل أن يبدأ ببيرس حصاره لمونتفرت . ويؤيد ذلك وجود وثيقة مؤرخة في ٢ يونيه ١٢٧١م/٢٠ شوال ٦٦٩هـ ، لم يرد فيها الاشارة الى أى من الاخوة الالمان (٩٧) . ويتبقى تساؤل آخر هنا يفرض نفسه وهو : هل اتجه انو الى أرمينية لعقد الاتفاق السابق أم أن هناك دوافع أخرى لذلك ؟ نعود لوراء قليلا لمعرفة ما كان يجرى في عكا ، لعل ذلك يفسر بعض هذه الدوافع . فقد وصل ادوارد الامير الانجليزى الى عكا في ٩ مايو ١٢٧١م/٢٧ رمضان ٦٦٩هـ على رأس بعض القوات الصليبية (٩٨) . وحاول تجميع قوى الصليبيين بهدف مواجهة

(٩٧) Perlbach, «Die Reste» no 46; Röhricht, Regesta, no 1379.

أما الشهود الذين وقعوا على هذه المعاهدة فهم سمباد - أخو هيثوم - بالإضافة الى عدد من الامراء الارمن مثل جوسدا نتر Gosdantz ، وجولينر Guilner ، ورينالد Renald

(٩٨) حدث رد فعل في الغرب الاوروبى لسقوط أنطاكية في عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ تمثل في استجابة عدد من الامراء الانجليز لحمل الصليب والاتجاه الى الاراضى المقدسة ، وفى نفس الوقت كان لويس التاسع يحاول تعويض هزيمته في المشرق بالاتجاه الى تونس لمهاجمتها ومحاولة الاستيلاء عليها . وتم الاتفاق على الخروج معا الى تونس . وأبحرت الحملة في ٥ اغسطس ١٢٧٠م/١٥ ذى الحجة ٦٦٨هـ من ميناء أجمورت

السلطان الملوكي ، ولم يكتف بذلك ، بل حاول أيضا عقد تحالف مغولي أرميني صليبي ضد المماليك . وقبل وصول ادوارد جرت مفاوضات بهذا الشأن أيضا مع حاكم المغول آنذاك . ولذلك فأننا نرجح أن يكون انواوف سانجرهاوزن مقدم الجماعة قد ذهب الى أرمينية الصغرى للاسهام في الاتفاق على القيام بغارة مشتركة ضد المماليك . وعلى الرغم من أنه لا يوجد لدينا ما يدعم هذا الرأي في المصادر الصليبية أو العربية ، إلا أن سياسته السابقة والمعروفة فيها يتعلق بتأييد ذلك التحالف ، بالإضافة الى ما سبق أن توصلنا اليه من نتيجة خاصة باستخدام قلاع الجماعة في أرمينية كمركز لاقامة التتار - كل ذلك يؤيد اسهام انو بدور هام في هذا الاتفاق . وقد أشار ابن عبد الظاهر الى وجود نوع من الاتفاق بالفعل بين الصليبيين والمغول في هذه الفترة ، حيث قال « وكأن اغارة الفرنج باتفاق من التتار » (٩٩) .

على أي حال ، أراد ادوارد أن يثبت أنه لازال بإمكانية الصليبيين عمل شيء لاييقاف هجمات بيبرس الضاربة عليهم . فقام باغارة على الشاغور Seisor والبعنة St. George de Lebeyne . وكان عدد الفرسان في هذه الغارة ما يقرب من ألف وخمسمائة ، بالإضافة الى عدد كبير من المشاة . وشاركت الجماعات الرهبانية العسكرية في هذه الحملة بالإضافة الى بقية الصليبيين . وقاموا في طريقهم بأعمال السلب والنهب وقتل

الفرنسي . ولكن لويس أبحر متجها الى تونس ولم ينتظر وصول ادوارد حيث وصلها في ١٠ نوفمبر/ ٢٤ ربيع الاول . وعلم ادوارد بذلك الاتفاق الذي أنهى هذه الحملة الصليبية ، ولم يوافق عليه حيث اتجه الى جزيرة قبرص ليقضى فصل الشتاء بها . ثم اتجه بعد ذلك الى عكا حيث تركه عدد كبير من أمرائه عائدين الى انجلترا . كما واجهته صعوبات أخرى تمثلت في استمرار التجار الايطاليين في المتاجرة مع مصر على الرغم من وجود مراسيم بابوية تحرم ذلك عليهم ، إلا أنهم أظهروا براءات تتيح لهم ذلك . للمزيد عن ذلك انظر :

Röhrich, «La croisade du prince Edouard D'Angleterre»,
A.O.L. ii, 618-20.

العديد من الفلاحين المسلمين في هذه المنطقة . وفي أثناء عودتهم عانوا من الحر الشديد والعطش ، فأكلوا الفواكه والعسل ومات عدد كبير منهم أثناء عودتهم (١٠٠) . وتبدو أهمية هذه الغارة في أن الجماعة الالمانية شاركت فيها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الاغارة على قرية البعنة تعنى أن الجماعة الالمانية فقدت أملاكها في هذه المنطقة الهامة المحيطة بـ

وفيما يبدو أن ما حققه الصليبيون من نجاح في هذه الغارة السابقة ،
وانشغال ببيروين بمحاربة التتار في الشمال حيث كان صمغار قائد القوات
المغولية في آسيا والبرواناه معين الدين سليمان الوصي على السلطان
السلجوقي غياث الدين يغيغان على حران ، كانا السبب في دفع الصليبيين
للقيام بالاعارة على الممالك مرة ثانية . وبالفعل تم اختيار قاقون (١٠١)
هدفا لهذه الغارة . وشاركت الجماعة الالمانية مع بقية الصليبيين فيها ،
وقد كانت باتفاق مع التتار كما أشرنا . وفي ٢٣ نوفمبر ١٢٧١م / ١٨ ربيع
آخر ٦٧٠هـ قاموا بمحاصرتها - واستطاعت القلعة الصمود أمام هجوم
الصليبيين ، وقتل الامير حسام الدين أستاذ دار ، وفريجكا العلائي والى
فاقون . وعندما بلغ الامير اقوش الشمسى نبأ هذه الغارة ، خرج مسرعا

(١٠٠) ذكرت المصادر العربية أن هذه الغارة تمت في عيد الاضحى ،
أى ١٠ ذى الحجة ٦٦٩هـ / ٢١ يوليو ١٢٧١م . واختلفت المصادر
الصليبية في تاريخها . فقد ذكرها مآثر القبارصة في بداية يوليو /
أواسط ذى القعدة ، أما تاريخ هرقل فحدده في ١٢ يوليو / أوائل
ذى الحجة . وأشارت اليه حوليات الاراضى المقدسة في ٢٠ يوليو /
٩ ذى الحجة ، وهو ما يتفق تقريبا مع المصادر العربية . كما
ذكرت مآثر القبارصة موت الكثير منهم بسبب الحر ، كما توفي
البعض الآخر بسبب تسمم الطعام . ولكن هناك خلط في حوليات
الاراضى المقدسة بين هذه الغارة والغارة الأخرى التى كانت ضد
قاقون . عن ذلك انظر :

Ibn al Furat, ii, 242.

(١٠١) قام بيبرس بتعمير قاقون ، حيث بنى قلعة لى تكون مركزا بدلا من قيسارية وارسوف اللتين خربهما . ونمت المدينة بسرعة لوقوعها على الطريق التجارى . انظر : ابن عبد الظاهر ، ٢٧٥

ومعه عسكر عين جالوت لانتقاذا . وتمكن من مهاجمة الصليبيين حيث نفق
من خيولهم خمسمائة رأس (١٠٢) . وقد انفرد ابن أيبك بقوله أن
الصليبيين خرجوا من عثليت - المقر الرئيسي للداوية (١٠٣) . والتي ربما
توجهوا منها لمهاجمة قاقون . كذلك أشار الى اغارة أخرى تمت من ناحية
« الفرعى » (١٠٤) وذكرها اليونيني بأنها القرين (١٠٥) . ولحق بالفرنج
الامير أقروش الشمسى ، حيث أسر منهم عشرين فارسا . وان صحت هذه
الرواية فانها ربما تكون محاولة من جانب الجماعة الالمانية للانتقام من
سقوط قلعتها .

أدرك بيبرس أنه لابد من التحرك لمواجهة هذه الغارات الصليبية ،
فخرج في شعبان ٦٧٠هـ / مارس ١٢٧٢م متوجها الى الشام حيث أمر بشن الغارات
على الصليبيين . وأدركوا أنه ليس باستطاعتهم الوقوف أمامه ، فسارعوا
الى لقائه وطلب عقد الهدنة معه . وبالفعل تمت الموافقة على هدنة بين
الجانبيين كان من بين شروطها مناصرة اسكندرونة أو سكاندليون (١٠٦) .
وتبدو أهمية هذا البند في أن الجماعة الالمانية بدأت تنظر بعين الاهتمام
الى هذه المنطقة . فعلى الرغم من أنها كانت مرهونة لها منذ عام
١٢٦٣م / ٦٦١هـ ، إلا أن الظروف في عام ١٢٧٢م / ٦٧٠هـ كانت تختلف عن
الفترة السابقة . فلم تعد أجنيس سيدة اسكندرونة قادرة على دفع ديونها .

(١٠٢) ذكرت المصادر الصليبية أن هذا الهجوم حدث في أواخر نوفمبر/
أواخر ربيع ثانى . فحدده مآثر القبارصة في ٢٤ نوفمبر / ١٩
ربيع آخر ، أما حوليات الاراضى المقدسة فقد ذكرته في ٢٩
نوفمبر / ٢٤ ربيع آخر . والتاريخ الذى أوردته مآثر القبارصة
أقرب الى الصحة بسبب اتفاقه مع المصادر العربية . كما انفردت
بالإشارة الى انسحاب الصليبيين نتيجة خوفهم من الجيش
المملوكى . انظر :

Ibn al Furat, ii, 243.

- (١٠٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٨ ، ١٦٥ - ١٦٦ .
- (١٠٤) وردت هكذا في المخطوط ، وأشار اليها أيضا ناشر ابن أيبك
دون أن يحققها .
- (١٠٥) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ٤٦٨ .
- (١٠٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٣٩٨ .

فبدأت الجماعة الالمانية تنظر الى ممتلكاتها . وأرادت بذلك أن تعوض ما فقدته من أملاك في هذه المنطقة . وقد أدى ذلك الى متاعب اقتصادية منيت بها الجماعة الالمانية بسبب فقدانها إيراداتها . كذلك فإن اسكندرونة لم تكن تبعد كثيرا عن مونتفرت - والتي كانت الجماعة الالمانية تأمل في استردادها يوما ما - وكانت أيضا تحاول ايجاد تركز اقتصادى جديد. وبناء أساس اقليمى آخر في شمال عكا (١٠٧) .

وفي ١٦ فبراير ١٢٧٢م/١٥ رجب ٦٧٠هـ توجد أول وثيقة متعلقة بمحاولة الجماعة الالمانية الحصول على اسكندرونة . فقد عقدت اجنيس وزوجها وليم الثانى اوف اميجا لديه سادة الاقطاعية مع الجماعة الالمانية اتفاقا بشأن مبلغ قيمته ستة آلاف بيزنط . ومثل الجماعة كوتراذ اوف انفيليه Conrad of Anevelt قائد عام الجماعة في الاراضى المقدسة (١٠٨) . ثم تلا ذلك في ٢ أغسطس ١٢٧٢م/٥ محرم ٦٧١هـ عقد اتفاق آخر بشأن قرض قيمته ألفا بيزنط وعبدت اجنيس برده خلال عام . وفي حالة عدم الوفاء بسداد هذا القرض تفرض عقوبة مالية اضافية، وكذلك رهننت كل أملاكها كضمان لسداد هذا القرض ، وحددت الجماعة الالمانية قلعة اكرت Acref. (١٠٩). بالذات كضمان ، وأكدت اجنيس خلوص هذه القلعة وأنها لا تقدم عنها أى التزامات أو خدمات ، واشترطت أيضا أنه من حق الجماعة الحصول عليها دون الحاجة لحق قضائى . وكان موقع هذه القلعة هاما جدا بالنسبة لها بسبب وقوعها على الطريق المؤدى الى أملاكها الشمالية الشرقية المتبقية في قبضتها ، وكانت تأمل أيضا في توسيع دائرة أملاكها حولها وجعلها مركزا مثلما كان الوضع في مونتفرت . وقد لجأت الجماعة الى أسلوب اغراق سيدة الاقطاعية في الديون لكي تحصل عليها فيما بعد . وكانت الجماعة تدرك صعوبة وجود موارد جديدة تستطيع

M. Favreau, «Die Kreuzfahrer herrschaft Scandalion (Iskan- (١٠٧) derune)» ZDPV, 93, (1977), 18-19.

قامت اجنيس باقتراض هذا المبلغ من شخص يهودى يدعى الياس ، وقامت الجماعة الالمانية بضمانها .

Perlbach, «Die Reste» no. 47. (١٠٨)

(١٠٩) عن موقع هذه القلعة انظر خريطة رقم (٤) .

أجنيس سداد ديونها منها . وهو ما حدث بالفعل كما سنرى .

وفي أثناء ذلك توفي المقدم الأعلى انواوف سانجرهاوزن في ٦ يـ .
١٢٧٣م/ ١٣ ذى الحجة ٦٧١هـ وانتخب هارتمان اوف هلدرينج Hartmann
of Heldrunen خلفا له (١١٠) . وكان مقيما في الاراضى المتسعة
مذ فترة حيث شغل منصب القائد العام لبعض الوقت . وقد ترك ذلك
أثره على شخصيته ، وزوده بخبرة واضحة لإدارة الجماعة في هذه الفترة
الحرجة التى كانت تمر بها المملكة الصليبية وبقية الامارات . وخلال
فترة حكمه للجماعة نلاحظ أن القائد العام لعب دورا هاما . ويرجع ذلك
الى هارتمان كان في السبعينات من عمره ، ولاشك أن ذلك أثر عليه وعلى
نشاطه (١١١) . وقد تميزت سياسته باستمراره في حصول الجماعة على
أملك جديدة ، لكى تكون نقطة انطلاق بالنسبة لها ، وتعويضا عما فقدته
من أملاك .

وعلى الرغم من أن الجماعة الالمانية فقدت العديد من أملاكها في
الاراضى المقدسة مما كان دافعا الى أن يذهب بعض المؤرخين الحديثين
الى القول انها نقلت نشاطها الى أوربا ، الا أن هناك بعض الوثائق التى
عثر عليها حديثا والتى تثبت أن الجماعة الالمانية استمرت في نشاطها
في عكا . وتاريخ هذه الوثائق في ٤ أغسطس ١٢٧٣م/ ١٨ محرم ٦٧١هـ ،
وأول سبتمبر من نفس العام/ ١٤ صفر ٦٧١هـ ، وفي أكتوبر ١٢٧٤م/ ١١

(١١٠) عاصر هارتمان عددا من مقدمى الجماعة العظام ، ومن بينهم
كونراد من ثورنجيا . كما شارك انو في العديد من أعماله ،
حيث شغل منصب القائد العام للجماعة في الفترة من ١٢٦١ الى
١٢٦٤م/ ٦٥٩ الى ٦٦٢هـ . عن ذلك انظر :

Tumler, Der Deutsche Orden, 49, Rey, Les Familles, 905.

(١١١) من بين هؤلاء القادة الذين ظهروا في الوثائق جان دى ساكسو
Johannes de Westfalia Johannes de Saxo عن ذلك انظر :
Perlbach, «Die Reste» nos. 49; 51, Prawer, Histoire, ii, 491.

وقد ذكر براور أن الجماعة وجدت لنفسها مكانا جديدا في مازوفى
البولندية وبروسيا الوثنية منذ فترة طويلة . غير أن الجماعة
الالمانية كانت جماعة دولية وليس لذلك أى ارتباط بالأموال في
الشرق اللاتينى زمن الحروب الصليبية .

ربيع آخر ٦٧٢هـ (١١٢) . وتتعلق هذه الوثائق الثلاث بأملاك في عكا حصلت عليها الجماعة الالمانية ، مما يدل على استمرار نشاطها هناك . وكذلك أثبتت قدرتها على التطور بسرعة عقب تلك الضربة القاضية التي وجهها اليها بيبرس باسترداد مونتفرت منها . بالإضافة الى أنها توضح طموح الجماعة لزيادة أملاكها في المدينة ، وإقامة حي خاص في تلك الفترة المتأخرة (١١٣) . وفي نفس الوقت فإن الجماعة الالمانية حاولت إنهاء نزاعها مع الكنيسة اللاتينية في عكا . ففي ٢٢ يونيو ١٢٧٣م / ٤ ذي الحجة ٦٧١هـ ، سيطر بطريرك القدس بين الجماعة وأسقف حبرون بشأن الخلاف حول أحد المنازل في عكا (١١٤) . كما تم اتفاق آخر حول منزل آخر في نفس الفترة السابقة (١١٥) . ويوضح ذلك أيضا استمرار الجماعة في نشاطها ، ومحاولة حل الخلافات الموجودة حول هذه الأملاك حتى لا تتعقد الأمور . وفي نفس الوقت حاولت التوسط لإنهاء الخلافات الداخلية في المملكة الصليبية الاسمية . فقد اختلف النبلاء مع هيو الثالث صاحب قبرص والملك الاسمي لبيت المقدس ، وابتحر القائد العام للجماعة الالمانية الى قبرص لمحاولة إنهاء هذا الخلاف . ولكنه عاد مع بقية الصليبيين دون أن يحققوا شيئا . وظلت الخلافات قائمة بين الجانبين (١١٦) . وثارت هذه الخلافات مرة أخرى في ١٢٧٦م / ٦٧٥هـ ، حيث ابتحر هيو الثالث الى عكا على ظهر سفينة تابعة للجماعة الالمانية (١١٧) . وليس من المعروف على وجه الدقة اذا ما كانت الجماعة

Favreau, «The Teutonic Knights in Acre after the Fall of (١١٢)
Montfort (1271) : Some Reflections Outremer. 1982 272 ff.

Favreau, op. cit., 281-82. (١١٣)

Perlbaeh, «Die Reste», no. 48. (١١٤)

Perlbaeh, «Die Reste», no. 49. (١١٥)

Prawer, Histoire, -ii, 514-15. (١١٦)

Sterns, «The Teutonic Knights», 375. (١١٧)

أدت تصرفات وليم دي بوجيه المقدم الأعلى لجماعة الداوية الى ازدياد العلاقة سوء بينه وبين هيو الثالث . فقد كان متعجرفا وطموحا . وانفجر الموقف عند قيام الداوية بشراء إحدى القلاع دون الحصول على موافقة هيو والتي كانت ضرورية لذلك .

تمتلك أسطولاً خاصاً بها ، أم أنها كانت تستأجر هذه السفينة . ولكن ذلك يزودنا بصورة عن نشاطها في الاراضي المقدسة في هذه الفترة الحرجة ، ومحاولتها إنهاء هذه الخلافات الداخلية ، والتي كانت تترك أثرها السيء على الصليبيين بصفة عامة . وكادت الامور تتطور الى حرب أهلية شاملة لولا تدخل البعض - ومن بينهم الجماعة الالمانية - حيث تم التوصل الى اتفاق يوليو ١٢٧٧م/ صفر ٦٧٦هـ أنهى هذه الخلافات (١١٨) .

وبينما كان الصليبيون غارقين في خلافاتهم الداخلية ، توفي السلطان بيبرس وذلك في ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م . ثم تولى أبناء السعيد بركة والعاذل سلامش الحكم على التوالي حتى نجح المنصور قلاوون في اغتصاب السلطة في شعبان ٦٧٨هـ/ ديسمبر ١٢٧٩م . وفي أوائل حكمه واجهته ثورة داخلية قام بها الامير سنقر الاشقر الذي لقب نفسه بالملك الكامل في ٢٤ ذي الحجة ٦٧٨هـ/ ٢٧ ابريل ١٢٨٠م ، وتعرض سنقر للهزيمة على يد القوة التي أرسلها قلاوون وذلك في صفر ٦٧٩هـ/ يونيه ١٢٨٠م واتجه بعدها الى شمال الشام حيث انضم اليه بعض الامراء المماليك هناك في صهيون وبلاطنس وبرزية والشعر وبكاس وغيرها . كما ارسل سنقر الى ابغا

وغضب هيو لهذا التصرف واعتبره تحدياً لسلطته . عن ذلك انظر :

Riley-Smith, *The Knights of St. John*, 188-189.

(١١٨) ثارت الخلافات الداخلية في هذه المرة بسبب موافقة البابوية على تحويل عرش المملكة الصليبية الى شارل اوف انجو بعد تنازل ماري الانطاكية له عن العرش . فقام هيو الثالث باثارة بعض الجماعات الصغيرة في عكا لكي يثبت أنه وحده القادر على إعادة النظام . وأرسل هيو شكوى الى البابوية من تصرفات الداوية والبنادقة . ولكن روما وافقت على حق شارل اوف انجو مما أدى الى تأزم الموقف . وظل الحال هكذا حتى تم التوصل الى اتفاق عام ١٢٧٧م/ ٦٧٦هـ ، والذي أعيدت بموجبه امتيازات البنادقة ، وبناءً على خاص بهم في صور ، والكنيسة وبرج القديس مرقص . عن ذلك انظر :

Prawer, *Histoire*, ii, 514 ff.

حاكم المغول يستنجد به لوقوف معا ضد قلاوون (١١٩) . وكانت هذه الفرصة التي ينتظرها الحاكم المغولى . فأرسل قوة استطلاعية فى نهاية سبتمبر ١٢٨٠م/منتصف جمادى آخرة ٦٧٩هـ وصلت الى عين تاب وبغراس ودريساك وحلب وقامت بأعمال السلب والنهب فيها ، وعندما خرجت القوات المملوكية لردّها سارع المغول بالارتداد تاركين هذه المدن التى احتلوها . وفى العام التالى سعى أبغا للقيام بحملة مشتركة مع الصليبيين واستغلال ثورة سنقر الاشقر ، فأرسل الى ادوارد الاول ملك إنجلترا يطلب معاونته . ولم يلق السفير المغولى أى استجابة فى عكا . ولا شك أن هذه فرصة أخرى أضاعها الصليبيون من أيديهم لاستغلال الظروف الداخلية التى كان يمر بها الممالك فى هذه الفترة بالذات . فلم يعد يهمهم سوى مصالحتهم الشخصية والمكاسب التجارية مفضلين الوقوف على الحياد فى ذلك الصراع الداخلى (١٢٠) . ولو أنه ، من ناحية أخرى ، يجب ألا نغفل أن ظروف المعازل المتبقية للصليبيين فى الاراضى المقدسة لم تكن تسمح لهم بالقيام بأى عمل ايجابى . فقد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من نهايتهم فى الاراضى المقدسة .

عمل السلطان المملوكى على التغلب على مشاكله سواء الداخلية أو الخارجية فقد عقد اتفاقا مع الجماعات العسكرية الرهبانية فى أوائل مايو ١٢٨١م/أوائل صفر ٦٨٠هـ ، واستطاع بذلك جعلهم يلتزمون الحياد فى حربه ضد سنقر الاشقر والمغول . كما نجح أيضا فى التوصل الى اتفاق مع سنقر فى يونية ١٢٨١م/صفر ٦٨٠هـ حيث أعطى له انطاكية وأفامية

(١١٩) هو سنقر بن عبد الله الصالحى النجمى الامير شمس الدين كان محبوبا فى دمشق عندما دخلها هلاكو وأخذه معه الى بلاده . ولكن الظاهر ببيرس عمل على اطلاق سراحه وذلك مقابل اطلاق سراح ليفون ابن هيثوم الاول . وأصبح من كبار الامراء فى عهد ببيرس وابنيه السعيد بركة والعاذل سلامش . عن ذلك انظر : العينى : عقد الجمان ، ج ٢٢ ورقة ٤٣٠ - ٤٤٦ ، النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٩ ، ورقة ٢ - ١٩ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ٦٧٧ .

وبعض المناطق الأخرى كإقطاع (١٢١) . وبذلك نجح قلاوون في التغلب على أولى مشاكله الداخلية التي هددته لكي يتفرغ بعد ذلك للخطـمـر المغولي . وبالفعل بعد عدة أشهر وفي ٣٠ أكتوبر ١٢٨١م / ١٥ رجب ٦٨٠هـ حدثت المعركة الفاضلة الثانية بين المماليك والمغول وذلك عند حمص ، وكانت القوات المغولية بقيادة منكوتيمور شقيق أبغا ومعه قوات من جورجيا وأرمينية الصغرى . وكاد المغول يحترزون انتصارا في هذه المعركة ، حيث نجحوا في هزيمة ميسرة المماليك واجبارها على الفرار . وفي نفس الوقت فإن ميمنة الجيش المملوكي نجحت في انزال الهزيمة بالميسرة المغولية وطاردتها الى الشمال أيضا ، ولكن أثناء ارتداد المغول كان قلاوون مختفيا معه حوالي ألف من مماليكه فاستطاعوا مباغتة المغول وانزال هزيمة ساحقة بهم مثلما حدث في عين جالوت من قبل . وعقب هذه الهزيمة عقدت معاهدة بين الجانبين مدتها سبعة عشر عاما جعلت الأمور مستقرة الى حد كبير بين الجانبين ، وفي نفس الوقت هيات الجو بالنسبة لقلاوون كي يتفرغ لعدويه الرئيسيين وهما : الصليبيون والارمن (١٢٢) .

وخلال الفترة السابقة تولى شئون الجماعة يوحنا من فستفاليا القائد العام وذلك أثناء وجود المقدم الأعلى هرتمان في الغرب الأوربي . ومن المرجح أنها التزمت سياسة الحياد التي سار عليها الصليبيون في هذه الفترة في موقفهم من المسلمين والقوى الأخرى في المنطقة . وفي نفس الوقت عمل يوحنا على حل المشاكل المتعلقة بسكاندليون أو الاسكندرونة - ويوجد لدينا وثيقة خاصة باتفاق تم بين جوسلين ابن أجنيس صاحبة الاقطاعية والجماعة الألمانية ، ونص على أن تقوم الجماعة بسديد ديونها الباهظة مقابل رهن اقطاعية وخاصة أكريدات التي كانت الجماعة تسعى للحصول عليها . والتزم جوسلين بسداد هذه الديون ، والتي بلغت سبعة

(١٢١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ١١٦٦ - ١١٧٦ .

(١٢٢) - العيني : عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٤٤٦ - ٤٥٣ ، النويري :

نهاية الأرب ج ٢٩ ، ورقة ٣ - ٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،

ج ٧ ، ٣٠٢ - ٣٠٦ ، وكذلك :

Prawer, Histoire, ii, 522; Runciman, History, iii, 390-2.

عشر ألفا وربعمائة بيزنط ، وذلك خلال عام واحد فقط ينتهى فى ٢٤ مارس ١٢٨١م/أول ذى الحجة ٦٧٩هـ . وكانت الجماعة الالمانية تدرك تماما استحالة قيام جوسلين بسداد ديونه لعدم وجود الموارد الكافية لذلك . هذا من ناحية ، ومن ناحية لأن أخويه الآخرين - جاي وبطرس - ورثا الاقطاع النقدي الخاص بأمهم فى عكا . كما أنهما انضموا الى الجماعة الالمانية ، مما يعنى حصولها على هذا الاقطاع النقدي أيضا . وعندما حان الموعد المحدد للدفع لم يمتطع جوسلين الوفاء بما عليه من ديون فألت الاقطاعية الى الجماعة الالمانية (١٢٣) . ولكنه حسب المعاهدة المعقودة بين الصليبيين والمماليك فى ١٢٧٢م/٦٧٠هـ ، فإن نصف الاسكندرونة هو فقط الذى حصلت عليه الجماعة الالمانية .

عقب وفاة هرتمان المقدم الأعلى للجماعة الالمانية فى ١٩ أغسطس ١٢٨٢م/١٣ جمادى أولى ٦٨١هـ ، تم اختيار بركارد أوف شفاندينم قدما أعلى ، وكان بركارد أول سويسرى يتولى شئون الجماعة (١٢٤) . وفيما يبدو أنه سار على نفس سياسة هرمان دى سالزا فى الوساطة بين البابوية والملكية الالمانية ، ولذلك فقد ظل فترة طويلة فى الغرب الاوربى حتى ذهبه الى عكا فى أواخر ١٢٨٩م/أواخر ٦٨٨هـ . وفى أثناء تواجده فى

(١٢٣) لا يوجد وثيقة بيع بين جوسلين والجماعة الالمانية ، وذلك لتعقد الاجراءات الخاصة بالبيع فى هذه الفترة ، وضرورة الحصول على موافقة المحكمة العليا ولكن النبلاء وأصحاب الاقطاعيات لجأوا الى طريقة أخرى للتغلب على ذلك بأن يقوموا باهداء المنحة ثم تتم عملية البيع . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها ما حدث بين جوليان سيد صيدا والجماعة الالمانية فى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ . انظر ما سبق ، وكذلك :

Tumler, -Der Deutsche Orden, 49-50; Röhrich, Regesta, no. 1435; Favreau, «Scandalion» 19 ff.

(١٢٤) شغل بركارد عددا من المناصب الهامة فى الجماعة ، حيث تولى قائدا فى كونيتز Konitz فى برن . أما الفترة من ١٢٧٧ الى ١٧٢٩م/٦٧٦ - ٦٧٨هـ فكان قائدا لثورنجيا ، انظر :

Tumler, op. cit., 51.

الغرب الاوروبى قام القائد العام ومارشال الجماعة بادرارة شئونها فى الاراضى المقدسة (١٢٥) .

أما عن أحوال الاراضى المقدسة خلال هذه الفترة فقد كانت المعاهدة المعقودة بين المماليك والصليبيين على وشك الانتهاء ، وجرت مفاوضات بينهما من أجل تجديدها . وبالفعل وافق المنصور قلاوون وابنه الصالح علاء الدين على اللذان وقعا عليها من الجانب المملوكى ، وأودوبولشيان نائب روجراوف سان سفرنيو ومقدما جماعتى الداوية والاسبتارية وليم دى بوجيه ونيقولا دى لوران . أما ممثل الجماعة الالمانية فقد كان مارشالها كونراد أوف سولمس Konrad of Solmas وفى ٥ ربيع أول ٦٨٢هـ / ٣ يونيه ١٢٨٣م تم توقيعها ، وهى تعتبر من أدق المعاهدات التى عقدت بين الجانبين ، وذلك لما حوته من بنود تجارية وقانونية ، وقائمة بالاماكن التابعة لكل جانب . وقد اقتضت على مملكة بيت المقدس مع استبعاد بيروت وصور اللذين كان لهما معاهدات مستقلة . أما بالنسبة لعكا ، فقد ذكرت المعاهدة ثلاثة وسبعين اسما لتوابع خاصة بها ، وسبعاً تابعة لحيفا ، وست عشرة لعثليت ، بالإضافة الى مناطق فى قيسارية والاسبندرونة أوسكاندليون ومارون وصيدا مع خمس عشرة تابعة لها (١٢٦) . وتوجد

(١٢٥) تولى كونراد اوف سولمس المارشال وفيريكوس دى هامبورج وهنرى دى بولندن قائدا الجماعة أمورها خلال هذه الفترة من واقع وثائقها .

(١٢٦) ورد فى نسخة ابن عبد الظاهر ٧٣ اسما ، أما فى نص القلقشندي فقد ذكر فقط ٦٣ من توابع عكا . أما توابع حيفا فقد اتفقا فى الإشارة اليها . كذلك ذكر ابن عبد الظاهر ١٣ اسما من توابع الكرمل أما القلقشندي فقد أشار فقط الى ١٢ اسما وليس من السهل حل هذا التناقض . انظر : ابن عبد الظاهر : تشرىف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ ، ٣٤ - ٤٢ ، القلقشندي : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ج ١٤ ، ٥١ - ٦٣ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ملحق ٨ ، ص ٩٨٥ وما بعدها ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ وما بعدها .
D. Barag, «A new Source concerning the ultimate borders of

ثلاث نسخ لهذه المعاهدة احتفظت بها المصادر العربية . منها نسخة ابن عبد الظاهر في تشریف الايام والعصور ، وابن الفرات في تاريخ الدول والملوك ، والقلقشندي في صبح الاعشى .

والتساؤل الهام الذى يفرض نفسه هنا : ما هى الاماكن التابعة للجماعة الالمانية التى وردت فى هذه المعاهدة ؟ سبق أن أوضحنا أن الجماعة الالمانية ركزت اهتمامها فى الحصول على مناطق حول عكا ونجحت بالفعل فى ذلك ، بالإضافة الى أملاكها الأخرى فى الاراضى المقدسة . وخلال الفترة السابقة نجح المماليك فى استرداد الكثير من هذه المناطق . أما الذى تبقى فى قبضتها فهى تلك التى وردت فى هذه المعاهدة . ومن هنا يبدو لنا أهمية دراسة هذه المعاهدة بشئ من الدقة . وبالفعل أشار د. باراج D. Barag الذى تناول المعاهدة بالدراسة والتحليل الى أسماء عدد من توابع الجماعة الالمانية وردت فيها وهى : الشبيكة ، والمثيرة ، والقطرانية ، واكليل ، والغابسية ، وكفرنبيد ، والدويرات وموصاب ، وشيفاية ، وهوشة ، وقسطة (١٧٢) . ولكن بمقارنة بقية القائمين الموجودة فى هذه المعاهدة مع الوثائق الخاصة بالجماعة الالمانية والتى وردت بها أسماء لتوابع الجماعة ، أمكننا تحديد أسماء أخرى من توابعها فى المعاهدة ومنها : الباسة ومزرعتها Le Bassa ، والكابرة ومزرعتها Le Quiebre ، وعمقا Ancra وكفر يوسف Cafressi ، والزيب أو قلعة همبرت ، وبوسنان Busenen والطيرة ، وأم الفرج Le Fierge ، والمزرعة Lemexera والرويس Carablier (١٢٨) . هذا فيما يتعلق بأسماء توابع عكا وما يخص الجماعة الالمانية منها ، أما بقية المناطق فإن الذى يهمنا منها الاسكندرونة أو سكاندليون والتى كانت مناصفة ، وكذلك مارون وهى التى حصلت عليها الجماعة الالمانية منذ فترة وجيزة بعد أن عجز أصحابها عن

the Latin Kingdom of Jerusalem», Isreal Exploration Journal, 29, (1979).

Barag, op. cit., 204, ff.

(١٢٧)

(١٢٨) عن مواقع هذه القرى انظر خريطة رقم ١ .

مداد ديونهم (١٢٩) . أما فيما يتعلق بصيدا فقد ورد في المعاهدة أن توابعها كانت خمس عشرة دون أن تحدد أسماءها . ولكنها أشارت الى أن المناطق الوطأة وخاصة حول الانهار والبساتين كانت تابعة للصليبيين . وقد سبق أن أشرنا أن المناطق الخاصة بالجماعة الالمانية في صيدا كانت تتركز حول نهر الدامور وفرعه الجابون مما يرجح استمرار وجود أملاك للجماعة في هذه المنطقة طبقا لهذه المعاهدة (١٣٠) .

وكما هو واضح فإن المعاهدة اشتملت على أسماء تفصيلية للاماكن التابعة للمماليك وتلك التابعة للصليبيين . والتساؤل الهام هنا : هل المماليك الذين صاغوا هذه المعاهدة أم أن الصليبيين أسهموا بدور في صياغتها ؟ لا توجد اجابة واضحة على هذا التساؤل من واقع المعاهدة نفسها . ولكن من خلال تلك القائمة الطويلة لاسماء المدن والقرى والقلاع التابعة للمماليك الممتدة من غرب مصر وحتى الحجاز والفرات ، فإن المماليك هم الذين أثبتوا هذه القائمة . أما قائمة الاماكن التابعة للصليبيين فمن المرجح أن الصليبيين هم الذين قدموها للمماليك والتي ربما يكون قد حدث فيها بعض التعديل البسيط . ومن المرجح أيضا أن يكون كونراد أوف سولمس مارشال الجماعة قد أسهم بدور في اثبات أملاك جماعته في هذه المعاهدة .

وعلى أية حال ، فقد كانت هذه المعاهدة مرآة عكست أوضاع هذه الفترة فقد حرص الصليبيون على تجديدها وذلك لما يعود عليهم من فائدة خاصة في التجارة والكسب . كما أن المماليك حرصوا على عقدتها لاستمرار التجارة التي كانت تعنى أيضا مزيدا من الارباح ، والتي كانوا في حاجة اليها للانفاق على حملاتهم . كما أوضحت هذه المعاهدة استمرار نشاط الجماعة الالمانية في هذه الفترة الحرجة في تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية . وللمرة الاولى نشهد توقيع أحد أعضاء الجماعة الالمانية على معاهدة تعقد مع المسلمين ، وترد اليه الاشارة صريحة في المصادر العربية . فقد أثير اليه باسم « المرشان الأجل افرير كورات نائب مقدم بيت

(١٢٩) انظر ما سبق ص ٣١٥ .

(١٣٠) انظر ما سبق ص ٢٧٦ .

الاسبتار الامن « (١٣١) . وكلمة الامن هنا هي الامن أو الجماعة الألمانية . أما براور فيرى أن الدفاع عن هذه المناطق التابعة للصليبيين كان مستحيلا من الناحية العملية ، وذلك لأن المعاهدة اشترطت عدم اقامة تحصينات خارج عكا وعثليت وصيدا . ومن هنا فانه يجب عليهم احترام المعاهدة حتى يظلوا محتفظين بما نصت عليه . كما أن مسألة مناصرة الدخول والايرادات في بعض المناطق كانت تجعل الامور عرضة لتوتر دائم (١٣٢) .

وممها يكن من أمر ، فان المعاهدة ظلت سارية المفعول حوالى ست سنوات حتى تم تجديدها في صيف ١٢٨٩م/منتصف ٦٨٨هـ . وخلال هذه الفترة فان الصليبيين كانوا غارقين في أحوالهم الداخلية . فقد توفي هيو الثالث في مارس ١٢٨٤م/ذى الحجة ٦٨٢هـ ، ثم لحق به ابنه يوحنا في مايو ١٢٨٥م/ربيع أول ٦٨٤هـ . كما أن وفاة شارل أوف انجو في نفس الفترة أدت الى حدوث الصراع على عرش بيت المقدس . وفي يونيه ١٢٨٦م/ربيع آخر ٦٨٥هـ وصل هنرى الثانى الى عكا مطالبا بعرشها . ووقفت الجماعات الرهبانية العسكرية ، ومن بينها الجماعة الألمانية - موقفا غريبا منه في بداية الامر ، فقد ترددوا في تأييده في البداية ، ولكن عندما رأوا الحماس الشعبى المؤيد له غيروا من سلوكهم تجاهه ، واستطاعوا اقناع ادوبولشيان بتسليم المدينة الى هنرى الثانى حيث دخلها في موكب رسمى في ٢٩ يونيه ١٢٨٦م/٥ جمادى أولى ٦٨٥هـ . وتم الاحتفال بتتويجه ملكا بها حيث كان آخر احتفال تشهده المدينة قبيل سقوطها نهائيا في قبضة المماليك (١٣٣) .

وعقب تتويج هنرى الثانى ملكا اسميا على بيت المقدس بعدة أشهر ، يوجد لدينا آخر وثائق الجماعة الألمانية في الاراضى المقدسة . فقد استدان

(١٣١) وردت الإشارة اليه مرة أخرى في نسخة اليمين التى حلف عليها المنصور قلاوون ، باسم « نائب مقدم بيت اسبتار الامن الآن » .
انظر : ابن عبد الظاهر ، تشریف الايام ، ٢١٤ .

Prawer, *Histoire*, ii, 423-24.

](١٣٢)

Sterns, «The Teutonic Knights», 377-78; Riley Smith, *The* (١٣٣)
Knights of St. John, 190-1.

برثوليو امبرباكو سيد جبيل منها مبلغ ألف وخمسمائة بيزنط اسلامي ، وذلك في ١٦ أكتوبر ١٢٨٦م / ٢٥ شعبان ٦٨٥هـ . وشهد يوحنا من فالشولت Johannes of Walcholt قائد عام الجماعة على هذه الوثيقة . وبعد ذلك شهر تم التصديق عليها (١٣٤) . ولاشك أن هاتين الوثيقتين تدلان على أن الجماعة كان لا يزال لديها الامكانيات التي تتيح لها تقديم القروض لأولئك الاقطاعيين الذين لم يعد امامهم ملجأ سوى تلك الجماعات الرهبانية العسكرية الغنية . كما يدلان على دور اقتصادي هام كانت تقوم به الجماعة الالمانية مثل تقديم القروض وغيرها . وفوق هذا وذاك تكشف الوثيقتان ، شأنهما شأن غيرهما من الوثائق التي اشرنا اليها من قبل ، أن أفراد الجماعة الالمانية أصبحوا رجال دين وديننا في نفس الوقت ، تماما مثل الداوية والاسبتارية .

هذا فيما يتعلق بمملكة بيت المقدس الاسمية حيث كانت لا تزال المعاهدة سارية المفعول ، أما في طرابلس فقد ثارت بها الخلافات بعد وفاة بوهمند السابع في ١٩ أكتوبر ١٢٨٧م / ١٠ رمضان ٦٨٦هـ بين لوسيا Locia وقومون المدينة . وتدخل في هذا الصراع أيضا الجنوبية والبنادقة وكذلك الجماعات الرهبانية العسكرية . ووقفت الجماعة الالمانية في هذا النزاع الى جانب البنادقة الذين كانوا يعارضون أى اتفاق بين لوسيا وجنوة في طرابلس ، فقد كان ذلك يعنى فقدان تجارة البحر المتوسط وسيطرة الجنوبية عليها . ووصل مبعوثان الى القاهرة لاختبار قلاوون أن أى اتفاق بين الجنوبية وطرابلس معناه ضياع تجارة البحر المتوسط ، وتصبح تجارة الاسكندرية تحت رحمتها ، وهو أشد ما كان يخشاه المماليك . وتحرك قلاوون بجيشه في فبراير ١٢٨٩م / محرم ٦٨٨هـ دون أن يعرف أحد هدفه . وعلى الرغم من ذلك ، فقد وصلت أنباء ذلك الهجوم المنتظر الى وليم دى بوجيه مقدم الداوية الذى أخبر الصليبيين بذلك ، ولكن أحدا لم يصدقه . وعندما تأكدت أنباء ذلك الهجوم سارعت الجماعات العسكرية ، ومن بينها الجماعة الالمانية ، مع يوحنا جرايللى مستشار الملكة الصليبية لانقاذها ، ولكنهم وصلوا متأخرين ولم يستطيعوا عمل أى شئ . فقد سقطت المدينة في ٢٦ ابريل ١٢٩٠م / ٣ ربيع آخر

٦٨٨هـ في قبضة السلطان المملوكي (١٣٥) . ولا شك أن سقوط طرابلس كان له أثره المباشر على الجماعة الالمانية . فقد فقدت الجماعة الالمانية تلك الامتيازات والمنح التي كانت قد حصلت عليها منذ ١٢٠٩م/٦٠٥ - ٦٠٦هـ (١٣٦) .

لم يمض على سقوط طرابلس ثلاثة أيام حتى كان الملك هنري الثاني قد وصل الى عكا ، وهناك وجد رسولا من قبل السلطان المملوكي يحمل شكوى بنقض الصليبيين للهدنة المعقودة بين الجانبين ، وذلك عندما خرجوا لمساعدة طرابلس . ولكنهم ردوا بأن طرابلس ليست داخلة في هذه المعاهدة ، وأنها تنطبق فقط على الاماكن التي وردت بها ، ولو أنها داخلة فيها لما أقدم السلطان على مهاجمتها بالفعل . وعندئذ اقتنع مندوب السلطان وقبل ذلك التوضيح وتم تجديد المعاهدة لمدة عشر سنوات أخرى . كذلك عقد قلاوون معاهدة مع الجنويه في ١٤ مايو ١٢٩٠م/٥ جمادى آخرة ٦٨٩هـ ، وازدهرت التجارة بمقتضى هاتين المعاهدتين ، وانتظمت حركة القوافل بين دمشق وبيروت ، وأخذ الفلاحون حول عكا في فلاحه أرضهم وترقب المحصول (١٣٧) . ولا شك أن ذلك عاد بالفائدة على الصليبيين بصفة عامة ، وعلى الجماعة الالمانية بصفة خاصة . فقد تمركزت بقايا أملاك الجماعة في هذه المنطقة المحيطة بعكا مما كان يعنى ازدياد عوائدها من هذه الاراضى في هذه الفترة الحرجة ، حيث تضاعلت الموارد والامكانيات ومشاركة الممالك لهم في هذه الايرادات .

وعلى الرغم من هذه المعاهدة المعقودة بين الجانبين ، فان هنري

(١٣٥) ابن أيبك : كنز الدر ، ج ٨ ، ٢٣١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ٣٢٠ - ٣٢٢ ، الذهبي : دول الاسلام ، ج ٢ ، ١٨٨ ، وكذلك

Richard. The Latin Kingdom, 422. 3, Runciman, History, iii.

(١٣٦) انظر ما سبق ص ١٤٨ - ١٤٩
(١٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ١١٧٦ - ١١٧٧ ، مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى - (١١٧١ - ١٢٩١م/٥٦٧ - ٦٩٠هـ) الاسكندرية ١٩٨١ - ٢٨١ ، ٣٦٤ .

الثانى لم يكن يأمن جانب قلاوون ، فارسل يوحنا جرابلى الى البابا نيقولا الرابع يطلب منه مساعدة الاراضى المقدسة وانقاذها من السقوط الذى كان قاب قوسين أو أدنى ، وبالفعل وافق البابا على ارسال هذه المساعدات ، واعطى لبطيريك بيت المقدس الاسمى حرية اختيار قادة الجيش وامداده بالأموال اللازمة لاطلاق سراح الاسرى وتحصين عكا (١٣٨) . وخرجت قوات بقيادة يوحنا فى ١٣ سبتمبر ١٢٨٩م/٢٤ شعبان ٦٨٨هـ تكونت غالبيتها من المدن الايطالية . ولكن معظم الرجال الذين شاركوا فيها لم تكن لديهم الخبرة فى القتال ، وكانوا من الرعاع ، مما سيكون له أسوأ الاثر على الصليبيين الامر الذى يذكرنا بالحملة الشعبية التى سبقت قيام الحملة الصليبية الاولى . وفى أثناء هذه الاستعدادات التى كانت تجرى فى الغرب الاوروبى وصل بركارد أوف شفاندين المقدم الأعلى للجماعة الالمانية الى روما لمقابلة البابا نيقولا الرابع للتوسط فى حل احدى المشاكل مع رادلف اوف هابسبرج . وفيما يبدو أن البابا استغل هذه الفرصة ، واقنع بركارد بالذهاب الى الاراضى المقدسة مع أربعين من اخوة الجماعة وأربعمئة محارب صليبي آخرين . وليس من الواضح تماما الدافع الذى من أجله وافق بركارد على الذهاب الى عكا ، وهل كان ذلك من أجل المشاركة فى الدفاع عنها ، أم أن هناك اسبابا أخرى لذلك (١٣٩) . وبالفعل فانه لم يمض على وصوله سوى عدة ايام حتى استقال من منصب المقدم الأعلى وانضم الى جماعة الاسبتارية . ويرى فورستيرتر أن سبب تلك الامتقالة يعود الى خلافات داخلية ، حيث ربما رغب بركارد فى ضم الجماعتين ولكنه فشل فى ذلك (١٤٠) . وخلال

Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 423; Runciman, *History*, (١٣٨) iii, 408-9.

(١٣٩) أشار رورشت الى أنه ربما يكون قدم بغرض اطلاق سراح هنرى اوف مجالو بليتانى *Megaloplitani* الذى كان قد وقع فى الاسر فى ١٢٧٢م/٦٧٠هـ . عن ذلك انظر :

Röhrich, *Regesta*, p. 388, n. 1.; Rey, *Les Familles* 905-6, Tumler, *Der Deutsche Orden*. 51.

(١٤٩) تذكر بطرس دوسبرج أنه كان تاسع مقدمى الجماعة العظام ، ولكنه خلع ملابس الجماعة وارتدى ملابس الاسبتارية دون أن يذكر تفاصيل أخرى عنه . عن ذلك انظر :

هذه الفترة الحرجة تولى هنرى اوف بولندن مسؤولية الجماعة حتى مقتله
أثناء حصار الماليك لعكا واختيار كونراد اوف فويختفاجن مقسدا
أعلى لها (١٤١) .

كان لوصول أولئك الرعايا أثره السيء على الصليبيين في الشرق
اللاتيني . فقد خرجوا يهاجمون المسلمين ويقتلونهم في عكا وخارجها بعد
أن سرت شائعة باغتصاب أحد التجار المسلمين لسيدة مسيحية . ولم يسلم
من هذه المذبحة المسيحيون أنفسهم ، حيث اعتقد هؤلاء الرعايا أنهم
مسلمون لأنهم كانوا ملتجئين أيضا . وسارعت الجماعات الزهبانية
العسكرية بالتدخل لانقاذ المسلمين ، وأخذهم إلى القلعة في وسط المدينة .
ولا شك أنهم كانوا يعملون على الحفاظ على المعاهدة . وثار ثائرة
المسلطان قلاوون عند سماعه لهذه الأنباء ، وأصر على ضرورة تسليم الذين
قاموا بهذا العمل . وعندما عرض وليم دي بوجيه مقدم الداوية هذا
الطلب ، رفضه الصليبيون واكتفوا بتقديم الاعتذار باعتبار أنهم من
الغرباء وليسوا مسئولين عما اقترفوه (١٤٢) . وأخذ قلاوون يستعد سرا
لمهاجمة عكا ، وأرسل إلى دمشق لاعداد آلات الحصار . وفي أثناء هذه
الفترة وصلت سفارة من الصليبيين إلى القاهرة تحاول تقديم الاعتذار
للمسلطان المملوكي . وكان من بين أفرادها الكاتب جورج الذي كان يتقن
العربية . ومن المرجح أنه أحد أعضاء الجماعة الألمانية حيث ورد اسمه

Peter Dusburg, *Chronica*, 504; Forstreuter, *Der Deutsche*
Orden, 51.

(١٤١) لا توجد معلومات واضحة عن عائلة فويختفاجن ، وربما يكون
قد رافق بركارداوف شفانندن في رحلته إلى الأراضي المقدسة وألحق به
فيما بعد . وتولى عددا من مناصب الجماعة في بروسيا وليفونيا
والمانيا . أما هنرى اوف بولندن فقد كان قائد عام الجماعة بعد
وفاة فيريكوس دي هامبورج . عن ذلك انظر :

Rey, *Les Familles*, 906; Sterns, «The Teutonic Knights»,
377-78.

(١٤٢) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٨ ، ٣٠٠ - ٣٠١ ، مفضل ابن أبي
الفضائل : النهج السديد ، ٥٣٢ - ٥٣٣ ، الذهبي : دول الاسلام ،
ج ٢ ، ١٨٨ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ق ٣ ، ٧٥٣ - ٧٥٤ .

في احدى وثائقها المؤرخة في ٢٣ ابريل ١٢٨٠م/ ٢٠ ذى الحجة ٦٧٨هـ (١٤٣). • ولكن السفارة انتهت بوضع أفرادها في السجن ، وأصر قلاوون على الانتقام لما حدث في عكا .

وبينما كان السلطان يستعد لحصار عكا وافته منيته في ٧ ذى القعدة ٦٨٩هـ/ ١١ نوفمبر ١٢٩٠م ، وتولى ابنه خليل السلطنة في نفس اليوم حيث تلقب بالأشرف . واعتقد الصليبيون أن وفاة قلاوون ، وتلك الثورة التي قام بها حسام الدين طرنتاي ، سوف تعوقان الأشرف خليل عن محاولته لاسترداد عكا . ولكنه نجح في التغلب على هذه المشاكل وأرسل الى أمراءه في الشام بأمرهم باستكمال ما بدأه واعداد آلات الحصار اللازمة لذلك . ووصلت قوات حماة بقيادة الملك المظفر ، وكذلك قوات أخرى بقيادة سيف الدين يليان الطباخي نائب الفتوحات في طرابلس والسواحل . وتوافدت المجانيق الى عكا ، والتي شارك في اعدادها الجميع بما فيهم الفقهاء والمدرسون والصلحاء ، وبلغ عددها ما بين اثنين وخمسين ألفا في قول المقل واثنين وتسعين في قول المكثري (١٤٤) .

وفي الثالث من ربيع الآخر ٦٩٠هـ/ ٥ ابريل ١٢٩١م بدأ الأشرف خليل حصاره ، لعكا وكانت المدينة محاطة بسور مزدوج من ثلاث جهات ، وأما الجهة الرابعة فكانت تطل على البحر . وعلى امتداد هذا السور كان يوجد اثنا عشر برجاً . وفي منتصف السور وعند المنطقة ما بين باب القديس انطونيوس الى برج القديس نيقولا كانت توجد منطقة بارزة في ذلك الخط الدفاعي (١٤٥) . وعهد الى الجماعة الالمانية بحماية المنطقة عند

(١٤٣) المقريري : نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٣ ، ٧٥٧ ، ٧٦٢ ، وكذلك : Perlbach, «Die Reste» no. 51; Forstreuter, *Der Deutsche orden*, 51. .

(١٤٤) ابن ايبك : كنز الدرر ، ج ٨ ، ٣٠٠ - ٣٠١ ، مفضل ابن ابي الفضائل : النهج السديد ، ٥٣٢ - ٥٣٣ ، العيني : عقد الجمان ، ج ٢٣ ، ورقة ٣٣ - ٣٥ ، وكذلك : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ١١٧٩ - ١١٨٠ .

(١٤٥) Riley-Smith, *The Knights of St. John*, 195-96; Jean Richard, *The Latin Kingdom*, 426; Runciman, *History*, iii, 413-14.

ما يسمى بالبرج الملعون أو Accursed Tower ، وذلك لتدعيم الكتيبة الملكية المتواجدة في هذه المنطقة ، بالإضافة الى حماية الجماعة لمقرها الرئيسى عند برج نيقولا (١٤٦) .

والتساؤل هنا يدور حول ذلك الدور الذى قامت به الجماعة الالمانية اثناء حصار عكا ، وما هو طبيعة هذا الدور . ففى ٤ مايو ١٢٩١م/ ٣ جمادى اولى ٦٩٠هـ وصل الملك هنرى الثانى ومعه تعزيزات من قبرص لمحاولة انقاذ عكا . وأرسل الى الاشرف خليل يطلب منه الصلح ، ولكنه رفض ذلك أمام اصرار أمراءه وبقية الجيش المملوكى (١٤٧) . واشتدت هجمات المماليك على المدينة على الرغم من تلك المحاولات المستميتة التى قامت بها جماعتا الداوية والاسبتارية لمباغتتهم عن طريق بعض الابواب السرية بها . ومن واقع المصادر الخاهصة بالجماعة فانها لا تمدنا بشيء يذكر عن الدور الذى أسهمت به اثناء الحصار (١٤٨) . ولكن من خلال بعض الاشارات التى أوردها المصادر الأخرى يمكن أن تكون فكرة عن هذا الدور . فقد امتدح ثاديوس النابولى دورها فى الدفاع عن عكا ، وشجاعتها اثناء عملية الحصار . أما ليودلف أوف سواكيم فقد ذكر أن مقدم واخوة الجماعة دافعوا عن أنفسهم بلا انقطاع وأنهم ذبحوا جميعا تقريبا (١٤٩) .

هذا ما أورده المصادر الصليبية عن دور الجماعة الالمانية اثناء الحصار ، وقد أخذ غالبية المؤرخين الحديثين بهذه الرواية دون أن يشيروا الى ما أورده المصادر العربية عن دور الجماعة الالمانية . فقد

(١٤٦) عن وجود الجماعة الالمانية ، فى برج القديس نيقولا ، انظر ما سبق ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١٤٧) العينى : عقد الجمان ، ج ٢٣ ، ورقة ٣٨ - ٣٩ .

(١٤٨) لم يشر بطرس دوسبرج مؤرخ الجماعة شبه الرسمى أو نيقولا جيروشين الذى ترجم كتاب بطرس ، الى تفاصيل ذلك الدور انظر :

Tumler, Der Deutsche Orden, 51.

Sterns, «The Teutonic Knights», 377-78.

(١٤٩)

ذكر الذهبي أنه أثناء حصار عكا « عمت الداوية والأسبتار والارمن في أربعة شواهد وسط عكا » (١٥٠) . أما أبو المحاسن فقد قال « وعصى الداوية والأسبتار واستتر الارمن في أربعة أبراج شواهد في وسط البلد فحصرها فيها » (١٥١) . والمقصود بالارمن هنا هم الجماعة الألمانية حيث أوضحنا من قبل أن الإشارة الى الجماعة كانت ترد في المصادر العربية في المرات القلائل التي أشير اليها فيها باسم الألمان أو الأرمن كما ذكر ابن الفرات (١٥٢) . أما البرج المشار اليه فربما يكون « البرج الملعون » أو « برج القديس نيقولا » .

وهناك نقطة هامة أخرى لا يزال الغموض يحيط بها . فقد ذكرت المصادر الصليبية أنه أثناء الحصار سقط هنري أوف بولندن قائد عام الجماعة مع كثير من أخوة الجماعة قتلى أثناء الهجوم الشامل والآخر الذي قام به الأشرف خليل وذلك في ١٨ مايو/١٧ جمادى أولى ، ثم اختار كونراد أوف فويختفاجن الذي أعطى لهم أمر الانسحاب واللاحق بالسفن الراسية في الميناء (١٥٣) . ومن الواضح أن ثمة بعض الغموض واللبس يخيطن بهذه الرواية . فليس من المعقول أنه أثناء الاضطراب الذي صاحب الهجوم والانسحاب ، أن يجتمع أخوة الجماعة ويختاروا من يتولى قيادتهم في ذلك الوقت الذي ركز فيه المماليك كل قواتهم لاسترداد المدينة . بالإضافة الى أن الأخوة الألمان انسحبوا متجهين الى الميناء كما ذكرت المصادر الصليبية نفسها . ولكن بعد البحث والتدقيق في المصادر العربيةمكننا حل بعض هذا الغموض . فقد ذكر كل من الذهبي وأبو المحاسن أن السلطان أعطى الأمان للجماعة الألمانية - أو الأرمن كما أشار اليهم - وعندئذ هبعت الجنود الى البرج ولكنهم تعرضوا للنساء الموجودات فيه فأغلق الفرنج الابواب وقتلوا أولئك الجنود . ولكن بعد يومين ، وفي ٨ جمادى أولى/٩ مايو ، أمنهم السلطان ، وبعد ذلك غدر بهم وقتلهم

(١٥٠) دول الاسلام ، ج ٢ ، ١٨٩ .

(١٥١) النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ٥ - ٦ .

(١٥٢) انظر ما سبق ص ٥٤ .

Forstreuter, Der Deutsche Orden, 51-52; Sterns, «The Teutonic

Knights», 377-78; Tumler, Der Deutsche Orden, 55.

وكانوا حوالى ألفين . وحدد أبو المحاسن الجماعة الالمانية عندما ذكر « نزل من كان ببرج الاسبتار الارمن بالامان » (١٥٤) ، مما يعنى استسلام اخوة الجماعة وعلى رأسهم هنرى او فيبولندن ، ولكنهم قتلوا بعد ذلك . وبعد هذه الضربة القاضية التى منيت بها الجماعة الالمانية ، والتى من المرجح أنها عند البرج الملعون لأنه يقع بالقرب من تلك المنطقة التى سقطت قبيل سقوط عكا نفسها ، فان من تبقى من أولئك الاخوة كان لديهم الوقت لاختيار كونراد ثم الانسحاب بعد ذلك .

استمر المماليك فى محاولتهم المستميتة لاسترداد عكا . وفى ١٧ جمادى أولى/ ١٨ مايو جرت المحاولة الاخيرة . وبالفعل وبعد قتال مرير سقط برج القديس نيقولا وحى التيوتون . وبالرغم من قرار كونراد المقدم الاعلى للجماعة بالانسحاب الا أن الاخوة عارضوا ذلك ورغبوا فى القتال حتى آخر رجل ، ولكن كونراد أوضح لهم أنه من الخطأ السماح للسلطان بقتل الجميع دون الحاجة الى ذلك ، خاصة وأن القتال لم يعد مجديا . كما لهم أنه يمكن تعويض ذلك بالقتال ضد الوثنيين فى بروسيا وغيرها (١٥٥) . وسارع الصليبيون بالانسحاب مسرعين الى الشاطئ للحاق بالسفن الراسية هناك . وكانت السفن صغيرة الحجم والمياه ضحلة ، فتصارع عليها الصليبيون لركوبها مما أدى الى غرق الكثيرين منهم أثناء الانسحاب . ولم ينج سوى عدد قليل حيث اتجهوا الى قبرص أو رودس . أما الجماعة الالمانية فقد اتجهت مباشرة الى البندقية . وعلى الرغم من أن فورستريتر ذكر أن نهاية الجماعة فى عكا يحيط بها الغموض كما كانت البداية (١٥٦) ، الا أننا ربما نكون قد استطعنا ازالة بعض هذا الغموض من خلال عقد المقارنات والموازنات بين المصادر الصليبية والعربية .

(١٥٤) النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ٥ - ٦ .

(١٥٥) Sterns, «The Teutonic Knights» 377-78.

(١٥٦) كذلك استرد الإشراف خليل حيفا وعثليت وجيبيل فى نفس

الفترة . لمزيد عن ذلك انظر : مفضل ابن أبى الفضائل : النهج

السديد ، ٥٤٨ - ٥٤٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ،

١٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ج ٢ ، ١٩١ ، المقرئى : السلوك ،

ج ١ ، ق ٣ ، ٧٦٥ .

وعقب سقوط عكا تهاوت بقية القلاع والمدن الصليبية في يد السلطان المملوكى . فقد سقطت صور ، وصيدا ، وبيروت والتي كان للجماعة الالمانية بعض المنح والامتيازات بها . وبذلك تكون الجماعة قد فقدت ما تبقى لها من أملاك في هذه المناطق . وهكذا خلت سواحل الشام من الفرنج بعامة ومن الجماعات الرهبانية العسكرية ومن بينها التيوتون بخاصة ، بعد أن اغتصبوها حوالى قرنين من الزمان .

الخاتمة

- دور جماعة التيوتون في بعض المشاريع التي أثّرت بهدف استرداد الاراضى المقدسة بعد سقوط عكا في ١٢٩١/٦٩٠ هـ .
- نظرة شاملة لدور الجماعة أثناء الصراع بين الصليبيين والمسلمين في الاراضى المقدسة في ضوء توازن القوى بين القوتين .
- أهم القضايا التي تمت مناقشتها ، والنتائج التي أمكن التوصل إليها .

قبيل أيام قلائل من سقوط عكا في قبضة المماليك أبحر كونراد أوف فويختفاجن ومعه قلول اخوة الجماعة الذين بقوا معه على قيد الحياة متجهين الى البندقية مباشرة على ظهر سفن البنادقة. وعلى الرغم من أن الجماعة كانت لها أملاكها في قبرص ، إلا أنها فضلت الاتجاه الى البندقية حيث عملت منذ فترة لنقل المقر الرئيسى لها الى وروبا والتي ظلت بها الى عام ١٣٠٩م/٧٠٨ - ٧٠٩ هـ - ثم غادرتها الجماعة الى مارنبيرج حيث ركزت نشاطها في منطقة بروسيا وحول بحر البلطيق . وفيما يبدو أن انتقال الجماعة الى هذه المنطقة جعلها تنشغل بها ، ولم نعد نسمع عن دور لها في تلك المحاولات المبكرة التي جرت بهدف الاستيلاء مرة أخرى على الاراضى المقدسة (١) . وعلى الرغم من أنه وردت الإشارة الى أن غازان ايلخان المغول حاول الاتفاق مع هنرى الثالث ملك قبرص ومقدمى الجماعات الثلاث بشأن القيام بحملة مشتركة ضد المماليك في عام ١٢٩٩م/٦٩٨ هـ ، إلا أن هذه المحاولة فشلت ولم يحضر مقدما الداوية والاسبتارية في الموعد المتفق عليه (٢) . ولم ترد الإشارة عن مقدم الجماعة الالمانية ، وكما أوضحنا أنه منذ انسحابها من عكا ، كان كونراد - مقدمها الأعلى - يرى أنه يفضل تركيز جهودها في بروسيا وحول بحر البلطيق ومحاربة الوثنيين في هذه المناطق بدلا من الاراضى المقدسة . وربما كان هذا السبب الذى دفع بفولك دى فيلاريت Fulk de Villaret أحد الدعاة المبكرين للمشاريع الصليبية أن يطالب البابا بأن يأمر مقدم التيوتون بالمشاركة في الحملة المزمع القيام بها لاسترداد الاراضى المقدسة . كذلك فإن البابا كلمنت الخامس - كتب الى الجماعة طالبا منها تقديم المساعدة للفرسان الاسبتارية في حملتهم التى كانوا يخططون لها للقيام بها في عام ١٣٠٦ - ١٣٠٩م/٧٠٥ - ٧٠٩ هـ (٣) . ولا شك أن ذلك كله يؤيد ما ذهبنا اليه ، وهو عدم مشاركة الجماعة الالمانية في هذه المحاولات التى أعقبت

(١) عن هذه المحاولات المبكرة انظر :

Richard, The Latin Kingdom, 431; Runciman, History, iii, 429.

(٢) A.T. Luttrell. The Hospitallers Interventions in Cilician Armenia, 1291-1375, in, History of Cilician Armenia, 122;

Richard, op. cit., 432-33.

Riley-Smith, The Knights of St. John, 220-23.

(٣)

سقوط عكا ، وهدفها الاستيلاء على الاراضى المقدسة ، وتركت هذه المسألة للجماعتين الآخرين .

أما فيما يتعلق بفكرة توحيد الجماعات الرهبانية العسكرية الثلاث ، والتي ظهرت بعد سقوط عكا ، فقد استطاعت الجماعة الالمانية أن تنجو منها وكان ضحيتها جماعة الداوية . فقد كانت الجماعة الالمانية قد نجحت في ترسيخ أقدامها في بروسيا ، وأن تكون لنفسها دولة خاصة بها أخذت تتسع مع مرور الوقت . ولكن الداوية رفضت فكرة التوحيد مما جعل الملك الفرنسى فيليب الرابع أو فيليب الجميل يتشكك فيها ، واعتقد أنها ربما تحاول تقليد الجماعة الالمانية وتقيم لها دولة مثلها داخل مملكته مما جعله يقضى عليها ، وآلت أملاكها الى جماعة الاسبتارية (٤) . واستمرت الجماعة الالمانية تمارس نشاطها طيلة العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالى ، ولكن بصورة مختلفة عما كانت عليه في تلك الفترة الاولى من تاريخها .

قيل سنوات قليلة من نشأة ذلك المستشفى الالمانى أمام عكا كان ميزان القوى في الصراع الصليبي الاسلامى في صالح المسلمين . ولكنه مع قدوم الحملة الصليبية الثالثة ونجاحها في الاستيلاء على عكا بالإضافة الى بعض المدن الساحلية الأخرى ، أخذ هذا الميزان في الاعتدال شيئاً فشيئاً بين الجانبين . وفي تلك الاثناء تحول المستشفى الالمانى الى جماعة عسكرية أخذت تسهم بدورها في الصراع الصليبي الاسلامى . والتساؤل الهام الذى نطرحه هنا : هل أسهمت الجماعة الالمانية بدور في الدفاع عن المدن والمعقل الصليبية فى الاراضى المقدسة ؟ وفى حقيقة الامر ، فاننا لا نستطيع أن نقارنه بذلك الدور الذى أسهمت به كل من جماعتى الداوية والاسبتارية اللتين نشأتا منذ فترة طويلة قبلها واستقرتا وحصلتا على قلاع وأماكن أكثر مما حصلت هى عليه . وقد نشأت الجماعة الالمانية فى

(٤) ظهرت فكرة توحيد جماعتى الداوية والاسبتارية منذ مؤتمر ليون عام ١٢٧٤م/٦٧٣هـ ، وأعادها البابا نيقولا الرابع للاذهان مرة أخرى فى عام ١٢٩١م/٦٩٠ . ثم ظهرت فكرة توحيد الجماعات الثلاث فى عام ١٢٩٤م/٦٩٣هـ عن ذلك انظر :
Daillicz, Les chevaliers, 45-46.

فترة اقتصر فيها المملكة الصليبية الاسمية على الساحل باستثناء بعض المعازل البسيطة الداخلية . وفي حاضرة تلك المملكة الصليبية الاسمية ، حصلت الجماعة على جزء من سورها فوق أحد أبوابها قامت الجماعة الالمانية بالدفاع عنه حتى سقوطها في عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ . أما موقع القرين أو مونتفرت - قلعة الجماعة الرئيسية في الاراضى المقدسة - فلم يكن على حدود المملكة ، مما جعلها لا تتمتع بموقع استراتيجى بالنسبة للمملكة ، ولكن أهميتها كانت لوقوعها في وسط أملاك الجماعة الالمانية التى كانت مركزة في هذه المنطقة . وعلى الرغم من ذلك ، فانها كانت بمثابة تهديد خطير على صفد بعد نجاح المماليك في استردادها ، مما جعلها هدفا لهم . ولم يهدأ لهم بال حتى نجحوا في استردادها وذلك في عام ١٢٧١م / ٦٧٠هـ . أما بقية أملاكها التى حصلت عليها في تلك المملكة الصليبية وخاصة حول عكا وصيدا وبيروت ، فلم تسهم بدور دفاعى ، وانما قامت الجماعة بالدفاع عنها . وبالإضافة الى ذلك ، كانت منحيتها في طرابلس وخاصة في السور الرئيسى تملى عليها دورا دفاعيا ظهر في ابريل ١٢٨٩م / ٦٨٨هـ ، عندما شارك قائدها العام في محاولة الدفاع عنها . أما في امارة أنطاكية فلم تسهم الجماعة بدور دفاعى وذلك لأنها لم تحصل بها سوى على امتيازات تجارية فقط .

هذا فيما يتعلق بأملاك الجماعة ودورها الدفاعى ، أما الجماعة نفسها فقد أسهمت بدور واضح في احداث الشرق ، وبخاصة أثناء الحملات الصليبية الخامسة والسادسة والسابعة ، وكذلك في حملتى ثيوبولد صاحب شامبانيا وريتشارد أوف كورنول ، والتى اتضح فيها اسهامها الواضح بالدور الهجومى الى جانب الدور الدفاعى . أما فيما يتعلق بموقف المسلمين من الجماعة ، وهل اعتبرت عنصر تهديد خطير بالنسبة لهم ، فمن الصعب الاجابة على هذا التساؤل ، لأن المصادر العربية لا تمدنا بالمادة الكافية عنها . وكل ما هنالك شذرات ونتف بسيطة أمكن بها استخلاصها من هذه المصادر . وربما لأن أملاك الجماعة لم تكن على الحدود مباشرة مع المسلمين مثل الجماعتين الأخرين الداوية والإسبتيارية - فان المسلمين لم يعتبروها عنصر تهديد خطير . يضاف الى ذلك موقفها المؤيد للتحالف مع المسلمين . وقد ظهر هذا الموقف في عام ١٢١٠م / ٦٠٧هـ ، وأثناء عروض الصلح في الحملة الخامسة ، وفي معاهدة يافا عام ١٢٢٩م /

٦٢٦ هـ ، وفي عامى ١٢٤١م/٦٣٩ هـ و ١٢٤٤م/٦٤٢ هـ . وربما كان لهذه السياسة أثرها عليها بعدم اعتبارها قوة تهديد خطيرة بالنسبة للمسلمين . ولكن بعد نجاح الظاهر بيبرس فى استرداد صفد أصبحت مونتفرت مركز تهديد خطير على المسلمين وذلك من واقع المصادر العربية نفسها . أما فى مملكة أرمينية الصغرى ، ففى اعتقادنا أنها كانت ذات عنصر تهديد ، وذلك لأن قلاعها كانت تقع فى الجانب الشرقى للمملكة الأرمينية ، واستخدمت كمركز للتتار الذين كانوا يهاجمون شمال الشام . وهذا ما جعل الظاهر بيبرس يوجه حملاته ضدها وينتقم منها .

وفىما يختص بأهم القضايا والنقاط التى تمت مناقشتها على مدى صفحات هذا البحث ، فقد أوضحنا أن هناك مرحلتين لنشأة المستشفى الألمانى فى بيت المقدس ، الأولى كانت فى أواخر عهد بلدوين الأول ، ثم المرحلة الثانية حيث تم بناء الكنيسة الملحقه به فى عام ١١٢٧م/٥٢١ هـ . وأما عن الفترة الممتدة من عام ١١٨٧ الى عام ١١٩٠م/٥٨٣ - ٥٨٦ هـ ، فأطلقت عليها المؤرخة الألمانية مارى فيفروا الفترة المظلمة فى تاريخ هذا المستشفى ، فقد أوضحنا أنه أثناء حصار صلاح الدين الأيوبي للقدس واقتحامه لها ، لم يؤثر ذلك على المستشفى الألمانى بها لبعده عن منطقة الاقتحام ، كما رجحنا مشاركة أعضاء المستشفى الألمانى فى الدفاع عن القدس ، لأن المصادر الصليبية نفسها أشارت الى أن الجميع شاركوا فى الدفاع عنه بما فيهم رجال الدين أنفسهم . ولكن هذا لا يعنى أنه قام بدور عسكرى فى هذه الفترة المبكرة من تاريخه لعدم العثور على ما يؤيد ذلك بشكل حاسم سواء فى المصادر الصليبية أو العربية .

وفى الفصل الأول تناولنا قضية مصير أولئك الأخوة الألمان أعضاء المستشفى الألمانى فى القدس ، وهل عادوا الى الغرب الأوروبى أم أنهم ظلوا فى الشرق اللاتينى ؟ واستطعنا اثبات وجود الألمان عند صور ، وقبل وصول أولئك الألمان الذين كانوا مع حملة فردريك بربروسا ، ورجحنا أنهم من بقايا أعضاء المستشفى الألمانى فى القدس . وينقلنا هذا الذى نقطة أخرى هامة ، وهى أنهم لابد أن يكونوا قد أسهموا بدور فى تأسيس المستشفى الجديد أمام عكا . ويؤيد ذلك دورهم أثناء حصار المدينة ، ومنحة الملك جاي لوزنيان لهم ، بالإضافة الى اختيارهم لموقعه فى منطقة تبعد عن منطقتى الداوية والاستبارية حتى يكون له حرية الحركة .

أما فيما يتعلق بعدم الإشارة اليهم فربما تعمدوا هم ذلك حتى لا يثيروا الاستتارية ضدهم وهم يعلمون موقفها السابق من المستشفى الألماني في بيت المقدس .

أما عن طبيعة الدور الذي أسهم به المستشفى الألماني الجديد في عكا منذ نشأته وحتى تحوله الى جماعة عسكرية في عام ١١٩٨م/٥٩٤هـ ، فقد أوضحنا أن أعضاءه قاموا بأعمال التمريض ومداواة الجرحى أثناء حصار عكا ، وبعد أن استقر في عكا أخذ يلعب دورا عسكريا برز من خلال وثائقه التي أوضحت حصوله على جزء من سور المدينة والبريكان والخندق الى غير ذلك من الامتيازات التي كانت تتطلب دورا دفاعيا في حالة تعرضها للهجوم من جانب المسلمين . كذلك أثبتنا وجود بعض الألمان في يافا في عام ١١٩٧م/٥٩٤هـ ، ورجحنا أنهم من أعضاء ذلك المستشفى الألماني في عكا ، حيث كانوا أثناء حصار العادل الأيوبي ليافا في نفس العام السابق . وينجح العادل في استرداد يافا يكون المستشفى الألماني قد فقد أول أملاكه التي حصل عليها منذ فترة وجيزة في الاراضي المقدسية .

وفي الفصل الثاني تناولنا عددا من القضايا وطرحنا عددا من التساؤلات الهامة عن دور الجماعة الألمانية في العلاقات الصليبية الاسلامية . وأوضحنا أن العامل الاول الذي كان يحركها هو مصلحتها . فقد اتخذت موقفا مؤيدا لعقد المعاهدات مع الايوبيين . ورجحنا أن ذلك ربما كان يرجع الى حرصها على توفير المناخ المناسب لها لكي تنمو وتتطور في هدوء ، حتى تستطيع أن تقف على قدم المساواة مع الجماعتين الكبيرتين - الداوية والاستتارية - ثم سرعان ما استغلت أول فرصة لها حتى تثبت وجودها العسكري ، وذلك في الحملة الصليبية الخامسة كما أن تأييدها لسياسة الامبراطور فردريك الثاني ترك أثره عليها ، فسارت على نفس سياسته المؤيدة للتحالف مع مصر .

وأما عن دورها في شمال بلاد الشام ، فقد أثبتنا أن أول وثيقة حصلت عليها الجماعة في عام ١٢٠٠م/٥٩٦هـ كانت من بوهمند الثالث أمير انطاكية وليس من بوهمند الرابع كما أشار زوربشت وتبعه عدد كبير من المؤرخين الحديثين في ذلك . وقد اعتمدنا في ذلك على الوثيقة الاصلية . كما توصلنا الى أن أحد اخوة الجماعة الألمانية كان مندوبا من قبل الملك ليو الارميني الى البابا انوسنت الثالث وذلك في عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ وليس

حارثيه اليمان كما ذكر رورشت . كما أثبتنا أن الجماعة الالمانية حصلت على أملاك في أرمينية عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ ، وذلك قبل أول وثيقة من الملك ليو الارمينى فى عام ١٢١٢م/٦٠٩هـ .

كذلك تناولنا آراء المؤرخين القدامى فيما يتعلق بمقتل هنريش بارت مقدم الجماعة وعدد من أفرادها عند أرمينية أو طرابلس . وانتهينا الى عدم صحة هذه الآراء ، وذلك لأسباب عديدة كما أوضحنا عند تناولنا لهذه القضية . كذلك أشرنا الى أن الغموض لايزال يحيط بتلك الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة الالمانية وحتى تولى هرمان دى سالزا مقدمها الأعلى . ويرجع ذلك الى عدم وجود المادة الكافية عنها فى المصادر الخاصة بالجماعة أو المصادر الصليبية الأخرى . كما أن موقف البابا انوسنت الثالث منها لاشك أنه ترك أثره عليها ، وذلك لأنه خشى أن يستخدمها البابطرة الالمان كأداة ضده فى فترة احتدم فيها الصراع بين العاهلين . ولذلك لم يمنحها امتيازات جديدة ، وكل ما فعله هو إعادة امتيازات البابوات السابقون لها .

وبتولى هرمان دى سالزا اختلفت الامور تماما عما كانت عليه من قبل . فقد استطاع أن يضع نصب عينيه أهدافا تمكن من تحقيقها بالنسبة لجماعته . فقد تمكن من الحصول على الامتيازات التى كانت تتمتع بها الجماعتان الكبيرتان الداوية والاستبارية . وسعى فى ذلك بين البابوية والامبراطورية ، وسلك كافة الطرق ، واتبع كافة الوسائل التى مكنته بالفعل من تحقيق هدفه . أما الخطوة الهامة الأخرى التى كان يريد تحقيقها فهى اثبات وجود جماعته على مسرح الاحداث فى الشرق اللاتينى . وقد أسهمت بدور رئيسى أثناء الحملة الهنغارية على بلاد الشام فى ١٢١٧م/٦١٤هـ . وأوضحنا أن مشاركتها مع الداوية فى بناء قلعة الحجاج أو عثليت أعطت لها الخبرة اللازمة التى استغلتها عند بناء قلعتها القرين أو مونتفرت . كذلك فإن الحملة الصليبية الخامسة على مصر كانت الفرصة الذهبية لها ، فقد أسهمت بدور هام خلالها ، وكان هرمان دى سالزا على رأس قواته المشاركة فى هذه الحملة . كذلك أوضحنا أنه فى بعض الأحيان كان يحدث خلط لدى المؤرخين الحديثين عند ورود اشارة باسم « التيوتون » فى المصادر الصليبية ، فقد اعتقد البعض أن الجماعة الالمانية هى المقصودة ، ولكن عندما يريد المؤرخ الاشارة اليها كان يذكر

مصطلح « منزل التيوتون » . ووضح هذا لنا بعض الامور الغامضة ، وكشف عن اللبس الذى حدث عند تناول بعض الاحداث ودور الجماعة الالمانية فيها ، كما حدث أثناء انسحاب الصليبيين عائدين الى دمياط فى عام ١٢٢١م/٦١٨هـ ، واتهام الجماعة الالمانية بأنها هى التى قامت بحرق الامتعة مما أعطى المسلمين الفرصة لمعرفة نباء الانسحاب ، بينما كانت المصادر الصليبية قد أشارت الى أن التيوتون هم الذين قاموا بذلك ولم تحدد « منزل التيوتون » أى الجماعة الالمانية . كما أبرزنا دور هرمان دى سالزا فى هذه الحملة ، وبخاصة فى اعتراف القادة الصليبيين بجماعته مما عاد عليها بالفائدة ، وبخاصة تلك المنح والامتيازات التى حصلت عليها سواء فى الغرب الاوروبى أو الشرق اللاتينى . كما أنه نجح فى توثيق علاقته بالملك الصليبي جان دى بريين واستغلاله لهذه العلاقة سواء أثناء الحملة الخامسة أو بعدها . كذلك أوضحنا أهمية تلك المنح والامتيازات التى حصلت عليها الجماعة فى الشرق اللاتينى من حيث ارتباطها المباشر بالصراع الصليبي الاسلامى ، وأثرها على دور الجماعة الالمانية فى ذلك الصراع .

وفى الفصل الثالث ألقينا الضوء على دور الجماعة الالمانية - أو بالأدق دور هرمان دى سالزا - فى الاعداد للحملة الصليبية السادسة ، وهو دور رئيسى أسهم به . ولا نكون مغالين اذا قلنا أنه لولا وجود هذا الرجل فى هذه المرحلة ، لاختلف الوضع تماما عما كانت عليه . فقد نجح بما كان لديه من دبلوماسية وذكاء وقوة شخصيته فى أن يلعب دورا هاما فى العلاقة بين البابوية والامبراطورية خاصة فى تلك المرحلة التى كان الصدام بينهما على أشده . وظهور ذلك الدور فى أثناء الحملة الصليبية السادسة ، والتى تعدواحدة من أغرب الحملات فى تاريخ الحروب الصليبية . فبالرغم من قلة عدد المشاركين فيها ، الا أنها نجحت فى الحصول على بيت المقدس ولكن بالطرق السلمية . ولا شك أن هرمان دى سالزا لعب دورا هاما فى تلك المفاوضات التى جرت بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد الايوبى . كما أنه كان يوجه الامبراطور ، وأخذ على عاتقه توفير الحماية له أثناء وجوده فى الشرق اللاتينى ، وغير ذلك من النقاط التى أوضحناها فيما يتعلق بدوره ودور جماعته أثناء هذه الحملة . كذلك أوضحنا موقفه من معاهدة يافا فى عام

١٢٢٩م/٦٢٦هـ وما ترتب عليها من نتائج بالنسبة لجماعته . وعلى الرغم من موقف هرمان المؤيد لفردريك ، الا أنه نجح في الاحتفاظ بعلاقته مع البابوية والحصول على امتيازات ضخمة منها لصالح جماعته . وعلى الرغم من محاولات إعادة السيطرة للاستتارية على المستشفى الالماني في القدس ، الا أنه نجح أيضا في التغلب على هذه المشكلة بما عرف عنه من دهاء ومكر . كما نجح في الافلات من ذلك الشرك الذي حاولت الداوية نصبه له . ونجحت الجماعة الالمانية في أن تحتفظ بكيانها ، وسرعان ما وضعت لنفسها قوانينها ونظمها الخاصة بها .

وعلى مدى صفحات الفصل الرابع تناولنا عددا من القضايا الهامة ، وخاصة في تلك المرحلة الهامة التي شهدت نهاية الدولة الايوبية وقيام دولة المماليك الاولى . فقد أسهمت الجماعة بدور واضح في حملتي ثيوبولد صاحب شامبانيا وريتشارد كورنول . وتناولنا بالتحليل دور الجماعة ومن تولى أمورها خلال هذه الفترة . كما أشرنا الى موقف الجماعة من مسألة التحالف مع القاهرة أو دمشق ، ووقوفها الى جانب التحالف مع القاهرة وأسباب ذلك الموقف والنتائج المترتبة عليه . ولكن موقف الجماعة لم يعد قويا في الشرق اللاتيني ، خاصة بعد تلك الهزيمة التي منى بها الامبراطوريون في عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ ، واضطرت لتغيير سياستها للموافقة على التحالف مع دمشق . ثم كانت تلك الكارثة التي حلت بالصلبيين في غزة عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، والتي راح ضحيتها أعداد كبيرة منهم ، ومن بينهم أعضاء الجماعة الالمانية . وكان من الممكن أن يستثمر الايوبيون هذه المعركة لصالحهم ، الا أن انشغالهم بالخلافات الداخلية قضى على ذلك الامل ، وأعطى الفرصة للصلبيين لالتقاط أنفاسهم . ولكن خلافاتهم الداخلية - والتي شاركت فيها الجماعة الالمانية - قضت عليهم أيضا .

كذلك فقد أوضحنا نقطة هامة فيما يتعلق بتلك الصراعات والخلافات التي حدثت بين الجماعة الالمانية وأصحاب الاراضي الاصليين أو ورثتهم بعد أن ضعف مركز الجماعة بعض الشيء في الاراضي المقدسة . ولجأت الجماعة الى اتباع أسلوب جديد لحل مشاكلها مع هؤلاء الاشخاص . فكانت توسط البعض ، أو تهدم بعرض الخلاف على الادارة المركزية في روما والتي لم يكن بوسع المتقاضين تحمل تكاليفها ، فكانوا يلجأون

الى الحل الوسط . أما حملتا لويس التاسع الصليبيتان على مصر والشام فقد شاركت فيهما الجماعة الالمانية ، وقتل بعض أفرادها كما أسر البعض الآخر ، وظلوا أسرى لبعض الوقت حتى تم اطلاق سراحهم بعد مفاوضات بين الجانبين . وأوضحنا أن دورها أثناء هاتين الحملتين استيفاء من روتلان ومتى الباريسى ، أما جوانفيل - مؤرخ الحملة - فربما كان للعلاقة العدائية بين الالمان والفرنسيين من ناحية ، وعدم تسجيله لأحداث الحملة الا بعد فترة من الوقت من ناحية أخرى أثره في جعل الامور تلتبس عليه ، ولم يسجل معلومات كافية عن دورها خلال تلك الفترة من الزمن .

أما في الفصل الخامس والآخر ، فقد تناولنا أهم فترة من فترات تاريخ الجماعة اذ ظهر بصورة واضحة دورها على مسرح الاحداث في الشرق اللاتينى . وحاول مقدموها تغيير سياستهم والتكيف مع الظروف والاحوال الجديدة التى ظهرت على مسرح الاحداث . فقد انتهت الدولة الايوبية ، ونجح المماليك فى اثبات وجودهم بعد أن تغلبوا على مشاكلهم الداخلية من جهة والقضاء على خطر التتار من جهة أخرى . وأثبتنا أن الجماعة الالمانية وقفت موقفا خطيرا فيما يتعلق بمسألة التحالف الارمينى المغولى الصليبي ضد المسلمين . فقد عارض مقدمها انو اوف سانجرهاوزن أمر التحالف مع المماليك ، وأوضح للصليبيين ضرورة الوقوف على الحياد ، مبنيا أن المماليك سوف يتفرغون لهم بعد نجاحهم فى القضاء على التتار ، وقد تأكد صحة ما توقعه . ولم تقف الجماعة الالمانية هذا الموقف المعارض لآى تقارب صليبي مملوكى ، بل انها أيدت التحالف الارمينى المغولى . وأثبتنا أن قلاعها استخدمت كمركز لاقامة التتار ومهاجمة بلاد الشام . وكان لذلك الموقف أثره عليها ، وذلك عندما وجه الظاهر بيبرس قواته لمهاجمة أرمينية الصغرى ، فتعرضت قلاعها للتخريب ، وقتل عدد كبير من فى الحملة التى جرت فى عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م . أما أثر هجمات الظاهر بيبرس على أملاك الجماعة الالمانية ، فقد تتبعناها من خلال الاشارات المختلفة التى وردت سواء فى المصادر الصليبية أو الاسلامية ، أو تتبع خط سير هذه الحملات لمعرفة اذا ما كانت قد هاجمت أملاك للجماعة فى أثناء طريقها أم أنها كانت بعيدة عنها . كذلك قمنا بدراسة المعاهدات التى عقدت بين الجانبين الصليبي والمملوكى ، والاشارات التى وردت بها عن أملاك الجماعة الالمانية لمعرفة ما تبقى فى تبعيتها وما نجح

المماليك في استرداده منها ، وذلك لأن مصادر الجماعة نفسها لم تحدد لنا سوى تاريخ الحصول على هذه الاملاك ، أما في حالة استرداد المماليك لها فلم تشر اليها .

كذلك أشرنا الى محاولة الجماعة اقامة مناطق نفوذ جديدة لها في صيدا وببيروت ، وظهور منصب قائد صيدا لأول مرة في هذه الفترة مما يدل على محاولتها تعويض ما فقدته من أملاك في جنوب المملكة الصليبية الاسمية . ولكن بيبرس لم يعط لها هذه الفرصة ، فقد تتابعت ضرباته القوية ضد الصليبيين ، ونجح في استرداد جانب كبير من معاقلهم .

أما مونتفرت أو القرين - قلعة الجماعة الرئيسية في الاراضى المقدسة - فقد أشرنا بالتفصيل الى المحاولتين اللتين قام بهما بيبرس في عامى ١٢٦٦م/٦٦٤هـ - ١٢٧١م/٦٧٠هـ ضدها وكانت الاولى بمثابة محاولة استكشافية لمعرفة الحصن ونقاط الضعف فيه أكثر منها محاولة جادة لاسترداده . وفي الثانية قام بيبرس بالاعداد للحصار ، ونجح في استرداده بعد فترة من الحصار . ثم عرضنا لآراء المؤرخين المسلمين عن الحصن وحصانته وخطره على صفد التى كان المماليك قد استردوها قبل ذلك بعدة سنوات . وعلى الرغم من سقوط مونتفرت ، الا أن الجماعة ظلت تمارس دورها في عكا حيث كان مركزها الرئيسى . وأشرنا الى الوثائق التى تناولت هذه النقطة . كذلك رجحنا أنه ربما كان ثمة علاقة بين وجود أنواف سانجرهاوزن مقدم الجماعة الاعلى في أرمينية في يونيه ١٢٧١م/ذى القعدة ٦٦٩هـ وبين وجود ادوارد الاول الامير الانجليزى في عكا . ورجحنا أنه ربما كان موفدا من قبل الصليبيين لعقد اتفاق مع التتار للقيام بمهاجمة بلاد الشام . وعلى الرغم من عدم وجود اشارة صريحة الى ذلك المصادر الصليبية ، الا أن مواقفه السابقة من التحالف المغولى الارمينى الصليبي ، وحدث غارة بالفعل بعدها بفترة قصيرة من جانب التتار يوضح صحة ما توصلنا اليه بهذا الخصوص .

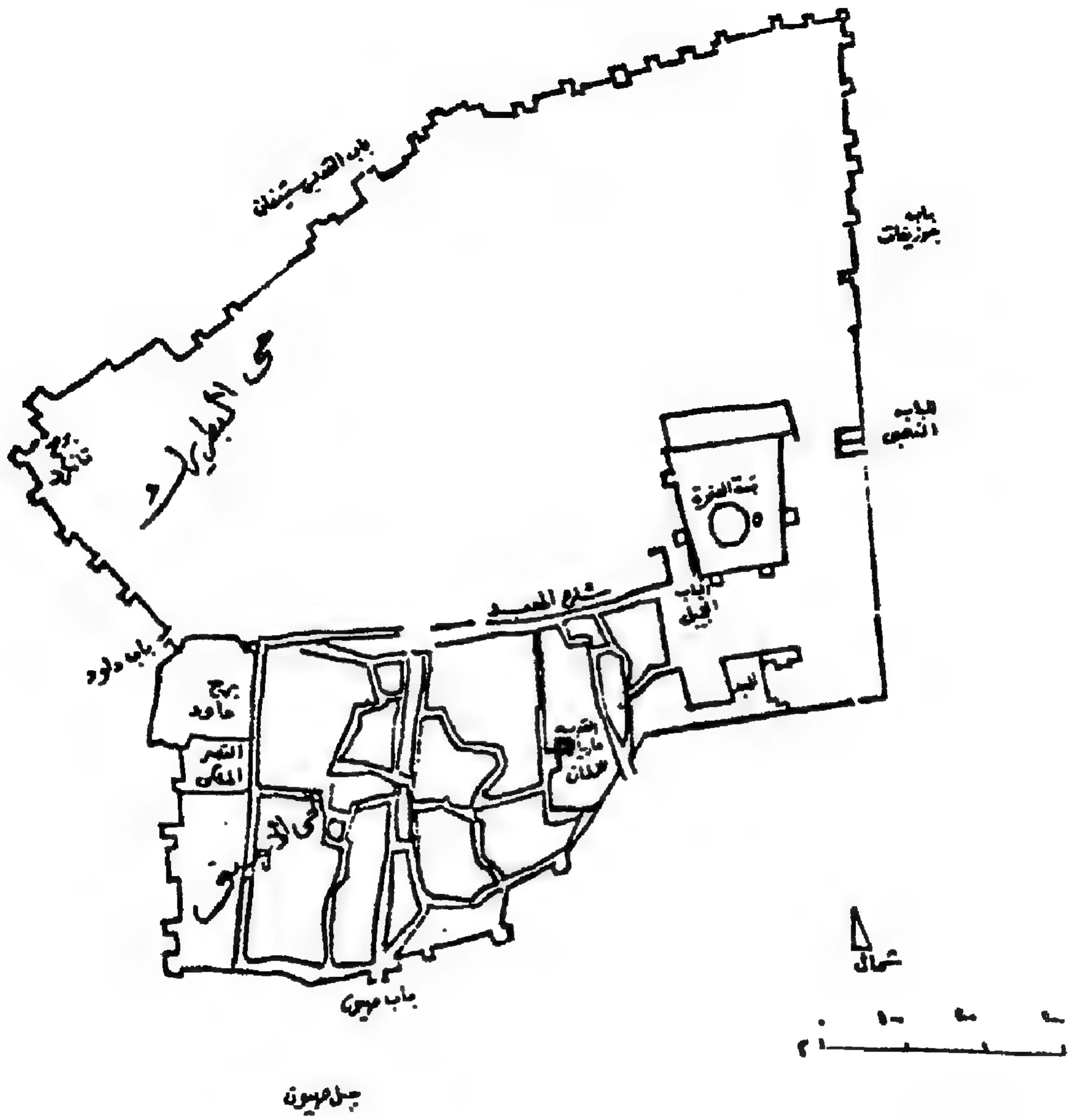
وعلى الرغم من أن نهاية الجماعة الالمانية كانت قد أوشكت في الاراضى المقدسة ، الا أنها ظلت تسعى للحصول على أملاك جديدة . وحدث ذلك بالفعل في الاسكندرونة في عام ١٢٨٢م/٦٨١هـ ، ولكن المماليك حصلوا على نصفها طبقا للمعاهدات التى عقدت بين الجانبين .

وعلى الرغم من عدم وجود معاهدة مباشرة بين الجماعة الالمانية وبين المماليك الا أن دور القائد العام أو مارشال الجماعة قد ظهر واضحا في تلك الفترة . فقد ظهر المارشال كونراد اوف سولس في معاهدة عام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ ، وكان من بين الشهود الموقعين عليها . وناقشنا هذه المعاهدة بالتفصيل لاهميتها الخاصة في اثبات أملاك الجماعة ، حيث كانت الاثبات الوحيدة لهذه الاملاك التي ظلت في قبضتها حتى سقوط عكا في عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

أما في عملية حصار عكا النهائي في عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ ، فقد عالجنا بالتفصيل دور الجماعة الالمانية في الدفاع عنها ضد هجوم الاشرق خليل . كما أوضحنا متى قتل القائد هنرى دى بولندن وأعضاء جماعته ، ومتى تم اختيار المقدم الجديد كونراد اوف فويختفاجن ، ثم قيامه باعطاء بقية الاخوة الالمان الامر بالانسحاب متجهين الى البندقية . ثم سقوط بقية أملاكها في الاراضى المقدسة بسقوط عكا نفسها آخر معاقل الصليبيين الحصينة على الساحل الشامى .

الملاحق

شکل رقم (۱)



موقع المستشفى الألماني في بيت المقدس .

Benvenisti, op. cit.

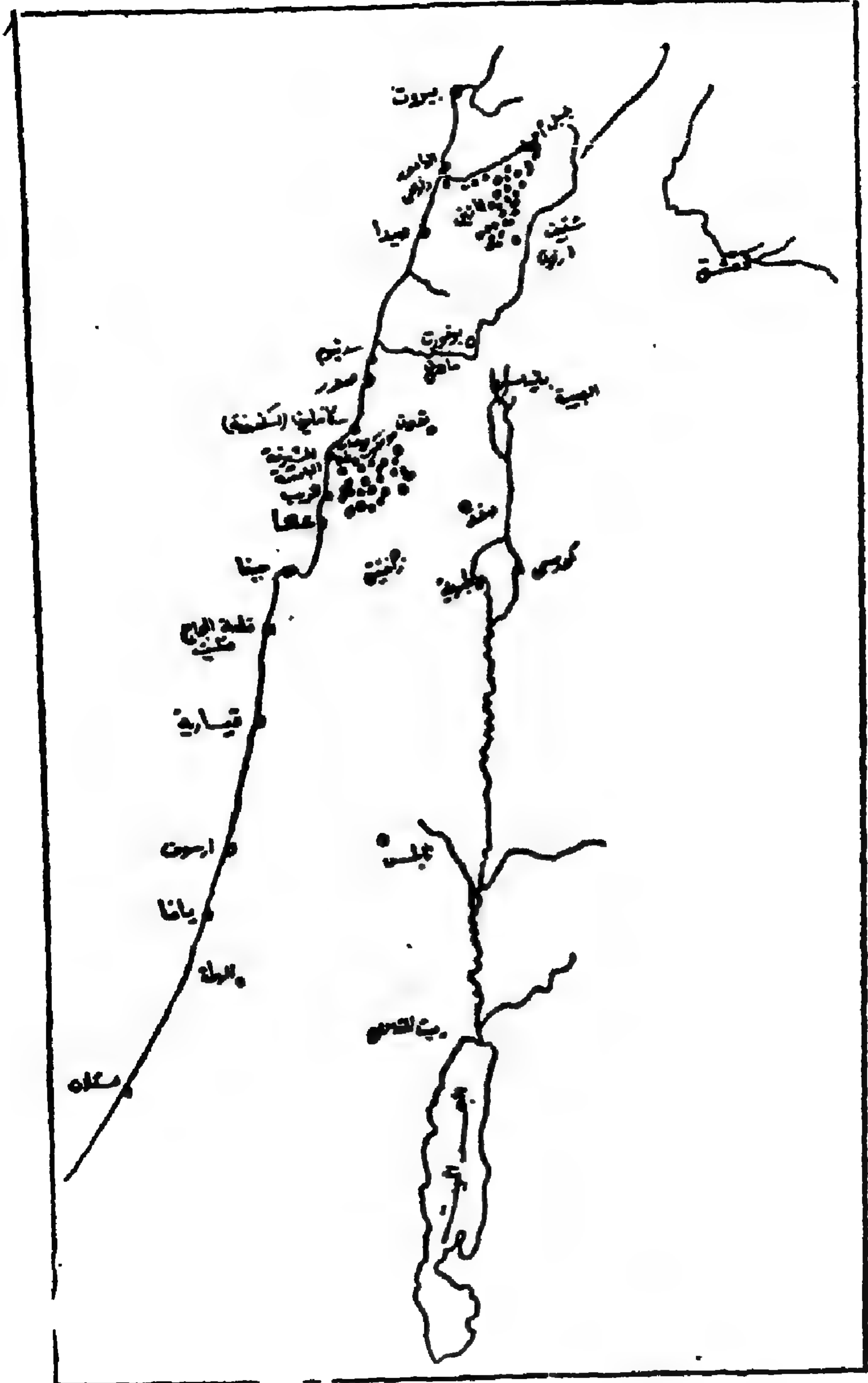
نقل عن :

1 - الأساس
2 - الكنيسة الصغيرة
3 - الحائط الرئيسي
4 - السور الساتر
5 - الدير
6 - الحجرة
7 - الباب
8 - نبيج الحارس
9 - الخندق
10 - معصرة السيد

Benvenuti, op. cit.

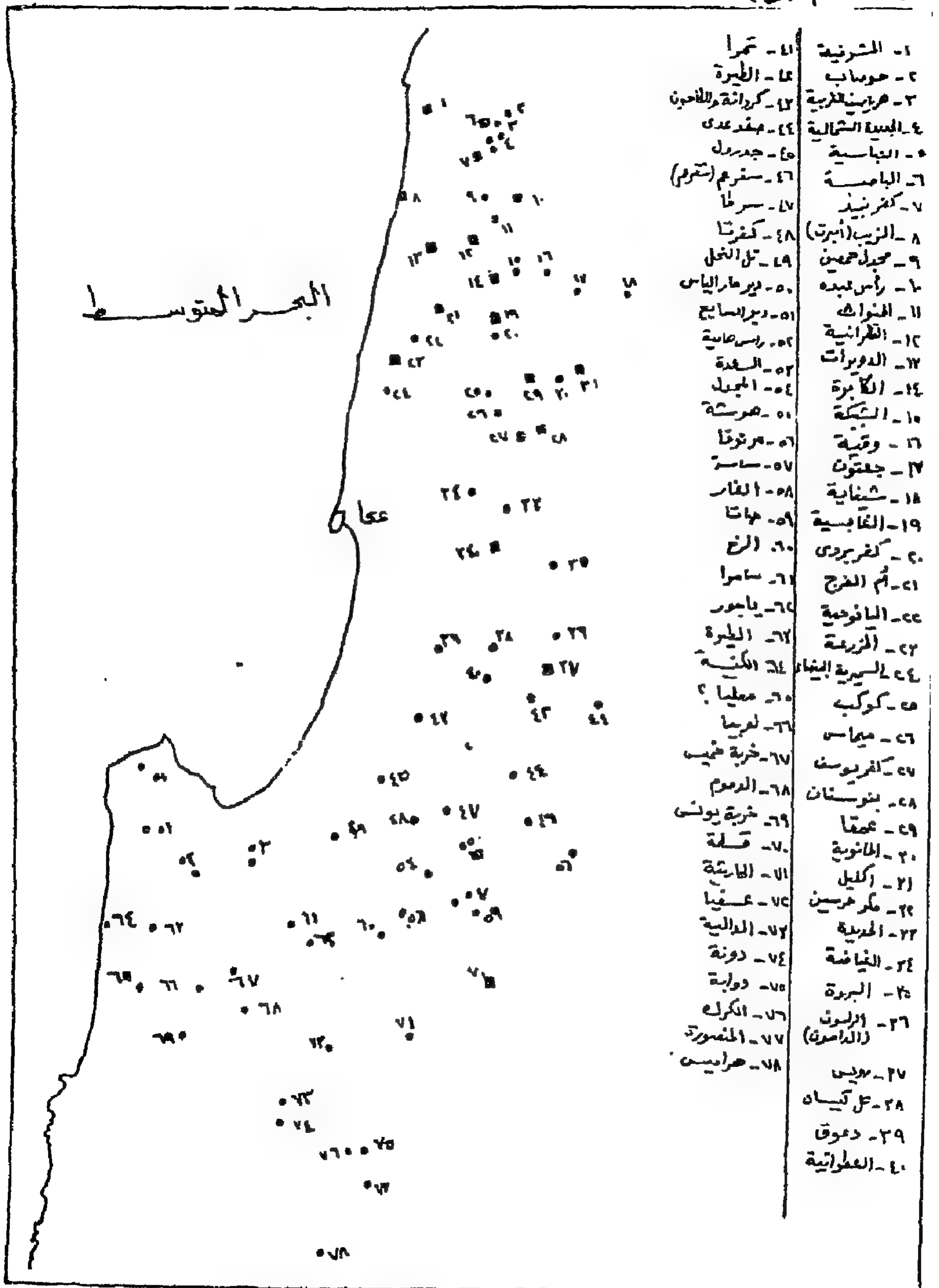
نقل عن :

خريطة رقم (٣)



• أماكن الجماعة الألامانية في مملكة بيت المقدس الرسمية

خريطة رقم (٤)



■ أملاك الجماعة الألمانية عقب معاهدة ١٩١٨/٢٨٢ هـ

D. Barag, op. cit.

نقل عن

خريطة رقم (٢)



• الملك الجارية اللطانية في شمال بلاد الشام ومملكة أرمينية

الملحق الاول : منحة الملك جاي لوزنيان للمستشفى الميداني الالماني
امام عكا في منتصف سبتمبر ١١٩٠م/ ١٢ شعبان ٥٨٦ لانشاء منزل بالمدينة
بعد استيلاء الصليبيين عليها . نقلا عن :
Strehelke, *Tabulae Ordinis Theutonici*, no. 25.

الملحق الثاني : منحة الملك ليو الثاني الارميني لجماعة الفرمان
التيوتون في ابريل ١٢١٢م/ ذى القعدة ٦٠٨ هـ ، والتي حصلت بموجبها
على عدد من القلاع والقرى والامتيازات الأخرى في مملكته .
نقلا عن
Strehlke, *op. cit.*, no. 46.

الملحق الثالث: توثيق الملك جان دي برين لوثيقة شراء هرمان دي سالزا
عددا من القرى والقلاع من أوتوكونت هنبرج وزوجته بياتريس ، وذلك
في مايو ١٢٢٠م/ ربيع أول ٦١٧ هـ . نقلا عن
Strehlke, *op. cit.*, no. 53.

الملحق الرابع : خطاب هرمان دي سالزا المقدم الأعلى للجماعة الى
البابا جريجورى التاسع في عام ١٢٢٩م/ ٦٢٦ هـ ، يشرح فيه أحداث الحملة
الصليبية السادسة ومعاهدة يافا :
نقلا عن :
Huillard-Bréholles, *Historia*, 111, 90-92.

الملحق الخامس : ذكر غزو سيس في عام ١٢٦٦م/ ٦٦٤ هـ .
نقلا عن : العيني : عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٦٤ .

الملحق السادس : ذكر فتوح القرين على يد الظاهر بيبرس عام
٦٦٩ هـ/ ١٢٧١م .

نقلا عن : النويرى : نهاية الارب في فنون الادب ، ج ٢٨ ،
ورقة ١٠٣ .

الملحق السابع : قائمة بأسماء وسنوات حكم المقدمين للجماعة
الالمانية اثناء الفترة الزمنية لموضوع الدراسة .

تتناول ثلاثة من هذه الملاحق السبعة عددا من المنح والامتيازات التي حصلت عليها الجماعة الالمانية في مملكة بيت المقدس الاسمية وأرمينية الصغرى ، بالإضافة الى خطاب هرمان دى سالزا المقدم الاعلى للجماعة الى البابا جريجورى التاسع . والملاحق الاربعة الاولى لاتزال بلغتها الأصلية التى ذونت بها وهى اللغة اللاتينية - والتى لم تترجم بعد الى اللغات الحديثة ، ونقوم بنشرها والتعليق عليها لأول مرة الى اللغة العربية .

وتتناول الملاحق الثلاثة الاولى أمثلة الثلاثة الاولى أمثلة على منح وامتيازات حصلت عليها الجماعة في مملكتى بيت المقدس وأرمينية الصغرى . وهى مرتبطة ارتباطا مباشرا بالصراع الصليبي الاسلامي في تلك الفترة من الزمن . فالوثيقة الاولى التى حصل المستشفى الميداني بموجبها على منزل و مقر له في عكا بعد استيلاء الصليبيين عليها - حيث حدث ذلك في ١١٩١م/٥٨٧هـ - دليل على وجود ذلك المستشفى في هذه المدينة ، والذي سيكون لوجوده بها أثره عليها طيلة وجودها في الاراضى المقدسة ، وارتباطها بالاحداث التى مرت بها المدينة . أما الوثيقة الثانية فتوضح أملاك وامتيازات الجماعة الالمانية في مملكة أرمينية الصغرى ، والتى ترتبط أيضا ارتباطا مباشرا بالصراع الصليبي الاسلامي في هذه المنطقة من شمال بلاد الشام . فقد ارتبط وجود الجماعة الالمانية في هذه المنطقة بما حدث بعد ذلك من تأييدها لسياسة الملوك الارمن في التحالف مع المغول ضد المسلمين . كما عارضت الجماعة نفسها أى تحالف مع المماليك ضد المغول نتيجة لسياستها السابقة ووجودها في المملكة الارمنية . وهناك ثمة ملاحظات على هذه الوثيقة : منها أن قائمة القرى والاملاك التى وردت بها كان بعضها يرد لأول مرة تبعيته لها ، وبعضها اثبتنا حصولها عليها قبل عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ - وهو تاريخ المنحة . ولا شك أن ذلك يعنى أنها كانت عبارة عن وثيقة اثبات لاملاك الجماعة الالمانية التى حصلت عليها ربما شفويا وليس عن طريق وثيقة مكتوبة . كذلك فان تلك التقسيمات والحدود التى وردت بها لتحديد حدود كل قرية أو قلعة ، على الرغم من تحديدها تحديدا دقيقا ، الا أنه من الصعب على الدارس وضعها على الخريطة . فهى أما أسماء لاماكن غير معروفة لدينا الآن أو عبارة عن علامات محددة بأشجار أو أحجار أو كهوف أو بحيرات وأتى

عليها الزمن . كما أن بعض أسماء القرى والقلاع غير معروفة لدينا مثل سبين ، وبوكوكيا ، وايون أوهايون ، ولكننا نرجح أنها كانت قريبة من بعضها ، وذلك بالقرب من نهر جهان عند العامودين . أما الملحق الثالث فهو وثيقة من الملك جان دي بريين وثق فيها عقد شراء قائمة من القرى والقلاع في المنطقة الواقعة خلف عكا . وهذه المنطقة كانت من أملاك جوسلين الثالث سيد الرها السابق حيث آلت الى ورثته ، وحصلت الجماعة الألمانية على نصيب الأسد في هذا الميراث . وهى أيضا ترتبط مثل الوثيقتين السابقتين بالصراع الصليبي الاسلامى بشكل مباشر . فقد قمنا بتتبع هذه الاماكن والآثار التى ترتبت على هجوم المماليك على المناطق المحيطة بعكا ، ودور الجماعة فى الدفاع عنها ، ومدى انعكاس ذلك على دورها فى الصراع الصليبي . وثمة ملاحظة هامة على الاسماء الواردة فى هذه الوثيقة ، وهى أننا لم نعثر على الاسماء العربية المقابلة لبعض هذه الاسماء اللاتينية التى وردت بها ، فقمنا بترجمتها ترجمة حرفية ، أما الاسماء الأخرى التى عثرنا على الاسم العربى لها فقد قمنا بوضعها بأسمائها العربية .

وفى الملحق الرابع الخاص بخطاب هرمان دى سالزا الى البابا جريجورى التاسع اتضح لنا بصورة واضحة ذلك التأييد الصريح من المقدم الأعلى للجماعة الألمانية للامبراطور فردريك الثانى . ولا يحتاج هذا الى تفسيره فقد حاول هرمان اعطاء صورة طيبة عما قام به فردريك من أعمال أثناء حملته الصليبية ، وخاصة قيامه بتحسين يافا والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لمحاولة الاستيلاء مرة أخرى على بيت المقدس . كما ركز هرمان على أن الشعب الصليبي كان مع فردريك - على الرغم من قرار الحرمان الصادر ضده - لاحداث نوع من التأثير على البابا جريجورى التاسع - لتغيير موقفه من العاهل الالماني . كما أبرز هرمان مدى الخطورة التى تواجه الامبراطور من جانب الايوبيين ، وهدفه من ذلك كله هو التمهيد لطلبه الخاص برفع قرار الحرمان عن الامبراطور ، لانه أوضح للبابا أنه اذا رفع الحرمان عنه فسوف يكون فى وضع أفضل أثناء مفاوضاته مع الايوبيين . ثم تناول فى خطابه معاهدة يافا ، وشروطها ، وذلك من واقع نسخة المعاهدة التى كانت فى حوزته . ولا شك أن هذا الخطاب يزودنا بصورة واضحة عما قام به المقدم الأعلى للجماعة الألمانية أثناء

الحملة الصليبية السادسة ، ويلقى الضوء على دورها في العلاقات الصليبية
الاسلامية آنذاك .

كذلك وقع اختيارنا على نص من « عقد الجمان » للعيني يوضح
الدور الذى أسهمت به الجماعة الالمانية فى مملكة أرمينية الصغرى ، حيث
استخدمت قلعتها العمودين كمركز للتار لمهاجمة شمال بلاد الشام . ولم
يشر العيني الى أن قلعة العمودين كانت تابعة للمداوية كما أشارت خطأ
معظم المصادر العربية الأخرى . ولاشك أن ذلك يوضح لنا ذلك الدور
الهام الذى ساهمت به الجماعة الالمانية فى العلاقات المغولية الاسلامية
فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها .

أما الملحق السادس فقد تناولنا فيه سقوط القرين أو مونتفرت -
القلعة الرئيسية للجماعة فى الاراضى المقدسة - وذلك نقلا عن النويرى فى
مخطوطته « نهاية الارب فى فنون الادب » . وعلى الرغم من أنه نقل
رواية ابن عبد الظاهر عن سقوط القلعة ، الا أنه لم يشر الى ذلك صراحة .
كما أنه هناك بعض العبارات المختلفة قليلا عنه فى هذا النص . ولكنه ،
على أى حال ، يوضح لنا مدى أهمية القرين وخطورته على صفد
الملوكية بصفة خاصة . وأخيرا ، فقد كان من الضرورى وضع قائمة بأسماء
مقدمى الجماعة العظام وفترات حكمهم للجماعة بالتقويمين الميلادى
والهجري مراعين التسلسل الزمنى فى ذلك .

الملحق الاول : منحة الملك جاي لوزنيان للمستشفى الالماني أمام
عكا في منتصف سبتمبر ١١٩٠م/١٢ شعبان ٥٨٦هـ :

نقلا عن :

Strehlke, *Tab. Ord. Teut.* no. 25.

النص اللاتيني

25. 1190 medio septembri in obsidione Accon. Guido Hierosolymitanus rex donat hospitali S. Mariae Alemannorum, a Sibrando in obsidione Acconis incepto, domum in hac urbe aut in eventum plateam iuxta illam.

Notum sit omnibus tam presentibus quam futuris, quod ego Guido per dei gratiam in sancta civitate Ierusalem Lationorum rex octavue et domina Sybilla, uxormea, per eandem venerabilis regina, donamus et concedimus domino deo et hospitali Alamannorum, quod est hedificatum in honore. . . et gloriose semperque virginis Marie, domum unam in Accon ad faciendum hospitale, illam videlicet, in qua Armeni et patrones solebant hospitari. Si vero dictam domum dare non poterimus, donamus eis plateam iuxta dictam domum, ubi possint facere hospitale ad voluntatem suam. Hoc autem donamus et concedimus per manum magistri Sibrandi, qui hoc hospitale incepit et edificavit in obsidione Accon. Donamus eciam et e concedimus prescripto hospitali iii carrucas terre in territorio Accon. Ut autem huius nostre donationis et concessionis auctoritas sepe nominato hospitali rata in eternum et indissoluta per maneat, presentem paginam testibus subscriptis muniri et sigillo nostro fecimus roborari. Huius rei testes sunt comes Ioscelinus, regis senescalcus; Anzellinus, regis constabularius, Henfridus Montis regalis; Hugo Tyberiadis; Rainaldus Sydonis; Caufridus Tortus. Factum est anno incarnationis domini m c xc indiccione viii; datum in obsidione Accon per manum Petri, regicancellarii, Tripolitane ecclesie archidiachoni, medio septebri.

الترجمة العربية

في منتصف سبتمبر ١١٩٠ (١) قبالة عكا ، يمنح جاي ملك بيت المقدس (٢) ، مستشفى القديسة مريم التيوتونية الذي أنشأه سبراند (٣) أمام عكا ، يمنحها منزلا في هذه المدينة أو في نهاية الشارع المجاور لها : ليكنم علوما للجميع في الحاضر والمستقبل أننى « جاي » ثامن الملوك اللاتين في مدينة بيت المقدس بفضل الرب ، وكذلك السيدة سيلا زوجتى الملكة المبجلة ، نمنح ونتنازل للرب ولستشفى الالمان التى أقيمت تكريما لـ وللمريم العذراء البتول المجيدة بصورة دائمة ، منزلا في الشارع المجاور للمنزل المشار اليه (مستشفى الارمن) حيث يتمكنون من اقامة دار للضيافة حسب رغبتهم . واننا نمنح ونتنازل عن هذا البيت ، وان يقوم على تنفيذ ذلك المقدم سيبراند الذى بدأ هذا المستشفى وبناءه في عكا أثناء حصارها . كما أننا نمنح أيضا للمستشفى المشار اليه سلفا ونتنازل عن كاروكات (٤) من الارض في حدود عكا . ومن أجل أن تظل هذه المنحة والهبة منا باقية على الدوام للمستشفى المشار اليه ، ولا تفسخ أبدا ، فقد جعلنا الشهود الآتية أسماؤهم يدعمون تلك الهبة ويسجلونها في سجلاتنا . وشهود هذا الحدث هم : الكونت جوسلين المستشار العجوز للملك (٥) ، وانسيلنوس كندسطليل الملك (٦) ، وهمفري مونت من رجال الملك (٧) ،

(١) يوافق ١٢ شعبان ٥٨٦هـ .

(٢) تزوج جاي لوزنيان من سبيلا وريثة عرش الملكة الصليبية في عام ١١٨٠م/٥٧٥هـ ، ولعب دورا هاما في استرداد عكا وبقيّة مملكة بيت المقدس الاسمية من قبضة صلاح الدين الايوبي وذلك بمساعدة الحملة الصليبية الثالثة . وتوفى في عام ١١٩٤م/٥٩٤هـ ، انظر : Runciman, History. ii, 424

(٣) عنه انظر ما سبق ص ١٠٢ .

(٤) عن تعريف الكاروكات انظر ما سبق ص ١٠١ .

(٥) جوسلين الثالث سيدالرها الاسمى ، انظر أيضا ما سبق ص ١٨٥ .

(٦) اشار شترالكة الى أنه امريك كندسطليل الملكة في هذه الفترة

وليس انسيلوس : انظر نفس الوثيقة هامش (١) .

(٧) لا توجد معلومات متوافرة عنه ، وهو أحد حاشية الملك جاي

لوزنيان كما أشارت الوثيقة نفسها .

وهيو صاحب طبرية (٨) ، ورينالد صاحب صيدا (٩) ، وجوفرى صاحب
طرطوس (١٠) .

ثم عقد هذه الوثيقة في منتصف سبتمبر من عام ١١٩٠ ، وأبرمت
امام عكا يد بطرس حاجب الملك وكبير أساقفة كنيسة طرابلس .

(٨) كان زوجا لمارجريت أوف ابلين ابنة اشيفا بروس أميرة الجليل
وسيدة طبرية ، وربما حمل لقب صاحب طبرية عن طريق هذا
الزواج - أما أثناء هذه الوثيقة فربما كان سيذا اسميا لطبرية لأنها
كانت في هذه الفترة في قبضة المسلمين ، أما عن تاريخ حكمه
ووفاته فلا توجد لدينا معلومات عنه .
انظر :

(٩) رينالد جارنييه سيد صيدا وبوفورت .

(١٠) تقع طرطوس الى الشمال من طرابلس وتدخل في نطاق
إمارتها . أما جوفرى المشار اليه هنا فلا توجد لدينا معلومات
كافية عنه .

الملحق الثانى : منحة الملك ليو الثانى الارمينى لجماعة الفرسان
التيوتون فى ابريل ١٢١٢م/ذى القعدة ٦٠٨ هـ .

نقلا عن :

Strehlke, op. cit., no. 46.

النص اللاتينى

46. 1212 aprili. Leo, Armenae rex de genere Rapinorum, donat domui hospitalis Theutonicorum castellum Amudain, casalia Sespín, Buquequia, Cumbethfor, Ayun, libertatem emendi et vendendi pro domus necessitate.

eo quod arbitror tam preclaram elemosinam inibi bene fore colloeatam: inprimis famosum castellum Amudain nomine et casale inferius sibi adherens nominatum cum pertinentiis et divisionibus ipsius signatis in hunc modum a parte Simonaglam tendit usque ad antiquum adaquarium, ubi due sunt arbores salices et modo factus est laccus, dehinc usque rostrum de rocha media iusta gastinam, que est de territorio Adidy; a gastina illa superius ascenditur usque ad Quilli, quod dicitur Latine . Meta de Gamnassa. Alia divisio inter Gamnassa et Amudain tendit ad cavam, ubi est arbor dicta chaisne spinosa et labbacia Chalot et agger vines de Mechale, et extenditur meta usque viam . Alia divisio iure eisdem pertinenti dono predictis fratribus sancte domus hospitalis Theutonicorum libere, quiete, pacifice amodo in perpetuum sine calumpnia et sine contradictione aliqua omnium hominum mortalium, qui sunt et erunt sub potestate et dominio meo. Insuper precipio omnibus hominibus meis, qui sunt et qui erunt, ne de cetero habeant potestatem vel ausum super hec omnia, que caritative ac hereditario iure ad possidendum dono predictis fratribus, sicut continetur in presenti pagina, nec possunt aliquod servitium seu tributum seu angariam seu exactioem aliquam ab ipsis fratribus modo quolibet extorquere, immo teneantur eos amare, honorare et venerari per omnia et in omnibus, sicut decet religiosos viros persone mee ac heredum meorum et totius regni mei amatores. Quicquid continetur in presenti pagina, dono predictis fratribus amodo in perpetuum, ut dictum est, libere, quiete, pacifice secundum legem et consuetudinem Francorum. Pro quibus confirmandis pressens scribi iussi privilegium propria manu mea litteris rubeis signatum et regali sigillo meo aureo corroboratum et sigillatum.

الترجمة العربية

ابريل ١٢١٢م (١) : يمنح ليو ملك أرمينية منزل مستشفى التيوتون قلعة العامودين ، وقرى سبين وبوكوكيا وكومبثفور وايون (٢) ، بالإضافة الى حرية البيع والشراء فيما يتعلق باحتياجات المنزل .

..... أنا ليو ملك أرمينية ، بفضل من الله ومن الامبراطور الرومانى ، وابن ستيفانى ، صاحب الاصل العريق من الروينيين (٣) ، اعلم الجميع سواء فى الحاضر أو المستقبل ، فيما يخص الاملاك التى منحت لى وتجمعت عندى بفضل محبة الله والامبراطورية الرومانية ، والتى بفضل من سلطاتها أصبحت ملكا ، وبنفس أمانة وتحية من كل أسلافى للاخوة فى مقر اسبتارية التيوتون ، ، والذين أدين لهم بالاخوة الصادقة ، واتمنى أن أغدو شريكا لافضالهم صلواتهم وطلبا لسجاياهم الحميدة والحصول على اخلاصهم واحسانهم المتبادل ، فاننى بقلب مخلص ، وسريرة نقية طيبة أمنح وأعطى منحة مستمرة من قلاع وأراضى والتى اعتقد أنها تجمع أو تكون فى المستقبل شيئا طيبا . وبأدىء دى بدء (غانى أعب) تلك التلعة الشهيرة التى تسمى العامودير ، وتقع أديانها مع منطق الجاورة لها الواقعة تحت اشرافها . تقسيمها التى تسير على النحو التالى : من ناحية سيمنجلام Simon aglam حتى المنطقة القديمة التى توجد عندها شجرتان صفصاف ومنطقة لشرب الماشية . أما من البحيرة وحتى الحافة التى توجد عندها صخرة متوسطة هى حدودادادى ومنها ترتفع حتى كويلى ثم تقسيم آخر يمتد من شجرة الجميزة ويمتد حتى العامودين الى أحد الكهوف ، ثم الى صومعة أحد أديرة شالوت Chalot وحديثة ميخائيل ثم يصل الى الطريق . ثم هناك تقسيم آخر بين هذه المنطقة السابقة وبين قلعة العامودين حتى التل ، وأمامه شجرتان من الشوك والصبار ثم الى أراضى خارج داجى Dagie والممتدة الى زاماجا Zamage ، ومن هنا الى بحيرة

(١) يوافق ذى القعدة ٦٠٨ هـ .

(٢) عن مواقع هذه القرى والقلاع ما سبق ص ١٥٤ .

(٣) عن هذه الاسرة انظر قائمة الملوك الارمن فى : .

Runciman, History, iii, p. Appendix, III.

هاليا Helia وايو Ioh . وبين هذه المنطقة الاخيرة وراها توجد بعض الكهوف . كذلك فأننى أعطى لهم قرية سسبين بما يحيط بها ، أما حدودها فهي على النحو التالى : من مكان يسمى بارى Barii حتى أحد القطاعات عند كهف أو برج ساباك ، ومنها الى حقل بزكوى . وفيما بين سسبين وبارى وأيدى ورأس العين يوجد ثمة تقسيم يفصل بينها ، عبارة عن حجر أسود . ومن هناك يمتد التقسيم الى مقر جون التركى ، ثم الى مقر موكان ، ثم الى اندابوس ، وهذه تقع الى الجنوب من قرية سسبين . ومن الاسنيس الى أحد الاشجار الموجودة هناك الى نهر جهان ، ثم الى أرض دندى والى قرية اندابوس ثم الى أحد الاراضى المزروعة ، ومن هناك الى احدى البحيرات من ناحية مسكن يوحنا كوردين . ومن هذه المنطقة يخرج طريق مستقيم من العامودين الى تراكتيت ومنها الى نهر جهان . كما أننى أمنح لهم قرية بوكوكويا وبما يحيط بها . أما عن حدودها وتقسيماتها فهي تمتد على النحو التالى : المنطقة التى امتلكها السيد ميخائيل وهى تلاصق حدود سسبين . كما منح الجماعة قرية كومبثفور وبما يحيط بها من تقسيمات وراضى وذلك فى منطقة ملونى وهى على النحو التالى : من جهة الشرق يوجد طريق ما بين كومبثفور وتيمتيك ، والى الجنوب منه توجد أشجار كريونية - ربما متحجرة - وفى منتصف الارض المحددة يوجد تقاطع . ثم صف من الاحجار باتجاه الغرب الى كومبثفور حيث توجد قرية بلجونىوس والتى بها منزل ارنك . ثم دير القديسة مريم ، ثم توجد بعض علامات الحدود منها أحد الاعمدة الرخامية . أما ناحية الشمال فتصل الحدود الى أحد أبراج المراقبة ، وجنوباً الى باجنيجون حيث توجد أخشاب متفحمة . كما أننى أمنح لهم قرية ابان مع ما يحيط بها . وتقسيماتها الموضحة على النحو التالى : توجد فى داخل كالاسى مع أحد القطاعات وأشجار قديمة متحجرة على الطريق المؤدى الى فانكون . أما من ناحية الشرق فتوجد منطقة تعيش فيها الثعالب ، ومنها الى منطقة بها خمس أشجار . ثم من فانكون الى تقاطع آخر فى منطقة أعلى الطريق الى أراضى خارجية . وبهذه التقسيمات المحددة أمنح هذه القرى الى الاخوة كهبة دائمة يتصرفون فيها بكامل حريتهم ، ولهم الحق التنقل بكل حرية داخل الاراضى التابعة لى أو البحر ، وعبر كل أراضى الخاضعين لى ، والذين يدينون لى بالطاعة فى المدن والقرى والقلاع والضياح والحصون والجبال والسهول وفى الموانى .

كما أن لهم حرية البيع والشراء لكافة حاجياتهم الضرورية ، مع ضمان حريتهم وسلامهم وأمنهم ، دون أية معارضة أو عوائق أو أن يعترض طريقهم أحد ، أو يحصل منهم أية ضرائب . وهذه القسرى والاراضى الممنوحة للجماعة مع مياهها وطواحينها وما يتبعها يأخذها الاخوة بكامل الحرية كصدقة بدون أية مطالب وأية معارضة من الرجال العلمانيين الذين تحت طاعتي . وأؤكد للاخوة أنه ليس لرجال أية سلطة أو قوة للاعتراض على هذه المنحة ، أو أن يقرضوا أية خدمات أو ضرائب عليهم . ويجب عليهم أيضا أن يعاملوا الاخوة بكل احترام . كما يجب على الجميع أن يكونوا لهم كل الاحترام والتقدير والحب بكافة أشكاله وفي كل مكان ، على أنهم رجال دين مباركين من كل شخص ومن ورثتى ومن رجال ملكتى .

وأى شيء متضمن فى هذه الوثيقة أمنحه للاخوة المذكورين ، يعذ ثابتا ودائما فى حرية وأمان وسلام ، وذلك طبقا للقانون الثانى والمستمد من القوانين الرومانية (٤) . وبحضوري أمرت بتوثيق هذه المنحة وسجلتها بخط يدي فى السجل الذهبى الخاص بى وفى السجل العام .

(٤) توضح هذه العبارات أن ليو تعامل مع الجماعة الالمانية طبقا للقوانين الرومانية الغربية ، حيث كان آنذاك يسعى جاهدا . للحصول على موافقة ورضاء البابوية والامبراطورية لتدعيم مملكته ومحاولة الحصول على تاييدهما فى صراعه مع الداوية ، وكذلك محاولاته لضم امارة انطاكية . فقام بتغريب مملكته ، ووضع النظام الاقطاعى الغربى والقوانين الغربية محل الارمينية ، وكذلك التحول الشكلى الى الكاثوليكية .

الملحق الثالث : توثيق الملك جان دي بريين لوثيقة شراء هرمان دي سالزا عددا من القرى والقلاع في مايو ١٢٢٠م / ربيع أول ٦١٧هـ .

النص اللاتيني

53. 1220 maio (sc. 30 aut 31) Iohannes Hierosolymitanus rex confirmat Hermannō magistro et fratribus domus hospitalis s. Mariae Theutonicorum Hierosolymitani ab Ottone comite de Hennemberg, Beatrice uxore, Ottone filio eorum vendita Castellum Regis cum pertinentiis et domum quam quadam Accone sitam.

Ego Iohannes dei gratia Latinorum Ierosolimitanus rex decimus notum facio tam presentibus quam futuris, quod vir nobilis Otto comes de Henneberk et domina Beatrix, uxor sua, filia pie memorie comitis Ioscelini, et Otto, eorum filius, coram me et curia mea voluntate et assensu meo vendiderunt fratri Hermannō, magistro domus hospitalis sancte Marie Teutonicorum Ierosolimitani, et fratribus eiusdem domus presentibus et futuris Castellum Regis cum omnibus pertinentiis suis, excepto casali, quod vocatur Ihazon, pro septem milibus marchis argenti boni et legitimi et duobus milibus bisanciorum sarracenatorum, et preterea pro tribus milibus et ducentis quinquaginta bisanciis, quos ad mandatum dictorum comitis et uxoris sue dicti magister et fratres persolverunt de debito domini Guilelmi de Amigdala, qui sororem dicte Beatricis, filiam dicti comitis Ioscelini, habuit in uxorem. Vendiderunt siquidem prefatis H (ermannō) et fratribus quicquid habebant vel habere debebant in dicto Castello Regis, tenendum et possidendum, sicut prefati comes et uxor sua et eorum antecessores tenuerunt et possederunt pacifice et libere. Hec sunt pertinentie et casalia dicti Castelli Regis videlicet : Tersyha, Carphasonie, Samohete, Geclin, Zoonite, Beletim, Tarphile, Rassabde, Suphaye, Capharra, Noscoquie, Danehyle, Lebeyne, Lubie, Bechera, Habelye, Amca, Gez Clil et medietas Noie. Similiter sunt de pertinentiis predictis Fasoce, Achara, Taycretrane, Tayerebika, Fennes, Carsilie, Serouh, Gabatye, Horfeis, Roeis Camsara, Cassie, Deleha, Derbasta, Raheb, Eerzei, Berzci, similiter et tercium feodi de sancto Georgi, cuius pertinentie et casalia sunt hec : Arket, Yanot, Cabra, Meblie, Saphet, Lemczera, Kemelye et tercium casalis dou Bokehel cum pertinentiis eiusdem et tercium de assisia, que est de hoc eodem feodo, scilicet tercium octingentorum bisanciorum assignatorum ad catbenam Accon, cuius tercii summa est ducent sexaginta

vii bisancii minus tercia, quos prefati magister et fratres mihi et successoribus meis in perpetuum quitaverunt Vendiderunt similiter prefati comes et uxor sua et eorum filius prefatis magistro et fratribus assisiam duroum millium bisanciorum ad cathenam Accon assignatorum, quos similiter predicti magister et fratres mihi et successoribus meis in perpetuum quitaverunt eciam predicti magister et fratres mihi et successoribus meis quicquid ad presens est in manibus Sarracenorum, quod pertinet ad ea, que vendiderunt prefati comes et uxor sua et eorum filius, cum a fidelibus fuerit acquisitum. Vendiderunt preterea prefati comes et uxor sua et eorum filius predictis magistro et fratribus quandam domum in Accon que fuit comitis Ioscelini, cuius situs talis est : ab oriente habet quandam ruellam, ab occidente quandam clausuram domuum, que sunt abbztis Montis Thabor; a meridie est via publica, a septemtrione coheret domni Rohardi domini Cayphe. Si vero in civitatibus Tyri vel Accon aliquæ demus fuerint, que ad supradictam vendicionem pertineant, cum a magistro vel fratribus dicti hospitalis fuerimus requisiti, n curia nostra plenum ius secundum consuetudines terre faciemus exhiberi. Pro hac autem venditione, cui consensi et acquievi, recepi ego quingentas marchas argenti a prefatis H (ermanno) magistro et fratribus. Ut hoc autem ratum sit et firmum in pertpetuum, ego ad utriusque partis petitionem presens scriptum precepi fieri et sigillo meo testibus subscriptis confirmari, Huius autem rei sunt testes Otto de Monte Beliardo, regini constabilis, Radulfus Tyberiadis, regni senescalcus; Baliannus, do minus Sydonis; Garnerus Alemannus, Gilo de Beritho, Robardus de Cayphas; Gaufridus de Cafran, Haimo Alamannus, Danyel de Malebech. Actum anno domini m cc xx mense mayo.

الترجمة العربية

مايو ١٢٢٠م (٣٠ أو ٣١) يؤكد جان (دين بريين) ملك بيت المقدس لهرمان مقدم وأخ منزل مستشفى القديسة مريم التيوتونية لبيت المقدس ما باعه أوتو كونت هنبرج وبياتريس زوجته ، وابنه أوتو ، وهو قلعة الملك مع توابعها ومنزل في عكا (١) .

اننى يوحنا ، ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية ، أعلم هؤلاء الحاضرين والذين سيأتون من بعدى ، بان اتوكونت هنبرج وزوجته

بياتريس ابنة الكونت جوسلين ، وابنهما أوتو ، وبحضور المحكمة العليا قد باعوا للاح هرمان ، مقدم ، منزل اسبتارية القديسة مريم التيوتونية لبيت المقدس وأخوة نفس الجماعة الحاضرين والذين سيأتون من بعدهم ، قلعة الملك مع كافة توابعها ، باستثناء القرية المسماة البوم (٢) ، وذلك مقابل مبلغ سبعة آلاف مارك من الفضة والفي بيزنط اسلامي ، بالإضافة الى مبلغ ثلاثة آلاف ومائتى وخمسين بيزنطا اسلاميا تعهد مقدم الجماعة - هرمان - بدفعها للكونت وليم اوف اماندلى . أما قائمة الاماكن فهى كالتالى : قلعة الملك ، طير شيحة ، وكارفا سونى ، وساموهات ، وخان جليل ، وزونيتى ، وبلتين ، وترفيل ، ورأس عبده ، وسيفاته ، وكفرا ، ونوسوكى ، دانهيلى ، واللبنى ، ويوبيا ، وىكارا ، وهابلى ، وعمقا ، وجيز ، واكليل ، ونوى الوسطى ، وقاسوشا ، وأشار ، وطير الطيرانى وطير ابيقا ، وفنيس ، وكارسيلى ، وسروه ، والغاببية ، وهورفيس ، والرويسى ، والكامرا ، والكابيسى ، وديلهما ، ودير بسطا ، وراهاب ، والظفر ، وبرزى . وكذلك ثلث اقطاع القديس جورج ، ويشتمل على : يرقا ، ويانووث ، والكابره ، وموبيليه وصفت ، والمزرعة ، والكاميلية ، وثلث بوكيل مع ايجار الاراضى التابعة لها (٢) . وبالإضافة الى ذلك حصلت على ثلث الثمانمائة بيزنط التى كانت يحصل عليها (أوتو وزوجته) كضرائب من الميناء فى عكا . كذلك فان الكونت وزوجته وابنهما باعوا للمقدم وأخوة الجماعة دخلا آخر قيمته الفى بيزنط سنويا تجبى أيضا من ميناء عكا (٣) . وبعض هذه الاماكن السابقة التى كانت فى حوزة المسلمين ، فانه ليس من حق الجماعة الحصول عليها اذا عادت مرة أخرى الى الصليبيين ، بل أنها تؤول الى الملك . كذلك فقد باع الكونت وزوجته وابنهما للمقدم وأخوة الجماعة منزلا فى عكا كان يخص الكونت جوسلين (٤) . كذلك تسلمت أنا جان (دى بريين) مبلغ خمسة آلاف

(٢) عن هذه القلاع والقرى انظر خريطة رقم (١) .

(٣) هذا مثال من أمثلة الاقطاع النقدى الذى كان يحصل عليه بعض السادة الاقطاعيين فى الاراضى المقدسة . وكان يحصل المبلغ من جمرك السليلة حيث كانت تجبى الضرائب المفروضة على التجارة فى هذا الميناء .

(٤) المقصود به جوسلين الثالث كونت الرها السابق والذى آل اقطاعه الى ابنتيه بياتريس واجنيس .

مارك من مقدم وأخوة الجماعة . واننى أوثق وأؤكد هذه المنحة ، ويخطى
وبكامل حريتى وأضع خاتمى عليها ، والشهود الموقعين على هذه الوثيقة
هم : أوتو دى مونت بليارد كندسطل المملكة ، رادولف سيد طبرية
مستشار المملكة ، باليان سيد صيدا ، جارنييه أليمان ، جاى صاحب
بيروت ، ورهارد صاحب حيفا ، جودفرى دى كارفان ، هايمو الالمانى ،
دانييل دى ملنباخ .

الملحق الرابع : خطاب هرمان دي سالزا الى البابا جريجورى
التاسع فى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ .

نقلا عن :

Huillard-Bréholles, *Historia*, III, 90-92.

النص اللاتينى

EPISTOLAE MAGISTRI DOMUS THEUTONICORUM.

Gregorio sanctissimo et reverendo in Christo patri et domino ac benefactori suo sacrosancte Romane ecclesie summo pontific, frater Hermannus hospitalis sancte Marie domus Theutonicorum in Ierusalem minister humilis, sum scilicet reverentia et devotione 20 oscula pedum beatorum. Rumores et status Terre Sancte et exercitus christiani in passagio autumnii preteriti secundum quod tunc erat, vestre satis innotuit sanctitati, set gratiam quam dominus exercituum Deus circa Terram Sanctam non nostris meritis sel sola miserationis divina post hec operari dignatus, est, dignationi vestre in presentibus significare dignum duximus et utile. Noveritis igitur, quod quintodecimo die mensis Novembris dominus imperator cum omni exercitu christianorum venit Ioppen, ad reedificationem castri illius, ut facilius fieret processus in Ierusalem tempore suo. Et cum exercitus Christi necessaria in someris per terram per aliquod tempus sufficientia fere nequisset, quisque secundum suam possibilitatem barchas cum necessariis in portu Accon oneraverat; set mutato aere et turbato mari tanta tempestas inhorruit, ut vassella cum victualibus nequaquam exercitui penire possent, Et dum exercitus Christi in multa sic esset anxietate, fere omne consilium totius exercitus iam desprare cepit, murmurantes nil aliud superesse quam in Accon redeundum. Et dum in tali essemus discrimine, miserator et misericors Dominus qui sanat contritos corde, adiutor in oportunitatibus, serenato aere pacavit mare; et statim tanta navium et barcarum multitudo venit Ioppen cum victualibus, ut omnis defectus prius habitus mutaretur in habundantiam et plenitudinem omnium necessariorum. Et ab illo tempore semper ulterius tantam fecit misericordiam Deus in aeris temperie, ut indifferenter venirent vassella per mare et abirent, ita quod omnis copia omnium necessariorum habita est semper ulterius. Interea sine mora de communi consilio incepta sunt edificare Ioppen in fossato, et muris, et turribus erigendis, quod opus memoriale erit in evum omni populo christiano, quia

per Dei gratiam ex nimia dilectione et affectu quem dominus imperator et omnis populus circa ipsum feruebat et laborabat, ante dominicam sexagesime usque adeo fuit promotum, quod a principio sue prime inchoationis numquam extitit tam forte et benefactum. Interea vero dum hec sollicite agerentur, numtii soldani et domini imperatoris indifferenter bant hinc inde et revertebantur, tractantes de bono pacis et concordie. Idem vero soldanus Babilonie et frater suus soldanus qui dicitur Sceraph, cum innumerabili exercitu apud Gazaram erant in castris per unam dietam modicam a nobis, et soldanus Damasci cum inveniendi exercitu apud Neapolim erant per unam similiter dietam a nobis. Et dum de restitutione Terre Sancte tractaretur, dominus Iesus Christus sua solita providentia ita ordinavit, quod soldanus restituit domino imperatori et christianis civitatem sanctam Ierusalem cum suis tenementis, excepto illo quod monasterium illud quod dicitur templum Domini debet esse in custodia Sarracenorum, quia orare diu consueverunt ibidem, ut liberum habeant in introitum et exitum illic orationis causa, et christianis similiter ibi orare volentibus sit expositum. Villam etiam que dicitur ad sanctum Gorgium, et casalia que sunt ex utraque parte vie usque in Ierusalem, reddiderunt; et Ierusalem cum suis tenementis et casalibus que sunt inter Ierusalem et Behthleem restituit; etiam Nazareth cum suis tenementis et casalia que sunt inter Accon et Nazaret. Reddidit etiam castrum Tyronis cum omnibus pertinentiis et villis et terris. Civitatem etiam sydonis cum omni planitie que attinet, similiter reddidit, et omnes terras quas christiani tempore pacis habebant et in pace tenebant. Licet etiam nobis per pactum reedificare Ierusalem in muris et turribus iuxta voluntatem christianorum, et castrum Ioppen, et castrum Cestrum Cesaree, et Montfort, castrum novum nostrum quod in montanis hoc anno firmare cepimus. Verisimile enim videtur, quod si dominus imperator in gratia et concordia ecclesie Romane transivisset, longe efficacius et utilius prosperatum fuisset negotium Terre Sancte. Predictus soldanus Babilonie usque ad finem treugarum, que inter dominum imperatorem et eum per decennium statute sunt, aliqua castra aut adificia facere de novo aut edificare non debet nec aliquis suorum. Omnes captivi etiam qui in perditione Damiate remanserunt, et qui capti sunt in guerra novissima, totaliter redderentur ex utraque parte. Proponit etiam imperator cum omni populo ascendere Hierosolimam, et ibi in honore Regis regum omnium ferre coronam, sic enim consultum est ei a pluribus, et cum omni diligentia intendere ad reedificationem civitatis Ierusalem. Qualis etiam fuerit exultatio omnis populi in restitutione predicta, vix potest enarrari. Frater etiam Leonardus venit ad nos Ioppen die Martii, referens

nobis rumores de partibus cismarinis; quos libenter vellemus esse meliores et de alia maniera quam sint. Celerum dominus archiepiscopus Reginus qui ad pedes vestre dignationis missus est, discretionem vestram plene novit expedire, qualiter et in quem modum circa dominum imperatorem remanserimus; et dum per eum fueritis expeditus, qua intentione fecerimus et quis fuerit profectus, quicquid super hiis vestra nobis preceperit dignatio, et de preteritis et de futuries parati sumus obedire.

الترجمة العربية

خطاب مقدم منزل التيوتون (١)

إلى صاحب القداسة المهجل في العالم المسيحي والسيد صاحب الخيرات والحبر الاعظم للكنيسة الرومانية جريجورى (التاسع) من من الاخ هيرمان ، أخ مستشفى القديسة مريم لمنزل التيوتون في بيت المقدس ، والخادم الذليل مع ما يليق بكم من جلال وتقديس وقبالات لاقدامكم السعيدة . وهناك أقاويل عن الاوضاع في الاراضى المقدسة وجيش المسيحين المذعورين في الخريف ، وهو أمر أصبح معلوما لقداستكم . ولكن الفضل الذى أسبغه الرب على جيوشه في الاراضى المقدسة ليس مرده الى مميزات فينا ، وانما هو فقط رحمة ربانية تجلت فيما بعد ، وظهر فضلها . ويفضل كرامتك فقد أبلينا في الوقت الراهن بلاءا حسنا ومفيدا . ولذا فلتعلم أن الامبراطور قدم الى يافا في اليوم الخامس عشر من نوفمبر (٢) ومعه الجيش المسيحي كله من أجل اعادة تحصين قلعتها حتى يسهل التقدم الى بيت المقدس في الوقت المناسب . ونظرا لأنه تعذر على الجيش المسيحي جلب ما يكفى من الضروريات عبر البر في أى وقت ، فقد أمكن بنجاح شحن وتعبئة القوارب بالضروريات في ميناء عكا . ولكن تغير الطقس وانقلاب البحر وهياجه أثار عاصفة كبيرة حالت دون وصول السفن بمؤنها الى الجيش . وعندما أصبح جيش المسيح في هذا الموقف البالغ الحرج ، فقد بدأ يفقد كل أمل ، وسرت شائعات وأقاويل بأنه ليست هناك طريقة أخرى للنجاة سوى العودة الى عكا . ولما صرنا الى هذا

(١) هرمان دى سالزا المقدم الاعلى للجماعة الالمانية .

(٢) ١٥ نوفمبر ١٢٢٨م / ١٥ ذى الحجة ٦٢٥هـ .

الموقف بوضوح تجلى الرب برحمته وعفوه وأغاث القلوب حيث كان عونا وسندا في الوقت المناسب . فتحسن الجو ، وهدأت العاصفة ، واستطاعت السفن والقوارب الوصول الى يافا ومعها المؤن ، حتى تبدل في المؤن الى وفرة وغزارة في كل الاشياء والمؤن الضرورية . ومنذ ذلك الوقت أنزل الرب رحمته ، واستمر هذا الطقس معتدلا على الدوام ، وأصبحت السفن تغدو وتروح في البحر في سلام من ناحية ، وتوفرت كل المؤن الضرورية طيلة الوقت من ناحية أخرى . وبعد ذلك بدىء في يافا على وجه السرعة وبخطة مشتركة ، اقامة التحصينات . وأقيمت الاسوار والابراج داخل خندق وهو عمل سيظل خالدا في وجدان كل الشعب المسيحى ، لأنه بفضل من الرب وبالتوفيق منه قام عظمة الامبراطور ومن حوله كل أبناء الشعب وزادت حميتهم ، وعملوا بجدية . وكان من نتيجة ذلك اتمام عمل على درجة من الاتقان ، حتى انه لم يوجد عمل يضاهيه في قوته ودرجة تحصينه . وبعد ذلك انتقلت هذه الاخبار على جناح السرعة ، حيث كان هناك رسلا من السلطان (الكامل محمد) ومن المعظم (عيسى) على السواء تذهب وتعود من أجل التوصل الى عقد سلام واتفاق جيد . وكان سلطان مصر وأخوه المسمى الاشرف (موسى) ، ومعهم جيش لا يحصى مرابطين عند غزة في معسكر على مسيرة يوم واحد منا ، وكذلك سلطان دمشق (الناصر داود) ومعهم جيش ضخم عند « المدينة الجديدة » أو نابلس ، وكانوا كذلك على مسيرة يوم منا . وطالما كان الامر يتعلق بالتوصل الى استعادة الارض المقدسة ، فان الرب قد رتب بعنايته أن يعيد الامبراطور المعظم للمسيحيين بيت المقدس العظيمة وتوابعها باستثناء ذلك الدير المسمى معبد الرب (٣) ، فيكون في حوزة المسلمين لانهم اعتادوا على الصلاة هناك ، وأن يكون لهم حق الدخول ، والخروج هنالك بحرية لاداء الصلاة ، وكذلك تفتح هذه الاماكن للصلاة فيها ان شاءوا . وقد أعادوا القرية التى قيل أنها كانت تخص القديس جورج ، والضياح الواقعة على جانبى الطريق المؤدى لبيت المقدس ، وكذلك بيت لحم ، كما تم استرداد الناصرة وتوابعها وضياحها الواقعة بين عكا والناصرة ، وكذلك قلعة تورون وكل ملحقاتها ومنازلها وأراضيها . كما

(٣) المقصود به منطقة الحرم الشريف بما فيه الصخرة المقدسة

والمسجد الاقصى ومسجد عمر - انظر ما سبق ص ١٦٢ .

تم استرداد صيدا وكل سهولها التابعة لها ، وكل الاراضى التى كانت مملوكة للمسيحيين زمن السلم ، والتى كانت فى حوزتهم فى وقت السلم . كما سمح لنا فى هذه الاتفاقية باعادة تحصين بيت المقدس بالاسوار والابراج وفقا لمشيئة المسيحيين ، وكذلك قلاع يافا وقيسارية ومونتفرت وهى القلعة الجديدة التابعة لنا والتى أخذناها فى الجبال لتحسينها فى ذلك العام . ولذا فمن المحتمل جدا أنه اذا حظى الامبراطور المعظم بعطف ورضى واتفاق الكنيسة الرومانية ، فان مفاوضاته فى الاراضى المقدسة ستكون أكثر فعالية وفائدة . وطبقا لنصوص المعاهدة القائمة بين سلطان مصر السالف الذكر والامبراطور المعظم لا ينبغي لسلطان مصر ولا لآى من أتباعه ولمدة عشر سنوات أن يحدد أو يبنى قلاعا أو مبان (حربية) . كما يلتزم الطرفان باعادة كل الاسرى الذين بقوا فى الاسر فى كارثة دمياط ، وكذلك كل الذين أسروا فى الحرب القريبة والاخيرة . كما نص على أن يذهب الامبراطور ومعه كافة أبناء الشعب الى بيت المقدس ، وأن يحضروا التاج الى هناك . كما اتفق الجميع على أن يشرعوا بكل همة فى اعادة تحصين بيت المقدس . وقد عم الفرح والسرور كل أبناء الشعب لاسترداد هذه الاماكن ، ومن الصعب أن نصف هذه المشاعر الجياشة . وقد أتى الاخ ليونارد الينا فى يافا فى اليوم السابع من مارس (١٢٢٩م) (٥) حاملا الينا أنباء من جهات ما وراء البحار (٦) . وكنا نود أن تكون أفضل وأن تصاغ بطريقة أخرى . ومن المؤكد أن السيد ريجنيوس كبير الاساقفة (٧) الذى أرسل الى فخامتكم قد نقل الى فخامتكم باسهاب كيفية مسيرتنا واستعداداتنا وبقائنا الى جوار الامبراطور المعظم . وستعلم عن (طريق كبير الاساقفة) ما سننوى عمله ، وما سينفذ أولا . وفوق هذا وذاك ، فان عظمتكم ستفهمنا ، وقد تاهبنا لمجابهة الامور المستقبلية والاشياء الأخرى .

(٤) القرين حصن الجماعة الرئيسى فى الاراضى المقدسة .

(٥) يوافق ٨ ربيع آخر ٦٢٦هـ .

(٦) المقصود بعبارة « فيما وراء البحار » هنا ايطاليا لان هرمان

كان يكتب الخطاب من الاراضى المقدسة ، أما ليونارد الذى أتى ومعه هذه الاخبار فهو أحد أعضاء الجماعة الالمانية .

(٧) ليس من المعروف على وجه التحديد رئاسته لآى أسقفية .

الملحق خامس :

ذكر غزوة سيس

..... ولما خرجت العساكر من الدربند (١) وجدوا الارمن على سطح الجبل قد صفوا الصفوف ، واستعدوا للوقوف ، بل للحتوف ، فالتقوا معهم وصدموهم صدمة ، فكانت الكثرة فيها عليهم . وأخذوا ليفون أسيرا وولده معه ، وقتلوا عمه وأخاه ، وانهزم عمه الآخر المسمى كيد اسطبل صاحب حموص (٢) ، وتمزقت منهم جماعة ، وقتلت اكابرهم . وأغارت العساكر على كرنجيل وسرفند كاد وتل حمدون ومهركان (٣) ، ونزلوا من هنالك الى مكان قريب من قلعة تسمى العمودين ، فاصابوا جماعة كثيرة من التتار وغيرهم (٤) . وقتلوا ما شاء الله منهم ، وسبوا سباياهم ، وأخربوا القلعة وأحرقوها ، ودخلوا الى سيس وأخربوها ، وتركوها خاوية على عروشها ...

(١) الدربند ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أنه باب الابواب دون أن يحدد موقعه . أما في المشترك فذكر أنه ما بين طرسوس وبلاد الروم . والواقع أنه أحد الممرات الشمالية الموصلة بين شمال بلاد الشام وآسيا الصغرى . وعن موقعه انظر خريطة رقم معجم البلدان ، ج ١ ٤٤٩ المشترك وضعها ، ١٧٧ .

(٢) أسر في في هذه الحملة ليفون ابن هيثوم ملك أرمينية ، وقتل ثوروس ابنه الآخر . أما سبباد اخو هيثوم كندسطل المملكة فلم يؤسر أو يقتل في هذه المعركة ، ولكن ابنه فاسيل التتري Vasil The Tatar - كما ذكر سبباد نفسه - هو الذي أسر في هذه المعركة . أما ابن عبد الظاهر فذكر « أسر الملك بارون ليفون ، وقتل أخوه ، وقتل عمه ، وانهزم كنداسطل ، عمه الآخر ، وأسرولده وهرب صاحب حموص . انظر : الروض الزاهر ، ص ٢٧٠) . وكذلك :

Sempad the constable, in D.O.P., 165.

(٣) « وأقامت على كرنجيل من عمل سرفندكار ، ونزلت في اليوم

الثاني بأعمال تل حمدون » انظر ابن عبد الظاهر : الروض ،

ص ٢٧٠ ، أما عن مواقع هذه المدن انظر خريطة رقم (٢) .

(٤) أشار ابن عبد الظاهر صراحة الى وجود التتار في قلعة

العمودين التابعة للجماعة الالمانية ، ولكنه أخطأ في أنها كانت

تابعة للداوية كما ذكرنا من قبل . عن ذلك انظر ما سبق ص ٢٩٠

الملحق السادس :

ذكر فتوح القرين

كان حصن القرين لاسبتار (١) الارمن ، ولم يكن لهم بالساحل غيره ، وكان من أمنع الحصون وأصبرها على صفد (٢) . فتوجه السلطان اليه من دمشق في الرابع والعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة (٣) . ووصل الى صفد المجانيق ، وسار الى القرين ونازله . وبينما السلطان واقف لنصب المجانيق وردت رسل عكا وفي مستهل ذي القعدة ملك الرض . وفي ثمانية أخذت الباشورة (٤) ، وأخذت الثقوب في السور ، وشرط السلطان للحجارين عن كل حجر ألف درهم ، واشتد القتال . فحضر رسلهم ، وتقرر خروجهم وتوجههم حيث شاءوا ، وأنهم لا يستصحبون مالا ولا سلاحا وكتب الامان بذلك ، ورفعت الصناجق السلطانية اليها ، وركب السلطان وأصبح على أبواب عكا مطالبا . فما تحرك أحد من الفرنج وعاد الى مخيمه بالقرين ، وأمر فهدم القلعة ، فكمل هدمها في رابع وعشرين من ذي القعدة من السنة (٥) .

(١) المقصود أسبتار الارمن أو الامن كما أشار ابن الفرات ، وانظر

أيضا ما سبق ص ٥٤ .

(٢) في ابن عبد الظاهر « وأصبرها بصفد ، وكان السلطان نوبة

صفد غار عليه ، بل غار أن يكون مثله للكفر ، فرأى بعد فتح

حصن الاكراد ، وحصن عكا أنه لا يترك هذا الحصن خلفه »

انظر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٣) يوافق ٦ يونيه ١٢٧١م .

(٤) انظر ما سبق ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٥) يوافق ١١ يوليو ١٢٧١م .

الملحق السابع :

قائمة بأسماء المقدمين العظام للجماعة أثناء الفترة الزمنية موضع البحث

مسئولو المستشفى الالماني في عكا :

- سیبراند
 - کونراد وبرکارد
 - جیرارد
 - هنری
 - هنریش (قالبوت ۲)

المقدمون العظام للمستشفى الالماني يعد تحوله الى جماعة عسكرية :

- (۱۱۸۹ - ۱۲۰۰ م / ۵۹۴ - ۵۹۷ هـ) هنریش فالبوت
- (۱۲۰۰ - ۱۲۰۹ م / ۵۹۷ - ۶۰۵ هـ) اتومن کرین
- (۱۲۰۹ - ۱۲۱۰ م / ۶۰۵ - ۶۰۶ هـ) هنریش من تونا اوبارت
- (۱۲۱۰ - ۱۲۳۹ م / ۶۰۶ - ۶۳۶ هـ) هرمان دی سالزا
- (۱۲۳۹ - ۱۲۴۰ م / ۶۳۷ - ۶۳۸ هـ) کونراد اوف ثورنجیا
- (۱۲۴۱ - ۱۲۴۴ م / ۶۳۹ - ۶۴۲ هـ) جیرارد اوف مالبرج
- (۱۲۴۴ - ۱۲۴۹ م / ۶۴۲ - ۶۴۷ هـ) هنریش اوف هوهنلوه
- (۱۲۵۰ - ۱۲۵۲ م / ۶۴۸ - ۶۵۰ هـ) جونیتز اوف فیلر سلین
- (۱۲۵۲ - ۱۲۵۶ م / ۶۵۰ - ۶۵۴ هـ) بوبو اوف اوسترنا
- (۱۲۵۶ - ۱۲۷۳ م / ۶۵۴ - ۶۷۲ هـ) انوسانجرهاوزن
- (۱۲۷۳ - ۱۲۸۳ م / ۶۷۲ - ۶۸۲ هـ) هرتمان اوف هلدرنج
- (۱۲۸۳ - ۱۲۹۱ م / ۶۸۲ - ۶۹۰ هـ) برکارد اوف شفاندن
- (۱۲۹۱ - ۱۲۹۳ م / ۶۹۰ - ۶۹۲ هـ) کونراد اوف فویختفاجن

أولا - قائمة المختصرات والدوريات :

- A.O.L. Archives de l'Orient Latin.
- Altpreuss. Monat. Altpreussische Monatschrift.
- Brem. Jahrbuch Bremische Jahr-buch
- Bull. Inst. Hist. Bulletin of the Institute of Historical Research.
- Bull. of Metro. Bulletin of The Metropolitan Museum
Museum of New York.
- Byzantion.
- Crusade and Settlement.
- DA Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters.
- D.O.P. Dumbarton Oaks Papers.
- E.H.R. English Historical Review.
- HZ Historische Zeitschrift.
- Journal of Ecc. Journal of Ecclesiastical History.
Hist.
- M.G.H. (SS) Monumenta Cermaniae Historica
- M.G.H. (Scr. rer. Monumenta Germaniae Historica,
Germ) Scriptores rerum Germanicarum.
- P.P.T.S Palestine Pilgrims' Text Society.
- P.L. Patrologia Latina.
- R.H.C. Recueil des Historiens des croisades.
- R.H.C. H-Occ. Historiens Occidentaux.
- R.H.C.D. Arm. Documents Armeniens,
- Rev. Hist. Revue Historique de sud-est Eurpoéen
- Speculum Speculum.
- Traditio Traditio
- Var. Rep. Variourm Reprints.
- ZDPV Zeitschrift des Deutschen Palestina Vercins.

ثانيا - المجموعات الرئيسية للحروب الصليبية :

- J. Bongars, (ed.)
Gesta Dei per Francos sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia (ab a. 1095 ad 1420) a variis, sed illius aevi scriptoribus, (2 t. Hanau 1611-12).
- Huillard-Bréholles,
Historia diplomatica Friederici II; (6 vols., in 12 pars. Paris 1852, new edition 1963).
- J.P. Migne,
Patrologiae Cursus Completus., Patrologia Latina, (221. Vols. Paris, 1844-1855).
- G.H. Pertz, T. Mommsen, and Others, (eds.),
Monumenta Germaniae Historica Scriptorum, (31 Vols., Hannover 1826, In progress).
- **Recueil des Historiens des Croisades, (publié par les soins de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in 16 folio vols. Paris, 1841-1906).**
 - I. Historiens Occidentaux, 5 tomes, (1844-1895).**
 - II. Documents Arméniens, 2 Tomes (1869-1906).**
- **Archives de l'Orient Latin, (publiées par la Société de l'Orient latin. 2 Vols. Paris 1881 et 1884).**
- **Palestine Pilgrims' Text Society. (13 Vols. and general Index. London, 1887-1897).**
- E. Strehlke, (ed.)
Tabulae Ordinis Theutonici, (Berlin 1869, new edition, ed. by H.E. Mayer, Toronto 1975).

ثالثا - المصادر الاصلية الاجنبية :

- **Acta imperii Selecta** (Urkunden Deutscher Könige und Kaiser 928-1398 mit einem Anhang von Reichssachen) (ed. J.F. Bohmer, Neudruck der Ausgabe Innsbruck 1870, Scientia. Verlag Aalen, 1967).
- «Alberti Nilioi Notarii Regini», Liber de Temporibus, in : **MGH. SS. Vol. 31.**
- Ambroise, **The Crusade of Richard Lion-Heart**, (trans. from old French. by J. Hubert and with notes and documentation by J. La Monte, New York, 1976).
- «Annales de Terre Sainte 1095-1291», publiées par R. Röhricht et G. Raynaud, in : **A.O.L., V. II, pp. 429-461.**
- «Annales Egmundani», in **MGH. SS., Vol. 16.**
- «Annales Melrosenes», in **MGH. SS., Vol. 27.**
- «Annales Ianuensis in : **MGH., SS., Vol. 18.**
- Arnold of Lübeck, **Chronica Slavorum** (ed. J.M. Lappenber, MGH. Scr. rer. germ. (14, Hannover 1860).
- **Cartulaire général d l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jérusalem (1100-1310)** (new edition Munchen 1980).
- **Chronica Regia Coloniensis, Scriptores rerum Germanicarum, usum scholarum, 18, ed. Watz, 1880).**
- **Das Itinerarium peregrinorum, eine zeitgenössische englische chronik zum dritten Kreuzzug in ursprünglicher Gestalt,** (Herausgegeben und Kritisch untersucht von H.E. Mayer, Stuttgart 1962) cf. also : Roger of Hoveden.
- «Die Reste des Deutschordens archives in Venedig» (ed. Perlbach, **Altpeussische Monatschrift, (19, 1882).**
- **Die Register Innozenz III,** (ed. Hageneder-Haidacher, Graz & Köln 1964).

- Ernoul, *Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier*, ed. L. de Mas Latrie, Paris, 1871).
- «L'Estorie de Eracles Empereur et la conquete de la Terre d'Outremer» — ed. R.H.C. — H.Occ, (t. II, Paris pp, 1-481)
- «Gesta crucigerorum Rhenanorum», (ed. R. Röhricht, in *Quinti Belli Sacri Scriptorum minores*, (Genevae, 1879).
- «Gesta Obisidialis Damiatén», in *Quint. bell. Sacr.* (ed. R. Röhricht) *Ibid.*
- *Historia diplomatica Friederici Secundi*, (6 Vols. in pars., Paris 1852-6L, new edition 1963).
- «Historia de expeditione Friderici imperatoris» (ed. Chroust, in *MGH., Scr. rer. Germ. nova series*, Berlin 1928.
- Jacques de Vitry,
 - «Historia Orientalis seu Hierosolymitana», (ed. J. Bongars, *Gesta dei per Francos sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia*, (2 T. Hannover 1611-12).
 - *Lettres de Jacques de Vitry (1160-1170-1240) eveque de Sainte Jean d'Acre*, (edition critique par R.B.C. Huygens, Leiden 1960).
- Johanne Longo de Ipra, *chronica monasterii Sancti Bertini*, *MGH., SS.*, Vol. 25.
- Johannes Wirziburgensis, «Descriptio Terrae Sanctae» (ed. T. Tobler, *Descriptiones Terrae Sanctae ex saeculo VIII, IX, XII et XV* (new edition, New York, 1974).
- Joinville's chronicle of the Crusade of St. Lewis, (*Memoris of the Crusades*, Trans. by F. Marzials, London 1908).
- «Jüngere Hochmeisterchronik», *Scriptores rerum Prussicarum*, (V, ed. T. Hirsch, M. Toppen and E. Strehlke, Leipzig, 1874, new edition Frankfurt 1965).

- «La. Citz Iherusalem», in **Description Terrae Sanctae**. (New York 1974).
- **Les Registres de Grégoire IX**, (ed. L. Auvray, 4 vols., Paris 1896-1908).
- **Les Registres d'Urban IV (1261-1264) Recueil des Bulles de ce pape**, (ed. M.J. Guiraud, 4 Vols., 1901-29).
- **Matthaeus Parisiensis, chronica majora** (ed. H. R. Luard, 7 Vols., Roll. Series 57, London 1874-1876) cf, also; English trans. **English History from the year 1235-1273**, (by J.A. Giles, 2 Vols, London, 1852-3).
- «Narracio de primordiis ordinis Theutonicis», **Scriptores rerum prussicarum : Die Geschichtsquellen der preussischen Vorzeit biszum Untergange der Ordensherrschaft** (5 Vols. Leizig, 1816-1874) Vol. pp. 220-225.
- **Notai Genovesi in Oltremare atti Rogati a Cipro da Lamberto di Sambuceto** (3 Luglio 1300-3 agosto 1301), (ed. Valeria Polonio, Collana Storica di Fonti e Studi 31, Genova 1962).
- **Oliver of Paderborn, Historia Damiatina**, (ed. H. Hoogeweg, Die Schriften der Kölner Domscholasters, Spayeren Bischofs von Paderborn, (Tübingen 1894).
- **Patrologia Latina**, (ed. J.P. Migne, 221 Vols. Paris, 1844-55, (Spec. Vols. 214-216).
- **Perti de Dusburg, Chronica Terre Prassie** (übersetzt und erlaubert von K. Scholz und D. Wogtecki, Darmstadt, 1984).
- **Philip of Novara, The Wars of Frederick II against the Ibelins in Syria and Cyrus**, (Trans. J.L. La Monte & M.J. Hubert, New York 1936).
- **Quinti Belli Sacri Scriptorum minores**, (ed. R. Röhricht, Geneva 1879).
- **Regesta imperii, V, 1198-1272**, (ed. J.F. Bohmer, (Innsbruck 1881-1882).

- **Regesten der Kaiserurkunden des östromischen Reichs von 565-1453, Corpus der griechischen Urkunden des Mittelalters und der neueren Zeit, (München und Berlin 1924-1960).**
- **Richard of San Germano, Chronica, (ed. Pertz, in MGH., SS., Vol. 19).**
- **Roger of Hoveden, Chronica, (ed. Stubbs, 4 Vols., Rolles Series, 51, London 1868-1888).**
- **Roger of Wendover, Chronica sive Flores historiarum, (ed. H.G., Hewelett, Rolles Series 84, London 1886) cf. also : English trans. by J.A. Gilles, Flowers of History, 2 Vols, London 1849.**
- **Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr dite du manuscript de Rothelin (1229-1261). ed. R.H.C.-H.Occ, (t,II, Paris 1859 pp. 489-639.**
- **Sempad, The constable La Chronique, several editions :**
 - **R.H.C. Doc. Arm. Vol, I,**
 - **D.O.P.**
 - **G. Dedeyan, Paris 1980.**
- **Sicard Cremona, Cronica, (ed. Holder. Egger, MGH. SS. Vol. 31),**
- **Tablulae Ordinis Theutonici, (ed. E. Strehlke, Berlin 1869, new edition, by H.E. Mayer, Toronto, 1975).**
- **Vahram's Chronicle of the Armenian Kingdom in Cilicia during the time of the Crusades (Trans. by Ch. Neumann, London 1831).**

رابعاً - المخطوطات والمخطوطات المصورة :

- ابن أبى الدم (٥٨٣ - ١١٨٧/هـ ١٢٤٤م) شهاب الدين
أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله ابن أبى الدم الحموى :
الشماريخ فى التواريخ ، ميكروفيلم عن نسخة مكتبة
البودليان باكسفور رقم MS. March 60.

- ابن دقماق (ت ٨٠٩/هـ ١٤٠٧م) صارم الدين ابراهيم بن محمد
ابن ايدمر العللى : الجوهر الثمين فى سير الملوك
والسلطين - دار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ .

- ابن شداد (ت ٦٨٤/هـ ١٢٨٥م) محمد بن ابراهيم بن على الحلبي :
سيرة الملك بيبرس ، مركز التراث بباريس - ميكروفيلم .

- ابن نظيف (ت بعد ٦٣٧/هـ ١٢٣٩م) أبو الفضائل محمد بن على بن
عبد العزيز بن بركات الحموى : - التاريخ المنصورى -
أو تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، صورة
خطية منشورة فى آثار الاداب الشرقية - موسكو ١٩٦٠ .

- بيبرس الداودارى (ت ٧٢٥/هـ ١٣٢٥م) الامير ركن الدين بيبرس
المنصورى : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، مكتبة جامعة
القاهرة - ج ٩ - رقم ٢٤٠٢٨ تصوير شمس عن نسخة
المتحف البريطانى بلندن .

- العمرى (٧٠٠ - ١٣٠١/هـ ١٣٤٧م) شهاب الدين أبو العباس
أحمد بن يحيى بن فضل الله : مسالك الابصار فى ممالك
الامصار ج ٢٧ ، فى ٤ مجلدات ، دار الكتب المصرية ،
رقم ٥٦٠ معارف عامة - تصوير شمسى .

- العينى (ت ٨٥٥/هـ ١٤٥١م) بدر الدين : عقد الجمان فى تاريخ أهل
الزمان - ٢٣ جزء فى ٦٩ مجلد - دار الكتب المصرية - رقم
١٥٨٤ تاريخ - تصوير شمسى .

- الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) محمد بن شاكِر بن أحمد بن عبد الرحمن
فخر الدين : « عيون التواريخ » - ١٦ مجلد - خاصة
الاجزاء ٢٠ - ٢٢ دار الكتب المصرية - رقم ١٤٩٧ تاريخ -
تصوير شمسي •

- مجهول : الفوائد الجليلة في الفرائد الناصرية ، أو كتاب سيرة الملك
الناصر ، ميكروفيلم عن نسخة المتحف البريطاني رقم
Or. 3025.

- النويري الكندي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد
الوهاب بن محمد : نهاية الارب في فنون الادب - ٥٥
مجلدا - دار الكتب المصرية - رقم ٥٤٩ معارف عامة -
تصوير شمسي •

خامسا - المصادر العربية المطبوعة :

- ابن الاثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٤م) أبو الحسن بن أبى الكرم
الملقب عز الدين : الكامل فى التاريخ - ٩ ج - بيروت
١٩٧٨ .

- ابن الجوزى (السبط) (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) أبو المظفر شمس الدين:
مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان - المجلد الثامن - ق ١ ، ٢ ،
حيدر آباد - ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .

- ابن شداد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٨م) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم
ابن عتبة : سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر
السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق د . جمال الدين
الشيال - ط . أولى القاهرة ١٩٦٤م .

- ابن عبد الظاهر (٦٢٠ - ٦٩٢ / ١٢٢٣ - ١٢٩٢م) محبى الدين
أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين .

- الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد
العزیز الخويطر - ط . أولى - الرياض ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ .

- تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، حققه
د . مراد كامل ، وراجعته محمد على النجار ، ط . أولى
القاهرة ١٩٦١ .

- ابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد
ابن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ ج ، نشر
نشر وتحقيق سامى الدهان - دمشق ١٩٦٨ .

- ابن الفرات (ت ٩٠٧هـ / ١٥٠١ - ١٥٠٢م) ناصر الدين محمد بن عبد
الرحمن الحنفى : تاريخ الدول والملوك - ١٨ جزء -
دار الكتب المصرية - رقم ٣١٩٩٧ تاريخ - تبصوير شمسى .
وقد اعتمدنا على الجزء المنشور فى :

U. and M.C. Lyon and Riley-Smith, (eds.), Ayyubids, Mamlu-
kes and Crusades, 2 Vols, 1971.

- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٣٩٨م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٥ أجزاء ، الأجزاء ١ - ٣ ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج ٤ ، ٥ تحقيق د . حسنين ربيع - القاهرة ١٩٧٧/١٩٧٢ .

- ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٠م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر ابن عمر : تتمة المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٢٨٥هـ / ١٩٦٨م .

- أبو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عثمان شهاب الدين :

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية - جزءان في مجلد واحد ، القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧ هـ ١٢٨٨ هـ .

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين نشره السيد عزت العطار الحسيني - ط . أولى ، القاهرة ١٣٦٦م / ١٩٤٧م .

- أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن علي : المختصر في أخبار البشر - ٤ ج - بيروت (بدون تاريخ) .

- أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ٩ ج - القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٤٢م .

- الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ببغداد / ليبيا ١٩٢٣م .

- الذهبى : (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
قايمار شمس الدين : دول الاسلام - تحقيق فهم محمد
شلتوت - ومحمد مصطفى ابراهيم ، ٢ ج ٤ مجلد -
القاهرة ١٩٧٤ .

- شافع بن على (٦٤٩ - ٧٣٠هـ / ١٢٥٢ - ١٣٣١م) بن عباس الكاتب :
حسن المناقب السرية المنقذة من السيرة الظاهرية - تحقيق
عبد العزيز الخويطر - الرياض .

- القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد عبد الله :
الاعشى فى صناعة الانشا - ١٤ ج - القاهرة ١٩١٣ -
١٩٢٠م .

- المقرئى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد : السلوك
لمعرفة دول الملوك ، القسم الاول - ٣ ج - نشر وتعليق
د . محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ .

- ياقوت الرومى الحموى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت ، الملقب
شهاب الدين :

- معجم البلدان - ٥ ج - بيروت ١٩٧٧ .

- المشترك وضعاً والمفترق صقلاً -

--- Göttingen 1846

• ومكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ)

- اليونينى (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) موسى بن محمد أحمد قطب الدين :
ذيل مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان - ٢ ج - حيدر آباد
١٩٥٤ - ١٩٥٥م .

سادسا: : المراجع الثانوية الاجنبية

U. Arnold, Entstehung und Frühzeit des Deutschen Ordens (Die Geitrichen Ritterorden Europas., Vorträge und Forschungen; Band XXVI, 1980).

M.W. Baldwin, «Missions to the East in the 13th and 14th centuries», in Setton, History, Vol. V.

M. Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, (Jerusalem, Second ed. 1976).

G. Beyer,

— «Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea», in Z.D.P.V, LXVII, 1944-45.

— «Die Kreuzfahrergebiete Südwest palastinas», in Beiträge zur biblische Landes und Altertumskunde, LXVIII (1946-51).

M.L. Bulst «Zur Geschichte der Ritterorden und des Königreichs Jerusalem in 13 Jahrhundert bis zur Schlacht bei la Forbie am 17 Okt. 1244.» Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters (1966).

T.S.R. Boase, The Cilician Kingdom of Lesser Armenia, (London 1978).

C. Cahen,

— Pre-Ottoman Turkey, a general survey of the material and Spiritual culture and history c. 1071-1330 (trans. J. Jones-Williams, (London, 1966).

— «Selgukides, Turcomans et Allemads au temps de la troisième croisade», Variorum, (London 1974).

— La Syrie du Nord a l'époque de croisades et la principauté franque d'Antioche (Paris, 1940).

M.Ch. Brand, «The Byzantines and Saladin, in 1185-1192, opponents of the Third Crusade», Speculum, xxxvi, 1962.

C. Conder, **The Latin Kingdom of Jerusalem**, (London 1897).

W. Cohn, **Hermann de Salza** (Breslau 1930).

L. Dailiez,

— **Les chevaliers teutoniques**, (Paris. 1973).

B. Dean, «The Exploration of a crusaders» fortress in Palestine», **Bull. of The Metropolitan museum of New York**, 1927.

J. Delavill Le Roulx,

— «Les anciens teutoniques et l'ordre de Saint-Jean de Jerusalem», **Comptes rendus des seances de l'Accadémie des inscriptions de belles lettres** (Ser. R. 16, Paris 1889).

— **Cartulaire général d l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jérusalem** (1100-1310), (new edition München 1980).

P. Descharps, **Les chateaux des croisés en terre Sainte, les Carc des Chevaliers**, (Paris 1934).

J. Donovan, **Pelagius and the fifth crusade**, (London, 1950).

R. Dussaud, **Topographie Historique de la Syria Antique et Medievale**, (Paris, 1927).

P.W. Edbury, «The disputed regency of the kingdom of Jerusalem, 1264/6 and 1268» (ed. by P.W. Edbury, **Camden Miscellany** Vol. XXVII, London, 1979).

R. Ehmek, «Die fahrt der Bremer und Lübecken nach Akkon und die Stiftung des Deutschen Orden, in **Bremische Jahrbuch** 1866.

M.L. Favreau,

— **Studien Zur frühgeschichte des Deutschen Ordens**, in (**Kieler Historische Studien**, Band 21, Stuttgart, 1975).

— «The Teutonic Knights in Acre after the Fall of Montfort (1271) Some reflections, **Outremer**, Jerusalem 1982.

— «Die Kreuzfahrerherrschaft Scandelion» (Iskandroune) in **ZDPV**, 93, (1977).

A.J. Forey,

- «The Emergence of The Military Orders in the Twelfth century», *Journal of Ecclesiastical History*, Cambridge 1985.
- «The Military Order of St. Thomas of Acre», *E.H.R.*, no. xcii, 1977.

K. Forstreuter,

- *Der Deutsche Orden am Mittelmeer, Quellen und Studien Zur Geschichte des Deutschen Ordens* Bonn 1967
- in *Historische Zeitschrift*.

H.L. Gottschalk, *Al. Malik Al-Kamil von Egypten und seine Zeit*, (Wiesbaden 1958).

R. Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jerusalem* (3 vols, Paris, 1948).

S. Grunow, *Preussische Chronik, Publikation des für Geschichte Preussens* 1876, 1889, 1986.

B. Hamilton, *The Latin Church in the Crusader States : The Secular church* (London, 1980).

P. Hilsch, «Der deutsche Ritter orden im südlichen Libanon», *ZDPV*, 93, 1977.

W. Hubatsch, «Montfort und die Bildung des Deutschordens staates in Heligen Lande», *Nachrichten der Wissenschaften in Göttingen. I. Phil. Hist Klasse.* (1966, Nr. 5)

R.S. Humphreys, *From Saladin to the Mongols* (New York 1977).

D. Jacoby, «Crusader Acre in The Thirteenth century Urban Layout and Topography».

E.J. King, *The Knights Hospitallers in The Holy Land*, (London, 1931)

J. La Monte,

- **The Wars of Frederick II. cf. also : Philip of Novara.**
- **Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem,** (New York, 1970).
- «John d'Ibelin, The Old Lord of Beirut», 1177-1236, **Byzantion**, xii, 1937.
- «The rise and decline of a Frankish Seigneur in Syria in The Time of The Crusades» **Revue Historique du sud-est Européen** (nos. 10-12, 1938).
- «The Lords of Sidon in The Twelfth and thirteenth centuries», **Byzantion**, vol. xvii, 1944.

J. Leuschner, **Germany in the Late Middle Ages, Europe in The Middle Ages Selected studies**, general ed. R. Vaughan, Amsterdam 1980).

Louise and J. Riley-Smith, **The Crusaders, idea and reality**, (London 1981).

E.W.G. Mastermann,

- «A Visit to the ruined castle of the Teutonic Knights», in **Palestine Exploration Fund**, 1919.

H.E. Mayer,

- **Marseilles Levantehandel und ein akkonensches Fahschertelner des 13. Jahrhunderts** (Bibliothek des Deutschen Historischen Instituts in Rom 38, Tübingen 1971)
- «Die Kreuzfahrerherrschaft «Arrabe», in **ZDPV**, 83, 1977.
- **Die Seigneurie de Joscelyn und der Deutsche Orden**, in **Geistlichen Ritterorden Europas Vorträge und Forschungen** 26.
- «Das Pontifikale von Tyrus und die Krönung der Lateinischen Könige von Jerusalem», **DOP** 21, 1967.

D.H. Metcalf, **Coinage of the Crusades and The Latin East in The Ashmolean Museum**, (Oxford 1983).

M.R. Morgan, **The Chronicle of Ernoul and The Continuation of William of Tyre**, (Oxford 1973).

P. Munz, **Frederick Barbarossa, A Study in Medieval History**, (London, 1969).

M. Oehler, **Geschichte des Deutschen Ritter-ordens** 2 Vols, Elbing, 1908).

J. Prawer,

— **Crusader Institutions**, (Oxford, 1980).

— **The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the Middle Ages**, (London, 1972).

— **Histoire du royaume Latin de Jerusalem** traduit de l'hebreu par. G. Nahon, Second edition, Paris, 1975).

— «The Settlement of The Latins in Jerusalem», **Speculum**, 27, 1952.

«Military Orders and Crusades : Politics in The Second half of the XIII th century' (Die Geistlichen Europas, eds. J. Fleckenstein and Hellman, 26, 1980).

— «The Jerusalem The Crusaders Captured : Contribution to the Medieval Topography of the city», (**Crusade and Settlement** ed. P.W. Edbury, Cardiff 1985).

H. Prutz, **Die Besitzungen des Deutschen orden im Heiligen Lande**, (Leipzig 1877).

E.G. Rey, **Les Familles d'Outre-mer de Du Cange** (Paris 1869).

J. Richard, **The Latin Kingdom of Jerusalem** (trans. from French by J. Shivley, 2 Vols., Amsterdam 1979).

J. Riley-Smith,

— **The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus**, (London, 1967).

— «The Assise sur la ligece and the commune of Acre», **Tradito**, 22, 1971.

- «The Templars and the Teutonic Knights in Cilician Armenia», in Boase.
- «A note on Confraternities in The Latin Kingdom of Jerusalem», *Bull. of the Institute of Historical Research*, 44, 1971.
- **The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem, 1174-1277**, (London, 1973).

R. Röhricht

- **Geschichte des Königreiches Jerusalem, (1100-1291)**, Innsbruck 1898).
- **Regesta Regni Hierosolymitani**, 2 Vols., (Innsbruck, 1893-1904).
- **La croisade du prince Edouard D'Angleterre, A.O.L. II.**

S. Runciman, **A History of The Crusades**, (3 Vols., Cambridge, 1975).

M. Scott, **Medieval Europe** (London, 1964).

K.M. Setton (ed. in-chief) **A History of The Crusades**, (5 vols., Philadelphia 1969-1985).

R.C. Smail, **The Crusaders in Syria and Holy Land**.

I. Sterns, «The Teutonic Knights in The Crusader States in Setton, Vol. V.

W.B. Steverson, **The Crusaders in the East**, (Beirut 1907).

M. Tumler, **Der Deutsche Orden in Werden, Wachsen und Wirken bis 1400 mit einem Abriss der Geschichte des Ordens von 1400 bis zur neusten Zeit**, Montreal, 1955.

T.C. Van Cleve, **The Emperor Frederick II of Hohenstaufen, Immulator Mundi**, (Oxford 1979).

سابعا : المراجع العربية

- أحمد مختار العبادي (دكتور) :
قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩ .
- أسامة زكى زيد (دكتور) :
صيدا ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي ، الاسكندرية
١٩٨١ .
- جمال الدين سرور (دكتور) :
دولة الظاهر بيبرس في مصر ، القاهرة ١٩٦٠ .
- جوزيف نسيم يوسف (دكتور)
— العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع في
المنصورة وفارسكور ، ط . ٠ ثالثة ، الاسكندرية ١٩٧١ .
- — العدوان الصليبي على بلاد الشام ، هزيمة لويس
التاسع في الاراضي المقدسة ط . ٠ ثالثة — الاسكندرية
١٩٧١ .
- حسن عبد الوهاب حسين (دكتور) :
قيسارية تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين
في الشرق الادنى (١١٠١ — ١٢٦٥ م / ٤٩٤ — ٦٦٣ هـ) .
رسالة ماجستير — الاسكندرية ١٩٨٢ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
— الحركة الصليبية — صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد
العربي — القاهرة ، ط . ٠ اولى ١٩٦٣ .
- عبد الرحمن فهمي (دكتور) :
النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤ .

- قاسم عبده قاسم (دكتور) :

دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي - عصر سلاطين المماليك
- القاهرة ١٩٧٩ .

- محمود سعيد عمران (دكتور) :

الحملة الصليبية الخامسة - حملة جان دي بريين - ط .
أولى وثانية الاسكندرية ١٩٧٨ ، ١٩٨٥ .

كشاف ايجدى عام

(١)

- أبغا : ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١
ابن الاثير : ٥٢ ، ٧٧ ، ١١١
ابن أبى الدم : ٤٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
ابن أيبك الداودارى : ١٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٥
ابن الجوزى : ٢٤٩
ابن دقماق : ٢٨٧
ابن شداد : ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١١١
ابن الفرات : ٥٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٣٣
ابن عبد الظاهر : ٤٩ ، ٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣١٣
ابن العديم : ٧٦ ، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨
ابن المشطوب : ١٦٤
ابن نظيف الحموى : ٤٧ ، ١٩٤
ابن واصل : ٥٢
ابو شامة : ٥٢
أبوليا : ٢١
اجريدى : ٢١٤
اجمورت : ٢٥٦
اجنيس : ١٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١
اجولينو اوف اوستيا : ١٨٥
ادوارد الاول : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٠
ادلانسيا : ٢٢٧
اذنة : ٣٠٤
اربان الرابع : ٢٩٣ ، ٢٩٥
أربيا : ٢٤٨
ارزنكان : ٢١٨
أرسوف : ٢٥٧ ، ٢٩٦
الارمن : ٢٨٤ ، ٢٥٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٣٣
أرمينية الصغرى : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٠ ،
٧٨ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ،
٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢١

أرنولد أوف ليبوك : ٤٦ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٩
اسبانيا : ٢١٩

اسبتار الارمن : ٢٠ ، ٥١ ، ٣٢٦
اسبتار الالمن : ٢٠ ، ٥١

الاسبتارية : ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٥ ،
٦٨ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٥ - ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٣٥ -
١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ،
٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ،
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٢٨٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨

الاسكندرونة : ٥٣ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤
الاسكندرية ٧٨

سحاق الثاني انجليوس ٨٥

آسيا الصغرى : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٤٢

الاشرف خليل ٣٧٢ ، ٣ ، ٣٣

الاشرف موسى ١٧٢ ، ٩٩ ، ٢٠٨ ، ٠

أفامية : ٣٢

اقوش الشمسى : ٣١٢ ، ٣٠٥

اكريت : ٣١٦ ، ٣٢١

البرت ١٣٩

ألياس بن باجونوس : ١٣١

أليس : ١٩٣

الريخ : ١٠٤

المانيا : ٢٨ ، ٤٠ ، ٦٧ ، ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،
٢٠٩

أمبرت (الزيب) : ٢١٠ ، ٢٩١ ، ٣١٣

أمريك لوزنيان : ٣٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧

أمبرواز : ٤٦ ، ٩١ ، ٩٣

أندرو الثاني : ٤٥ ، ١٥٨

أنزيو : ٢٢٧

انطباكية : ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥

انطرسوس : ٨٩

انكونا : ٢٧٩

انو اوف سانجر هاوزن : ٤٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٣

انو سنت الثالث : ٢٩ ، ٤٢ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨

انوسنت الرابع : ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨

اوتو اوف كرين : ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٥١

اوتو (كونت) : ١٨٥

اوتومن هتنبيرج : ١٣٢ ، ١٨٥

اوتو الرابع : ٥٣ ، ١٤٩

اوجسبرج : ٢١٥

اود اوف مونبليارد : ١٩٦

اورسلن : ٢٦

اوليفر اوف بادربورن : ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠

ايزابيلا : ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٦ ، ٢١٥

ايطاليا : ٢٣ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٧٩ ، ١٨٢

ايفراردى سين : ٢٥٧

ايو (كونت) : ٢٦٥

ايون (هايون) : ٥٣ ، ١٥٥

(ب)

باب القديس انطونيو : ٣٣١

باب القديس نيقولا : ١٢٧ ، ١٣٥

باب صهيون : ٦٤

البابوية : ٢١ ، ٣٠ ، ٣١

بافاريا : ١٧١

الباصّة : ١٢٨ ، ٢٥٨

باليان دى ابلين : ٧٨ ، ١٩٦ ، ٢٣٩

بالرمو : ١١٥

- بانياس : ٢٣ ، ١٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
بجكا العللى : ٣١٤
بدر الدين الأيدمرى : ٢٩٨
بدر الدين بيسرى : ٢٩٨
البحر المتوسط : ٢١ ، ٢٢ ، ١٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩
برقوس : ١٤٥
براور : ٧٤ ، ١٨٩ ، ٢٣١ ، ٣٢٦
بركاره : ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣
برج السلسلة : ٢٩ ، ١٦٣
برثولوميو دى فوسا : ٢٦٦
برثولوميو امبرياكو : ٣٢٧
برلباخ : ٢٣
البرلس : ٤١ ، ١٦٩
برفديرى : ١٨٤
بريمن : ٢٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٣
برنارد اوف شفاندى : ٣٢٢ ، ٣٢٩
بطرس دوسبرج : ٢٥
بطرس بريتانى : ٢٣٠
عراس : ٥٣ ، ٨٨ ، ١٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ٣٢٠
بعداد : ٤٢ ، ٢٨٢
البعنة : ٣١٣
بكاس : ٣١٩
بلاجيوس : ٤٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٠١
برلاتا : ٢٣ ، ١١٥ ، ١١٦
بلدوين الاول : ٦١
بلاطنس : ٣١٩
البندقية : ٢٣ ، ٢٤
بوكوكويا : ١٥٥
بوفورت : ٣٣
بوهيمند الثالث : ٨٨ ، ٩٠ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٩٣
بوهمند الرابع : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٩٣ ، ٢٠٩
بوهمند الخامس : ٢١٦
بوهمند السادس : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨
بوهمند السابع : ٣٢٧
بويودى أوسترنا : ٢٦٥ ، ٢٦٨
بياتريس : ١٣٢ ، ١٨٥

بيبرس المنصوري : ٥٢

بيبرس الداوداري : ٢٨٤

بيت المقدس : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ ،

٤٢ — ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ،

٩٦ ، ٩٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ،

١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ — ٢٠٨ ، ٢١٣ ،

٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٣٠٦ ،

٣١٨ .

بيروت : ٢١ ، ٥٨ ، ١١٧ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩١ ،

٢٩٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥

بيسان : ١٦٠ ، ٢١٥ ، ٢٦٧

(ت)

التاريخ الكبير : ٤٤

التاريخ المنصوري : ٤٧

تاريخ هرقل : ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣٧ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، ١٩٤ ،

٢٨١

تبنين (تورو) : ٢٣ ، ١٣٥ ، ٢٠٢ ، ٣٠٤

التتار : ٤٣ ، ٥٠ ، ٢٢٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

التركمان : ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٩١ .

تل الخروبة : ٣٠٥

تل مونتيجو : ٢٧٩

تملر : ٣٦ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧٤

توماس اوف اكيرا : ٢٥٧

توماس بيرارد : ٢٨١

(ث)

ثادسيوس النابولي : ٢٢٢

ثوروس : ٣٠٢

ثيوبولد كونت شامبانيا : ٣٩ ، ٤٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦٩

(ج)

الجابيس : ٢٢١

- جارتیه الیمان : ۱۴۴
 جارتیه دی نابلی : ۱۰۱
 جازین : ۲۷۵
 جان دی برین : ۲۳ ، ۳۷ ، ۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۶۰ ، ۱۶۱ ، ۱۶۶ ،
 ۱۶۸ ، ۱۲۷ ، ۱۸۲ ، ۱۸۷
 جاک دی فیتری : ۳۵ ، ۴۵ ، ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۵ ، ۷۹ ، ۱۷۱
 جاک دی امیجالیه : ۲۴۳
 جان ریتشارد : ۲۵۱
 جای لوزنیان : ۸۹ ، ۹۲ ، ۹۴ ، ۹۶ ، ۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۰۴ ، ۱۰۸
 جبل الطور : ۱۴۰
 جبیل : ۲۷۹
 جریولد : ۳۱ ، ۳۴ ، ۱۹۸ ، ۲۰۴ ، ۲۰۵ ، ۲۰۶
 جریجوری التاسع : ۳۱ ، ۳۳ ، ۳۴ ، ۱۸۴ ، ۱۸۵ ، ۲۰۱ ، ۲۰۶ ،
 ۲۱۰ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۲۷ ، ۲۲۹ ، ۲۴۰
 جلال الدین منکبرتی : ۲۱۸
 الجلیل : ۱۶۰ ، ۲۰۲ ، ۲۳۰ ، ۲۴۶ ، ۲۶۸ ، ۳۰۴
 جمیس اوف اماندلیه : ۱۸۷ ، ۱۹۱
 جوانفیل : ۴۴ ، ۲۵۹ ، ۲۶۴ ، ۲۶۵
 جوسلین الثالث : ۲۱ ، ۱۳۲ ، ۱۸۵ ، ۲۰۲ ، ۲۱۶
 جولیان سید صید : ۲۷۵ - ۲۷۶ ، ۲۷۷ ، ۲۸۴ ، ۲۸۸
 جولیاتا : ۱۳۸ ، ۱۳۹
 جیرارد : ۱۰۳ ، ۱۳۱ ، ۲۱۳ ، ۲۳۹ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۴۳ ،
 ۲۵۱ ، ۲۵۲

(ح)

- خبرون (الخلیل) : ۲۶۶ ، ۳۱۸
 الحجاز : ۳۲۵
 حران : ۳۱۴
 حسام الدین ابی علی بن محمد الهذبانی : ۲۴۷
 حسام الدین برکه خان : ۲۴۶
 الحشیشیه : ۴۲
 حصن الاکراذ : ۲۹۷
 حصن الطور : ۱۶۰
 حطین : ۸۳ ، ۸۹ ، ۲۵۴

حماسة : ٣٠٢

حمص : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٣٢١

حلب : ١٣٣ ، ١٤٢ ، ٢٦٣ ، ٣٢٠

حولية الاراضى المقدسة : ٤٠ ، ٤٥

حولية الاراضى البروسية : ٢٥

حولية أرثون : ٣٧

حولية القديس برتين : ٤٥

حيفا : ١٣٧ ، ٢٠٧ ، ٣٢٣

(خ)

خلاط : ٢١٨

الخوارزمية : ٢١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

(د)

الداوية : ٢١ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٩

٦٢ ، ٦٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٥ ،

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ،

١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ،

٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٧٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥١

٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .

دريساك : ٣٢٠

دمشق : ٤٢ ، ٥١ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ،

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٨ .

الدمشقي : ٥٤

دمياط : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،

١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ،

١٩٦ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .

دى لى فيل لى رو : ٦٦ ، ٦٩

دوتيرت : ١٦٢

ديار بكر : ٢٨٢

ديار ربيعة : ٢٨٢

(ذ)

الذهبي : ٣٣٩

سترن : ٢٥١
ستنفورد : ٣٩ ، ١٥٢
سبط. ابن الجوزي : ٥٢ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ٢٠٧
سبنين : ١٥٥
سردينيا : ٢٢٧
السعيد بركة : ٣١٩
السلاجة : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ٢٢٠

سمعان : ١٥٦
سنقر الحلبي : ٢٤٧
سواسون : ٤٢ .
سنبيتراند : ٢٥ ، ١٠٢
سيف الدين ايتامش : ٢٩٧
سيف الدين قلاوون الالقنى : ٣٠٢
سيف الدين قطز : ٢٨٦
سيس : ١٥٥ ، ٣٠٢

(ش)

شارل اوف انجو : ٣٢٦
الشاغور : ٣٦٣
شامبانيا : ٣٩
شترالكة : ٢٠ ، ٢١
شجر الدر : ٢٥٨ ، ٢٦٣
شدنية : ١٠٦
شعر الجميز (معركة) : ٢٣٣ ، ٢٣٦
الشعر : ٣١٩
شقيف ارنون (بوفورت) : ٣٣ ، ٩٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠٦
شقيف تيرون : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦
الشوبك : ١٦٧
الشوف : ٢٧٥ ، ٢٧٦

(ص)

صافيتا : ٣٣
الصالح اسماعيل : ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧

الصالح نجم الدين أيوب : ٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ .

الصبيبة : ٢٦٥

الصخرة المقدسة : ٢٠٣

صفد : ٤٩ ، ١٣٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥

صقلية : ١١٥ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣

صلاح الدين الايوبي : ٢٦ ، ٤٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٦ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١٦٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٦

صوفيا الهولندية : ٦٩

صور : ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦

٩٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٩٥

١٩٦ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥

صيدا : ٢١ ، ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨

٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥

٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

٢٩٩

(ط)

طرابلس : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٧

١٢٦ ، ١٤١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٥٧

٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١

طبرية : ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥

طرسوس : ٥٣ ، ٨٨ ، ١٥٥

الطور : ٤٠ ، ٤١

(ظ)

الظاهر بيبرس : ٢٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩

٢٩٠ ، ٢٩٢ - ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٩

الظاهر غازي : ٥٤ ، ١٤٢

(ع)

العادل الايوبي : ٣٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦

١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠

الحادل الثاني : ٢٣٥

العامودين : ٣٠٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ٥٣

عثليت (قلعة الحجاج) : ٣٢٣ ، ٣١٥

عز الدين أوغان : ٣٠٢ ، ٢٩٧

العزیز عثمان : ١٩٥

عسقلان : ٢٥٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ٢٨

عكا : ٤٢ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١

٤٤ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٦٨ ، ٥٨ ، ٥٤ ، ٥١ ، ٤٦ ، ٤٤

٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٩

١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١

١٦٩ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠

١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

٢٠٩ ، ٢٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢

٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧

٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣١

• ٣٣٤

عمورى لوزنيان : ١٢٠ ، ١١٣

• عمورى الثاني : ١١٢ ، ٢٣٥

• عمورى بارليس : ٢٦٨ ، ٢٦٧

عين جالوت : ٣١٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٥

العيني : ٣٠١ ، ٥٢

(غ)

غزة : ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣

• ٢٩٦ ، ٢٨٤ ، ٢٦٩

• غياث الدين كيخسرو : ١٤٧ ، ١٤٥ ، ١٤٢

(ف)

فارمكور : ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٤٣ ، ٤٢

فخر الدين بن الشيخ : ٢٥٩ ، ٢٠١

فردريك بريروما : ١٤٣ ، ٩١ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٤

فردريك الثانى : ٣١ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٧٧ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٥ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٠ - ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،
 ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ .

فردريك السوابى : ٣٨ ، ٤٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ،
 ثرينسا : ٣١ ، ٣٤

فرناتيو : ١٨٢

فريولى : ١٨٢

فلسجلين : ١٨٧

فورستيرتر : ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٥٤ ، ٢١٩

فوافجر من باسو : ١١٩

فيليب اوف تروى : ٢١٦

فيليب اوف مونتفرت : ٢٧٩

فيلبراند اوف اولدنبرج : ٥٣ ، ١٣٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤

فيليب موجاستيل : ٢٣٨ .

(ق)

قراغوم : ٣٠٣

القاهرة : ٤٢ ، ٤٤ ، ١٧٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦٤ .

قبرص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٦٠ ، ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٧٠ ، ١٩٣ ،
 ١٩٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٥٦ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٩٤ ،
 ٣٠٦ ، ٣١٨ .

القديس توماس : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٩

القديس جورج : ١٨٦

القديسة مريم : ٦٣

القديس سابا : ٤٣

القديس سمعان : ٨٨

القرين (مونتفرت) : ٢٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

القسطنطينية : ٢١ ، ١٢٤ ، ١٥٠ .

قصر موبيلي : ١٩١
 قطب الدين ملكشاه : ٨٥
 قطر (سيف الدين) : ٢٨٧ ، ٢٨٨
 قلج أرسلان : ٨٥ ، ٨٧
 قنحة البحر : ١٩٠ ، ١٩٤
 قلعة انجراج (عثليت) : ٤١ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢٣١
 قيليقية : ٨٨
 قونية : ٨٥ ، ١٣٣
 قيسارية : ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ، ٢٥٧ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣ .

(ك)

كالافاديا : ٢١١ ،
 الكامل محمد : ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ،
 ٣١٩ .
 كتبنا : ٢٨٤ ، ٢٨٥
 الكتبي : ٥٢
 الكرك : ١٦٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٩٢
 كفر يوسف : ١٠٥ ، ١٢٩
 كفر فاقود : ٢٧٦
 كاستين الثاني : ٢٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ٢٠٦ ،
 ٢٢٨ .
 كلستين الثالث : ٢٨ ، ٢٩ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٥٠
 كلمنت الثالث : ٢٨ ، ٩٩
 الكوربي : ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦
 كونراد : ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٩٦ .
 كونراد اوف سولس : ٣٢٣ ، ٣٢٥
 كونراد اوف قويختفاجن : ٢٦
 كونراد الرابع : ٢٤٢ ، ٢٨٠
 كونراد اوف مونتفرت : ٨٨
 كونراد اوف مينز : ١٤٣
 كونراد اوف ناسو : ٢٥٢

كومبثفورت (كوميد قورت) : ٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٣٠٤ ،
كوكب الهوى : ٢٤٦
كيخسرو (غياث الدين) : ١٤٧
كيفيا : ٢٥٨

(ل)

لويس التاسع : ٤٣ ، ١٧١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ - ٢٦٥ ،
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥
ليبيوك : ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٣
ليتولف : ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٤١
ليتوت : ٣٩ ، ١٦٤
ليبولد : ١٦٥ ، ١٩١
ليفونيا : ٢٢
ليماسول : ١٧٠ ، ٢٥٦
ليو الثانى الارمينى : ٣٠ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٥٣ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٤١ ،
١٤٢ - ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٩
ليون : ٢٥٥ ، ٢٥٦

(م)

مارسيل : ٢٦١
مارون : ٢٠٢
مارى لويس ففروا : ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
٧٩ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،
١١١ ، ١٢٠ ، ١٣٥
ماريا مونتفرات : ٣٩
مايز : ٢٢ ، ٧٢
ماين : ١٢ ، ١٢٠
متى الباريسى : ٥٢ ، ٧٦ ، ٢٠٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢
مرسيليا : ٢٧٩
مرسبرج : ٢١ ، ٢٣
مرعش : ١٤٥ ، ٢٢٠
مزررا : ٢١٥
المسنتشفى الالمانى : ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٦ -
٧٨ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،
١٠٩ ، ١١١ ، ١١٤ - ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥

المسجد الاقصى : ٢٠٣ ، ٢٤٥

مسجد عمر : ٢٠٣

مصر : ٣٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ٢١٧ ،

٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ ، ٣١١ ،

المخيفة الارمينية : ٩٧

المصيصة : ٥٣ ، ١٥٥

معليا : ١٨٦ ، ٣٠٧

مصيلحة : ٢١٥

معبد سليمان : ٦٤

المعز أيبك : ٢٦٣

المعظم عيسى : ١٤٠ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩

المغول : ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣١٣ ،

٣٢٠ ، ٣٢١

المقريري : ٥٢ ، ٧٦ ، ٢٤٩

المعظم تورانشاه : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

المماليك : ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ،

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ،

٣٢٢ ، ٣٢٣

المنصور ابراهيم : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،

المنصور قلاوون : ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٧٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٣١ ،

المنصورة : ٢٦٠

منكوتيمور : ٣٢١

موصاب : ١٢٩

مونتفرت (انظر القرين) : ٢٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ١٦٣ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ،

٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،

مونج كا : ٢٨٢

(ن)

نابلس : ١٤٠ ، ٢٤٧

الناصر داود : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،

الناصر صلاح الدين يوسف : ٢٦٣
 نهر الدامور : ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٣٠٧
 نهر الليطاني : ١٦٢ ، ٢٧٧
 نهر النعمان : ٩٤٠
 نهر مالف : ٨٧
 نهر جهان (جيحان) : ١٥٥
 نيقولا : ١٠١ ، ١٠٥
 نيقولا : ١٠١ ، ١٠٥
 نيقولا الرابع : ٣٢٩
 نيقوسيا : ٢١١
 نيقولا دي لوران : ٣٢٣

(هـ)

هادريان الرابع : ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٢٨
 هرتمان اوف هلدنبرج : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٧
 هرمان دي سالزا : ٢٣ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
 ٥٣ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٤ -
 ١٧٨ ، ١٨٠ - ١٨٤ ، ١٩٣ - ١٩٩ ، ٢٠٢ - ٢٠٨ ، ٢٤٢ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦١
 هنري صاحب شامبانيا : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠
 هنري كونت بار : ٤٢ ، ٢٣٢
 هنري الثالث : ٤٤ ، ٢٩٣
 هنريش بارت (تونا) : ٢٧ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١
 هنري السادس : ٩٩ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٩
 هنريش فالبيوت : ٢٧ ، ٢٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥
 هنريش اوف هوهنلوه : ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
 هنري الاول : ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢١١
 هنري الثاني : ٢٨٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢
 هنري اوف بولندن : ٣٣٣ ، ٣٣٤
 هنغاريا : ٢٢ ، ٤٠ ، ٨٤
 هننبرج : ١٨٥
 هوبتش : ٥٤ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ١٩١
 هونين : ٣٠ ، ٤٠ ، ٣٠

هولاكو خان : ٢٩٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦
هزنوزيوس الثالث : ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ١٠٨ ، ١٦٣ ، ١٧١ ،
١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٢٢
هيشوم الاول الارميني : ٢٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ،
٣٠٣ .

هيزر الاول : ١٩٣
هيو الثالث : ٣١٨
هيو لوزنيان : ٢٣
هيو رافيل : ٢٨١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨

(و)

الوزيرى : ٢٤٧ ، ٢٤٨
وليم اوف شاتنوف : ٢٦٤
وليم دى بوجيه : ٣٢٣ ، ٣٢٧
وليم الصورى : ٣٨
وليم الثانى : ٣١٦
وليم اوف اماندليه : ١٨٦ ، ١٨٧
والتر : ٢٦٦

(ى)

ياغا : ٣٤ ، ٥٨ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ،
٢٣١ ، ٢٦٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥
يوحنا اليمان : ٢٥٧
يوحنا : ١٨٤
يويحنا الثانى : ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦
يويحنا تورتنو : ١٣١
يويحنا ابلين : ١٩٧ ، ٢١١ ، ٢٥٧
يويحنا اوف فورتزبورج : ٥٢ ، ٦٩
يويحنا اوف يبرا : ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٤
يويحنا دى فالنيس : ٢٦٤
يويحنا كونش : ٢٠٦
اليوتينى : ٣١٥

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهـداء	١ - ١٦
مقدمة الطبعة الاولى بقلم الاستاذ الدكتور/جوزيف نسيم يوسف	
مقدمة المؤلف	

مقدمة تحليلية نقدية مقارنة لأهم مصادر الكتاب ١٧ - ٥٦
أولا : المصادر الخاصة بجماعة الفرسان التيوتون - رسائل
البابوات والقوى العلمانية - المصادر التاريخية
الغربية .

ثانيا : أهم المصادر العربية المعاصرة والمختارة
ثالثا : أهم الرحالة العرب والأجانب
رابعا : أهم المراجع الحديثة .

مقدمة ٥٧ - ٨٠

- الجماعات الرهبانية من نتاج الحركة الصليبية .
- تأسيس المستشفى الالماني في بيت المقدس ، وآراء المؤرخين
من قدامى وحديثين حول تاريخ انشائه
- نجاح الاستبائية في اخضاع ذلك المستشفى لتبعيتهم في عام
١١٤٣م/٥٣٨هـ ، وأثر ذلك عليه ودوره حتى اعتدائه صلاح
الدين الايوبي للقدس في عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ .

الفصل الاول

تأسيس المستشفى الميداني في عكا ، وتحوله الى جماعة

الفرسان التيوتون ٨١ - ١٢٢

- تأسيس المستشفى الميداني الالماني امام عكا في عام
١١٩٠م/٥٨٦هـ ، وانتقاله الى عكا بعد الاستيلاء عليها
مرة ثانية .
- المنح والامتيازات التي حصل عليها حتى عام
١١٩٨م/٥٩٣هـ
- دوره في العلاقات الصليبية الاسلامية حتى عام
١٢٩٨م/٥٩٣هـ .

الصفحة

الموضوع

- تحوله الى جماعة عسكرية في مارس ١١٩٨م/جمادى
أولى ٥٩٤هـ .

الفصل الثانى

تطور جماعة الفرسان التيوتون ، وعلاقاتها السياسية
بالمسلمين حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة ١٢٣-١٧٦
(١١٩٨ - ١٢٣٩م/٥٩٤ - ٦١٨هـ)

- الجماعة في عهد مقدميها الثلاثة الاول (١١٩٨ - ١٢١٠م)
- هرمان دى سالزا المؤسس الحقيقى للجماعة (١٢١٠ - ١٢٣٩م) ، ودوره في دعوتها .
- أملاك الجماعة في مملكة أرمينية الصغرى ، وأثر ذلك
على دورها في شمال بلاد الشام .
- ظهور الشخصية العسكرية للجماعة الألمانية في عهد
هرمان وخاصة في الحملتين الهنغارية والصليبية الخامسة .
- المنح والامتيازات التي حصلت عليها وأثرها على دورها
في الصراع الصليبي الاسلامى .

الفصل الثالث

جماعة الفرسان التيوتون ودورها في الصراع الصليبي
الاسلامى منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة
وحتى وفاة هرمان دى سالزا ١٧٧-٢٢٤ .
(٢٢١ - ١٢٣٩م/٦١٨ - ٦٣٦هـ)

- موقف هرمان من الصراع الامبراطوري البابوي وانعكاس
ذلك على جماعته .
- انشاء قلعة الجماعة الرئيسية في القرنين او منتفرت .
- دور هرمان دى سالزا وجماعته في الحملة الصليبية
السادسة من الاعداد لها وحتى نهايتها .
- الجماعة الألمانية حتى وفاة هرمان دى سالزا في ١٢٣٩م/
٦٣٦هـ ، وتقييم دورها في عهده .

الفصل الرابع

جماعة الفرسان التيوتون ودورها في العلاقات الصليبية
الاسلامية بعد وفاة هرمان دى سالزا وعقب وفاة مقدمها
يوبو دى استرنا (١٢٣٩ - ١٢٥٦م/٦٣٧ - ٦٥٤هـ) ٢٢٥ - ٢٧٠

الصفحة

الموضوع

- الجماعة الالمانية في عهدى كونراد اوف ثورنجا وجيرارد اوف منتبرج .
- دورها في حملتى ثيوبولد اوف شامبانيا وريتشارد كورنول على بلاد الشام في ١٢٣٩م/٦٣٦هـ ، ١٢٤٠م/٦٣٨هـ .
- الجماعة الالمانية في عهد هنريش اوف هوهنلوه (١٢٤٤ - ١٢٤٩م/٦٤٢ - ٦٤٧هـ) ودورها في معركة غزة الثانية في ١٢٤٤م/٦٤٢هـ .
- ١٢٤٩م/٦٤٢ - ٦٤٧هـ) ودورها في معركة غزة
- دور الجماعة في حملتى لويس التاسع على مصر وبلاد الشام .

الفصل الخامس

دور جماعة الفرسان التيوتون في العلاقات السياسية بين المماليك والصليبيين حتى سقوط عكا

(١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠هـ) ٢٧١ - ٣٣٥

- علاقة الجماعة الالمانية بالمماليك في عهد مقدمها انو اوف سانجر هاوزن (١٢٥٧ - ١٢٧٤م/٦٥٥ - ٦٧٣هـ)
- هجمات الظاهر بيبرس على قلاع وأملاك الجماعة الالمانية وسقوط القرين في قبضته في عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ
- دور الجماعة في العلاقات المغولية الصليبية وأثر ذلك عليها .
- دور الجماعة في معاهدة عام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ بين الصليبيين والمماليك .
- سقوط عكا في قبضة الاشرف خليل في عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ وأثر ذلك على الجماعة الالمانية .

الختامة

- دور الجماعة في بعض المشاريع الصليبية التي خططت للاستيلاء على الاراضى المقدسة مرة أخرى .
- نظرة شاملة لدور الجماعة أثناء الصراع الصليبي الاسلامى على مدى سنوات البحث .
- أهم القضايا والنتائج التي أمكن التوصل اليها

٣٧٥ - ٣٥١

- الملاحق

٣٩٤ - ٣٧٦

- قائمة المصادر والمراجع

٤١١ - ٣٩٥

- كشف بجدى عام

٤١٥ - ٤١٣

- الفهرس

تم بحمد الله

